

الذِّبَّانُ

في

تفسير القرآن

تأليف

شيخ الطائفة

أبي جعفر محمد بن الحسين الطوسي

المرقاة سنة ٤٦٠ هـ

المجلد الثاني

تحقيق

مؤسسة آل البيت عليه السلام للدراسات الإسلامية



٣٦٠

الذِّبِّيَّاتُ

في

تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ

تَأَلَّفَ

شَيْخُ الطَّائِفَةِ

أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدٍ مَلِكِ بْنِ الْحَسَنِ الطُّوسِيِّ

الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٤٦٠ هـ

الْجُزْءُ الثَّانِي

تَحْقِيقُ

مُؤَسَّسَةِ الرِّبِّيَّاتِ بِإِيجَادِ الزَّهَرَاتِ

الطوسي ، محمد بن الحسن ، ٣٨٥ - ٤٦٠ هـ ق .
التبيان في تفسير القرآن / أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي ؛ تحقيق :
مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث . قم .
ج ٣٠ .

الفهرسة طبق نظام فيبا .

المصادر بالهامش .

١ - تفاسير شيعية . ألف : الطوسي ، محمد بن الحسن ٣٨٥ - ٤٦٠ هـ ق .
ب : مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث (قم) . ج : عنوان .

١٧٢٦ / ٢٩٧

١٣٨٨ ت ٩ ط / ٩٤ BP

١٨٧٣٨٩٢

الرقم في المكتبة الوطنية الإيرانية

شابك (ردمك) ٧-٣٢٨-٣١٩-٩٦٤-٩٧٨ / دورة ٣٠ جزءاً احتمالاً
ISBN 978 - 964 - 319 - 328 - 7 / 30 VOLS.

شابك (ردمك) ٥-٣٣٥-٣١٩-٩٦٤-٩٧٨ / ج ٢
ISBN 978 - 964 - 319 - 335 - 5 / VOL.2

الكتاب :	التبيان في تفسير القرآن / ج ٢
المؤلف :	الشيخ محمد بن الحسن الطوسي
تحقيق ونشر :	مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث - قم
الطبعة :	الأولى - جمادى الأولى - ١٤٣١ هـ
القلم والألواح الحساسة (الزينك) :	تيزهوش - قم
المطبعة :	ستارة - قم
الكمية :	٣٠٠٠ نسخة
السعر :	٣٥٠٠٠ ريال

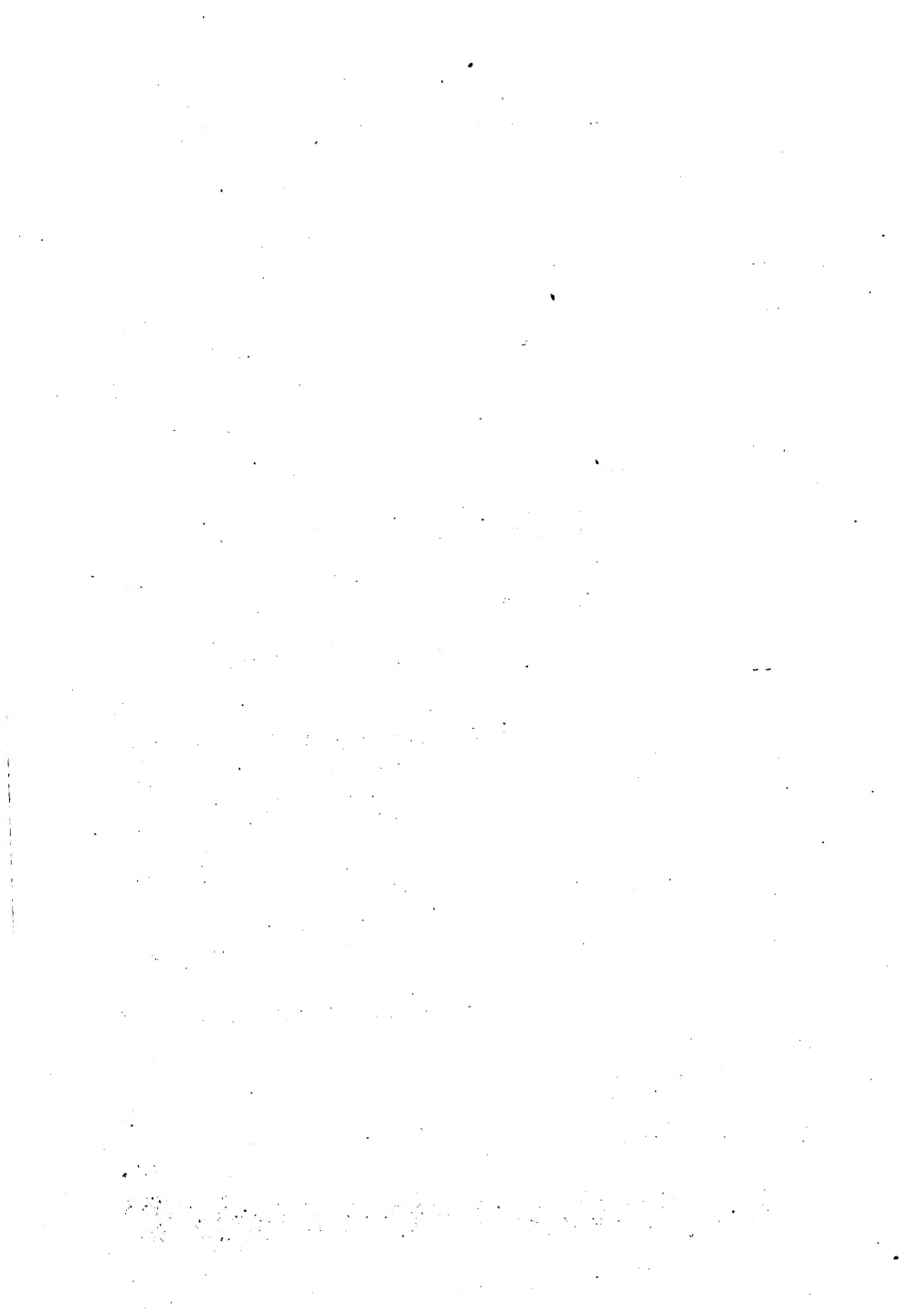
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



جميع الحقوق محفوظة ومسجلة
لمؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث

مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث
قم المقدسة: شارع الشهيد فاطمي (دور شهر) زقاق ٩ رقم ١-٣
ص. ب ٩٩٦/٣٧١٨٥ هاتف: ٥-١-٧٧٣٠٠١ فاكس: ٧٧٣٠٠٢٠

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً
قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ
نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ
﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَكَةِ
فَقَالَ أُنَبِّئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا
سُبْحَنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ
﴿٣٢﴾ قَالَ يَتَّخِذُ أُنْبِيَاءَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أُنْبِئَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ
أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا
تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَكَةِ اسْجُدُوا
لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ
﴿٣٤﴾ وَقُلْنَا يَتَّخِذُ أَسْكَنَ أَنْتَ وَزَوْجَكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا
حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣٥﴾
فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا
بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴿٣٦﴾
فَنَلَقَى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾



قوله تعالى :

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ آية (٣٠)

قال أبو عبيدة: ﴿وَإِذْ﴾ زائدة. والتقدير: ﴿قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ﴾ ، وهي تحذف في مواضع ، قال الأسود بن يُعْفَر^(١):

فَإِذَا ، وَذَلِكَ لَا مَهَاةَ لِذِكْرِهِ وَالْدَّهْرُ يُعْقِبُ صَالِحاً بِفَسَادٍ^(٢) [١٤٥]
معناه: وذلك لامهارة لذكره .

(١) الأسود بن يُعْفَر - بضم الياء وفتحها - بن عبد الأسود التَّهْلَبِيُّ ، الملقَّب بأعشى بني نهشل ، شاعر جاهليّ فصيح ، مكثرت للنقل في أحياء العرب ؛ لما بينه وقبلته من المجافاة ، له قصائد طوال رائعة .

له ترجمة في: الأغاني ١٣ : ١٥ ، الشعر والشعراء ١ : ٢٥٥ ت ٢٠ ، معجم الشعراء الجاهليّين : ١٨ ومصادره .

(٢) من قصيدة تُعَدُّ من مختار أشعار العرب مأثورة مفضّلة . فيها يبكي الشاعر أتيامه وشبابه ، ويصف لهوّه ولعبه و... ، وثمّ ينتهي في بيت الشاهد إلى : إنّه لا بقاء ولا استمرار ولا ثبات لجميع ذلك . وأنّ الدهر من شأنه أن يُتبع الصلاح بالفساد ، والخير بالشرّ ، والبقاء بالفناء .

المعنى : وذلك إشارة إلى ما ذكره سابقاً . لامهارة : بالهاء فقط ، والتاء غلط ، أي : لا طعم له ولا فضل .

الشاهد : واضح ، وهو : القول بزيادة «فإذا» .

انظر : المفضّليات : ٢١٥ ب ٢٤ ب ٣٦ ، شرح التبريزي لها ٢ : ٩٦٤ ت ٤٣ ب ٣٥ ، منتهى الطلب ١ : ٤١٤ ت ٥١ ب ٣٦ ، وديوانه : ٢٥ ق ١٣ ب ٣٦ (صنعة د . القيسي) .

وقال عبد مناف بن ربيع الهذلي^(١):

حَتَّى إِذَا أَسْلَكُوهُمْ فِي قَتَائِدَةٍ فَمَلَأْنَا كَمَا تَطْرُدُ الْجَمَالَةَ الشَّرْمَا^(٢) [١٤٦]
ومعناه: حَتَّى أَسْلَكُوهُمْ^(٣).

(١) اختلفت النسخ بينها ومع المصادر في ضبط الاسم، ولمّا لم نجد ما يساعد على شيء، آثرنا الضبط على المصادر المترجمة، والناسبة له هذا البيت.

والشاعر هو: عَبْدُ مَنْفَافِ بْنِ رَبِيعِ الْجَزَيْيِّ الْهَذَلِيُّ شاعر هُذَيْل أيام الجاهلية.
له ترجمة في: خزانة الأدب للبغدادى ٧: ٣٩، رغبة الأمل ٥: ١٢٨، وانظر: معجم الشعراء الجاهليين: ٢١٢.

(٢) أسلكوهم: لغة في سلكوهم، أي: ألجؤهم للسير على طريق معين. قَتَائِدَةٌ: اسم مكان يكثر فيه النبت ذو الشوك الذي تعافه الابل، أو جبل، ولعلّه المنعطف أو الطريق أو الضيق والمحصور من المكان، وهو ما يُسَمَّى بالثنية. سَلًا: السَّلُّ الطُّرْد للابل الغربية عن ورود الماء. الْجَمَالَةُ: أصحاب الجمال ورعاها.
والمعنى: الشاعر يصف قومًا قد هُزِمُوا حَتَّى أُلْجِئُوا إِلَى الدخول في المكان الضيق الذي يسميه: القتائدة.

الشاهد فيه: استشهد به على أَنَّ «إذا» زائدة لا جواب لها؛ لِأَنَّ البيت آخر القصيدة.

البيت مفرداً تجده منسوباً إليه في: مجاز القرآن ١: ٣٧ ت ٤٦، أدب الكاتب: ٣٣٣، وشرحه لابن السيّد ٣: ٢٧٤ ت ٢١٩، أمالي المرتضى ١: ٣ و ٢: ٣١٠، أمالي ابن الشجري ٢: ١٢٢ م ٤٢ و ٣: ٣٠ م ٧٢، الانصاف في مسائل الخلاف ٢: ٤٦١ م ٦٤ ش ٢٩٠، وانظر الصحابي: ١٩٣.

وضمن قصيدة له في: ديوان الهذليين (شعر عبد مناف ...) ٢: ٣٨ ق ١ ب ١١، وشرح أشعار الهذليين (شعر عبد مناف ...) ٢: ٦٧٩ ت ٢٢ ق ١ ب ١٢، خزانة الأدب ٧: ٣٩ ش ٥٠٦ وقد تكلم حول البيت والشاعر مفصلاً.

(٣) مجاز القرآن ١: ٣٦ - ٣٧. عند الآية الكريمة ٣٤، قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا...﴾ وَأَمَّا عِنْدَ الْآيَةِ: ٣٠ مورد الحديث - وهي قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ...﴾ - فلم يتعرض لشيء ممّا ذكر.

والملاحظ أَنَّ النحاس يروي عن أبي عبيدة عند الآية مورد البحث قائلاً
ثم

وَالْقَتَائِدُ : الموضع الذي فيه قتاد كثير . وَالشَّلُّ : الطرد . وَالْجَمَالَةُ : الجمالون . وَالشُّرْدُ : الإبل التي تَشُرُّدُ عن مواضعها ، وتقصد غيرها وتطرد عنها .

وهذا الذي ذكره ليس بصحيح ؛ لأنَّ «إذا» حرف يأتي بمعنى الجزاء ، ويدلُّ على مجهول من الوقت . ولا يجوز إبطال حرف كان دليلاً على معنى في الكلام إلا لضرورة .

وليس المعنى في البيتين على ما ظنَّ ، بل لو حَمَلَ «إذا» في البيتين على البطلان بطل معنى الكلام الذي أراده الشاعر ؛ لأنَّ الأسود أراد بقوله^(١) : فإذا الذي نحن فيه ، وما مضى من عيشنا ؛ وأراد بقوله : «ذلك» الإشارة إلى ما تقدَّم وصفه من عيشه الذي كان فيه .

لامهاة لِذِكْرِهِ ، يعني : لا طعم له ولا فضل ؛ لإعقاب الدهر ذلك بفساد .

ومعنى قول عبد مناف بن ربيع :

لَمَّا نَصَّه : قال أبو عبيدة : «إذ» اسم ، وهو ظرف زمان ليس ممَّا يزداد .
فإن كان هذا رأيه فَرَدُّ الشيخ المصنَّف عليه - وقبله الزجاج - لا مورد له ؛ إذ يبدو أنَّ الاختلاف من النسخة أو تبدل الرأي . والله العالم . ولكنَّ وفرة من المصادر نسبت ذلك لأبي عبيدة . وانظر : صفحة : ٥٩ - ٦٠ ، والهامش ١ من صفحة ١١ .
والظاهر وجود سقط في مجاز القرآن عند المورد ، ويؤيده ما حكى عن أبي عبيدة في الأزهية : ٢٠٣ ، الجنى الداني في حروف المعاني : ١٩١ ، ولسان العرب ٣ : ٤٧٦ ، وهكذا أغلب كتب التفسير التي نسبت القول بالزيادة إلى أبي عبيدة صراحة . منها : تفسير المحرر الوجيز ١ : ١٦٢ ، تفسير بحر العلوم ١ : ١٠٧ ، تفسير الوسيط ١ : ١١٢ ؛ وانظر غريب القرآن ٤٥ ت ٣٠ ، وكذا أغلب كتب اللغة .
(١) أي الشاهد رقم : ١٤٥ .

[١٤٦] حَتَّى إِذَا أَسْلَكُوهُمْ فِي قَتَائِدَةٍ شَلًّا

أَسْلَكُوهُمْ... شَلًّا يَدَلُّ عَلَى مَعْنَى مَحْذُوفٍ، فَاسْتَغْنَى عَنْ ذِكْرِهِ
بِدَلَالَةِ (إِذَا) عَلَيْهِ فَحُذِفَ، كَمَا قَالَ النَّيْمُ بْنُ تَوَلِّبٍ^(١):

[١٤٧] فَإِنَّ الْمَنِيَّةَ مَنْ يَخْشَهَا فَسَوْفَ تُصَادِفُهُ أَيْنَمَا^(٢) يريد: أينما ذهب.

وكما يقول القائل: أَتَيْتَكَ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ، يريد من قبل ذلك ومن بعد ذلك.

ويقول القائل: إِذَا أَكْرَمَكَ أَخَوْكَ فَأَكْرَمَهُ، وَإِذَا لَا فَلَآ، يريد وإذا لم يكرمك فلا تكرمهُ. ومن ذلك قول الشاعر:

[١٤٨] فَإِذَا وَذَلِكَ لَا يَصُورُكَ ضُرُّهُ فِي يَوْمٍ أَسْأَلَ نَائِلًا أَوْ أُنْكَدَا^(٣)

(١) النَّيْمُ بْنُ تَوَلِّبِ الْعُكْلِيِّ، نَسَبُهُ إِلَى أُمِّهِ، شَاعِرٌ مُخَصَّرٌ، أَسْلَمَ وَلَهُ صَحْبَةٌ، خُجَّادٌ كَثِيرُ الْقُرَى، لَمْ يَمْدَحْ وَلَا هَجَا أَحَدًا، أَغْلَبَ شِعْرُهُ حَكَمِيٌّ، قِيلَ: عَاشَ مَائَتِي عَامٍ. لَهُ تَرْجُمَةٌ فِي: الْأَغَانِي ٢٢: ٢٧٣، خَزَانَةُ الْأَدَبِ لِلْبَغْدَادِيِّ ١: ٣١٦. وَانْظُرْ مَعْجَمَ الشُّعْرَاءِ الْمُخَصَّرِينَ: ٥٠١.
(٢) وَبَعْدَهُ:

وَإِنْ تَتَخَطَّأُ أَسْبَابُهَا فَإِنَّ قُضَارَكَ أَنْ تَهْزِمَا

من قصيدة حَكَمِيَّةٍ ذُكِرَتْ فِي مَتْنِهِ الطَّلَبِ مِنَ أَشْعَارِ الْعَرَبِ ١: ٢٨٦ ف ٣٤ ب ٦، وَانْظُرْهُ مَفْرُودًا فِي: أَدَبِ الْكَاتِبِ: ١٨٣، تَأْوِيلُ مُشْكِلِ الْقُرْآنِ: ٢١٧، الْأَقْتَضَابُ ٣: ١٨٤ ت ١٣٥، الصَّنَاعَتَيْنِ: ١٣٨، الْمَعَانِي الْكَبِيرُ ٢: ١٢٦٤ وَغَيْرُهَا. الْمَعْنَى وَالشَّاهِدُ: وَاضِحَانُ.

(٣) ضَبَطَ الْبَيْتَ بَيْنَ النُّسخِ مُخْتَلَفٍ بَيْنَ الْمُثَبَّتِ وَ: «لَا يَضِيرُكَ ضِيرُهُ»، وَكَذَا الرَّوْيُ: «أُنْكَرَا». وَلَمْ نَصِلْ إِلَى قَائِلِهِ وَلَا مِنْ اسْتَشْهَدَ بِهِ غَيْرُ الطَّبْرِيِّ فِي جَامِعِهِ ١: ١٥٤ عَلَى نَحْوِ الْمُثَبَّتِ.

الضَّرُّ: سُوءُ الْمَعِيشَةِ وَالْحَالِ مِنَ الْفَقْرِ أَوِ الْإِبْتِلَاءِ. النَّائِلُ: مَا يُحْسِنُ إِلَيْكَ

وكذلك لو حذف ﴿إِذْ﴾ في الآية لاستحالت عن معناها الذي تفيدته
﴿إِذْ﴾ ؛ لأنَّ تقديره : ابتداء خلقكم إذ قال ربُّك للملائكة .

قال الزَّجَّاج والرمانيّ : أخطأ أبو عبيدة ؛ لأنَّ كلام الله لا يجوز أن يُحمل على اللغو مع إمكان حمله على زيادة فائدة . قالوا : ومعنى ﴿إِذْ﴾ : الوقت ، وهي اسم ، فكيف يكون لغوا ؟ قالوا : والتقدير : الوقت .

والحجّة في ﴿إِذْ﴾ أن الله عزَّ وجلَّ ذكر خلق الناس وغيرهم ، فكأنه قال : ابتداء خلقكم إذ قال ربُّك للملائكة ^(١) .

وقال المفضل : لما امتنَّ الله بخلق السماوات والأرض ، ثمَّ قال : وإذ قلنا للملائكة ما قلناه فهو نعمة عليكم وتعظيم لأبيكم .

واختار ذلك الحسين بن عليّ المغربيّ .
وقال الرمانيّ والزهرّي ^(٢) : التقدير : اذكروا ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ﴾ .
﴿لِلْمَلَكَةِ﴾ :

الملائكة : جمع ملأك ، غَيْرَ أَنَّ واحدهم بغير همز أكثر ، فيحذفون

ولا يصلك من معروف الآخرين . النكد : هنا تقليل العطاء أو قطعه رأساً .

الشاهد فيه : إفادة «إِذَا» لمعنى ، وعليه لا يجوز القول بزيادتها .

(١) للرمانيّ: المتوفّر لدينا من مؤلفاته خالٍ من ذلك، وللزجاج معاني القرآن وإعرابه ١ : ١٠٨ ، وانظر الهامش ٣ من صفحة ٨ .

(٢) في «خ» الأزهرّي ، والظاهر ما في المتن مؤيداً بالباقي .

والزهرّي هو : محمّد بن مسلم بن عبدالله بن شهاب القرشيّ ، أبو بكر المدنيّ ، روى عن الإمام عليّ بن الحسين السّجاد عليه السلام وجابر بن عبدالله وسعيد بن المسيّب وغيرهم . وعنه عطاء وعمر بن عبدالعزيز وابن دينار وقتادة والسختيانيّ وغيرهم كثير . مات عام ١٢٤هـ .

انظر : سِير أعلام النبلاء ٥ : ٣٢٦ ت ١٦٠ ، تذكرة الحفاظ ١ : ١٠٨ ت ٩٧ هـ ، غاية النهاية ٢ : ٢٦٢ ت ٣٤٧٠ ، الوافي بالوفيات ٥ : ٢٤ ت ١٩٩٠ .

الهمزة ويحرّكون اللّام التي كانت ساكنة لو همز الاسم ، فينقلون حركة الهمزة إلى اللّام . فإذا جمعه ردّوه إلى الأصل وهمّزوا . كما يقولون : رأى ، فيحرّكون الهمزة ، ثم يقولون : يرى ، بلا همز ؛ وذلك كثير .

وقد جاء مهموزاً في واحده ، قال الشاعر :

فَلَسْتُ لِإِنْسِي وَلَكِنْ لِمَلَأَكِ تَنْزَلُ مِنْ جَوِّ السَّمَاءِ يَصُوبُ^(١) [١٤٩]

وقد يقال في واحدهم : مَأْلَك ، مثل قولهم : جَبَدَ وَجَدَبَ ، فيقلّبونه .
وَشَأْمَلُ وَشَمَأَلُ .

ومن قال : مَأْلَك يجمعه مَلَأَك - بلا هاء - مثل : أَشَعَثَ وَأَشَاعِثَ .

قال أُمَيَّة بن أَبِي الصَّلْت :

وَفِيهَا مِنْ عِبَادِ اللَّهِ قَوْمٌ مَلَأْتُكَ ذُلُّوا وَهُمْ صِعَابُ^(٢) [١٥٠]

(١) وعلى ما ذكر ابن الحاجب في شرح شافيته ٤ : ٢٩٠ قبله :

تَعَالَيْتَ أَنْ تُعْزَى إِلَى الْإِنْسِ خُلَّةٌ وَلِلْإِنْسِ مَنْ يَغْزُوكَ فَهَوَّ كَذُوبٌ
في ضبطه - كما في نسبه - اختلاف ، فقد نُسِبَ إلى عَلْقَمَةَ بن عَبْدَةَ الْفَحْل ،
كما نُسِبَ إلى أَبِي وَجْزَةَ السَّلْمِي ، ومنهم من نسبه إلى رجل من عبد قيس .
المعنى : يمدح الشاعر - عَلْقَمَةَ - الحارث بن جَبَلَةَ قائلاً : إِنَّكَ بَايَنْتَ النَّاسَ
وخالفتهم في أخلاقك وسيرتك ، حيث أشبهت الملائكة في طهارتك وفضلك ،
فكانت منسوب إلى ملك من الملائكة لا إلى بشر .

الشاهد فيه : قوله : لِمَلَأَكِ . وانظر الهامش : ٢ ، الآتي في : ١٤ .

انظر : ديوان علقمة : ١١٨ ت ٣ ، المفضليات : ٣٩٤ رقم ١١٩ ت ٢٦ ، شرح
اختيارات المفضل للتبريزي : ٣ : ١٥٩٠ ، تهذيب إصلاح المنطق : ١ : ١٢٦ ، سفر
السعادة : ٢ : ٩٢١ ، شمس العلوم : ٩ : ٦٣٦٦ ، شعراء النصرانية : ٥٠٨ ، معجم
مقاييس اللغة : ٣ : ٣١٨ ، شرح شافية ابن الحاجب : ٢ : ٢٤٦ ت ١٢١ .

(٢) الديوان : جمع الكاتبين : ٢٢ ، وفي جمع الجبّيلّي : ٢٦ ت ١٢ ، وفي صنعة
السُّطَلّي : ١٦١ ت ٧ ، وفي الجميع بيت مفرد من جملة أبيات مفردات - ولعلها قصيدة -

وأصل المَلَأَك: الرسالة . قال عَدِيُّ بن زَيْد العبادي :

أَبْلِغِ النُّعْمَانَ عَنِّي مَلَأَكَاً أَنَّهُ قَدْ طَالَ حَبْسِي وَانْتَظَارِي ^(١) [١٥١]
وقد يُنشد مَأْلَكَاً على اللغة الأخرى .

فمن قال : مَلَأَك ، فهو مَفْعَلٌ مِنْ لَأَكَ إِلَيْهِ يَلَأُكَ ، إذا أُرْسِلَ إِلَيْهِ رسالةٌ .

ومن قال : مَأْلَكَاً ، فهو مَفْعَلَاً مِنْ أَلَكْتُ إِلَيْهِ أَلِكُ ، إذا أُرْسِلَتْ إِلَيْهِ

مَأْلَكَةٌ وألوكاً ، وكما قال لَبِيد بن ربيعة :

وَعُلاَمِ أَرْسَلْتَهُ أُمَّهُ بِالْوَكِّ ، فَبَدَلْنَا مَا سَأَلْ ^(٢) [١٥٢]
وهذا من أَلَكْتُ .

ويقال: لَأَكَ يَلَأُكَ ، وَأَلَكَ يَأْلُكَ : إذا أُرْسِلَ . قال عَبْدُ بَنِي الْحَسْحَاسِ ^(٣) :

على نفس الروي والوزن .

المعنى : واضح .

ذُلُّوا : من الذَّلْ - بكسر الذال لا غير - : إذا راضه فلان وأطاع ، ومرجع الضمير
الأوَّل لم أهُتد إليه .

الشاهد فيه : ملائكَ . وانظر الهامش : ٢ ، الآتي في : ١٤ .

(١) الديوان : ٩٣ قصيدة برقم ١٧ ب ٤ منها .

المعنى : يخاطب النعمان بن المنذر ويعلمه بطول حبسه ويطلبه بالإفراج عنه .

الشاهد فيه : واضح ، وانظر الهامش : ٢ ، الآتي في : ١٤ .

(٢) الديوان : ١٧٤ قصيدة رقم ٢٦ ب ١٦ منها .

من قصيدة يرثي فيها أخاه أريد ، مطلعها :

إِنَّ تَقْوَى رَبِّنَا خَيْرٌ نَقْلُ وَيَا ذَنْ لَهِ رَبِّي وَعَجَلُ

المعنى : رُبُّ غلام فقير أرسلته أُمُّه طلباً للمساعدة والإعانة . فنبدل له المراد

وزيادة .

الشاهد : ما أشار إليه المصنَّف رحمه الله ، وانظر الهامش : ٢ ، الآتي في : ١٤ .

(٣) سُحَيْمٌ - مُصَفَّرٌ أَشْحَمٌ ، وهو : الأسود - عبد بني الحَسْحَاسِ . شاعر أعجمي
للـ

أَلَكْنِي إِلَيْهَا، عَمَرَكَ اللهُ يَا فَتَى بآية ما جاءت إلينا تهادياً^(١) [١٥٣]

يعني : أبلغها رسالتي .

فسميت الملائكة ملائكة بالرسالة^(٢) ؛ لأنها رسل الله بينه وبين أنبيائه

والأصل من بلاد النوبة ، مُقَلِّق رقيق الشعر . اشتراه بعض بني الحسحاس وعاش بينهم إلى أواخر حكومة عثمان بن عفان حيث قتلوه وأحرقوه ؛ لأنه شَبَّ وتغزل بنسائهم . له ترجمة في : الشعر والشعراء ١ : ٤٠٨ ت ٦٥ ، فوات الوفيات ٢ : ٤٢ ت ١٦٢ ، الشعراء السود : ٧٢ ، معجم الشعراء المخضرمين والأمويين : ١٨٢ ومصادره .

(١) الديوان : البيت ١٤ من القصيدة ب في الديوان : ١٦ .

المعنى : يطلب الشاعر من مخاطبه إيلاغ - عميرة حبيبته - رسالة منه بعلامة أنها عندما جاءت كانت تتمايل في مشيتها .

الشاهد فيه : أَلَكْنِي . أي : أبلغها رسالتي . وانظر الهامش : ٢ ، الآتي .

(٢) حاصل ما تقدم : إن في ميم «ملائكة» قولين :

١ - أصلها ، فوزنها «فَعْلٌ» مَلَكٌ ، ولكن شذَّ جمعه على فعائلة «ملائكة» . فالشذوذ في الجمع لاغير .

وقد ذهب جمع إلى أن أصله مَلَأٌ ، والهمزة فيه زائدة ، مثال : شمال ، فقد نُقلت حركة الهمزة إلى اللام الساكنة ، ثم حذفت الهمزة تخفيفاً ، والجمع «ملائكة» جاء على الزيادة بإثبات الهمزة .

٢ - زيادتها ، ولهم مذاهب هي :

أ - إنه مشتق من «أَلَكٌ» ، الهمزة فاؤه وعينه اللام ولامه الكاف . فيكون أصل مَلَكٌ ، مَلَأَكٌ . ثم حذفوا الهمزة تدريجاً للتخفيف فصار مَلَكٌ ، والجمع مَلَائِكَة وزان مفاعلة .

ب - إنه مشتق من «لَأَكٌ» فاؤه اللام ، عينه الهمزة ، لامه الكاف ، فأصل مَلَكٌ (مَلَأَكٌ) - مَلَأَكٌ - ثم نقلت حركة الهمزة إلى اللام الساكنة وبعده حذفت تخفيفاً ، فأصبح مَلَكٌ ، والجمع على الأصل وزان مفاعلة «ملائكة» برد الهمزة .

ج - ومن ذاهب إلى أن أصله : لَأَكٌ يَلُوكُ ، فأصل مَلَكٌ ، مَلُوكٌ . نُقلت حركة الواو إلى اللام الساكنة ، ثم لسكونها - الواو - وانفتاح ما قبلها قلبت ألفاً . فأصبحت

ومن أرسل من عباده .

هذا عند من يقول : إن جميع الملائكة رسل .

فأما على ما يذهب إليه أصحابنا : إن فيهم رُسلًا وفيهم من ليس برسول ، فلا يكون الاسم مشتقًا ، بل يكون علمًا أو اسم جنس .

وإنما قالوا : إن جميعهم ليسوا رسل الله ؛ لقوله تعالى : ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا﴾ ^(١) فلو كانوا جميعاً رسلًا ، لكانوا جميعاً مصطفين ؛ لأن الرسول لا يكون إلا مختاراً مصطفًى كما قال : ﴿وَلَقَدْ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ﴾ ^(٢) .

وقوله : ﴿إِنِّي جَاعِلٌ﴾ :

أي : فاعلٌ وخالقٌ . وهما متقاربان .

﴿مَلَائِكٌ﴾ وبعده حذفت الألف تخفيفاً فصار مَلَكٌ .

والجمع على هذا : مَلَائِكَةٌ ، ثم قلبوا الواو همزةً على غير ما قاعدة فأصبح : ملائكة .

د - ومن قائل : إنه لا اشتقاق له . وإنَّ الهاء في الجمع للتأنيث أو للمبالغة . للاعتماد ينظر «مَلَكٌ ، أَلَكٌ» في : العين ٥ : ٣٨٠ و٤٠٩ ، الجمهرة ٢ : ٩٨٢ ، الاشتقاق : ٢٦ ، تهذيب اللغة ١٠ : ٣٧٠ ، الصحاح ٤ : ١٥٧٣ و١٦٠٩ ، المفردات : ٨٢ ، ٧٧٤ ، لسان العرب ١٠ : ٣٩١ ، عمدة الحفاظ ٤ : ١٠٩ ، شمس العلوم ٩ : ٦٣٦٦ ، تاج العروس ١٣ : ٦٤٦ ، مجاز القرآن ١ : ٣٣ ، الحجة للقراء السبعة ٢ : ٤١٦ ، معاني القرآن وإعرابه للزجاج ١ : ١١٢ ، البيان في غريب إعراب القرآن ١ : ٧٠ ، التبيان في إعراب القرآن ١ : ٤٦ . الكتاب ٤ : ٣٨٠ ، الأصول في النحو ٣ : ٣٣٩ ، الزاهر في معاني كلمات الناس ٢ : ٢٦٧ ، المنصف ٢ : ١٠٢ ، أمالي ابن الشجري ٢ : ٢٠٣ م ٤٧م ٣ : ٣٥ م ٧٢ ، اللُّباب في علل البناء والإعراب ٢ : ٢٥٨ ، سفر السعادة ٢ : ٩٢١ . وغيرها كثير .

(١) سورة الحج ٢٢ : ٧٥ .

(٢) سورة الدخان ٤٤ : ٣٢ .

قال الرماني: حقيقة الجعل: تصوير الشيء على صفة. وحقيقة الإحداث: إيجاد الشيء بعد أن لم يكن موجوداً.

والخليفة: الفعيلة، من قولهم: خَلَفَ فلانٌ فلاناً في هذا الأمر: إذا قام مقامه فيه بعده؛ لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾^(١) يعني بذلك: أبدلكم في الأرض منهم، فجعلكم خلفاً من بعدهم.

وسمي الخليفة خليفة من ذلك؛ لأنه خَلَفَ من كان قبله، فقام مقامه.

والخلف - بتحريك اللام - يقال: فيمن كان صالحاً. ويتسكين اللام: إذا كان طالحاً. قال الله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ﴾^(٢). وروي عن النبي ﷺ أنه قال: (يَنْقُلُ هَذَا الْعِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلَفٍ عُدُولُهُ)^{(٣)(٤)}.

(١) سورة يونس ١٠ : ١٤ .

(٢) سورة مريم ١٩ : ٥٩ .

(٣) روي الحديث الشريف تارة بلفظ المتن وأخرى بلفظ: (يحمل هذا الدين) وثالثة بلفظ: (يرث هذا) انظر: الفردوس بمأثور الخطاب ٥ : ٤٨٣ ت ٨٨٣٢ و ٥٣٧ ت ٩٠١٢ ، سنن البيهقي ١٠ : ٢٠٩ ، مسند الشاميين ١ : ٣٤٤ ، كنز العمال ١٠ : ١٧٦ ح ١٩١٨ ، مجمع الزوائد ١ : ١٤٠ ، النهاية في غريب الحديث ٢ : ٦٥ ، دعائم الإسلام ١ : ٨١ ، رجال الكشي (اختيار معرفة الرجال) : ١٠ ح ٥ ، نهج السعادة ٧ : ٤٣ ، العقد الفريد ٢ : ٢١٤ . والكامل في ضعفاء الرجال ١ : ٢٤٧ حيث ذكر أغلب ألفاظه وطرقه .

(٤) ترد كلمة «خلف» تارة موصوفة بصالح أو طالح - بغض النظر عن الحركة - فهي تلج

وقال قوم: سمى الله تعالى آدم خليفة؛ لأنه جعل آدم وذريته خلفاء للملائكة؛ لأن الملائكة كانوا من سكان الأرض.

وقال ابن عباس: إنه كان في الأرض الجن، فأفسدوا فيها، وسفكوا الدماء، فأهلكوا، فجعل الله آدم وذريته بدلهم.

وقال الحسن البصري: إنما أراد بذلك قوماً يخلف بعضهم بعضاً من ولد آدم الذين يخلفون أباهم آدم في إقامة الحق وعمارة الأرض.

وقال ابن مسعود: أراد: إني جاعل في الأرض خليفة يخلفني في الحكم بين الخلق، وهو آدم، ومن قام مقامه من ولده.

وقيل: إنه يخلفني في إنبات الزرع وإخراج الثمار، وشق الأنهار. وقيل: إن الأرض أراد بها مكة، روي ذلك عن ابن سابط^(١)، أن النبي ﷺ قال: (دحيت الأرض من مكة)^(٢)؛ ولذلك سميت أم القرى. قال: وقبر نوح، وهود، وصالح، وشعيب بين زمزم والركن والمقام^(٣).

جاء ما وصفت له.

وأخرى من دونها - الصفة - فحيث للحركة دورها في المراد، ففتح اللام مدح، وإسكانها ذم. وعموماً لا بد من المطابقة بين الصفة والحركة.

للتوسعة ينظر «خَلَفَ» في: العين ٤: ٢٦٥، جمهرة اللغة ١: ٦١٥، تهذيب اللغة ٧: ٣٩٣، المحيط في اللغة ٤: ٣٤٥، الصحاح ٤: ١٣٥٣، معجم مقاييس اللغة ٢: ٢١٠، مفردات ألفاظ القرآن الكريم: ٢٩٣، عمدة الحفاظ ١: ٥٢٢، ما اتفق لفظه واختلف معناه: ١٣١ ت ٣٧٩.

(١) عبد الرحمن بن سابط القرشي الجمحي تابعي، أرسل عن النبي ﷺ، وكذا أغلب مروياته عن غيره وإن وثقه جمع. توفي بمكة عام: ١١٨ هـ.

انظر تهذيب الكمال ١٧: ١٢٣ ت ٣٨٢٢ ومصادره.

(٢) بين القوسين هو القدر المتعين للرواية، انظر الهامش الآتي وبحار الأنوار ٥٧: ٢٠٦ ح ١٥٦، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١: ٧٣، والدر المنثور ١: ٢٤٦.

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازي ١: ٧٦ ت ٣١٧ من دون قوله:

وقال قوم : إنها الأرض المعروفة ^(١) . وهو الظاهر .

وقوله : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴾ :

روي أن خلقاً يقال لهم : الجان كانوا في الأرض فأفسدوا وسفكوا الدماء ، فبعث الله تعالى ملائكة أجلبتهم من الأرض .

وقيل : إن هؤلاء الملائكة كانوا سكان الأرض بعد الجان فقتلوا ، ياربنا ، ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴾ على وجه الاستخبار منهم ، والاستعلام عن وجه المصلحة والحكمة ، لا على وجه الإنكار . كأنهم قالوا : يا الله ، إن كان هذا كما ظننا فعرّفنا ما وجه الحكمة فيه .

١٧٩ وقبر... ، وكذا ابن كثير في تفسيره ١ : ٢١٧ وعقبه بقوله : مرسل ، وفي إسناده ضعف ، وفيه مدرج .

وأما الطبري في تفسير جامع البيان ١ : ١٥٧ فرواه مع الزيادة ، وكذا السيوطي في تفسير الدر المنثور ١ : ٢٤٦ وعزاه إلى ابن أبي حاتم ، ابن جرير ، وابن عساکر في تاريخه ٦٢ : ٢٨٨ ذيل ترجمة نوح بن لمك ت ٧٩٣٢ فقد روى الزيادة فقط . هذا والمعروف والمشهور عندنا أن قبر آدم ونوح عليهما السلام عند قبر أمير المؤمنين عليه السلام ، وأما هود وصالح عليهما السلام ففي جبانة النجف الأشرف الشهيرة بوادي السلام مشهور معروف يزار .

انظر : موسوعة النجف الاشرف ١ : ٤٠٢ ، الغارات ٢ : ٨٤٧ ، وكتب وروايات الزيارات ، وهي كثيرة منها : تهذيب الأحكام ٦ : ٣٤ ح ٦٦ و ٦٧ و ٦٨ ، وسائل الشيعة ١٤ : ٣٩٧ ب ٣١ ، مستدرک الوسائل ١٠ : ٢٢٤ ب ٢٢ ح ١١٩٠٢ ، المزار لابن المشهدي : ١٩٢ و ٢٥٥ ، إقبال الاعمال ٣ : ١٣٥ ، المزار للشهيد : ٤٣ و ٩٣ ، بحار الأنوار ٥٣ : ٢٧١ و ٩٧ : ٨٢٦ ، ٢٣٢ ، ٣٧٦ و ٩٩ : ٢١٢ وغيرها كثير .

(١) الأقوال تجدها في : تفسير جامع البيان ١ : ١٩٩ ، تفسير الحسن البصري «جمع د . محمد عبد الرحيم» ١ : ٨٢ ، تفسير كتاب الله العزيز للهُوَارِيِّ ١ : ٩٤ ، تفسير النكت والعيون ١ : ٩٥ ، تأويلات أهل السنة ١ : ٣١ ت ٣٠ ، تفسير الكشف والبيان ١ : ١٧٥ ، تفسير سفيان الثوري : ٤٣ ، تفسير المحرر الوجيز ١ : ٣٠ ، تفسير السمعاني ١ : ٦٣ ، ومستدرک الحاكم ٢ : ٦١ وغيرها .

وقال قوم: المعنى فيه: إن الله أعلم الملائكة أنه جاعل في الأرض خليفة، وأن من ^(١) الخليفة فرقة تسفك الدماء وهي فرقة من بني آدم، فأذن الله للملائكة أن يسألوه عن ذلك، وكان إعلامه إياهم هذا زيادة في التثيت في نفوسهم أنه يعلم الغيب فكأنهم قالوا: أتخلق فيها قوماً يسفكون الدماء ويعصونك؟ وإنما ينبغي - إذا عرفوا أنك خلقتهم - أن يسبحوا بحمدك كما نسيح، ويقدّسوا كما تقدّس. ولم يقولوا هذا إلا وقد أذن لهم؛ لأنهم لا يجوز أن يسألوا إلا ما يؤذن لهم فيه، ويؤمرون به؛ لقوله: ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ ^(٢)(٣).

فإن قيل: من أين لكم أنهم كانوا علموا ذلك؟ قيل: ذلك محذوف؛ لدلالة الكلام عليه؛ لأننا علمنا أنهم لا يعلمون الغيب. وليس إذا أفسد الجنّ في الأرض، وجب أن يفسد الإنس. وقوة السؤال تدلّ على أنهم كانوا عالمين، وجرى ذلك مجرى قول الشاعر:

فَلَا تَدْفِنُونِي، إِنَّ دَفْنِي مُحَرَّمٌ عَلَيْنِكُمْ، وَلَكِنْ خَامِرِي أُمَّ عَامِرٍ ^(٤) [١٥٤]

(١) «من» زيدت من: «ل، والحجرية» وحذفها مبرك للجملة.

(٢) سورة النحل ١٦: ٥٠.

(٣) إضافة لمصادر الهامش ١ صفحة ١٨، انظر: تفسير عبد الرزاق ١: ٢٦٤ ت ٣٣، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازي ١: ٧٧ ت ٣٢٠ - ٣٢٨، تفسير الوسيط ١: ١١٣.

(٤) يذهب البعض أنه لتأبط شراً. ولكن الصحيح - وكما عليه الأكثر - أنه للشَّنْفَرَى. وقد اختلف في ضبطه بما لا يضّر موضع الشاهد.

المعنى: يقع الشاعر في قبضة بني سلامان وعند قتله يُسأل عن محل دفنه فيجيب قائلاً: لا تدفنونني، ولا تقبروني بل اتركوني في العراء تأكلني التي تخاطب بخامري - أبشري - أم عامر، وهي: الضبع.

فحذف قوله : دعوني للتي يقال لها - إذا أريد صيدها - : خامري أم عامر .

فكأنه قال : إني جاعل في الأرض خليفة يكون من ولده إفساد في الأرض وسفك الدماء .

وقال أبو عبيدة والزجاج : إنهم قالوا ذلك على وجه الإيجاب وإن خُرج مخرج الاستفهام^(١) ، كما قال جرير :

[٨٠] أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا وَأُنْدَى الْعَالَمِينَ بُطُونٌ رَاحَ
فَعَلَى هَذَا الْوَجْهِ (قَالُوا ذَلِكَ).

(و)^(٢) قال قوم : إنما أخبروا بذلك عن ظنهم وتوهمهم ؛ لأنهم رأوا الجن من قبلهم قد أفسدوا في الأرض وسفكوا الدماء فتصوروا أنه إن استخلف غيرهم كانوا مثلهم ، فقال تعالى منكرًا لذلك : ﴿ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ، وهذا قول قتادة وابن عباس وابن مسعود .

وقال آخرون : إنهم قالوا يقيناً ؛ لأن الله كان أخبرهم أنه يستخلف في الأرض من يفسد فيها ويسفك الدماء . فأجابوه - بعد علمهم بذلك - بأن

وذلك أنهم كانوا عندما يريدون صيدها يقفون عند باب جحرها ويخاطبونها بهذا كالمبشرين إياها بوجود قتيل ؛ كي تخرج للأكل منه فتصاد . يُضرب مثلاً للأحمق .
الشاهد فيه : ما أشار إليه الشيخ رحمه الله .

انظر : ديوان الشنفرى : ٤٨ . وأمالى المرتضى ٢ : ٧٣ ، شرح الحماسة للتبريزي ١ : ٤٨٧ ت ١٦٤ ب ١ ، الحماسة البصريّة ١ : ٩٤ ، الشعر والشعراء ١ : ٨٠ ت ٧٣ ، المستقصى في الأمثال ١ : ٧٥ ت ٢٩٢ و ٢ : ٧١ ت ٢٥٣ ، مجمع الأمثال ١ : ٢٣٨ ت ١٢٦٥ ، جمهرة الأمثال ١ : ٤١٦ ت ٦٩٤ و ٢ : ٣٠٥ ت ١٧٢٩ .

(١) مجاز القرآن ١ : ٣٥ ، معاني القرآن وإعرابه للزجاج ١ : ١٠٩ .

(٢) ما بين القوسين أثبتناه من نسخة «هـ» .

قالوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ وَإِنَّمَا قَالَوهُ استعظاماً لفعلهم ، أي : كيف يفسدون فيها ويسفكون الدماء ، وقد أنعمت عليهم واستخلفتهم فيها ؟! فقال : ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ .

وقال قوم : إنهم قالوا ذلك متعجبين من استخلافه لهم ، أي : كيف يستخلفهم وقد علم أنهم يفسدون فيها ويسفكون الدماء ! فقال : ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ .

وَالسَّفْكُ : صَبُّ الدَّمِ خَاصَّةً ، دُونَ غَيْرِهِ مِنَ الْمَاءِ وَجَمِيعِ الْمَائِعَاتِ .
وَالسَّفْحُ : مِثْلُهُ ، إِلَّا أَنَّهُ مُسْتَعْمَلٌ فِي كُلِّ مَائِعٍ عَلَى وَجْهِ التَّضْيِيعِ ،
ولذلك قالوا في الزنا : إِنَّهُ سِفَاحٌ ؛ لِتَضْيِيعِ مَائِهِ فِيهِ ^(١) .

والملائكة - المذكورون في الآية - قال قوم : هم جميع الملائكة .
وقال آخرون - وهو المروي عن ابن عباس والضحاك - : إِنَّهُ خُطَابُ
لِمَنْ أَسْكَنَهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ الْأَرْضَ بَعْدَ الْجَانِّ وَقَبْلَ خَلْقِ آدَمَ ، وَهُمْ الَّذِينَ
أَجْلَوْا الْجَانَّ عَنِ الْأَرْضِ .

وقال قتادة - في قوله : ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ
الدِّمَاءَ﴾ - : وقد علمت الملائكة من عِلْمِ اللَّهِ أَنَّهُ لَا شَيْءَ عِنْدَ اللَّهِ أَكْبَرَ مِنْ
سَفْكِ الدِّمَاءِ وَالْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا
لَا تَعْلَمُونَ﴾ مِنْ أَنَّهُ سَيَكُونُ مِنْ ذَلِكَ الْخَلِيفَةُ رُسُلٌ وَأَنْبِيَاءُ ، وَقَوْمٌ صَالِحُونَ

(١) «سَفْكُ ، سَفَحٌ» عَلَى التَّوَالِي ، انْظُرْ لِهَمَا : الْعَيْنُ ٥ : ٣١٥ وَ ٣ : ١٤٧ ، جُمُوهُ الرِّسَالَةِ
٢ : ٨٤٧ وَ ١ : ٥٣٢ ، غَرِيبُ الْقُرْآنِ لِلزَّيْدِيِّ : ٦٧ ، غَرِيبُ السَّجِسْتَانِيِّ : ١٤٥ ،
تَهْذِيبُ الرِّسَالَةِ ١٠ : ٧٨ وَ ٤ : ٣٢٥ ، الْمَحِيطُ فِي الرِّسَالَةِ ٦ : ١٩٠ وَ ٢ : ٤٩١ ، الْمَحْكَمُ
وَالْمَحِيطُ الْأَعْظَمُ ٦ : ٧٢٦ وَ ٣ : ٢٠٤ ، الصَّحَاحُ ٤ : ١٥٩٠ وَ ١ : ٣٧٥ ، مَعْجَمُ
مُقَابِيلِ الرِّسَالَةِ ٣ : ٨١ وَ ٧٨ ، مَجْمَلُ الرِّسَالَةِ ١ : ٤٦٣ وَ ٤٦٤ ، لِسَانُ الْعَرَبِ ١٠ : ٤٣٩
وَ ٢ : ٤٨٥ ، مُفْرَدَاتُ أَلْفَاظِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ : ٤١٣ .

وساكنوا الجنة^(١) .

وأقوى هذه الوجوه قول من قال : إن الملائكة إنما قالت : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا ﴾ لا على وجه التعجب من هذا التدبير ولا الإنكار له ، ولكن على وجه التألم والتوجع والاغتمام والاستعلام لوجه التدبير فيه . فقال الله : ﴿ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ من وجه المصلحة في خلقهم ، وما يكون فيهم من الخير والرشد والعلم ، وحسن التدبير ، والحفظ والطاعة ما لا تعلمون . فإن قيل : الملائكة ما عرفت ذلك ، إذ لم يمكنها أن تستدرك ذلك بالنظر والفكر ؟

قلنا : قد يجوز أن لا يكون خَطَرَ ببالها ذلك إلا عندما أعلمهم الله ، فلما علموا ذلك فزعوا إلى المسألة عنه ؛ لأن المسألة لمن يُتَوَقَّع سرعة جوابه ويوثق بعلمه وخبره يقوم مقام النظر والفكر .

وقولهم : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا ﴾ ، يريدون : ولد آدم الذين ليسوا أنبياء ، ولا أئمة معصومين ، لا آدم نفسه ومن يجري مجراه من الأنبياء والمعصومين .

فكأنه قال تعالى : إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً يُكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَنَسْلٌ يَفْعَلُونَ كَيْتٌ وَكَيْتٌ . فقالوا : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا ﴾ ، يريدون : الولد . وقد بينا أن الخليفة هو من يخلف مَنْ تَقَدَّمَه ، جماعة كانوا أو واحداً^(٢) ، فلما أخبر الله تعالى الملائكة : إنه يخلق في الأرض عبداً هم آدم وولده ، ويكونون خليفة لمن تَقَدَّمَهُم من الجن أو غيرهم ؛ قالوا ما قالوه .

(١) نقلت الآراء في تفسير جامع البيان ١ : ١٦٢ ، تاريخ مدينة دمشق ٧ : ٣٩٩ .

(٢) تَقَدَّمَ في صفحة : ١٦ .

ويحتمل أن يكون قوله: ﴿مَنْ يُفْسِدْ فِيهَا﴾ يريدون: البعض لا الكل. كما يقال: بنو شيبان يقطعون الطريق. ويراد بعضهم دون جميعهم.

وقوله: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾:

فالتسبيح: هو التنزيه من السوء على وجه التعظيم. وكل من عمل خيراً قصد به الله فقد سبّح، يقال: فرغت من سبّحتي، أي: من صلاتي. وقال سيويو: معنى سبحان الله: براءة الله وتنزيهه من السوء. قال

أعشى بني ثعلبة:

أَقُولُ - لَمَّا جَاءَنِي فَخْرُهُ -: سُبْحَانَ مَنْ عَلَقَمَةَ الْفَاخِرِ ^(١) [١٥٥] أي: براءة من علقمة ^(٢).

وهو مشتق من السَّبْح الذي هو الذَّهَاب. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ

(١) البيت من قصيدة للأعشى ميمون بن قيس، يُحْكَم فيها ويُتَقَرَّ عامر بن الطفيل العامريّ المشترك على ابن عمّه الصحابيّ علقمة بن علاثة الكلابيّ العامريّ، ويهجوّه فيها في قصة مذكورة. وقيل: إنّ النبيّ الأكرم ﷺ قد نهى عن روايتها، وترجمته في الإصابة ٤: ٢٦٤ ت ٥٦٦٩.

ومعنى البيت: هو التعجّب من منافرة ومفاخرة الصحابيّ علقمة لابن عمّه المشترك عامر.

الشاهد فيه: ما أشار إليه المصنّف رحمه الله وهو الشطر الثاني.

هذا، وقد اختلفت المصادر في ضبط «الفاخر»، إذ رويت في بعضها «فاجر»، وهكذا هي نسخة «و».

انظر الديوان ١٨٩ ق ١٨ ب ٣٠، وقد استشهد به جمع لمحل الشاهد، للمثال انظر: المقتضب ٣: ٢١٨، شرح المفصل ١: ٣٧، شرح أبيات سيويو: ١٣١ ت ٣٠٤، النكت في تفسير الكتاب ١: ٣٧٣، الخصائص ٢: ١٩٧ و ٤٣٥، مفردات ألفاظ القرآن ٣٩٢، أساس البلاغة: ٢٠٠، خزنة الأدب للبغدادى ٣: ٣٩٧، وغيرها. (٢) الكتاب ١: ٣٢٤، ونسبته لأبي الخطّاب، الأخفش الكبير عبد الحميد بن عبد المجيد، وانظر لسان العرب ٢: ٤٧٠ «سَبَّح».

فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴿١١﴾ (٢).

ولا يجوز أن يُسَبَّحَ غير الله تعالى وإن كان منزهاً؛ لأنه صار علماً في الدين على أعلى مراتب التعظيم التي لا يستحقها سواه. كما أن العبادة هي غاية في الشكر لا يستحقها سواه.

وقال ابن عباس وابن مسعود: ﴿نَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾ بمعنى: نصلي لك، كما قال: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾ (٣) أي: من المصلين.

وقال مجاهد: معناه نعظمك بالحمد والشكر على نعمك.

وقال قتادة: هو التسبيح المعروف.

وقال المفصل: هو رفع الصوت بذكر الله (٤). كما قال جرير:

قَبَّحَ الْإِلَٰهَ وَجُوهَ تَغْلَبَ كُلَّمَا سَبَّحَ الْحَجِيجُ وَهَلَّلُوا إِهْلَالًا (٥) [١٥٦]

(١) سورة المزمل ٧٣: ٧.

(٢) اللغة - لـ «سَبَّحَ» - انظر: العين ٣: ١٥١ جمهرة اللغة ١: ٢٧٧، تهذيب اللغة ٤: ٣٣٧، المحيط في اللغة ٢: ٤٩٥، الصحاح ١: ٣٧٢، لسان العرب ٢: ٤٧٠.

(٣) سورة الصافات ٣٧: ١٤٣.

(٤) الآراء تجدها منثورة في: تفسير مجاهد: ١٩٩، تفسير زيد الشهيد: ٨٠، تفسير سفيان الثوري: ٤٤ ت ١١٤، مجاز القرآن ١: ٣٦، تفسير الصنعاني ١: ٣٦٥ ت ٣٧، معاني القرآن للأخفش ١: ٢٢٠، غريب القرآن لليزيدي: ٦٧ ت ٣٠، تفسير كتاب الله العزيز للهواري: ٩٣، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازي: ١: ٧٩ ت ٣٢٩، غريب القرآن للسجستاني: ٣٤٤، تفسير بحر العلوم ١: ١٠٨، تفسير النكت والعيون ١: ٩٧، تفسير الوسيط ١: ١١٥، تفسير السمعاني ١: ٦٤، تفسير المحرر الوجيز ١: ١٦٦.

(٥) استشهد بهذا المفصل، وهو على روايته في شطره الثاني. وكذا في تفسير الجامع لأحكام القرآن ١: ٢٧٦، وقيله الماوردي ١: ٩٧.

وأما في جمهرة أشعار العرب ٢: ٨٩٧ ت ٤٤ ب ١٩ بدل «سَبَّحَ»: لَبَّى. وفي

وأصل التَّقْدِيس : التَّطْهِير . ومنه قوله : ﴿الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ﴾ ^(١) أي :
المُطَهَّرَة . قال الشاعر :

فأَذْرَكْنَهُ يَأْخُذْنَ بالسَّاقِ والنَّسَا كَمَا شَبَّرَقَ الْوِلْدَانُ ثَوْبَ الْمُقَدَّسِ ^(٢) [١٥٧]
أي : المطهَّر .

وقال قوم : معنى ﴿نُقَدِّسُ لَكَ﴾ : نُصَلِّي لَكَ .

وقال آخرون : نَطْهَر أنفسنا من الخطايا والمعاصي .

وقال قوم : نَطْهَرُكَ من الأدناس ، أي : لا نضيف إليك القبائح .

والقَدَّسُ : السَّطَلُ الذي يُتَقَدَّسُ منه ، أي : يُتَطَهَّرُ منه ^(٣) .

ويوصف تعالى بأنه قُدُّوسٌ سُبُّوحٌ ، أي : بريء أن يكون شريكاً

﴿تَفَاضُ جَرِيرٍ وَالْأَخْطَلُ﴾ ، والديوان بشرح محمد بن حبيب ١ : ٤٧ ق ١ ب ٢٠
والديوان : ٣٦٠ ب ٢٠ ، فقد وردت بدل «سَبَّحَ» : شَبَّحَ ، وبدل «هَلَّلُوا» : كَبَّرُوا ،
وكذا في نسخة «خ» .

الشاهد فيه : سَبَّحَ ، بمعنى رفع الصوت بالتسبيح ، وعلى الرواية الثانية : رفع
الأيدي بالدُّعاء ، لكنّه خارج عن مورد الشاهد .

(١) سورة المائدة ٥ : ٢١ .

(٢) البيت لامرئ القيس في مقطوعة يصف - في أبيات منها - مهاجمة كلاب الصيد
للثور . الديوان تحقيق أبو الفضل : ١٠٤ ق ١٢ ب ١٢ .

فأدركته : فاعله الكلاب ، ومفعوله الثور المقدم ذكرهما . النَّسَا : عرق في الساق
بأخذه تُشَلُّ حركة الحيوان . شَبَّرَقَ : خرق ومزق . المقدَّس : الراهب الآتي من بيت
المقدس ، أو المطهَّر ؛ لاجتماع الصبيان حوله حين نزوله من صومعته ممزقين
وخارقين ثيابه تبرّكاً .

الشاهد فيه : استعمال : المقدَّس بمعنى المُطَهَّر .

(٣) إضافة إلى أغلب مصادر الهامش : «٤» ، صحيفه ٢٤ ، انظر من كتب اللّغة : العين
٥ : ٧٣ ، الجمهرة ٢ : ٦٤٦ ، تهذيب اللّغة ٨ : ٣٩٥ ، المحيط في اللّغة ٥ : ٢٨٤ ،
المحكم والمحيط الأعظم ٦ : ٢٢٥ ، الصحاح ٣ : ٩٦٠ ، تاج العروس ٨ : ٤٠٧ ،
لسان العرب ٦ : ١٦٨ في الجميع «قَدَّس» .

لغيره ، طاهرٌ من كل عيب .

وقوله : ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ :

قال قوم : أراد ما أظهره إبليس من الكبر والعُجب والمعصية لما أمره الله تعالى بالسجود لآدم . ذهب إليه ابن مسعود ، وابن عباس .

وقال قتادة : أراد مَنْ في ذرية آدم من الأنبياء والصالحين .

وقال قوم : أراد به ما اختص بعلمه من تدبير المصالح ^(١) .

فإن قيل : لو كان آدم قادراً على أن لا يأكل من الشجرة ، لكان قادراً على نقض ما دبره الله فيه ؛ لأنه لو لم يأكل منها للبث في الجنة ، والله تعالى إنما خلقه ؛ ليجعله خليفة في الأرض ؛ فهذا يدل على أنه لم يكن له بُدٌ من المخالفة .

قلنا : عن هذا جوابان :

أحدهما : إن الجنة التي خلق الله تعالى فيها آدم ، لم تكن جنة الخلد ، وإنما كانت في الأرض حيث شاء الله ، وأنه حيث كان في الأرض كان خليفة في الأرض . وفي هذا إسقاط السؤال .

والثاني : إن الله تعالى عَلِمَ أن آدم سيخالف ، وأنه يُهبطه إلى الأرض فيستخلفه فيها ، فأخبر الله تعالى بما علم .

وقولهم : إنه لو كان قادراً على أن لا يخالف لكان قادراً على نقض

(١) الآراء تجدها في : تفسير مجاهد : ١٩٩ ، تفسير الصنعاني ١ : ٢٦٥ ت ٣٦ ، تفسير كتاب الله العزيز للهواري ١ : ٩٣ ، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازي ١ : ٧٩ ت ٣٣٣ - ٣٣٥ ، تفسير بحر العلوم ١ : ١٠٩ ، تفسير النكت والعيون ١ : ٩٧ ، تفسير الوسيط ١ : ١١٦ ، تفسير الوجيز ١ : ٩٩ ، تفسير المحرر الوجيز ١ : ١٦٧ ، وتفسير زاد المسير ١ : ٦١ .

تدبيره .

جهلٌ ؛ لأن الله تعالى قد أمره ألا يقرب الشجرة . فهل يجب أن يكون أمره بأن ينقض تدبيره ؟ فإذا قالوا : لا . قيل : فكذلك الله قد أقدره على ألا يخالف فيلبث في الجنة . ولا يجب بذلك إن يكون أقدره على نقض تدبيره . وقد روي عن أبي عبد الله عليه السلام : إن الملائكة سألت الله تعالى أن يجعل الخليفة منهم . وقالوا : نحن نقدُّسُك ونُطيعُكَ ولا نعصيك كغيرنا . فقال أبو عبد الله عليه السلام : « فلما أُجيبوا بما ذكر الله في القرآن ، علموا أنهم قد تجاوزوا (ما ليس لهم) ^(١) ، فلاذوا بالعرش استغفاراً ، فأمر الله آدم بعد هبوطه أن يبنِّي له ^(٢) في الأرض بيتاً يلوذ به المخطئون ، كما لاذ بالعرش الملائكة المقربون . فقال الله تعالى للملائكة : إِنِّي أَعْرِفُ بِالْمَصْلَحَةِ مِنْكُمْ ، وهو معنى قوله : ﴿ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ^(٣) .

قوله تعالى :

﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ آية (٣١) آية واحدة بلا خلاف.

روي عن النبي ﷺ أنه قال : (خلق الله آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض - وقيل : قبضها ملك الموت - فجاء بنو آدم على قدر ذلك ، منهم : الأسود ، والأحمر ، والأبيض ، والسهل ، والحزن ، والخبِيث ،

(١) بدل المحصورة في «خ» : ما لهم . ولها وجه .

(٢) عوض : له ، في «خ» : للملائكة .

(٣) نحوه في : شرح الأخبار للقاضي النعمان ٣ : ٢٧٩ ، علل الشرائع : ٤٠٦ ح ٧ .

وقال أبو العباس^(٢): في اشتقاق آدم قولان:

أحدهما: إنه مأخوذ من أديم الأرض. قال: فإذا سُمِّيت به في هذا الوجه ثم نكرته، صرّفته.

والثاني: إنه مأخوذ من الأذمة على معنى اللون والصفة، فإذا سُمِّيت

(١) ذكرته جملة من المصادر، فمن الحديثية: مسند أحمد بن حنبل ٤: ٤٠٠، ٤٠٦، سنن الترمذي ٥: ٢٠٤ ت ٢٩٥٥، سنن أبي داود ٢: ٤١٠، صحيح ابن حبان ١٤: ٢٩، السنن الكبرى للبيهقي ٩: ٣، المستدرک للحاكم ٢: ٢٦١، تلخيص المستدرک ٢: ٢٦١، الأسماء والصفات: ٣٨٥، حلية الأولياء ٨: ١٣٥، فتح الباري ٦: ٢٥٧.

ومن كتب التاريخ: الطبقات الكبرى ١: ٢٥، ٣٩، تاريخ اليعقوبي ١: ٥، تاريخ الطبري ١: ٨٩ و ١٠٤، البدء والتاريخ ٢: ٨٣، مروج الذهب ١: ٣٣، الروض الأنف ١: ٨٢، الكامل في التاريخ ١: ١٤٠ وما بعدها وانظر فهرسته، المتنظم لابن الجوزي ١: ١٩٨.

ونحوه في مصادر الشيعة، انظر للمثال: تفسير علي بن إبراهيم ١: ٣٥، علل الشرائع ١: ١ ب ١ قطعة من الحديث ١: ١٤ ب ١٠ ح ١، عيون أخبار الرضا ١: ٢٤٠ ب ٢٤ ح ١ قطعة منه، سعد السعود: ٦٤ ت ١٦، قصص الأنبياء: ٤١ فصل ٢ ح ٤، البرهان في تفسير القرآن ١: ١٧٥ ت ٣٩٠ و ٣٩١ و...، بحار الأنوار ١١: ٩٧ ب ١، الأحاديث.

وغيرها كثير ولدى الفريقين.

(٢) هو: المبرد، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر، أبو العباس الأزدي، البصري، الأخباري، مقدّم في النحو والأدب، أخذ عن المازني والسجستاني، وعنه أخذ الخرائطي ونفطويه والقطّان. له: الكامل في اللغة والأدب، والمقتضب، وغيرهما، توفي عام ٢٨٦ هـ.

لترجمته انظر: سير أعلام النبلاء ١٣: ٥٧٦ ت ٢٩٩، الوافي بالوفيات ٥: ٢١٦ ت ٢٢٨٢، إنباء الرواة ٣: ٢٤١ ت ٧٣٥، بغية الوعاة ١: ٢٦٩، ت ٥٠٣.

به في هذا الوجه ، ثم نكرته ، لم تُصْرِفه^(١) .

والأذمة والسُمرة ، والدُّكْنَةُ ، والوُزْقَةُ متقاربة المعنى في اللغة .

وقال صاحب العين : الأذمة في الناس : شُرْبَةُ من سَواد . وفي الإبل والطَّيَّاء : بياضٌ وأذمة الأرض : وَجْهها . والمؤدَم من الجِلْد خلاف المُبَشَّر . وأدماً أنثى . وآدم ذكر . وهي الأذَم في الجَماعة . وآدَم أبو البَشَر . والأذَم : ما يُؤْتَدَم به ، وهو الإدام . والأذَم : جماعة الأَدِيم . وأَدِيم كلُّ شيء : وَجْههُ^(٢) .

و(كُلُّ) لفظه عموم على وجه الاستيعاب . وقال الرماني : حدّه الإحاطة بالأبغاض ، يقال : أبغضُ القوم جاءك أم كلُّهم ؟ وتكون تأكيداً مثل «أجمعين» ، غير أنه يُبتدأ في الكلام بكل ، كقوله

(١) مع كثرة التتبع لم نجد النسبة ، ولعلها في غير المتوقّر لدينا ممّا لأبي العباس المبرّد من مؤلفات .

هذا ، وقد نسب الرأي الأول إلى : ابن عباس ، وابن جبير ، والزجاج .
والثاني : للضحاك ، وابن شميل ، وقطرب .

وقد اختلف في صرفه وعدمه ؛ للعجمة - إذ ادّعى أنّه سرياني - والتعريف ، أو للعلمية ووزن الفعل ، حيث يذهبون إلى أنّ وزنه أَفْعِل ، فهو بهمزتين لُيُنْتَ الثانية منها ، فإذا احتيج إليها في الجمع - مثلاً - قلبت واواً فقليل : أوادم .
للإفادة من كتب الحديث انظر الهامش «١» ، صفحة : ٢٨ .

ومن كتب اللغة والأدب «أذَم» في : الاشتقاق : ٧١ ، تهذيب اللغة ١٤ : ٢١٤ ، المحيط في اللغة ٩ : ٣٨٤ ، المحكم والمحيط الأعظم ٩ : ٣٨٧ ، الصحاح ٥ : ١٨٥٨ ، معاني القرآن ١ : ١١٢ ، البيان في غريب إعراب القرآن ١ : ٧٤ ، التبيان في إعراب القرآن ١ : ٤٨ ، إملاء ما مرّ به الرحمن ١ : ٢٩ ، مشكل إعراب القرآن ١ : ٣٨٠ ت ٧٥ ، عمدة الحفاظ ١ : ٧٧ ، المعرّب : ١٣ . وغيرها .

(٢) العين ٨ : ٨٨ ، تهذيب اللغة ١٤ : ٢١٤ ، المحيط في اللغة ٩ : ٣٨٤ ، الصحاح ٥ : ١٨٥٨ ، لسان العرب ١٢ : ٨ ، «أذَم» فيها ، وانظر الافصح في فقه اللغة ٢ : ١٢٣٣ .

٣٠ التبيان في تفسير القرآن / ج ٢

تعالى: ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾^(١)؛ لأن «كلًا» قد يلي العوامل ويبتدأ، و«أجمعون» لا تكون إلا تابعة.

ويقال: عَرَضَ عَرَضًا. قال صاحب العين: عَرَضَ عَلَيْنَا فُلَانٌ الْمَتَاعَ، يَغْرِضُ عَرَضًا، للشراء والهبة^(٢).

وقال الزجاج: العَرَضُ أصله في اللغة: الناحية من نواحي الشيء، فمن ذلك العَرَضُ خِلَافَ الطُّولِ.

وعَرَضَ الرَّجُلُ: قال بعضهم: ما يُمدحُ منه أو يُذمُّ، وقيل عَرَضُهُ: خَلِيقَتُهُ الْمُحْمُودَةُ. وقيل: عَرَضُهُ: حَسَبُهُ.

وقال الرماني: ناحيته التي يصونها عن المكروه.

وحقيقة العَرَض: الإظهارُ للشيء؛ لِيَتَصَفَّحَ^(٣).

والإنباء والإعلام والإخبار: واحد.

قال صاحب العين: النبأ، - مهموز -، هو الخبر المنبئ والمخبر، ولفلان نبأ، أي: خبر، ويقول: نبأته وأنبأته واستنبأته، والجمع: الأنباء.

والنبوة - إذا أخذت من الإنباء فهي مهموزة، لكن زوي عن

(١) سورة الحجر ١٥ : ٣٠.

(٢) في العين ١ : ٢٧١ «عَرَض» لفظه: وفُلَانٌ يَغْرِضُ عَلَيْنَا الْمَتَاعَ عَرَضًا لِلْبَيْعِ والهبة ونحوهما.

(٣) لُغَةً يَنْظُرُ: العين ١ : ٢٧١، تهذيب اللغة ١ : ٤٥٤، المحيط في اللغة ١ : ٣٥، الصحاح ٣ : ١٠٨٢، معجم مقاييس اللغة ٤ : ٢٧٣، وبتفصيل في لسان العرب ٧ : ١٦٥ - ١٨٧. مادة «عَرَض» فيها. وأمَّا النسبة - للزجاج والرماني - فلم نجدها في المتوفر من المصادر.

النبي ﷺ أنه قال : (لا تَنْبِزْ بِاسْمِي) لرجل قال له : يا نبي الله ^(١) .
والنَّبِيُّ - بالهمز - : الطَّرِيقُ الواضِحُ يَأْخُذُ بِكَ إِلَى حَيْثُ تُرِيدُ .
وَالنَّبَأُ : صَوْتُ الْكِلَابِ نَبَأً بِهِ نَبَأٌ ^(٢) . وحقيقة الإنباء : الإظهارُ للخبر . قال
الشاعر :

أَدَانُ وَأَنْبَاءُ الْأَوَّلُونَ بَأَنَّ الْمُدَانَ مَلِيٌّ وَفِي ^(٣)
والفرق بين الإخبار والإعلام :

إنَّ الإعلام : قد يكون بخلق العلم الضروري في القلب ، كما خلق الله

(١) رُدُّ النَّبِيِّ ﷺ ورد في الأحاديث ومصادر الأدب واللغة بنحوين :

فتارة (لا تنبئ باسمي) لمن قال له : يا نبي الله .

وأخرى : (لست بنبي الله ولكنني نبي الله) .

للاستزادة انظر : معاني الأخبار : ١١٤ ، المستدرك للحاكم ٢ : ٢٣١ ، الفردوس

بمأثور الخطاب ٣ : ٤٢٠ ح ٥٢٨٤ ، كنز العمال ١١ : ٤٥٧ ح ٣٢١٤٨ ، الدر المنثور ١ : ٣٨٨ ،

الجامع لأحكام القرآن ١ : ٤٣١ ، بحار الأنوار ١١ : ٢٩ ، التبيان في إعراب القرآن ١ :

٦٩ ، معاني القرآن وإعرابه للزجاج ١ : ١٤٥ ، البيان ١ : ٨٨ ، حجة القراءات ١ :

٩٩ ، وللمزيد ينظر بحث الهمزة في شرح المفصل ٩ : ١٠٧ ، وانظر الهامش الآتي .

(٢) اللغة تجدها في : العين ٨ : ٣٨٢ و ٤ : ٢٥٨ ، تهذيب اللغة ١٥ : ٤٨٥ و ٢ : ٤١٥

و ٧ : ٣٦٤ ، المحيط في اللغة ١٠ : ٤٠٤ و ٤ : ٣٣٥ ، الصحاح ١ : ٧٤ ، معجم

مقاييس اللغة ٢ : ٢٤٠ ، مجمل اللغة ٣ : ٨٥ ، المخصص ٥ : ٧٢٠ ، لسان العرب

١ : ١٦٢ و ١٢ : ٤١٦ و ٤ : ٢٢٦ ، عمدة الحفاظ ٤ : ١٣٤ مادة «نبا ، علم ، خبر»

على التوالي في الجميع ؛ وانظر ما يأتي عند تفسير الآية ٦١ من هذه السورة ، فإنَّ

المصنّف سوف يتكلّم عن ذلك بتفصيل .

(٣) لأبي ذؤيب خُوَيْلِد بن خالد الهذليّ . وهو ب ٣ ق ٧ في شرح أشعار الهذليّين للسكريّ

١ : ٩٩ . وفي ديوان الهذليّين ١ : ٦٥ : ورد عجز الشطر الثاني معرّفاً ، أي : الملئى الوفيّ .

أدان : باع إلى أجل . أنباه الأولون : أخبره الناس الكبار والمسنون . المدان : من

عليه الدين ، الدائن ، المشتري . ملئى : موسرٌ صاحب مال وثروة . وفيّ : يفي بوعده .

المعنى : واضح .

الشاهد فيه : استعمال أنباه بمعنى : أخبره .

من (كمال العقل العلم بالمشاهدات)^(١)؛ وقد يكون ينصب الأدلة على الشيء .
والإخبار هو : إظهار الخبر ، علم به أو لم يعلم . ولا يكون مخبراً بما
يحدثه من العلم في القلب . كما يكون معلماً بذلك .

وقوله : ﴿ ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ ﴾ :

إنما لم يقل : ثم عرضها ، إذ كانت الأسماء لا تعقل ؛ لأنه أراد به
أصحاب الأسماء وفيهم ما يعقل فعُلبَ حكم ما يعقل . كما يُغلب المذكر إذا
اجتمع مع المؤنث ؛ لأنهم يقولون : إن أصحابك وإماءك جاؤوني .
وروي عن ابن عباس أنه قال : عرض الخلق .
وقال مجاهد : عرض أصحاب الأسماء .

وقوله : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ :

معناه : إنه علمه معاني الأسماء ، من قبل أن الأسماء بلا معاني لا فائدة
فيها ، ولا وجه لإشادة الفضيلة بها . وقد نبه الله الملائكة على ما فيه من
لطيف الحكمة ، فأقرؤا - عندما سُئلوا عن ذكرها والإخبار عنها - أنه لا علم
لهم بها . فقال : ﴿ يٰٓآدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ ﴾ . وهو قول قتادة .
وظاهر العموم يقتضي أنه علمه جميع الأسماء . وبه قال ابن عباس
ومجاهد وسعيد بن جبير وقاتادة . وأكثر المتأخرين : كالبلخي والجبائي

(١) كذا في النسخ «خ» ، و ، ل ، الحجرية . وفي النسخة «هـ» : من كماله العقل
والعلم بالمشاهدات .

هذا ، ولعل الواو - والعلم - زائدة ؛ إذ مفعول خلق هو العلم .

وابن الإخشيد^(١) والرماني^(٢).

وقال الطبري (بما يحكى)^(٣) عن الربيع وابن زيد: إنهما قالا: علّمه الله أسماء ذريّته، وأسماء الملائكة. وقال: هو الاختيار دون قول ابن عباس. وقال: إن قولهم: ﴿عَرَضَهُمْ﴾ إنما يكون لمن يعقل في الأظهر من

(١) في ضبطه اختلاف كثير، إذ يرد تارة بالذال، وأخرى بالذال، وتارة الأخشاذ، وكلّها واحد، وكذا اختلف في جدّه بين يثغجور ومعجور.

وعلى كلّ فالمراد منه: أبو بكر أحمد بن عليّ من رؤوس المعتزلة ومكلمهم ومسنّهم في بغداد، وإلى الكعبيّ والجيّانيّ بعده انتهت الرياسة. له مؤلّفات، منها: الإجماع، نقل القرآن، مختصر الطبري، وغيرها. توفي عام: ٣٢٦.

له ترجمة في: الفهرست للنديم: ٢٢٠، تاريخ بغداد ٤: ٣٠٩ ت ٢٠٩٩، طبقات المعتزلة: ١٠٠، سير أعلام النبلاء ١٥: ٢١٧ ت ٨١، وانظر صفحة: ٢٣١ هامش ١.

(٢) في حقيقة المعروض على الملائكة - والذي علّمه الباري جلّ وعلا لآدم عليه السلام - اختلاف كثير بين الأوائل.

يذهب جمع إلى أنّه المسمّيات لا الأسماء. وآخرون إلى أنّه الأسماء، وثالث إلى أنّه أسماء أو مسمّيات خاصة.

للإطلاع على الآراء - ومن دون نسبة غالباً - ينظر:

التفسير المنسوب للإمام العسكري عليه السلام: ٢١٦ ت ١٠٠، تفسير القميّ ١: ٤٥، تفسير العياشيّ ١: ٣٢ ت ١١ - ١٣، تفسير فرات الكوفيّ: ٥٦ ت ١٥، تفسير البرهان ١: ١٦٣ ت ٣٦٨ - ٩٢، كمال الدين وتمام النعمة ١: ١٣ - ١٤، بصائر الدرجات: ١٠٣ و ١٠٦ و ٤٣٨.

تفسير مجاهد: ١٩٩، معاني القرآن للأخفش ١: ٢١٩، معاني القرآن للقرّاء ١: ٢٦، تفسير الصنعانيّ ١: ٢٦٥، غريب القرآن لابن قتيبة: ٤٥ ت ٣١، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١: ٨٠ ت ٣٣٦ - ٣٤٢، معاني القرآن وإعرابه للزجاج ١: ١١٠، تفسير بحر العلوم ١: ١٠٨، تفسير النكت والعيون ١: ٩٨، تفسير الوسيط ١: ١١٦، تفسير الوجيز ١: ٩٩، تفسير السمعانيّ ١: ٦٥، تفسير المحرّر الوجيز ١: ١٦٨، باهر البرهان ١: ٥٩، معالم التنزيل ١: ٦٣، تفسير زاد المسير ١: ٦٢. وغيرها للفريقين كثير.

(٣) بين القوسين مطموس في «خ»، وواضح في باقي النسخ.

كلام العرب^(١).

وهذا غلط ؛ لما بيناه من حكم التغليب وحُسنه . كما قال تعالى :
﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ فَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ﴾^(٢) وهذا يبطل ما قاله ،
ويبقى اللفظ على عمومه .

وظاهر الآية وعمومها يدل على أنه علّمه جميع اللّغات ، وبه قال
الجُبائي والرماني .

قالوا : فأخذ عنه ولده اللّغات ، فلما تفرّقوا تكلم كل قوم بلسان ألقوه
واعتادوه ، وتناول الزمان على ما خالف ذلك فنسّوه ؛ ويجوز أن يكونوا
عالمين بجميع تلك اللّغات إلى زمن نوح عليه السلام فلما أهلك الله جميع
الخالق إلا نوحاً ومن معه ، كانوا هم العارفين بتلك اللّغات ، فلما كثروا
وتفرّقوا اختار كل قوم منهم لغة تكلموا بها ، وتركوا ما سواه ، وانقرض
ونسوه .

والخبر الذي يُروى :- إن الناس أمسوا ولغتهم واحدة ، ثم أصبحوا
وقد تغيّرت ألسنتهم ، وكان لا يعرف كل فريق منهم إلا كلام من كان على
لغتهم^(٣) - خبرٌ ضعيفٌ .

وأيضاً ، فلا يجوز أن ينسى العاقل ما كان في أمسه من جلائل الأمور
مع سلامة عقله .

(١) تفسير جامع البيان ١ : ١٧١ ، بتصرّف .

(٢) سورة النور ٢٤ : ٤٥ . وانظر : ما تقدّم عند تفسير ﴿ثمّ عرضهم على الملائكة﴾ :

٣٨٣ .

(٣) لم نجده في ما توقّر لدينا من المصادر .

قالوا: فاللغات جميعاً إنما سمعت من آدم، وعنه أخذت .

وقال ابن الإخشيد: إن الله فتق لسان إسماعيل بالعربية، ولذلك صار أصلاً للعرب من ولده؛ لأنه تكلم بها على خلاف النشوء والعادة، بل على أنه ابتدأه بها وألهمه إياها^(١).

فإن قيل: ما معنى قوله: ﴿أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾

ما الذي ادعوا حتى قيل لهم هذا؟

قيل: عن ذلك أجوبة كثيرة للعلماء:

(١) اختلاف من القِدَم ولا زال في اللّغة أهي: وضع، أم إلهام، أم وحي. توقيفية هي أم اصطلاح وتواضع، ثم من هو الواضع؟ أهو الباري تعالى، أم واحد من الناس، أو مجموعهم؟ هذا، ويذهب البعض إلى أن أصل اللّغات إنما هو الأصوات المسموعة لدوي الرياح، وخرير الماء، ونعيق الغراب، وصهيل الفرس.... وقد انسحب هذا الاختلاف على أصول الفقه - وقبله على علم الكلام؛ لتفرعه على مسألة خلق الأعمال لدى البعض - بنحو وبآخر حتى عُدَّ أحد أعمدة ما يبحث عنه فيه لدى علماء الفريقين؛ لترتب آثار على ذلك. وعلى كل حال فالإلى كل جهة مال بعض واستدل على مذهبه بأمور لا يسعنا التعرض لها فالدلالة على المدونات أفضل.

فللاستزادة انظر:

من كتب الأدب مثلاً: البيان والتبيين ٣: ٢٩٥، الصاحبى: ٥، المخصّص ١: ٤، الخصائص ١: ٤٠، المزهري في علوم اللّغة ١: ٨.
ومن كتب الأصول الشيعية للتنوير انظر: كفاية الأصول: ٢٠١، وقاية الأذهان: ٦١، هداية المسترشدين في شرح معالم الدين: ٢٥ بدائع الأفكار: ٣٤، الفصول الغيروية ١٤، محاضرات في أصول الفقه للشيخ الفياض ١: ٣٢، مقالات الأصول ١: ٨٣، منتقى الأصول ١: ٤٣ وغيرها كثير.
وأما من العامة فلاحظ: التقريب والإرشاد ١: ٣١٩، العُدّة للقاضي ١: ١٩، المعتمد ١: ١٤، بيان المختصر ١: ١٤٩، المستصفى ٣: ٧، الإحكام في أصول الأحكام ١: ١٤، البحر المحيط ٢: ٧، المحصول ١: ١٧٧، التحصيل ١: ١٩٤، الكاشف ١: ٤٢٩ وغيرها كثير.

أحدها : إن الملائكة لما أخبرهم الله عز وجل أنه جاعل في الأرض خليفة ، هجس في نفوسها : إنه لو كان الخليفة منهم - بدلاً من آدم وذريته - لم يكن فساد ولا سفك دماء ، كما يكون من ولد آدم . وأن ذلك أصلح لهم ، وإن كان الله عز وجل لا يفعل إلا ما هو الأصلح في التدبير والأصوب في الحكمة . فقال الله تعالى : ﴿ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ في ما ظننتم من هذا المعنى ؛ لئدللهم على أنهم إذا لم يعلموا باطن ما شاهدوا ، كانوا من أن يعلموا باطن ما غاب عنهم أبعد .

والثاني : إنه وقع في نفوسهم أنه لم يخلق الله خلقاً إلا كانوا أفضل منه في سائر أبواب العلم ، فقليل : إن كنتم صادقين في هذا الظن فأخبروا بهذه الأسماء .

والثالث : قال ابن عباس : إن كنتم تعلمون لم أجعل في الأرض خليفة (ف ﴿ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ؛ لأن كل واحد من الأمرين من علم الغيب ، فكما لا تعلمون ذا ؛ لا تعلمون الآخر)^(١) .

والرابع : ما ذكره الأخفش والجبائي وابن الإخشيد والرمانى : إن كنتم صادقين في ما تخبرون به من أسمائهم . كقول القائل للرجل : أخبرني بما في يدي إن كنت صادقاً . أي : إن كنت تعلم فأخبر به ؛ لأنه لا يمكن أن يصدق في مثل ذلك إلا إذا أخبر عن علم منه ، ولا يصح أن يكلف ذلك إلا مع العلم به ، ولا بد إذا استدعوا إلى الإخبار عما لا يعلمون من أن يشترط

(١) بدل ما بين القوسين في «خ» : «أي أنبئهم أن كل واحد من الأمرين من علم الغيب ، فكما لا يعلمون ذا ؛ لا يعلمون الآخر» . وفي «و» مطابقة إلا الجملة الأخيرة فجاءت : «وكما لا تعلمون ذا ؛ لا تعلمون الآخر» .

بهذا الشَّرْطُ ، ووجه ذلك التنبيه كما يقول العالم للمتعلِّم : ما تقول في كذا ؟
 ويعلم أنَّه لا يحسن الجواب ؛ لينبِّهه عليه ، ويحثُّه على طلبه ، والبحث عنه .
 فلو قال له : أخبر بذلك إن كنت تعلم ، أو قال له : إن كنت صادقاً ؛ لكان
 حسناً . فإذا نبَّهه على أنَّه لا يمكنه الجواب أجابه حينئذ ، فيكون جوابه بهذا
 التدريج أثبت في قلبه ، وأوقع في نفسه .

وقوله : ﴿ أَنْبِئُونِي ﴾ :

قال قوم : هو أمر مشروط . كأنه قيل : إن أمكنكم أن تُخبروا بالصدق
 فيه فافعلوا .

وقيل : إن لفظه لفظ الأمر ومعناه التنبيه ، على ما بيَّناه في سؤال العالم
 للمتعلِّم ^(١) .

ولا يجوز أن يكون ذلك تكليفاً ؛ لأنَّه لو كان تكليفاً لم يكن تنبيهاً
 لهم على أن آدم يعرف من أسماء هذه الأشياء - بتعريف الله إيَّاه ذلك -
 ما لا يعرفون . فلما أراد تعريفهم ما خصَّ الله به آدم من ذلك علمنا أنَّه ليس
 بتكليف .

ومعنى قوله : ﴿ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ :

شرط ، كأنه قيل : إن كنتم صادقين في الإخبار بذلك .

وليس ﴿ إِنْ ﴾ بمعنى «إِذْ» على ما حكاه الكسائي عن بعض
 المفسرين ؛ لأنَّها لو كانت كذلك ، لكانت «أَنْ» بفتح الهمزة ، وتقديره : أن
 كنتم مُحَقِّقِينَ أَيْمَانَكُمْ ، فافعلوا كذا وكذا ؛ لأنَّ (إِذْ) إذا تقدَّمتها فعلٌ مستقبل

صارت علة للفعل وسبباً له . كقولك : أقومُ إذ قُمْتُ ، أي : من أجل أن قُمْتُ ، فلو كانت ﴿إِنْ﴾ في الآية بمعنى «إِذْ» لكان التقدير : أنبئوني بأسماء هؤلاء من أجل أنكم صادقين ، وإذا وضعت «إِنْ» مكان ذلك وجب أن تفتح الألف ، وذلك خلاف ما عليه جميع القراء .

والإنباء : قال قوم : أصله الإعلام ، كقولهم : أنبأت عمراً زيداً أخاك ، بمعنى أعلمت ، ولا يصحّ هاهنا أخبرت . إلا أنه يتأوّل ﴿أُنْبِئُونِي﴾ ها هنا بمعنى أخبروني على وجه المجاز والتوسع ؛ لتقارب المعنى في الإخبار والإنباء ؛ لأن الله تعالى عالم بالأشياء في ما لم يزل ، فلا يجوز أن يقول : أعلموني لما هو عالم به .

ومن قال : أصله الإخبار ، تعلّق بظاهر القرآن .

وفي كيفية عرضهم قولان :

أحدهما : إنه عرضهم بعد أن خلقهم .

والثاني : إنه عرضهم بأن صوّرهم لقلوب الملائكة .

وفي هذه الآية دليل على شرف العلم من حيث إن الله تعالى لما أراد

تشريف آدم اختصّه بعلم أبانه به من غيره ، وجعل له الفضيلة به .

وفي كيفية تعليم الله تعالى آدم الأسماء : قال البلخي : يجوز أن يكون

أخبره الله تعالى فوعاه في وقت قصير بما أعطاه من الفهم والحفظ . أو : بأن

دّله ومكّنه ، ورسم له رسماً فابتدع هو لكل شيء اسماً يُشاكله . ولا بد أن

يكون إعلامه له بلغة قد تقدّمت المواضعة عليها حتّى يفهم بالخطاب المراد

به . وتلك : المواضعة لا بد أن تستند إلى سمع عند قوم .

وعند أبي هاشم^(١) وأصحابه : لا يصح ذلك^(٢) .

فأما الذي عُرض على الملائكة :

قال قوم : عُرضت الأسماء دون المسميات .

وقال قوم آخرون : عُرضت المسميات بها .

وهو الأقوى ؛ لقوله : ﴿ ثُمَّ عَرَضَهُمْ ﴾ . وفي قراءة ابن مسعود : « ثمَّ

عرضهنَّ » . وفي قراءة أبي^(٣) : « عرضها »^(٤) .

(١) عبد السلام بن محمد بن عبد الوهاب بن سلام ، أبو هاشم الجُبَّائِي المَعْتَزَلِي ، أخذ عن والده ، له آراء تفرّد بها ، تبعته فرقة من المعتزلة تسمّى البهشميّة ، توفي عام : ٣٢١ هـ .

انظر : سِير أعلام النبلاء ١٥ : ٦٣ ت ٣٢ ، طبقات المعتزلة : ٩٤ ط ٩ ، مرآة الجنان ٢ : ٢١١ ، تاريخ بغداد ١١ : ٥٥ ت ٥٧٣٥ .

(٢) كتبهم - أبو هاشم ، البلخي - وخصوصاً ما كان منها في التفسير لم تر النور بعد . ولاحظ التفسير الكبير ٢ : ١٧٥ ، متشابه القرآن للقاضي : ٨٣ .

(٣) أُبَيّ بن كعب بن قيس المدنيّ ، أبو المنذر الأنصاريّ الصحابيّ ، شهد العقبة وبدراً وغيرها ، حدّث عنه جمع منهم : أنس بن مالك ، سليمان بن صُرَد ، ابن المسيب وغيرهم كثير ، عُدّ من كبار القراء ، أخذ القراءة عنه جمع منهم السُّلَميّ ، توفي أيام حكومة عثمان عام : ٣٠ هـ .

لترجمته ينظر : سِير أعلام النبلاء ١ : ٣٨٩ ت ٨٢ ، طبقات القراء ١ : ٩ ت ٣ ، أسد الغابة ١ : ٦١ ت ٣٤ .

(٤) اختلفت القراءات باعتبار الاختلاف في عائد الضمير وما أُريد منه .

فمن قرأ : « عرضهم » فباعتبار عوده إلى أفراد المسميات ، فجعله مذكراً .

ومن قرأ : « عرضها » أعاده إلى الجمع ، أو أنّه غَلَبَ ما لا يعقل .

ومن قرأ : « عَرَضَهُنَّ » فإنّه أعاده على لفظة المسميات وهي جمع مؤنث .

للمزيد انظر : معاني القرآن للفراء ١ : ٢٦ ، معاني القرآن وإعرابه للزجاج ١ :

١١١ ، معاني القرآن للأخفش ١ : ٢١٩ ، مختصر ابن خالويه : ٤ ، أمالي المرتضى

١ : ٧٥ ، الصاحبى : ٧ ، البيان في إعراب غريب القرآن ١ : ٧٢ ، إعراب القراءات

الشواذ ١ : ١٤٥ ، التبيان في إعراب القرآن ١ : ٤٨ .

وقال قوم: إنه عرضهم بعد أن خلق المسميات وأحضرها؛ لقوله:
﴿أَسْمَاءٌ هَؤُلَاءِ﴾ وذلك إشارة إلى الحاضرة.

وقال آخرون: إنه صوّرهم لقلوب الملائكة، ثم عرضهم قبل خلقهم.

وقيل إن قوله: ﴿هَؤُلَاءِ﴾: إشارة إلى الأسماء التي علّمها آدم^(١).
و﴿أَنْبِئُونِي﴾: أكثر القراء على أنه يُهمز. وروي عن الأعمش ترك الهمز فيه، وهي لغة قريش^(٢).

﴿هَؤُلَاءِ﴾: لغة قريش ومن جاورهم بإثبات ألف بين الهاء والواو، ومدّ الألف الأخيرة. وتميم وبكر وعامة بني أسد يقصرون الألف الأخيرة. وبعض العرب يسقط الألف الأولى التي بين الهاء والواو. ويمدّ الأخيرة^(٣). وأنشد:

تَجَلَّدَ لَا يَقُلُّ هَؤُلَاءِ: هذا بَكَى لَمَّا بَكَى أَسْفَاً عَلَيْكَ^(٤) [١٥٩]

(١) إضافة لمصادر الهامش السابق انظر مصادر الهامش: ٢ صفحة: ٣٣.

(٢) إضافة إلى المصنف، فقد أشار إليها الأندلسي في بحره المحيط ١: ١٤٦.

(٣) اسم الإشارة «هؤلاء» أصله: أولاء، قرنت به هاء التنبيه، وفيه لغات ثلاث، وهناك من يبدّل الهمزة الأخيرة هاءً فيقول: أولاه.

للتفصيل ينظر: شرح المفصل ٣: ١٣٦، شرح الكافية ٢: ٤٧٦، تذكرة النحاة:

٥٠٦، ومفضلاً في ارتشاف الضرب من لسان العرب ٢: ٧٢٩ - ٧٣٣.

(٤) شاهد لم يعرف قائله، ولم ينسب لأحد.

وقد اختلفت المصادر والنسخ في ضبط رويّه بين المثبت، و: «وغيظا، وعيبا، وعيبا» ولا مرجّح ظاهرًا.

الشاهد قيه: قوله: «هؤلاء»، فإنّها مخفّفة: «ها ألاء» حيث حذفت ألف «ها»

وَحَقَّقَ الهمزة ابن عامر وأهل الكوفة إذا اتَّفقا من كلمتين .

وقرأ أبو عمرو وأحمد بن صالح^(١)، عن قالون^(٢): بتحقيق الأولى وحذف الثانية .

وقرأ ورش وقنبل وأبو جعفر ورويس: بتحقيق الأولى وتليين الثانية .

وقرأ ابن كثير - إلا قُبلاً - ونافع - إلا ورشاً - وأحمد بن صالح: بسكون الأولى وتحقيق الثانية في المكسورتين والمضمومتين ، وفي المفتوحتين بتحقيق الأولى وحذف الثانية^(٣) .

وَلَوَقَلَبْتَ هَمْزَةً أَلَاءَ وَآوَاءَ ، فَأَصْبَحْتَ : «هَوَاءٍ» .

المعنى : تَجَلَّدَ : أَمُرٌّ مِنَ الْجَلَادَةِ وَهِيَ التَّحَفُّظُ مِنَ الْجَزَعِ .

مَنْ اسْتَشْهَدَ بِهِ : ابن يعيش في شرح المفصل ٣ : ١٣٦ ، والرضي في شرح الكافية ٢ : ٤٧٧ ت ٣٩٨ ، وابن حيان الأندلسي في تذكرة النحاة : ٥٠٦ ، وفي تفسير البحر المحيط ١ : ١٣٨ ، والسمين الحلبي في تفسير الدر المصون ١ : ١٨٢ ت ٣٥١ ، والبغدادى في خزنة الأدب ٥ : ٤٣٧ ت ٤١٠ .

(١) أحمد بن صالح ، أبو جعفر الطبري ، المصري المقرئ . سمع سفيان بن عيينة ، وابن أبي فديك ، وحرمي ، وأخذ القراءة عن ورش وقالون . توفي عام : ٢٤٨ هـ . ترجمته في : طبقات القراء ١ : ٢١٣ ت ١١٢ ومصادره ، تاريخ بغداد ٤ : ١٩٥ ت ١٨٨٦ .

(٢) قالون : كلمة رومية تعني : جَيَّدَ القراءة . وبها لُقِّبَ نافع : عيسى بن ميناء بن وردان الزهري ، أبو موسى الزُرْقَيَّ المدني . قارئ المدينة المنورة ، وربيب نافع وراويته قراءة وحديثاً . مات عام ٢٢٠ هـ .

له ترجمة في طبقات القراء للذهبي ١ : ١٧٤ ت ٧٨ ومصادره ، غاية النهاية ١ : ٦١٥ ت ٢٥٠٩ .

(٣) انظر صفحة : ١٩٧ و ٢٣٧ من الجزء الأول هامش ١ فيهما ما جاء فيها حول كلمة «تحقيق» .

قوله تعالى :

﴿ قَالُوا سُبْحَنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ آية (٣٢).

هذه الآية فيها إخبار من الله تعالى عن ملائكته : بالرجوع إليه والأوبة وتسليم أنهم ^(١) لا يعلمون إلا ما علمهم الله .

وقوله : ﴿ سُبْحَنَكَ ﴾ :

نُصِبَ عَلَى الْمصدر، ومعناه : تُسَبِّحُكَ ^(٢) ، وسُبْحَان مصدر لا ينصرف .

وقَدْ بَيَّنَّا فِي مَا مَضَى أَنَّ معنى التَّسْبِيحِ : التَّنْزِيهِ ^(٣) ، ومعناه ها هنا : تَبَرُّيًّا مِنْهُمْ أَنَّ يَعْلَمُوا الْغَيْبَ ، وإقراراً أَنَّهُ الْمُخْتَصُّ بِهِ تعالى دون غيره .
وقوله : ﴿ الْعَلِيمُ ﴾ :

معنى عليم : إِنَّهُ عَالِمٌ ، وفيه مبالغة ، وهو من صفات ذاته ، وإذا كانت كذلك أفادت أَنَّهُ عَالِمٌ بِجَمِيعِ الْمَعْلُومَاتِ ، ويوصف به في ما لم يزل ؛ لأنَّ ذلك واجب في الْعَالِمِ لِنَفْسِهِ .

وقوله : ﴿ الْحَكِيمُ ﴾ :

يَحْتَمِلُ أَمْرَيْنِ :

أحدهما : إِنَّهُ عَالِمٌ ؛ لِأَنَّ الْعَالِمَ بِالشَّيْءِ يَسْمَى بِأَنَّهُ حَكِيمٌ ، فعلى هذا

(١) في «و» هـ : والتسليم وأنهم ، وفي : «س» ، جري : والتسليم أنهم ، والمثبت من «خ» .

(٢) في «خ» : تُسَبِّحُكَ ، والمثبت من باقي النسخ .

(٣) مضى في تفسير الآية «٣٠» ، وانظر : الكتاب ١ : ٣٢٤ ، الزاهر في معاني كلمات الناس ١ : ١٤٤ ، معاني القرآن للأخفش ١ : ٢٢٠ ، التبيان في إعراب القرآن ١ : ٤٩ .

يكون من صفات الذات، مثل العالم وقد بيّناه^(١).

والثاني: أن يكون من صفات الأفعال، ومعنى ذلك: إن أفعاله مُحْكَمَةٌ مُتَقَنَّةٌ وصوابٌ، وليس فيها وجه من وجوه القُبْح ولا التفاوت، ولا يوصف بذلك في ما لم يزل.

وروي عن ابن عباس أنه قال: العليم: الذي كَمَلَ عِلْمُهُ، والحَكِيمُ: الذي كَمَلَ فِي حِكْمَتِهِ^(٢).

وقد قيل في معنى حَكِيم: إنه المانع من الفساد. ومنه سُمِّيت حَكَمَةٌ اللُّجَام؛ لأنها تمنع الفرس من الجري الشديد^(٣). قال جرير:

أَبْنِي حَنِيفَةً أَحْكِمُوا سَفْهَاءَكُمْ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ أَغْضِبَا^(٤) [١٦٠]
أي: امنعوه.

والإحكام، والاتقان، والاتساق، والانتظام متقاربة.
والحِكْمَةُ: نقيض السَّفْه، يقال: حَكَمَ حُكْمًا وَأَحْكَمَ إِحْكَامًا. ويقال:
أَحْكَمَ فُلَانٌ عَمَلَهُ، إذا بالغ فيه فأصاب حقيقته.

(١) قبل أَسْطَر.

(٢) صحيفة علي بن أبي طلحة: ٨٢ ت ١٦.

(٣) تفسير النكت والعيون ١: ١٠١، وانظر مصادر الهامش ٣ من صفحة ٤٤.

(٤) وبعده:

أَبْنِي حَنِيفَةً إِنِّي إِنْ أَهْمُكُمْ أَدْعُ الْيَمَامَةَ لَا تُؤَارِي أَرْبَا
البيتان للشاعر جرير، يهجو بهما بني حنيفة ويحذّرهم ويبتّهم إلى ضرورة منع
وكف صبيانهم وسفهاءهم؛ حذراً من هجوه لهم.
الشاهد فيه: «أحكموا» أي: امنعوا أو كفوا. من الحِكْمَةِ التي تحيط بِحَنَكِي
الفرس لِكُنْح جُمَاحه.

انظر: الديوان بشرح محمد بن حبيب ١: ٤٦٦ ت ١٠٩، الديوان: ٤٧.

وَالْحِكْمَةُ: هي التي تقف بك على مَرِّ الْحَقِّ الَّذِي لَا يَخْلُطُهُ بَاطِلٌ،
وَالصَّدَقُ الَّذِي لَا يَشُوْبُهُ كَذِبٌ. ومنه قوله: ﴿حِكْمَةٌ بَلِغَةٌ﴾^(١).

وَالْحَكَمُ بَيْنَ النَّاسِ: هو الذي يُرْضَى بِهِ؛ لِيَقِفَ الْأَشْيَاءُ مَوَاضِعَهَا.
ومنه قوله: ﴿فَابْتَغُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا﴾^(٢).

وَالْحَاكِمُ: الْقَاضِي بَيْنَ النَّاسِ، لِيَقِفَهُمْ عَلَى الْحَقِّ.
وَيَقَالُ: رَجُلٌ حَكِيمٌ، إِذَا كَانَ ذَلِكَ شَأْنَهُ وَكَانَتْ مَعَهُ أَصُولٌ مِنَ الْعِلْمِ
وَالْمَعْرِفَةِ.

وَإِذَا حَكَمَ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ يَقَالُ: حَكَمَ يَحْكُمُ. وَإِذَا صَارَ حَكِيمًا قِيلَ:
حَكَمَ يَحْكُمُ. وَأَمْرٌ مُسْتَحْكَمٌ: إِذَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ مَطْعَنٌ.

وَفِي الْحَدِيثِ: (فِي رَأْسِ كُلِّ عَبْدٍ حَكْمَةٌ إِذَا هَمَّ بِسَيِّئَةٍ، وَشَاءَ اللَّهُ أَنْ
يَقْدَعَهُ بِهَا، قَدَعَهُ)^(٣) يَعْنِي: مَنَعَهُ.

(١) سورة القمر ٥٤ : ٥ .

(٢) سورة النساء ٤ : ٣٥ .

(٣) قريب منه في الكافي ٢ : ٢٣٥ ح ١٦ عن أمير المؤمنين (عليه السلام)، وبلفظ المتن في
بحار الأنوار ٧٣ : ٢٢٤ ذيل ح ١٦ . الْحَكْمَةُ : حديدية في اللِّجَامِ تكون على أنف
الفرس أو حَنَكِهِ إِذَا سُجِبَ اللِّجَامُ مَنَعَتْ الْحَيَوَانَ مِنْ مَخَالَفَةِ الرَّكَّابِ .
وَقَدَعَ : نَهَى ، أَوْ رَدَعَ ، أَوْ كَفَّ الْكَبِيرُ مَنْ دُونَهُ بِالْيَدِ أَوْ اللِّسَانِ أَوْ الرَّأْيِ . قَدِيعٌ
يَقْدَعُ قَدْعًا .

وما ورد في بعض النسخ: بالذال عوض الدال لا محصل له؛ لأنه بمعنى الشتم
وهو غير مراد .

انظر: العين ٣ : ٦٦ و ١ : ١٤٤ ، جمهرة اللغة ١ : ٥٦٤ و ٢ : ٦٦١ ، تهذيب اللغة
٤ : ١١٠ و ١ : ٢٠٨ ، المحيط في اللغة ٢ : ٣٨٦ و ١ : ١٥٣ ، الصحاح ٥ : ١٩٠١
و ٣ : ١٢٦٠ ، المحكم والمحيط الأعظم ٣ : ٤٩ و ١ : ١٨١ ، لسان العرب ٨ : ٢٦٠
و ١٢ : ١٤٤ ، تاج العروس ١٦ : ١٦٠ و ١١ : ٣٥٦ ، والنهاية لابن الأثير ١ : ٤٢٠
ل

والْحِكْمَةُ فِي الْإِنْسَانِ هِيَ : العلم الذي يمنع صاحبه من الجهل .

ومعنى قول الملائكة : ﴿سُبْحَنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾ :

يحتمل أمرين :

أحدهما : ما قَدَّمناه . وهو قول ابن عباس قال : ﴿سُبْحَنَكَ﴾ تنزيهاً لله من أن يكون أحدٌ يعلم الغيب سواه .

والثاني : إنهم أرادوا أن يُخَرَّجُوا الجواب مخرج التعظيم لله . فكأنهم قالوا : تنزيهاً لك عن القبائح . فعلى هذا الوجه يحسن وإن لم يعلِّقه بعلم الغيب كما علِّقه في الأول .

وفي الناس من استدلَّ بهذه الآية على بطلان الأحكام في النجوم . وهذا يمكن أن يكون دلالة على من يقول : إنها موجبات لا دلالات .

فأما من يقول : إنها دلالات على الأحكام نصبها الله . فإنه يقول : نحن ما عَلَّمْنَا إِلَّا ما عَلَّمَنَا الله ؛ لأنه الذي جعل النجوم أدلة لنا ، كما أن ما عَلَّمَنَا استدلالاً غير ضرورة مضاف إليه أيضاً من حيث نَصَب الدلالة عليه .

واستدلَّ جماعة من المفسرين بهذه الآية والآيتين قبلها على صدق النبي ﷺ ، وجعلوها من جملة معجزاته ، إذ كان إخباراً بما لا تعلمه العرب ، ولا يوصل إليه إلا بقراءة الكتب ، والنبي ﷺ لم يُعرف بشيء من ذلك ، مع العلم بِمَنْشُئِهِ ومبتدأ أمره ومنتهاه .

﴿لَمَادَتِي﴾ «حَكَمَ» ، قدع في الجميع .

وأما لمصدر الحديث فانظر : الكافي ٢ : ٣١٢ ح ٦ . وباختلاف في ذيله ، المصنف لابن أبي شيبه ١٤ : ٤٢ ت ١٧٤٩٦ ، المعجم الكبير للطبراني ١٢ : ٢١٨ ت ١٢٩٣٩ ، تاريخ بغداد ٤ : ٤٠١ ت ٢٣٠١ . وبعض مصادر اللغة .

وهذا يمكن أن يُذكر على وجه التأكيد والتقوية لآياته ومعجزاته من غير أن يكون لو انفرد لكفى في باب الدلالة ؛ لأنّ لقائل أن يقول : إنّه قرأ الكتب سِرّاً ، وأخذ عمّن قرأها خفياً ، فلا طريق للقطع على ذلك ، وإنّما تغلب في الظنّ .

فإن قيل : ما الفائدة في الجواب بقولهم : ﴿ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ﴾ ؟

قلنا : لو اقتصروا على قولهم : ﴿ لَا عِلْمَ لَنَا ﴾ لكان كافياً ؛ لكن أرادوا أن يُضيفوا إلى ذلك التعظيم له والاعتراف بأنّ جميع ما يعلمونه من تعليمه ، وأنّ هذا ليس من جملة ذلك واختصروا ، وذلك أدلّ على الشكر لنعمه .

وقوله : ﴿ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ :

وقيل في معنى «عليم» أمران :

أحدهما : إنّه عالم بغير تعليم ؛ بدلالة أنّهم أثبتوا لله ما نفوه عن أنفسهم بقولهم : ﴿ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ﴾ أي : نحن مُعَلَّمون وأنت العليم غير المُعَلَّم .

والثاني : إنّه العليم الحكيم .

وكلاهما حسن . والأوّل أحسن ؛ لأنّه أكثر فائدةً وأولى في تقابل البلاغة .

وقد تضمّنت الآية الدلالة على أنّه لا علم لأحد إلّا ما علّمه الله إمّا ضرورة أو بالدلالة .

قوله تعالى :

﴿ قَالَ يَآءَادُمْ أَتُنَبِّئُهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ آية (٣٣) آية بلا خلاف .

روى الدَّاجُونِي^(١) ، عن هشام : أَنَّبَهُمْ ، وَنَبَّيَهُمْ - فِي الْحِجْرِ وَالْقَمَرِ^(٢) - بِقَلْبِ الْهَمْزَةِ وَكَسَرَ الْهَاءِ .

وَرَوَى الزَّيْنَبِيُّ^(٣) - مِنْ طَرِيقِ الْمَالِكِيِّ^(٤) وَالْعَطَّارِ^(٥) - كَسَرَ الْهَاءِ

(١) الدَّاجُونِي الكبير ، مُحَمَّدٌ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَمْرٍ ، أَبُو بَكْرٍ الرَّمْلِيُّ الضَّرِير ، نَسَبُهُ إِلَى دَاجُونَ مِنْ قُرَى الرَّمْلَةِ ، قَرَأَ عَلَى هَارُونَ الْأَخْفَشِ وَالرَّقَئِي وَغَيْرِهِمَا ، وَعَلَيْهِ قَرَأَ ابْنُ مُجَاهِدٍ وَالدَّاجُونِيُّ الصَّغِير ، وَالشَّدَائِي بِقِرَاءَةِ هِشَام . تَوْفِي عام : ٣٢٤ .
انظر : طبقات القراء ١ : ٣٣٧ ت ٢٦٧ ، غَايَةُ النِّهَايَةِ ٢ : ٧٧ ت ٢٧٦٥ ، مَعْرِفَةُ الْقُرَّاءِ الْكِبَارِ ١ : ٢٦٨ .

(٢) إِشَارَةٌ إِلَى الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ : ٥١ ، مِنْ سُورَةِ الْحَجْرِ : ١٥ . وَالْآيَةُ الْكَرِيمَةُ : ٢٨ ، مِنْ سُورَةِ الْقَمَرِ : ٥٤ .

(٣) الزَّيْنَبِيُّ ، مُحَمَّدٌ بْنُ مُوسَى بْنِ سُلَيْمَانَ ، أَبُو بَكْرٍ الْهَاشِمِيُّ ، الْمَقْرئُ الْبَغْدَادِيُّ . أَخَذَ الْقِرَاءَةَ عَنْ قُنْبَلٍ وَالْخَزَاعِيِّ وَغَيْرِهِمَا ، وَعَنْهُ الشَّدَائِي وَالشَّنْبُودِيُّ وَغَيْرُهُمَا ، تَوْفِي : ٣١٨ .

ترجمته في : غَايَةُ النِّهَايَةِ ٢ : ٢٦٧ ت ٣٤٨٩ ، طبقات القراء ١ : ٣٥٦ ت ٢٨٧ ، مَعْرِفَةُ الْقُرَّاءِ الْكِبَارِ ١ : ٢٨٥ .

(٤) الْمَالِكِيُّ : لَعَلَّهُ : عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ حُثْنَانَ أَبُو الْحَسَنِ الْمَالِكِيُّ . قِيلَ : كَانَ شَيْخًا فَاضِلًّا زَاهِدًا مِنَ الْمِيَاسِيرِ . عَرَضَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى الزَّيْنَبِيُّ ، وَقَرَأَ عَلَيْهِ . مَاتَ عام ٣٧٧ هـ .
غَايَةُ النِّهَايَةِ ١ : ٥٦٢ ت ٢٣٠٠ .

(٥) مُشْتَرَكٌ بَيْنَ جَمْعٍ ، انظر : طبقات القراء للذهبي ترجمة ٥٦٩ ، ٤٧٠ وغيرها .

وتحقيق الهمزة .

والباقون بضمّ الهاء وتحقيق الهمزة .

قال أبو عليّ : من ضمّ الهاء حملها على الأصل ؛ لأنّ الأصل أن تكون هاء الضمير مضمومة ، مثل قولهم : ضربهم وأنبأهم .

وإنما تُكسر الهاء إذا وليها كسرة أو ياء ، نحو بهم وعليهم . ومع هذا يضمّها قوم حملاً على الأصل .

ومن كسر الهاء التي قبلها همزة مخففة ، فإنه أتبع كسرة الهاء الكسرة التي قبلها . وإن كان بينهما حاجز . كما قالوا : هذا المرء ، رأيت المرء ، ومررت بالمرء ، فاتبعوا مع هذا الفصل ^(١) .

وحكي عن أبي زيد أنّه قال : قال رجل من بكر بن وائل : أخذت هذا منه يا فتى ، ومنهما ، ومنهمي . وكسر الهاء في الإدراج والوقف . وحكي عنه : لم أعرفه ولم أضربه فكسر ، وقال : لم أضربهما . فكسر الهاء مع الباء . ويحتمل أن يكون ما اعتدّ بالحاجز بين الكسرة والهاء ؛ لسكونها فكأنّ

ولعله : محمّد بن الحسن بن يعقوب ، أبو بكر البغداديّ ، المقرئ النحويّ العطار ، أخذ عن الحدّاد ودأود بن سليمان ، وعنه إبراهيم الطبريّ والنهروانيّ والفخّام ، وأخذ الأدب عن ثعلب ، قيل : كانت له آراء منكورة استتبت منها ، توفي سنة ٣٥٤ هـ . انظر طبقات القراء ١ : ٣٨٦ ت ٣١٨ ، ومصادره .

(١) الحجّة للقراء السبعة ٢ : ١٠ - ١١ وانظر : السبعة في القراءات : ١٥٤ ت ١٦ ، إعراب القرآن للنخّاس ١ : ٢١١ ، إعراب القراءات السبع ١ : ٨٢ ، الحجّة في القراءات السبع : ٧٥ ، مختصر في شواذّ القرآن : ١٢ ، المحتسب ١ : ٦٦ - ٧١ ، التذكرة في القراءات ١ : ٢٠٠ ، التيسير في القراءات السبع : ٣٩ ، التلخيص في القراءات الثمان : ١٤٨ ، إعراب القراءات الشواذّ ١ : ١٤٦ ، التبيان في إعراب القرآن ١ : ٥٠ ، إملاء ما منّ به الرحمن ١ : ٢٩ ، النشر في القراءات العشر ١ : ٣٩٠ باب في الهمزة المفردة ، بشيء من التفصيل . وتفسير المحرّر الوجيز ١ : ١٧٤ .

الكسرة وَلَيْتَ الهَاءُ^(١).

ومعنى ﴿أَنْبِئْهُمْ﴾ :

خطاب لآدم ، يعني : أخبر الملائكة ؛ لأنَّ الهاء والميم كنايةٌ عنهم ، وموضعهما النصب .

﴿بِأَسْمَائِهِمْ﴾ :

يعني بأسماء الذين عرضهم على الملائكة . والهاء والميم في أسمائهم كناية عن المرادين بقوله : ﴿بِأَسْمَاءٍ هَؤُلَاءِ﴾ . وقد مضى بيانه^(٢).

وقوله : ﴿وَأَعْلَمَ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ :

فالإبداء ، والإعلان ، والإظهار بمعنى واحد . يقال : بدا وعَلَنَ وظَهَرَ .
وَضِدَّ الإبداء : الكتمان ، وَضِدَّ الإظهار : الإبطان ، وَضِدَّ الإعلان :
الإسرار .

يقال : بَدَأَ يَبْدُو بَدْوَاً : من الظهور ، وبَدَأَ يَبْدَأُ بَدْأً - بالهمز - بمعنى استأنف .

قال صاحب العين : بَدَأَ الشَّيْءُ يَبْدُو بَدْوَاً : إذا ظَهَرَ . وبَدَأَ له في الأمر بَدْأً وبَدْوَاً . والباديةُ : اسم الأرض التي لا حَضَرَ فيها . وإذا خرج الناس من الحضر إلى الصحراء والمراعي ، يقال : بَدَوُا بَدْوَاً واسمه البَدُو . ويقال : أَهْلُ البَدُو ، وأَهْلُ الحَضَر^(٣) .

(١) يبدو أَنَّ الحاكي أبو عليِّ الفارسيَّ في الحَجَّةِ للقراء السبعة ٢ : ١١ - ١٢ .

(٢) تقدَّم في تفسير الآية : ٣١ .

(٣) العين ٨ : ٨٣ . وانظر : جمهرة اللِّغة ٢ : ١٠١٩ ، تهذيب اللِّغة ١٤ : ٢٠٢ ، المحيط في اللِّغة ٩ : ٣٧٣ - ٣٧٤ «بَدَوَ - بَدْءٌ» فيها .

وأصلُ الباب: الظُّهور.

والخَفَاءُ: نَقِيضُ الظُّهور.

وقال الرَّمَانِي: حَدَّ الظُّهور: الحِصُولُ على حَقِيقَةِ يَمَكُنُ أَنْ تُعْلَمَ بسهولة. والله ظاهر بأدلته باطن عن إحصائس خلقه. وكلُّ استدلال فإِنَّمَا هو ليظهر شيءً بظهور غيره.

والإسْرار والإخفاء بمعنى واحد.

قال صاحب العين: الكَثْمَانُ: نَقِيضُ إِعْلَانِ السِّرِّ ونحوه. وناقَةٌ كَتُومٌ: وهي التي لا ترغو إذا رَكِبَهَا صَاحِبُهَا، أي: لا تَصِيحُ. والكَاثِمُ مِنَ الْقَيْسِيِّ: التي لا تُرَرُّ إذا أُنبِصَتْ^(١).

والألف في قوله: ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ﴾ أَلَفٌ تَنْبِيه. كقول القائل: أَمَا ترى اليومَ ما أَطْبِيه؟ لمن يعلم ذلك إِلَّا أَنْتَ تريد أَنْ تُحْضِرَ ذَهْنَهُ، وَأَنْ لَيْسَ مِثْلُهُ مِمَّا يَخْفَى عَلَيْهِ، كقوله: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

وحُكِّي عن سيبويه: أَمَا ترى أَيُّ بَرَقَ هَاهُنَا^(٢)؟

وهي أَلَفٌ تَنْبِيه، أَصْلُهَا الاستفهام.

ومن الناس من قال: إِنَّ مَعْنَاهُ التَّوْبِيخُ. وَمَنْ لَمْ يُجِزْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ الْمَعْصِيَةَ مَنَعَ مِنْ ذَلِكَ.

فإن قيل: ما الفائدة في إنباء آدم ﷺ الملائكة بذلك دون إعلامه تعالى إنباهم بذلك؟

(١) العين ٥: ٣٤٣. وانظر: تهذيب اللغة ١٠: ١٥٤، المحيط في اللغة ٦: ٢٣٠، لسان العرب ١٢: ٥٠٦، «كَتَمَ» فيها.

(٢) انظر: الكتاب ١: ٢٣٦ ب مالا يعمل فيه ما قبله من الفعل.

قلنا: أراد الله بذلك تَكْرَمَةَ آدم عليه السلام وتشريفه، وإجلال المنة عليه، وتعظيم النعمة عليه، وجميع قصة آدم تؤذن بذلك.

فإن قيل: ما معنى ﴿غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ والله تعالى لا يغيب عنه شيء؟

قيل معناه: إنه يعلم ما غاب عنهم فلم يشاهدوه، كما يعلم ما حضرهم فشاهدوه.

وقوله: ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾:
قيل فيه أقوال:

أحدها: إنه يعلم سرهم وعلايتهم، وذكر ذلك تنبيها لهم على ما يجلبهم عليه من الاستدلال؛ لأن الأصول الأولى التي يُستدل بها إنما تُذكر على وجه التنبيه؛ ليُستخرج بها غيرها، فيُستدل بعلم الغيب أنه خلق عباده على ما خلقهم عليه؛ للاستصلاح في التكليف وما توجه به الحكمة.

والثاني: ما يُسرّون، يعني: ما أضمره إبليس من المعصية والمخالفة. وما يعلنون: قولهم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾.

قال الرماني: وهذا الوجه غلط؛ لأن إبليس ليس من الملائكة وظاهر الخطاب إنما هو للملائكة، ولأن القول على العموم فلا يجوز أن يُصرف إلى الخصوص بغير دلالة.

وهذا الوجه اختاره الطبري، وقال: هو بمنزلة قولهم: قُتِلَ الجيشُ وهزموا، وإنما قُتِلَ البعض^(١).

قال الرماني: إنما يقال ذلك إذا حُلَّ قُتِلَ الواحد محلَّ الجميع، مثل:

(١) تفسير جامع البيان عن تأويل القرآن ١: ١٧٧.

قتل الرئيس أو من يقوم مقامه . ولا يقال أيضاً إلا والدلالة عليه ظاهرة .
وليس كذلك الآية . وقد روى روايات في هذا المعنى .

والوجه في هذا : إن إبليس لما دخل معهم في الأمر بالسجود ، جاز
أن يُستثنى من جملتهم ^(١) .

الثالث : قيل : إن الله تعالى لما خلق آدم ، مرّت به الملائكة قبل أن
تُنْفَخَ فيه الروح - ولم تكن رأت مثله قبل - فقالت : لن يخلق الله خلقاً إلا كُنّا
أكرم منه وأفضل عنده ؛ فرعموا أن هذا هو الذي أخفوه في نفوسهم وأنّ
الذي أبْدوه قولهم : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا ﴾ روي ذلك عن
الحسن ^(٢) .

والوجه الأول أقوى ؛ لأنّه أعمّ ، ويدخل فيه هذا الوجه ، ولا دلالة
يُقطع بها على تخصيص الآية .

فإن قيل : ما وجه ذكره تعالى لهم الأسرار من علم الغيب ؟
قلنا : على معنى الجواب في ما سألوا عنه من خلق من يُفسد ويُسفك
الدّماء ، وذلك على وجه التعريض بالجواب دون التصريح ؛ لأنّه لو صرّح به
لقال : خَلَقْتُ مَنْ يُفْسِدُ وَيُسفِكُ الدّمَاءَ لِمَا أعلم في ذلك من المصلحة
لجملة عبادي في ما كلفتهم إيّاه وأمرتهم به . فدلّ بالإحالة في الجواب على

(١) يأتي البحث عنه بتفصيل عند تفسير : الآية « ٣٤ » .

(٢) الأقوال تجدها في : تفسير الحسن البصريّ (جمع) ١ : ٣٦ ت ٣٧ ، تفسير الشهيد
زيد : ٨٠ ، التفسير المنسوب للإمام العسكريّ عليه السلام : ٢١٦ ت ١٠٠ ، تفسير جامع
البيان ١ : ١٧٧ ، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١ : ٨٢ ت ٣٥٤ ، تفسير
الوسيط للواحديّ ١ : ١١٨ ، تفسير القرآن للسمعانيّ ١ : ٦٦ ، تفسير بحر العلوم : ١ :
١٠٩ ، تفسير النكت والعيون ١ : ٩٧ ، تفسير كتاب الله العزيز للهواريّ ١ : ٩٦ ،
تفسير المحرّر الوجيز ١ : ١٧٤ .

وأما الرّمانيّ - كما تقدّم - : فإنّ كتبه المختصّة لم ترَ النور بعد .

العلم بباطن الأمور وظاهرها أنه خلقهم لأجل علمه بالمصلحة في ذلك ، ودلّهم بذلك على أن عليهم الرضا والتسليم لقضاء الله ؛ لأن الله يعلم من الغيب ما لا يعلمونه ، ويعلم من مصالحهم ما لا يعلمونه في دينهم ودنياهم . فإن قيل : وأي شيء في تعليم الله آدم الأسماء كلّها ممّا يدلّ على علم الغيب .

قلنا : لأنه تعالى علّمه الأسماء كلّها بما فيها من المعاني التي تدلّ عليها على جهة فتق لسانه بذلك عزّ وجلّ ، وإلهامه إيّاها ، وهي معجزة أقامها الله تعالى للملائكة فيه تدلّ على جلالته وارتفاع قدره بما اختصّه به من العلم العظيم الذي لا يصل إليه إلا بتعليم الله عزّ وجلّ (ودلّهم على ذلك بأن قرّرههم أولاً ، فأقرّوا أنه لا علم لهم به ، ثمّ أظهر لهم أن آدم يعلمه بتعليم الله إيّاه ^(١)) فبان بذلك الإعجاز بالاطّلاع على ما لا سبيل إلى علمه إلا من علام الغيوب .

ففيه من المعجزة : إنه فتق لسانه على خلاف مجرى العادة . وإنّه علّمه من لطائف الحكمة فيه ما لا تعلمه الملائكة مع كثرة علومها ، وإنّها أعرف الخلق برّبها ، فعرفوا ما دلّهم على علم الغيب بالمعجزة مؤكّداً لما يعلمونه من ذلك بالأدلة العقلية . ولذلك نبّههم فقال : ﴿ أَلَمْ أَقُلْ لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ أي : قد دللتكم على ذلك قبل وهذه دلالة بعد . وقيل : افتتح الله الدلالة على الإعجاز بالكلام في آدم ، ثمّ ختم به في محمّد ﷺ .

(١) بين القوسين أثبت من «خ ، هـ» والمختصرة ، ويساعد عليه مجمع البيان ١ :

قوله تعالى :

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى
وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ آية (٣٤) آية واحدة .

ضَمُّ التاء^(١) من ﴿لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا﴾ أبو جعفر وحده حيث وقع ؛
أتبع ضمة الجيم ، وقيل : إنه نقل ضمة الهمزة وابتدأ بها^(٢) .

والأول أقوى ؛ لأن الهمزة ألف وصل تسقط في الدرج فلا يبقى فيها
حركة تُنقل ؛ فالوجه الأول هو المعتمد .

والصحيح ما عليه القراء من كسر التاء بلام الجر .

و﴿إِبْلِيسَ﴾ : نُصب بالاستثناء من الإثبات^(٣) .

(١) في النسخ عوض المثبت : ضَمُّ الهاء - عدا الحجرية حيث صَحَّت إلى المثبت - .
ولا يمكن المساعدة عليه ؛ نظراً للمصادر المذكورة إضافة للتفسير المتعرضة
 للقراءات .

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ١ : ١١١ ، إعراب القرآن للنحاس ١ : ٢١٢ ،
المُختَسَب ١ : ٧١ ، إعراب القراءات الشواذ ١ : ١٤٧ ، التبيان في إعراب القرآن ١ :
٥٠ - ٥١ ، النشر في القراءات العشر ٢ : ٢١٠ .

وحيث وقع : إشارة إلى تكرر المقطع - ﴿لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا﴾ - في : سورة
الأعراف ٧ : ١١ وسورة الإسراء ١٧ : ٦١ وسورة الكهف ١٨ : ٥٠ وطه ٢٠ : ١١٦ .
(٣) هذا على الاختلاف في كون إبليس من الملائكة أم لا ؟ فعلى أنه منهم فالاستثناء
من الإثبات «متصل» . وعلى القول بأنه ليس منهم فهو منقطع . وسيشير إلى ذلك
المصنّف رحمه الله قريباً .

وعلى كلا الحالين فالنصب هو ، وإثما الاختلاف في العامل .

وأما صرفه وعدمه فهو إلى الخلاف في كونه أعجمي أو مشتق من : أُبْلَسَ
يُبْلِسُ ، إذا يَتَسَّ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ ، بعد الاتفاق على عِلْمِيَّتِهِ .

ويكره الوقف على قوله : ﴿ فَسَجَدُوا ﴾ وعلى ﴿ إِلَّا ﴾ حتى يقول :
﴿ إِلَّا إِبْلِيسَ ﴾ وكذلك كل استثناء .

وظاهر الآية يقتضي أن الأمر كان لجميع الملائكة بالسجود ؛
لعمومها .

وقال قوم : إن الأمر كان خاصاً لطائفة من الملائكة كانوا مع إبليس
طهر الله بهم الأرض من الجن .
والأقوى الأول .

والسُّجُودُ ، والخضوع ، والتذلل بمعنى واحد في اللغة .

ونقيض التذلل : التكبر .

يقال : سَجَدَ يَسْجُدُ سُجُوداً . وَأَسْجَدَ إِسْجَاداً : إِذَا خَفَضَ رَأْسَهُ مِنْ
غَيْرِ وَضْعٍ لِجَبْهَتِهِ . قال الشاعر :

فَكِلْتَاهُمَا خَرَّتْ وَأَسْجَدَ رَأْسُهَا كَمَا سَجَدَتْ نَضْرَانَةٌ لَمْ تَحْنَفِ ^(١) [١٦١]

١ للاستزادة انظر : مجاز القرآن ١ : ٣٨ ، معاني القرآن وإعرابه للزجاج ١ : ١١٣ ،
مشكل إعراب القرآن ١ : ٣٧ ت ٧٥ ، إعراب القرآن للنحاس ١ : ٢١٢ ، البيان في
غريب إعراب القرآن ١ : ٧٤ ، التبيان في إعراب القرآن ١ : ٥١ ، أمالي ابن الشجري
٣ : ١٦٧ م ٨٠ ، المعرّب للجواليقي : ٢٣ ، شمس العلوم ودواء كلام العرب من
الكلام ١ : ٦١٤ ، ٦٢٨ ، وانظر : صفحة ٦١ .

(١) استشهد به جمع ناسبيه إلى الراجز الحماني أبي الأخرز . والأغلب من دون نسبة .
المعنى : الشاعر يصف ناقتين قد أجهدهما وأتعبهما السير حتى كلتا فطاطأتا
الرأس من شدة الإعياء . مشبهاً ذلك برأس النصرانية ؛ لأنها تطأها حينما تصلي .
الشاهد فيه : استعماله «أَسْجَدَ» وأراد الخفض .

انظر : الكتاب ٣ : ٤١١ ، الإنصاف ٢ : ٤٤٥ ت ٢٨٠ ، لسان العرب ٢ : ٢١١

وَالسُّجُودُ فِي الشَّرْعِ: عبارةٌ عَنْ عَمَلٍ مَخْصُوصٍ فِي الصَّلَاةِ - كَالرُّكُوعِ وَالْقُنُوتِ كَذَلِكَ - وَهُوَ: وَضْعُ الْجَبْهَةِ عَلَى الْأَرْضِ . وَيُقَالُ: سَجَدْنَا لِلَّهِ سُجُوداً . وَقَوْمٌ وَنِسَاءٌ سُجَّدٌ .

وَالسُّجَّدُ مِنَ النِّسَاءِ: الْفَاتِرَاتُ الْأَعْيُنِ . قَالَ الشَّاعِرُ:

أَغْرُكُ مِنَّا أَنْ ذَلِكَ عِنْدَنَا وَاسْجَادَ عَيْنَيْكَ الصُّيُودَيْنِ رَابِعُ^(١) [١٦٢]
وعزائم السُّجُودِ مِنْ ذَلِكَ .

وقوله: ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ﴾^(٢) قيل: إِنَّهُ السُّجُودُ . وَقِيلَ: إِنَّهُ الْمَوَاضِعُ مِنَ الْجَسَدِ الَّتِي يُسْجَدُ عَلَيْهَا . وَاحِدُهَا مَسْجَدٌ .

وَالْمَسْجَدُ: اسْمُ جَامِعٍ لِجَمِيعِ الْمَسْجِدِ ، وَحَيْثُ لَا يُسْجَدُ بَعْدَ أَنْ يَكُونَ أُتْخِذَ لِذَلِكَ . فَأَمَّا الْمَسْجَدُ مِنَ الْأَرْضِ فَهُوَ: مَوْضِعُ السُّجُودِ بَعِيْنِهِ .

وقال قوم: معنى السُّجُودِ فِي أَضْلَى اللُّغَةِ: الْخُضُوعُ وَالْإِنْجِنَاءُ ، وَقِيلَ: التَّدَلُّلُ . قَالَ الشَّاعِرُ:

لَنَاسِيْبِيْنِهِ لِلْحَمَانِي .

وَأَمَّا: الْكِتَابُ ٣: ٢٥٦ ، الزَّاهِرُ فِي مَعَانِي كَلِمَاتِ النَّاسِ ١: ١٤١ ، شَرْحُ أَيْبَاتِ سَيَبُويَه لِلنَّحَّاسِ: ٢٤٠ ت ٦٦١ وَالنَّكَتُ فِي تَفْسِيرِ كِتَابِ سَيَبُويَه ٢: ٨٤٣ ، تَهْذِيبُ اللُّغَةِ ١٢: ١٦٠ ، مَعَانِي الزَّجَّاجِ ١: ١٤٧ ، الصَّحَاحُ ٢: ٨٢٩ فَمِنْ دُونِ نَسْبَةٍ .

هَذَا ، وَقَدْ اخْتَلَفَ فِي ضَبْطِهِ بِمَا لَا يَخْلُ بِمَحَلِّ الشَّاهِدِ .

(١) مِنْ قَصِيدَةِ لِلشَّاعِرِ كَثِيرٌ عَزَّةٌ يَذْكُرُ فِيهَا حَبِيبَتَهُ عَزَّةً .

الْمَعْنَى: يَخَاطِبُ حَبِيبَتَهُ مَذْكُوراً إِنَّمَا أَنْ كُلَّ هَذَا التَّمَنُّعُ وَخَلْفَ الْوَعْدِ إِنَّمَا هُوَ نَتِيجَتُهُ لِذَلِكَ وَإِسْجَادَ عَيْنَيْكَ اللَّتَيْنِ تَصِيدِينَ الْعَاشِقَ بِسِحْرِهِمَا .

الشَّاهِدُ فِيهِ: «إِسْجَادُ» اسْتَعْمَلَهَا بِمَعْنَى فَتَوَّرَ الْعَيْنِ وَغَضَّهَا .

انْظُرْ: الدِّيَوَانَ ٦٩ ، قَصِيدَةُ ٢٥ ب ٢١ .

(٢) سُورَةُ الْجِنِّ ٧٢: ١٨ .

يَجْمَعُ تَضِلُّ الْبَلَقُ فِي حَجَرَاتِهِ تَرَى الْأَكْمَ فِيهِ سُجْدًا لِلْحَوَافِرِ^(١) [١٦٣]
كَأَنَّهُ قَالَ : مَذَلَّةٌ لِلْحَوَافِرِ^(٢).

وَالسُّجُودُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ : سَجْدَةُ الصَّلَاةِ ، وَسَجْدَةُ التَّلَاوَةِ ، وَسَجْدَةُ الشُّكْرِ ، وَسَجْدَةُ السُّهُوِّ .

وقوله : ﴿ أَبْنَى ﴾ :

معناه : ترك وامتنع . والإباءُ ، والامتناعُ ، والترُّكُ بمعنى .

ونقيض «أبنى» أجاب . يقال : أبْنَى يَأْبَى إِبَاءً ، وتَأْبَى تَأْبِيًّا .

قال صاحب العين : أَبْنَى يَأْبَى إِبَاءً : إِذَا تَرَكَ الطَّاعَةَ وَمَالَ إِلَى الْمَعْصِيَةِ ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ فَكَذَّبَ وَأَبَى ﴾^(٣) . وَكُلُّ مَنْ تَرَكَ أَمْرًا وَرَدَّهُ فَقَدْ أَبَاهُ . وَرَجُلٌ أَبْيٌّ وَقَوْمٌ أَبْيَوْنَ وَأَبَاءٌ ، قَالَ الشَّاعِرُ :

(١) البيت للشاعر المُقَلِّ زِيد الخِيل يصف جيشاً بالكثرة حتَّى أَنَّ الخِيلَ الْبَلَقُ - الْبِيضَاءُ فِي سَوَادٍ - لَشَهْرَةٍ مَنَظَرُهَا وَاخْتِلَافَ لَوْنِهَا لَا يَهْتَدِي إِلَيْهَا أَرْبَابُهَا إِذَا ضَلَّتْ عَنْهُمْ فِي أَطْرَافِهِ . هَذَا وَيَسْتَمِرُّ فِي مِبَالِغَتِهِ قَائِلًا : إِنَّ الْأَكْمَ - التَّلَالُ الصَّغِيرَ - تُرَى ، بَلْ تَصِيرُ مَذَلَّةً مَسْطُوحَةً تَحْتَ وَقَعِ حَوَافِرِ الْخِيلِ . وَهَذَا عَلَى مَذْهَبِ الْعَرَبِ فِي تَفْخِيمِ الْأُمُورِ الصَّغِيرَةِ حَيْثُ قِيلَ : إِنَّ الْجَيْشَ هَذَا كَانَ ثَلَاثَةَ أَشْخَاصٍ بِثَلَاثَةِ أَفْرَاسٍ . الشَّاهِدُ فِيهِ : اسْتِعْمَالُ «سَجْدًا» بِمَعْنَى التَّذَلُّلِ .

انظر : تأويل مشكل القرآن : ٤١٧ ، ديوان المعاني الكبير ٢ : ٨٩٠ ، الكافي في الأدب ٢ : ٧٣٤ ، الأضداد للأنباري : ٢٩٥ ت ١٩٥ ، الصاحب : ٤٥٣ . ولاحظ الديوان : ٦٥ قطعة ٢٨ ب ٢ . جمع د . القيسي .

(٢) اللَّغَةُ يَنْظُرُ لَهَا : الْعَيْنُ ٦ : ٤٩ ، جُمُهرَةُ اللَّغَةِ ١ : ٤٤٧ ، تَهْذِيبُ اللَّغَةِ ١٠ : ٥٦٩ ، الْمَحِيطُ فِي اللَّغَةِ ٧ : ٦ ، مَفْرُودَاتُ الرَّاغِبِ : ٣٩٦ ، لِسَانُ الْعَرَبِ ٣ : ٢٠٤ ، عَمَدَةُ الْحِفَظِ ٢ : ١٧٢ ، بَصَائِرُ ذَوِي التَّمْيِيزِ ٣ : ١٨٨ ت ٨ . «سَجْدًا» فِي الْجَمِيعِ . وَلاَحِظْ الزَّاهِرَ فِي مَعَانِي كَلِمَاتِ النَّاسِ ١ : ١٤١ .

(٣) سورة طه ٢٠ : ٥٦ .

أَبِي الضَّيْمِ ، مِنْ قَوْمِ أَبَاةٍ^(١) (١٦٤)

وليس الإباء بمعنى الكراهة ؛ لأنَّ العربَ تُمدحُ بأنَّها تأبى الضيمَ ، ولا مَدَحُ في كراهة الضيم ، وإنما المدحُ في المنع منه . كقوله : ﴿ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ ﴾^(٢) أي : يمنع الكافرين من إطفاء نوره .

والاستكبارُ والتَّكَبُّرُ ، والتَّعَظُّمُ والتَّجَبُّرُ نظائر . وضدَّه التواضع .
يقال : كَبُرَ كِبْرًا ، وَأَكْبَرُ إِكْبَارًا ، وَاسْتَكْبَرَ اسْتِكْبَارًا ، وَتَكَبَّرَ تَكَبُّرًا ، وَتَكَابَّرَ تَكَابُّرًا ، وَكَابَرَهُ مَكَابَرَةً ، وَكَبَّرَ تَكْبِيرًا .

قال صاحب العين : الْكِبَرُ : الْعَظَمَةُ . وَالْكَبِيرُ : الْإِثْمُ الْكَبِيرُ جُعِلَ اسْمًا مِنَ الْكَبِيرَةِ ؛ كَالْخِطَاءِ وَالْخَطِيئَةِ . وَكَبُرَ كُلُّ شَيْءٍ مُعْظَمُهُ . وَالْكَبَرُ : مُصَدَّرُ الْكَبِيرِ فِي السَّنِّ مِنْ جَمِيعِ الْحَيَوَانِ . فَإِذَا أَرَدْتَ الْأَمْرَ الْعَظِيمَ قُلْتَ : كَبُرَ هَذَا الْأَمْرُ كِبَارَةً . وَالْكِبَارُ فِي مَعْنَى الْكَبِيرِ^(٤) .

ويقال : أَكْبَرْتُ الشَّيْءَ : إِذَا أَعْظَمْتَهُ . وَمِنْهُ قَوْلُهُ : ﴿ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ

(١) من قصيدة للطَّرِمَاحِ الحَكَم بن حَكِيم بن الحَكِيم الطائِي ت ح ١١٠هـ ، وتمامه :
نماني كُلُّ أَصِيدٍ مِنْ أَمَانٍ
المعنى : نماني : رفعني ، نسبني . الْأَصِيدُ : الْعَزِيزُ النَّفْسُ الْمُتَكَبِّرُ . أَمَانُ : أَحَدُ أَجْدَادِ الشَّاعِرِ .

الشاعر يفخر بحسبه وأجداده وصفاتهم ، ومنها : إِبَائُهُمُ الضَّيْمُ .
الشاهد فيه : استعمال «أبي» بمعنى ذو إباء وترك امتناع . هذا ، وفي الديوان عوض «قوم» جاء : «نَقَرٌ» ولا ضير فيه إذ هما بمعنى واحد .
انظر : الديوان : ٦٢ ق ٣ ب ٤١ .

(٢) العين ٨ : ٤١٨ . وانظر : تهذيب اللغة ١٥ : ٦٠٤ ، المحيط في اللغة ١٠ : ٤٤٨ ، الصحاح ٦ : ٢٢٥٩ ، لسان العرب ١٤ : ٣ ، «أبي» فيها .

(٣) سورة التوبة ٩ : ٣٢ .

(٤) انظر العين ٥ : ٣٦١ «كَبَرُ» ، وانظر الهامش «٢» الآتي .

أَكْبَرُهُ ﴿١﴾ .

والتَّكْبِيرُ في الصلاة: تَفْعِيلٌ مِنْ قَوْلِهِمْ: اللَّهُ أَكْبَرُ .

وأَصْلُ الباب: الْكِبَرُ وهو الْعُظْمُ . ويقال على وجهين: كِبَرُ الْجُثَّةِ ، وهو الْأَصْلُ ، وذلك لا يجوز عليه تعالى . وَكِبَرُ الشَّانِ ، والله تعالى الْكَبِيرُ مِنْ كِبَرِ الشَّانِ . وذلك يرجع إلى سعة مَقْدُورِهِ وَمَعْلُومِهِ . وَتَحْقِيقُهُ: إِنَّهُ قَادِرٌ عَلَى مَا لَا يَتَنَاهَى مِنْ جَمِيعِ أَجْناسِ الْمَقْدُورات . وَعَالِمٌ بِكُلِّ مَعْلُومٍ .
والاستِكْبَارُ: الْأَنَفَةُ مِمَّا لَا يَنْبَغِي أَنْ يُؤْنَفَ مِنْهُ ^(٢) .

وموضع ﴿إِذْ﴾ في قوله: ﴿وَإِذْ قُلْنَا﴾ نَصَبٌ ؛ لَأَنَّهُ عطف على «إِذ» الأولى ^(٣) ، كَأَنَّهُ قال : واذكر إِذ .

وقال أبو عُبَيْدَةَ: لا موضع لها من الإعراب ؛ لأنها زائدة . وأنشد :
[١٤٦] حَتَّى إِذَا أَسْلَكُوهُمْ فِي فَنَائِدَةٍ شَلًّا كَمَا تَطْرُدُ الْجَمَالَ الشُّرُدا
وقال: المراد ^(٤) . واستشهد به على وجهين كل واحد منهما
ينقض الآخر .

فأحد الوجهين قوله: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَهَا فَتَحَتْ أَبْوَبَهَا﴾ ^(٥) فلم
يأت لـ ﴿إِذْ﴾ جواب .

(١) سورة يوسف ١٢ : ٣١ .

(٢) وللتوسعة في المادة «كَبَر» انظر: تهذيب اللغة ١٠ : ٢٠٩ ، المحيط في اللغة ٦ : ٢٥٦ ، المحكم والمحيط الأعظم ٧ : ١١ ، الصحاح ٢ : ٨٠١ ، لسان العرب ٥ : ١٢٥ ، بصائر ذوي التمييز ٤ : ٣٢٣ ، عمدة الحفاظ ٣ : ٣٦٥ .

(٣) في الآية الكريمة : ٣٠ .

(٤) الظاهر وجود سقط هنا لم نصل إليه . وفي «خ» : قال الميرد : واستشهد... ولم نجد له سواء في مصنفاته المتوفرة أو في المحكي عنه .

(٥) سورة الزمر ٣٩ : ٧١ .

والوجه الآخر استشهد به على زيادة ﴿إِذْ﴾ في هذا الموضع .
وكلا الوجهين خطأ عندي ؛ لأنّ الجواب في قوله : قتادة ، هو قوله :
شَلًّا ، بوقوعه موقع : شَلَّوهم شَلًّا ، كما يقول القائل : إذا أتيت الحرب
فضرباً وطعنأ .

وأما الزيادة فقد بيّنا وجه الخطأ فيها في ما تقدّم^(١) .
واختلف في أمر الملائكة والسجود لآدم على وجهين :
الأول : قال قوم : إنّه أمرهم بالسجود له تَكْرِمة له وتعظيماً لشأنه . وهو
المروي في تفاسيرنا وأخبارنا^(٢) ، وهو قول قتادة وجماعة من أهل العلم ،
واختاره ابن الإخشيد والرماني ، وجرى ذلك مجرى قوله : ﴿وَحَرُّوا لَهُ
سُجْدًا﴾^(٣) في أولاد يعقوب ، ولأجل ذلك جعل أصحابنا هذه الآية دلالة
على أنّ الأنبياء أفضل من الملائكة من حيث أمرهم بالسجود له والتعظيم
على وجه لم يثبت ذلك لهم ، بدلالة امتناع إبليس من السجود له وأنفثه من
ذلك ، وقوله : ﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ
الْقِيَمَةِ لَأَحْنَنَنَّ دُرِّيَّةَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(٤) ولو كان ذلك على وجه كونه قبله لما
كان لذلك وجه ، ولا فيه أنفة .

ولا يحسن أن يؤمر الفاضل بتعظيم المفضول على نفسه ؛ لأنّ ذلك

(١) انظر البحث كاملاً في : ٧ - ١٠ ، واختلاف النقل عن أبي عبيدة في : ٨ هامش ٣ .

(٢) أشارت إليه المصادر التالية : تفسير القمي ١ : ١٨ ، التفسير المنسوب للإمام
العسكري (عليه السلام) : ٣١٩ ، عيون الأخبار للصدوق ١ : ٢٦٢ ح ٢٢ ضمن حديث المعراج
الطويل ، والحظ : تفسير جامع البيان ١ : ١٨١ ، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم
الرازي ١ : ٨٢ ت ٣٥٩ ، تفسير الحسن البصري ٢ : ٣٧ ت ٣٩ ، وغيرها .

(٣) سورة يوسف ١٢ : ١٠٠ .

(٤) سورة الإسراء ١٧ : ٦٢ .

سفه . وسنَّين قول من خالف فيه وشَبَّهَهُم .

وقال الجُبائي والبلخي وجماعة : إنَّه جعله قبلَةً لهم فأمرهم بالسجود إلى قبلتهم . وفيه ضرب من التعظيم له .

وهذا ضعيف ؛ لأنَّه لو كان على وجه القبلة لما امتنع إبليس من السجود ، ولما استعظمته الملائكة ، ولكن لما رأوا أنَّ ذلك تعظيم له على وجه ليس بثابت لهم ، امتنع إبليس وتكبر^(١) .

واختلفوا في إبليس هل كان من الملائكة أم لا ؟

فقال ابن عباس وابن مسعود وابن المسيَّب وقتادة وابن جريج والطبري : إنَّه كان منهم ؛ بدلالة استثنائه من جملتهم هاهنا في قوله : ﴿ إِلَّا

(١) من البحوث القديمة في التراث العقائدي المعرفي الإسلامي بحث تفضيل الأنبياء على الملائكة ، وقد اختلفت الآراء فيه بين المدارس الكلامية فبعض قدَّم الأنبياء على الملائكة مثل الشيعة الاثني عشرية وبعض من غيرهم . وآخرون - كالمعتزلة - ذهبوا إلى العكس . ولكلِّ دليله ولايسع الهامش التعرُّض له فيه . للتوسعة انظر : علل الشرائع ١ : ٥ ب ٧ الأحاديث ، كمال الدين وتمام النعمة ١ : ٢٥٤ ب ٢٣ ح ٤ ، عيون أخبار الرضا^(عليه السلام) ١ : ٢٦٢ ب ٢٦ ح ٢٢ ، بحار الأنوار ١١ : ١٤٩ ب ٢ ح ٢٥ ، و٢٦ : ٣٣٥ ب ٨ ح ١ . أوائل المقالات : ٨٣ ، أمالي المرتضى ٢ : ٣٣٣ ، رسائل الشريف المرتضى ١ : ١٠٩ م ٣ ، تفسير الحسن البصري (جمع) ٢ : ٣٧ ت ٣٩ ، تفسير زيد الشهيد : ٨٠ ، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازي ١ : ٨٣ ت ٣٥٩ ، تفسير بحر العلوم ١ : ١١ ، تفسير النكت والعيون ١ : ١٠١ ، تفسير القرآن للسلمي ١ : ١١٦ ، تفسير كتاب الله العزيز للهواري ١ : ٩٦ ، تفسير الوسيط ١ : ١١٩ ، وانظر : تفسير المحرر الوجيز ١ : ١٧٧ - ١٨١ ، تفسير معالم التنزيل ١ : ٦٥ ، معاني القرآن للقرطبي ٢ : ٨٨ ، الزاهر في معاني كلمات الناس ١ : ١٤٢ ، تفسير غرائب القرآن للنيسابوري ١ : ٢٣٩ ، التفسير الكبير للفخر الرازي ٢ : ٢١٥ ، أحكام القرآن للجصاص ١ : ٣٧ ، الباب في علوم الكتاب ١ : ٥٢٩ ، الأربعين في أصول الدين للرازي ١٧٧ م ٣٣ ، أصول الدين للبغدادي ٢٩٥ م ١ . وانظر : معجم العناوين الكلامية : ٤٢ ، الذريعة إلى تصانيف الشيعة للشيخ الطهراني ٤ : ٣٥٥ ت ١٥٥٣ وما بعده مدخل «التفضيل» .

إِبْلِيسَ أَبِي وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿١﴾ وقوله تعالى : ﴿ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ﴾ ^(١) مع قوله : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ ﴾ ، وهو المروي عن أبي عبدالله عليه السلام والظاهر في تفاسيرنا ^(٢) .

ثم اختلف من قال : إنه كان منهم :

فمنهم من قال : إنه كان خازناً على الجنان .

ومنهم من قال : كان له سلطان سماء الدنيا و سلطان الأرض .

ومنهم من قال : إنه كان يسوس ما بين السماء إلى الأرض .

(١) سورة الأعراف ٧ : ١٢ .

(٢) اختلف السلف - وبمختلف مدارسهم الكلامية - في أن إبليس من الملائكة أم من الجن ؟ وإلى كل ذهب فرقة مستدلّين بأدلة .

وقد توسّع الخلاف حتّى انسحب إلى النحويّين في توضيح حال الاستثناء هل هو متّصل أم منقطع ، وأنّ « كان » في الآية هنا وفي سورة الكهف ١٨ : ٥٠ تامّة أم ناقصة ، وإلى كلّ ذهب جمع .

والتعرّض إلى التفصيل لا يسعه المقام فالإحالة أفضل انظر :

تفسير محمّد بن إسحاق « جمع » : ٢٠ ، تفسير الحسن البصريّ « جمع » ٢ : ٣٨ ت ٤٠ ، تفسير جامع البيان ١ : ١٨٠ ، تفسير علي بن إبراهيم القميّ ١ : ٣٥ ، المجموعة الفاخرة : ٤٨٧ ، تفسير العياشيّ ١ : ٣٢٨ ح ٣٦ ، أوائل المقالات : ١٤٩ ، معاني القرآن للزجاج ١ : ١١٣ ، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١ : ٨٤ ت ٣٦١ ، كتاب العظمة لأبي الشيخ : ٤١٦ باب ذكر الجنّ وخلقهم ت ١٠٩٣ وما بعده ، تفسير النكت والعيون ١ : ١٠٢ و ٣ : ٣١٣ ، تفسير السلميّ ١ : ١١٦ ، وضح البرهان ١ : ٦٥ ، تفسير السمعانيّ ١ : ٦٦ ، تفسير الجامع لأحكام القرآن ١ : ٢٩٤ ، تفسير الوسيط ١ : ١٢٠ ، تفسير المحرّر الوجيز ١ : ١٧٧ - ١٨١ ، تأويلات أهل السنّة ١ : ٣٧ ، تفسير الكشاف ١ : ٢٧٣ ، التفسير الكبير ٢ : ٢١١ و ٢٢ : ١٣٥ ، تفسير القرآن العظيم لابن أبي زَمَيْنٍ ١ : ٦٨ ، اللّباب في علوم الكتاب ١ : ٥٤٠ بتفصيل و ١٢ : ٥٠٧ ، البرهان في تفسير القرآن ١ : ١٦٩ وما بعدها ، ولاحظ : تفسير معالم التنزيل ١ : ٦٥ و ٣ : ٥٧٥ ، تفسير زاد المسير ١ : ٦٥ ، وانظر : أعلام القرآن : ٣٢ .

وقال الحسن البصري، وقتادة - في رواية ابن زيد - والبلخي،
والرماني وغيره من المتأخرين: إنه لم يكن من الملائكة، وأن الاستثناء في
الآية استثناء منقطع، كقوله تعالى: ﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ
الظَّنِّ﴾^(١)، وقوله: ﴿فَلَا صَرِيحَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ * إِلَّا رَحْمَةً
مِّنَّا﴾^(٢)، وكقوله: ﴿لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ﴾^(٣)،
وكقول الشاعر - وهو النابغة -:

[٥١] وَقَفْتُ فِيهَا أَصِيلًا أَسَائِلُهَا عَيْثُ جَوَابًا، وَمَا بِالرَّئِيعِ مِنْ أَحَدٍ
إِلَّا الْأَوَارِيَّ لَأَيًّا مَا أُبَيِّتُهَا وَالتُّؤِيَّ كَالْحَوْضِ بِالْمَظْلُومَةِ الْجَلْدِ
وَأُنْشَدَ سَيَبُوه:

[١٦٥] وَالْحَرْبُ لَا يَبْقَى لِحَا حِمِهَا التَّخَيُّلُ وَالْمِرَاحُ
إِلَّا الْفَتَى الصَّبَّارُ فِي الدَّ نَجْدَاتِ وَالْفَرَسُ الْوَقَاحُ^(٤)

(١) سورة النساء ٤: ١٥٧ .

(٢) سورة يس ٣٦: ٤٣ - ٤٤ .

(٣) سورة هود ١١: ٤٣ .

(٤) من قصيدة لسعد بن مالك يتعرّض فيها للحارث بن عبّاد؛ لاعتزاله حرب البسوس
بين أبناء العمّ - تغلب وبكر ابني وائل - ولم يندفع لخوض غمارها إلا حين علم
بقتل ابن أخيه .

الجاحم: الحجم الشديد من كلّ شيء، شديد الاشتعال، شدة القتل في
الحرب، وشدة اضطرام الحرب . المراح: النشاط . النجدة والنجدات: الشدة
والشدائد، والبأس . الوقاح: الحافر الشديد والصلب للفرس، ومنه: الوقاحة .
التّخيل: التكبر، من الخيلاء . الصّبار: مبالغة في الصابر .

تعرّض للقصيدة واستشهد بالآيات جمع، انظر: الكتاب ٢: ٣٢٤، معاني
القرآن وإعرابه للزّجاج ٢: ٢٠١، الحماسة لأبي تمام: ١٤٤ ت ١٦٨، شرح
المرزوقي للحماسة ٢: ٥٠٠ ت ١٦٨، شرح التبريزي للحماسة ٢: ٢٩، الأغاني
٥: ٤٦، خزنة الأدب ١: ٤٦٨، ش ٨١، وانظر: معجم الشعراء الجاهليين: ١٦٥ .

وقال آخر :

وَبَلَدَةٍ لَّيْسَ بِهَا أَنْيْسٌ إِلَّا الْيَعَافِرُ وَالْأَلْعِيسُ ^(١) [١٦٦]
واستدل الرماني على أنه لم يكن من الملائكة بأشياء :
منها : قوله تعالى : ﴿ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ ^(٢) فنفى عنهم المعصية نفياً عاماً .
والثاني : إنه قال تعالى : ﴿ إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ ﴾ ^(٣) ومتى أطلق
لفظ الجن لم يجز أن يعني به إلا الجنس المعروف المبين لجنس الإنس
والملائكة .

والثالث : إن إبليس له نسل وذرية . قال الحسن : إبليس أبو الجن ،
كما أن آدم أبو الإنس . وإبليس مخلوق من النار ، والملائكة روحانيون

(١) رُزِقَ البيت هذا حظاً من الشهرة في مصادر الأدب واللغة والاستشهاد به ، إلى جنب
مقدار من التصحيف والاختلاف لا يستهان به . فعلى رواية المصنف :
البلدة : قطعة من الأرض . الأنيس : المؤنس من الناس . اليعافير : جمع يعفور
وهو : التراب ، أو ولد الظبية ، وقيل : ولد البقرة الوحشية . العيس : الإبل البيض
التي يخالط بياضها سمرة ، جمع أعيس وعيساء .
الشاهد فيه : الاستثناء ، حيث إن المستثنى - اليعافير والعيس - من غير جنس
المستثنى منه ، والشاعر اعتبرها منه توسعاً . والاستثناء منقطع والرفع على البدلية .
للتوسعة ينظر : معاني القرآن للقرآء ١ : ٢٨٨ و ٢ : ١٥ ، المقضب ٤ : ٤١٤ ،
الكتاب ١ : ٢٦٣ و ٢ : ٣٢٢ ، النكت في تفسير كتاب سيبويه ١ : ٦٢٥ ، شرح أبيات
سيبويه للنحاس ٥٣ ت ٦٨ ، الإنصاف ١ : ٢٧١ ت ١٦٠ ، الصاحبى ١٨٧ ، شرح
المفصل ٢ : ٨٠ ، خزنة الأدب ١٠ : ١٥ ش ٨٠٤ ، مجالس ثعلب ١ : ٢٦٢ و ٢ :
٣٨٤ ، وانظر ديوان جران العود النميري صنفه محمد بن حبيب : ٩٧ . وانظر
مجموع ما نسب للعجاج ذيل ديوانه ٢ : ٤٨٦ ت ٦ . وغيرها كثير .

(٢) سورة التحريم ٦ : ٦٦ .

(٣) سورة الكهف ١٨ : ٥٠ .

خلقوا من الريح ، في قول أبي علي^(١) . وقال الحسن : خُلِقُوا مِنَ النَّارِ لَا يَتَنَاسَلُونَ وَلَا يَطْعَمُونَ وَلَا يَشْرِبُونَ .

وقال الله تعالى في إبليس وولده : ﴿ أَفْتَحِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ ﴾^(٢) .

والرابع : - وهو أقواها عنده - ، قوله تعالى : ﴿ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولَىٰ أَجْنَحَةٍ مِّثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبْعَ ﴾^(٣) فعَمَّهَا بالوصف بالرسالة . ولا يجوز على رُسُل الله أَنْ يَكْفُرُوا وَلَا يَفْسُقُوا كَالرُّسُلِ مِنَ الْبَشَرِ .

والجواب عما ذكره أولاً : إِنْ قَوْلُهُ : ﴿ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ ﴾^(٤) صفةٌ لخزنة النيران لا لجميع الملائكة ، يدلُّ على ذلك قوله : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوًا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاطٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾^(٥) . وليس إذا كان هؤلاء معصومين وجب ذلك في جميعهم .

والجواب عما ذكره ثانياً : إِنْ قَوْلُهُ : ﴿ كَانَ مِنَ الْجِنِّ ﴾^(٦) معناه : صار . ذكر ذلك الأخفش وجماعة من أهل اللغة .

وقيل أيضاً : إِنْ إبليس كان من طائفة من الملائكة يُسَمَّوْنَ «جَنًّا» من حيث كانوا خزنة الجنة .

وقيل : سَمَّوْا بِذَلِكَ ؛ لِاخْتِفَائِهِمْ عَنِ الْعِيُونِ . كما قال أعشى قيس بن

(١) ما ذكر تجده ضمن المصادر المتقدمة في : ٦٢ هامش ٢ ولكن من دون نسبة .

(٢) سورة الكهف : ١٨ : ٥٠ .

(٣) سورة فاطر : ٣٥ : ١ .

(٤) سورة التحريم : ٦٦ : ٦ .

(٥) سورة التحريم : ٦٦ : ٦ .

(٦) سورة الكهف : ١٨ : ٥٠ .

ثعلبة :

وَلَوْ كَانَ شَيْءٌ خَالِداً أَوْ مُعَمِّراً
بَرَاهُ إِلَهِي وَأَضْطَفَاهُ عِبَادَهُ
لَكَانَ سَلِيمَانُ الْبَرِيءُ مِنَ الدَّهْرِ [١٦٧]
وَمَلَكُهُ مَا بَيْنَ ثَرِيًّا إِلَى مُضِرٍّ
وَسَخَّرَ مِنْ جِنِّ الْمَلَائِكِ تِسْعَةً
قِيَاماً لَدَيْهِ يَغْمَلُونَ بِلاَ أَجْرِ^(١)
وقد قال الله تعالى : ﴿ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نِجَابًا ﴾^(٢) ؛ لَأَنْ
قَرِيشاً قَالَتْ : الْمَلَائِكَةُ بَنَاتُ اللَّهِ^(٣) .

والجواب عما ذكره ثالثاً - إن إبليس له نسل وذرية - : طريقه الأحاد .
ولو كان صحيحاً لم يمنع أن يكون الله تعالى ركب فيه شهوة النكاح ؛ تغليظاً
عليه في التكليف ، وإن لم يكن ذلك في باقي الملائكة ، فلا وجه
لاشتباده .

والجواب عما ذكره رابعاً - قوله : ﴿ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولَى

(١) الأبيات تخلو منها طبعات الديوان المتوفرة . قيل : إنها في طبعة المستشرق جابر ،
وفي الملحقات منه : ٢٢٣ مثبة .

وقد نسبها إلى الأعشى أغلب من ذكرها منهم : محمد بن إسحاق في تفسيره ٢٠ ،
والطبري في جامعه ١ : ١٧٩ ، والأنباري في أضداده : ٣٣٥ ت ٢٢٣ ، والماوردي في
نكتة ١ : ١٠٣ .

المعنى العام والمراد واضح . والدهر : كناية ، أو هو : الحوادث والمصائب .
ثرياً : كذا ، وفي الأضداد : ترني محل في ديار بني سعد ، معجم ما استعجم ١ :
٣١٠ ، ولم نجد لها ذكراً في ما توفّر لدينا من معاجم البلدان والأمكنة على تعددها .
الشاهد : قوله « من جنّ الملائك » . حيث أراد من « الجنّ » كل ما استتر ولم يظهر
ولم يُر ، وأطلق على الملائكة « جنّاً » ؛ لاستتارها وعدم رؤيتها .

(٢) سورة الصافات ٣٧ : ١٥٨ .

(٣) مصادر الأقوال ضمن المصادر المتقدمة في ٦٢ هامش ٢ .

أَجْنِحَةٍ ﴿١﴾ - : فمعارض بقوله : ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا﴾ ﴿٢﴾ فَإِنْ كان ظاهر تلك يقتضي العموم فظاهر هذه يقتضي التخصيص ؛ لأن « مِنْ » للتبعية بلا خلاف ، ولو لم يكن كذلك لجاز لنا أَنْ تُخَصَّ هذا العموم بقوله : ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ ﴿٣﴾ ؛ لأنَّ حمل ظاهر الاستثناء على أَنَّهُ منقطع حمل له على المجاز . كما أَنَّ تخصيصَ العموم مجاز ، وإذا تعارضا سقطا .

فأما ما روي عن ابن عباس : من أَنَّ الملائكة كانت تقاتل الجنَّ ، فسُبي إبليس ، وكان صغيراً فكان مع الملائكة فتعبد معها ، فلما أُمروا بالسجود لآدم فسجدوا وأبى إبليس ، فلذلك قال الله تعالى : ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾ ﴿٤﴾ .

فإنَّه خبر واحد لا يصحّ .

والمعروف عن ابن عباس ما قلناه : إنَّه كان من الملائكة فأبى واستكبر وكان من الكافرين ﴿٥﴾ .

ومن قال : إنَّ إبليس خُلِقَ من نار ومن مارج ﴿٦﴾ ، والملائكة لم يخلقها

(١) سورة فاطر ٣٥ : ١ .

(٢) سورة الحجّ ٢٢ : ٧٥ .

(٣) مقطع من آية تكرر في : سورة البقرة ٢ : ٣٤ ، وسورة الأعراف ٧ : ١١ ، وسورة الإسراء ١٧ : ٦١ ، وسورة الكهف ١٨ : ٥٠ ، وسورة طه ٢٠ : ١١٦ ، وسورة ص ٣٨ : ٧٣ - ٧٤ .

(٤) سورة الكهف ١٨ : ٥ .

(٥) تقدّم في صفحة ٦٢ .

(٦) لعلّه إشارة إلى ما ورد في سورة الرحمن ٥٥ : ١٥ .

والمارج : الشعلة الساطعة ذات اللهب الشديد ، المختلطة بسواد النار ، أو التي لا دخان لها لشدّتها .

من ذلك .

فقوله ضعيف ؛ لأنه لا يمتنع أن يكون الله تعالى خلق الملائكة أصنافاً : صنفاً من نار ، وصنفاً من نور ، وصنفاً من غير ذلك ، وصنفاً اخترعهم لا من شيء ، فاستبعاد ذلك ضعف معرفة .

وإبليس : قال الزَّجَّاج والرماني وغيرهما من النحويين : إنه ليس بمأخوذ من الإبلas ، كقوله : ﴿ مُبْلِسُونَ ﴾ ^(١) أي : آيسون من الخير . قالوا : لأنه أعجمي معرب ، بدلالة أنه لا يصرف ؛ للعجمة والتعريف ^(٢) .

وقال الطبري : هو مشتق من الإبلas ووزنه إفعيل . وأنشد للعجاج :

يا صاح، هلْ تَعْرِفُ رَسْمًا مُكْرَسًا؟

قال : نَعَمْ ، أَعْرِفُهُ . وَأَبْلَسًا ^(٣)

[١٦٨]

﴿ انظر : العين ٦ : ١٢٠ ، جمهرة اللغة ١ : ٤٦٦ ، تهذيب اللغة ١١ : ٧١ ، المحيط في اللغة ٧ : ١٠٣ الصحاح ١ : ٣٤٠ ، لسان العرب ٢ : ٣٦٤ ، مفردات ألفاظ القرآن : ٧٦٤ ، مَرَجَ فيها .

(١) وردت في سورة الأنعام ٦ : ٤٤ ، سورة المؤمنون ٢٣ : ٧٧ ، سورة الروم ٣٠ : ٤٩ ، سورة الزخرف ٤٣ : ٧٥ .

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ١ : ١١٤ ، مجاز القرآن ١ : ٣٨ ، مشكل إعراب القرآن ١ : ٣٧ ت ٧٥ ، وانظر : المُنْصَف ١ : ١٢٧ ، إعراب القرآن للنحاس ١ : ٢١٢ ، البيان في غريب إعراب القرآن ١ : ٧٤ ، إملاء ما من به الرحمن ١ : ٣٠ ، التبيان في إعراب القرآن ١ : ٥١ ، ولاحظ : المعرب للجواليقي : ٢٣ .

ومن كتب اللغة ينظر «بَلَسَ» في : العين ٧ : ٢٦٢ ، تهذيب اللغة ١٢ : ٤٤١ ، المحيط في اللغة ٨ : ٣٢٨ ، الصحاح ٣ : ٩٠٩ ، مفردات ألفاظ القرآن الكريم : ١٤٣ ، وانظر هامش : ٣ من صفحة : ٥٤ و٦٢ ، هامش ٢ .

(٣) الديوان ١ : ١٨٥ ق ١١ ب ١ .

المُكْرَسُ : المُتَلَبَّد من كثرة البَعْرِ والبَوْل عليه حتَّى يكون طرائق بعضه فوق بعض . أَبْلَسَ : سَكَتَ حُزناً وغمّاً ؛ أو إذا انْقَطَعَتْ حُجَّتُهُ ولم يَجْزُ جواباً .

وقال رؤية :

[١٦٩]

وَعَرَفَتْ يَوْمَ الْخَمِيسِ الْأَخْمَاسَ

وَفِي الْوُجُوهِ صُفْرَةٌ وَإِبْلَاسٌ^(١)

يعني : اكتئاباً وكسوفاً .

وقال : إنما لم يُجَرَّ استقلاً ؛ من حيث كان اسماً لا نظير له من أسماء

العرب فشبه بأسماء العجم التي لا تنصرف .

وزعم أن «إسحاق» لا يُجَرُّ ، وهو مِنْ أَسْحَقَه الله إسحاقاً ، وأن

«أيوب» من آب يؤوب على زينة فيعول ، كقَيُوم من قام يقوم^(٢) .

قال الرماني : غَلِطَ في جميع ذلك ؛ لأنها ألفاظ عُرِّبَت من العجمية

ووافقت ألفاظ العربية^(٣) . وكان ابن السراج يمثل ذلك - على جهة التبعيد -

بمن زعم : أن الطير ولد الحوت^(٤) .

(١) من أرجوزة في الديوان : ٦٦ ق ٢٤ ب ٣٩ و ٤١ وهما شطران متتاليان لبيتين ،

هكذا :

وَعَرَفَتْ يَوْمَ الْخَمِيسِ الْأَخْمَاسَ

وَقَدْ نَزَتْ بَيْنَ التَّرَاقِيهِ الْأَنْفَاسَ

وَفِي الْوُجُوهِ صُفْرَةٌ وَإِبْلَاسَ

مَنْ يَرِدُ الْمَوْتَ وَقَدْ هَابَ النَّاسَ

اختلف في سبب إنشائها . واختلفت المصادر والديوان في الضبط . وليس له

على الشاهد تأثير .

الشاهد : ما ذكره المصنّف ﷺ من استعمال «إبلاس» بمعنى الاكتئاب

والانكساف .

(٢) تفسير جامع البيان ١ : ١٨٠ . وانظر : تفسير الشهيد زيد بن علي : ٨١ ، تفسير

غريب القرآن لابن قتيبة : ٢٣ ت ٥ .

(٣) المتوقّر من مؤلفاته لدينا لا يفى بالمراد .

(٤) نسب إليه في المعرب للجواليقي : ٣ عن كتابه الاشتقاق ، وانظر المزهر ١ : ٣٥١ .

وَعَلِطَ أَيْضاً فِي قَوْلِهِ: إِنَّهُ لَا نَظِيرَ لَهُ فِي أَسْمَاءِ الْعَرَبِ: لِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ: إِزْمِيلَ لِلشُّفْرَةِ، قَالَ الشَّاعِرُ:

هُمْ مَنَعُوا الشَّيْخَ الْمَنَافِيَّ بَعْدَ مَا رَأَى حُمَةً الْإِزْمِيلِ فَوْقَ الْبَرَاجِمِ^(١) [١٧٠]
وَالْإِغْرِيبُ: الطَّلَعُ. وَالْإِخْرِيبُ: صُنْبُغٌ أَحْمَرٌ، وَقَالُوا: هُوَ الْعُصْفَرُ.
وَسَيْفٌ إِصْلِيلٌ: مَاضٍ، كَثِيرُ الْمَاءِ. وَثُوبٌ إِضْرِيحٌ: مُشَبَّعٌ الصَّبْغِ، وَقَالُوا:
هُوَ مِنَ الصَّفْرَةِ خَاصَةً^(٢).

(١) أَقْدَمَ مِنْ ذَكَرِهِ ابْنُ حَبِيبٍ فِي الْمَنْتَقِ: ٦٩ نَاسِباً إِتَاهُ لَهُ لَشِيْبَانُ بْنُ جَابِرِ السَّلْمِيِّ، وَهُوَ ثَالِثُ بَيْتٍ مِنْ ثَلَاثَةٍ.

الْمَعْنَى: لَمَّا أَرَادَتْ قَرِيْشُ عَقَابَ سَرَّاقِ غَزَالِ الْكَعْبَةِ - وَكَانَ مِنَ الذَّهَبِ - بِالْقَطْعِ، وَصَلَتْ النُّوبَةُ لِأَبِيِّ لَهَبٍ وَكَانَ مِنْهُمْ، فَحَمَتَهُ أَخْوَالُهُ مِنْ خِرَازَةِ وَمَنَعُوا قَطْعَهُ.
الْمَعْنَى: هُمْ: إِشَارَةٌ إِلَى خِرَازَةِ. الشَّيْخُ: إِشَارَةٌ إِلَى أَبِي لَهَبٍ. الْمَنَافِي: مِنْ صَدَرَ مِنْهُ عَمَلٌ خِلَافَ. حُمَةً: الْحَدُّ. الْإِزْمِيلُ: الشُّفْرَةُ. الْبَرَاجِمُ: الْأَصَابِعُ.
انْظُرْ: الْمَنْتَقِ: ٦٩، الْاِشْتِقَاقُ: ١٢١، جُمُهرَةُ اللَّغَةِ ٢: ٨٢٦.

(٢) مَعَانِي الْأَلْفَاظِ وَاللُّغَةِ:

إِزْمِيلٌ: شُفْرَةُ الْحَدَّاءِ الشَّدِيدَةِ وَالسَّرِيعَةِ الْقَطْعِ، وَمِنْهُ: رَجُلٌ إِزْمِيلٌ: شَدِيدُ الْأَكْلِ.
إِغْرِيبُ: الْبَرْدُ، وَقِيلَ: طَلَعُ النَّخْلِ قَبْلَ أَنْ يَنْشَقَّ عَنْهُ كَافُورُهُ، أَيْ: غِلَافُهُ. وَكُلُّ أَبْيَضٍ طَرِيٍّ.

الْإِخْرِيبُ: الصَّنْبُغُ الْأَحْمَرُ، وَقِيلَ الْعُصْفَرُ، وَالْمُخْرَضُ: الْمَصْبُوغُ بِهِ، وَقِيلَ: السَّاقِطُ الَّذِي لَا يَقْدَرُ عَلَى النَّهْوِضِ، أَوْ: مَنْ لَا خَيْرَ فِيهِ.
الْإِصْلِيلُ: السَّيْفُ الصَّارِمُ الْمُجَرَّدُ الْمُصَلَّتُ، الْمَاضِي الضَّرْبَةِ.

الْإِضْرِيحُ: كَسَاءٌ يَتَّخِذُ مِنْ أَجُودِ الْمَرْعَزِيِّ، وَالشَّدِيدِ الْعَدُوِّ، وَالْمَتَضَرِّجُ بِالْحُمْرَةِ أَوْ الصَّفْرَةِ، وَمِنْهُ: الْمَضْرَجُ بِالذَّمَاءِ.

وَأَمَّا اللَّغَةُ عَلَى التَّوَالِي - زَمَلٌ، غَرَضٌ، حَرَضٌ، صَلَتْ، صَرَجَ - انْظُرْهَا فِي:
الْعَيْنِ ٧: ٣٧١، ٤: ٣٦٤، ٣: ١٠٣، ٧: ١٠٥، ٦: ٤١.

جُمُهرَةُ اللَّغَةِ ٢: ٨٢٨، ٢: ٧٤٩، ١: ٥١٥، ١: ٤٠٠، ١: ٤٥٩.

تَهْذِيبُ اللَّغَةِ ١٣: ١٧٤، ٨: ٦، ٤: ٢٠٣، ١٢: ١٥٣، ١٠: ٥٥٢.

وسبيل إبليس سبيل إنجيل في أنه معرّب غير مشقّ .

﴿وَأَسْتَكْبِرْ﴾ :

وحَدّ الاستكبار : الرفع للنفس إلى منزلة لا تُستحقّ .

قوله : ﴿وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ :

قال قوم : يدلّ على أنه كان قبله قومٌ كفّار من الجنّ .

وقال آخرون : لا يدلّ ، ويجري ذلك مجرى قول القائل : كان آدم من

الإنس ، ولم يكن قبله إنسيّ . وكان إبليس من الجنّ ، ولم يكن قبله جنيّ^(١) .

ومعناه : صار من الكافرين .

ومن قال : إنّ إبليس لم يكن من جملة الملائكة ، قال : كان من جملة

المأمورين بالسجود لآدم بدلالة قوله : ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾^(٢) ؟

ولأنه لما استثناه من جملة من لم يكن منهم علمنا أنه كان من جملة المأمورين

بالسجود ، كقول القائل : أُمِرَ أهل البصرة بدخول الجامع ، فدخلوا إلّا رجلاً من

أهل الكوفة . فإنه يُعلم بهذا أنّ غير أهل البصرة كان مأموراً بدخول الجامع

غير أنّ أهل البصرة كانوا أكثر ؛ فلذلك خُصّوا بالذكر . وكذلك القول في الآية .

ومن استدلّ بهذه الآية : على أنّ أفعال الجوارح من الإيمان ، من

حيث لو لم يكن كذلك لوجب أن يكون إبليس مؤمناً بما معه من المعرفة

المحيط في اللغة ٩ : ٦٢ ، ٤ : ٥٤٨ ، ٢ : ٤٤١ ، ٨ : ١٢٠ ، ٦ : ٤٣٩ .

الصحاح ٤ : ١٧١٨ ، ٣ : ١٠٩٤ ، ٣ : ١٠٧١ ، ١ : ٢٥٦ ، ١ : ٣٢٦ .

المحكم والمحيط الأعظم ٩ : ٥٥ ، ٥ : ٤٠٣ ، ٣ : ١٢٤ ، ٨ : ٢٩٥ ، ٧ : ٢٥٤ .

لسان العرب ١١ : ٣٠٩ ، ٧ : ١٩٣ ، ٧ : ١٣٣ ، ٢ : ٥٣ ، ٢ : ٣١٣ .

(١) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازي ١ : ٨٤ ت ٣٦١ ، تفسير كتاب الله

العزیز للهزاري ١ : ٩٧ ، تأويلات أهل السنة ١ : ٣٧ .

(٢) سورة الأعراف ٧ : ١٢ .

بالله وإن فسيقَ بآياته .

فقد أبعد ؛ لأنَّ المخالف يقول : إذا علمت كفره بالإجماع علمت أنَّه لم يكن معه إيمان أصلاً ، كما إذا رأيت أنَّه يُصلي للشمس علمت أنَّ معه كفراً ، وإن كانت صلاته للشمس ليست كفراً .

فإن قيل : إذا كانت «إذ» لما مضى ، فما معنى قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾ ^(١) ؟ وكيف قال : ﴿ وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ ﴾ ^(٢) ؟ .

قيل : معنى ذلك كله على تقدير الاستقبال ؛ لأنَّ ما تحقق بمنزلة ما قد كان ، كما قال : ﴿ وَنَادَىٰ أَصْحَبُ الْجَنَّةِ أَصْحَبَ النَّارِ ﴾ ^(٣) .

قوله تعالى :

﴿ وَقُلْنَا يٰنَادِمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ آية ٣٥ آية بلا خلاف .

السُّكُونُ ، والثَّبُوتُ ، والهدوءُ نظائر .

ومثله : الاستِفْرَازُ ، والاطْمِئْنَانُ ، والثَّبَاتُ .

والمُسْكَنُ ^(٤) ، والمأوى ، والمثوى بمعنى .

تقول : سَكَنَ يَسْكُنُ سُكُونًا : إذا لَبِثَ في المكانِ . وَسَكَنَ إذا سَكَتَ .

(١) سورة المائدة : ٥ : ١١٦ .

(٢) سورة غافر : ٤٠ : ٤٧ .

(٣) سورة الأعراف : ٧ : ٤٤ .

(٤) في «و» : والسكن .

وَيُقَالُ: سَكَنَتِ الرِّيحُ، وَسَكَنَ المَطَرُ، وَسَكَنَ الغَضَبُ .

والسُّكُنُ: هم العيالُ، وهم أهل البيتِ، قال سَلَامَةُ بن جَنْدَل:

لَيْسَ بِأَسْفَى وَلَا أَفْنَى وَلَا سَعِيلٌ يُسْقَى دَوَاءً، قَفِي السُّكْنِ مَرْبُوبٌ^(١) [١٧١]
والمَسْكِينُ^(٢): المنزل، والسُّكُنُ: السُّكَّانُ، والسُّكْنَى: أَنْ يَسْكُنَ
إِنْسَانٌ مَنْزِلًا بِلَا كِرَاءٍ .

والسَّكِينَةُ: الوداعةُ والوقار. والسُّكُنُ: الرَّحْمَةُ والبركةُ، كقوله تعالى:

﴿إِنْ صَلَوْتَكَ سَكَنَ لَهُمْ﴾^(٣) .

والمِسْكِينُ: الذي لا شيءَ له، عند أبي عبيدة، والفَقِيرُ: الذي له شيءٌ

وإنْ كَانَ قَلِيلًا، قال الشاعر:

أَمَّا الْفَقِيرُ الَّذِي كَانَتْ حُلُوبُهُ وَفَقَّ الْعِيَالُ فَلَمْ يَثْرَكْ لَهُ سَبْدٌ^(٤) [١٧٢]

(١) ب ٨ ق ١ في ديوانه: ١١، والمُفَضَّلِيَّات: ١١٩ ت ٢٢ ب ١٥ .

في البيت وسابقه يصف فرساً يؤدُّ امتلاكها وركوبها في الحروب والغارة .

الأَفْنَى: الحاد الأنف من الخيل، صفة مذمومة فيها، والمحمودة هي سهولة الوجه . الأسْفَى: الخفيف شعر الناصية والذيل . السَّعِيلُ: المهزول، أو المضطرب الأعضاء، أو الغذاء السيئ، أو اضطراب الخلق . القَفُّ: سَقْيُ اللَّبَنِ بحيث يؤثر في المَسْقِيَّ، أو الذي يُخْتَصُّ بالشئ دون السُّكْنِ . السُّكْنُ: وهو محلُّ الشاهد حيث أراد منه أَهْلُ البيت والعيال . يريد أَنَّ فرسه غير متَّصف بهذه الصفات المذمومة، بل على العكس، حتى أَنَّهُ يؤثره على أهله وعياله؛ لصفاته الحميدة .

هذا، وقد استشهدت بالبيت عدَّة من المصادر منها: العين ٥: ٢٢٣، معجم مقاييس اللغة ٢: ٣٨٢، الصحاح ١: ١٣٠، لسان العرب ١١: ٣٣٧، تاج العروس ١٤: ٣٤٧، وفي مواد مختلفة، وانظر: اصلاح المنطق: ٥٥، المعاني الكبير ١: ٤١٥، شرح العينية للفاضل الهندي: ٣٠٧، وغيرها .

(٢) في «و، خ»: والسكن .

(٣) سورة التوبة ٩: ١٠٣ .

(٤) البيت: ٦١، من القصيدة: ١٦ للشاعر الأُموي عُبَيْد بن الحُصَيْن الشهير بالراعي

وقوله تعالى: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ﴾^(١)
قال أبو حاتم^(٢): أحسبه - والله أعلم - أنهم كانوا شركاء في سفينة لا يملكون سواها. فهذا يخالف أبا عبيدة.
وشكأن السفينة: معروف، عربي، اشتقاقه من أنها تسكن به عن الحركة والاضطراب^(٣).

التميزي، يمدح فيها عبد الملك بن مروان ويشكوه السعاة من عماله، الديوان: ٥٤. وقيله:

أَزْرَى بِأَسْوَائِنَا قَوْمٌ أَمَرْتَهُمْ بِالْعَدْلِ فِينَا فَمَا أَبْقَوْا وَمَا قَصَدُوا
نُعْطِي الزَّكَاةَ فَمَا يَرْضَى خَطِيئَتَهُمْ حَتَّى تُضَاعَفَ أَضْعَافاً لَهَا عُذُّ
الحلوبة: المحلوبة من ناقة أو شاة، وقيل: اللبن المحلوب. وفق العيال: ما يكتفي عياله من اللبن لا فضل فيه. سبذ: الشعر أو الوبر، فإذا قيل: ما له سبد ولا لبد، فهو كناية عن الإيل والغنم، وقيل: المعز والظأن، وهذا مثل يضرب للفقير وعدم المال.

(١) سورة الكهف ١٨: ٧٩.

(٢) أبو حاتم السجستاني، سهل بن محمد الجهمي. النحوي اللغوي المقرئ، نزيل البصرة وعالمها، عالم باللغة والشعر، روى عن أبي زيد وأبي عبيدة والأصمعي، اعتمده ابن دريد كثيراً في اللغة، له مصنفات في اللغة والقرآن منها: إعراب القرآن، المذكر والمؤنث، فعلت وأفعلت، المقصور والممدود وغيرها، توفي بالبصرة عام ٢٥٥ هـ.

ترجمته في: إنباه الرواة ٢: ٥٨ ت ٢٨٢، شذرات الذهب ١: ١٢١ طبقات المفسرين للداودي ١: ٢١٦ ت ٢٠٣ تاريخ الإسلام للذهبي حوادث عام ٢٥١ هـ: ١٦٢ ت ٢٥٢.

(٣) اللغة والآراء ينظر لها: جمهرة اللغة ٢: ٨٥٥، وراجع: العين ٥: ٣١٢، تهذيب اللغة ١٠: ٦٤، المحيط في اللغة ٦: ١٨٧، الصحاح ٥: ٢١٣٦، المحكم والمحيط الأعظم ٦: ٧١٨، المفردات ٦٤١، كنز الحفاظ ١٥: ٢، لسان العرب ١٣: ٢١١، ٥: ٦٠، فقه اللغة ٥٢، أدب الكاتب: ٢٩، الاقتضاب ٢: ٢٢ و ٣: ٤٢.

ومعنى ﴿ أَسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾ : اجعلها مأوى ، تأوي فيه وتسكن إليه .

وقد أعظم الله النعمة على آدم بما اختصه من علمه ، وأسجد له ملائكته ، وأسكنه جنته ، وتلك نعمة على ولده ، فلزمهم الشكر عليها والقيام بحقوقها .

والجنة التي أسكن فيها آدم ، قال قوم : هي بستان من بساتين الدنيا ؛ لأن جنة الخلد لا يصل إليها إبليس فيوسوسه .

واستدل البلخي على أنها لم تكن جنة الخلد بقوله تعالى - حكاية عن إبليس لما أغوى آدم قال له - : ﴿ هَلْ أَذُكُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ ﴾ ^(١) فلو كانت جنة الخلد لكان عالماً بها ، فلم يحتج إلى دلالة .

وقال الحسن البصري ، وعمر بن عبد العزيز ^(٢) ، وواصل بن عطاء ^(٣) ،

هذا ، وقد تعرض لهذا البحث الفقهاء في كتاب الزكاة غالباً ، وأوسع من تعرض للآراء ومناقشتها : تذكرة الفقهاء ٥ : ٢٣٧ ، مفتاح الكرامة ١١ : ٤٣٧ . والمفسرون أغلبهم عند الآية ٦٠ من سورة التوبة .

(١) سورة طه ٢٠ : ١٢٠ .

(٢) عمرو بن عبد العزيز بن باب ، أبو عثمان البصري القديري ، من رؤوس المعتزلة ، لهشام ابن الحكم معه مناظرات مشهورة أفحمه فيها وألقمه حجراً ، وقال الفسوي : كان نساجاً ثم شرطياً للحجاج ، اغتر بزهد المنصور الدوانيقي فعضمه غافلاً عن بدعه . له في التفسير والعدل والتوحيد مؤلفات مفقودة . مات في مَرَّان عند منصرفه إلى البصرة عام : ١٤٤ هـ .

انظر : سير أعلام النبلاء ٦ : ١٠٤ ت ٢٧ تاريخ الإسلام ، حوادث ١٤١ - ١٦٠ :

٢٣٨ ، تاريخ بغداد ١٢ : ١٦٦ ت ٦٦٥٢ ، وفيات الأعيان ٣ : ٤٦٠ ت ٥٠٣ .

(٣) واصل بن عطاء الغزالي ، أبو حذيفة ، مولى بني ضبة ، رأس المعتزلة ورئيسها ومُنظَرُها ، إليه تنسب الواصليّة منهم . له : أصناف المرجئة ، المنزل بين المنزلتين ،

وأكثر المعتزلة كأبي عليّ، والرمانيّ، وأبي بكر بن الإخشيد، وعليه أكثر المفسرين: إنها كانت جنة الخلد؛ لأن الألف واللام للتعريف وصار كالعلم عليها.

قالوا: ويجوز أن تكون وسوسة إبليس من خارج الجنة، فيسمعان خطابه ويفهمان كلامه.

قالوا: وقول من يقول: إن جنة الخلد من يدخلها لا يخرج منها.
لا يصح؛ لأن معنى ذلك إذا استقر أهل الجنة في الجنة للثواب، وأهل النار فيها للعقاب لا يخرجون منها، فأما قبل ذلك فإنها تفتن؛ لقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾^{(١)(٢)}.

﴿وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ :

للمعاني القرآن، كلها مفقودة. مات عام: ١٣١ هـ.
انظر: طبقات المعتزلة: ٢٨، سير أعلام النبلاء ٥: ٤٦٤ ت ٢١٠، وفيات الأعيان ٦: ٧ ت ٧٦٨.

(١) سورة القصص ٢٨: ٨٨.
(٢) وهذا أيضاً من الخلاف الذي شغل الرأي والفكر زمناً.
فمن ذاهب إلى أنها جنة الدنيا مستدلين عليها بآيات من القرآن الكريم وغيرها، منهم المعتزلة والقدرية.

وآخرون ردوا عليهم ذلك مثبتين أنها جنة الخلد.
وجمع ثالث ذهب إلى إمكان الكل.
والأدلة النقليّة ضعيفة في المقام ومتعارضة فلزوم التوقف وترك القطع أفضل.
والبحث بين هؤلاء سجال، ولزوم التوسعة يُنظر على المثال: تفسير الجامع لأحكام القرآن ١: ٣٠٢، تفسير الفخر الرازي ٣: ٤، تفسير البحر المحيط ١: ١٥٦، بحار الأنوار ١١: ١٤٣ حديث ١٢ وما بعده، البرهان في تفسير القرآن ١: ١٨٠ ب ٤٠٠، مفتاح دار السعادة ١: ١٢ - ٣٢. وغيرها كثير.

الزوج : بطرح الهاء ، قال الأصمعي^(١) : هو أكثر كلام العرب .

وقال الكسائي : أكثر كلام العرب بالهاء ، وطرح الهاء لغة لأزد
شنة^(٢) ، ولفظ القرآن لم يجئ إلا بطرح الهاء .

وقال المبرد : الوجه طرَح الهاء من الزوجة ، وأنشد :

وَأَرَاكُمْ لَدَى الْمُحَامَاتِ عِنْدِي مَثَلُ صَوْنِ الرِّجَالِ لِلْأَزْوَاجِ^(٣) [١٧٣]
جَمْعُ زَوْج ، ولا يجوز أن يكون جَمْعُ زَوْجَةٍ .

وقال الرماني : قول الأصمعي أجود ؛ لأن لفظ القرآن عليه^(٤) .

والعلة في ذلك : إنه لما كانت الإضافة تلزم الاسم في أكثر الكلام
كانت مُشَبَّهة له ، وكانت بطرح الهاء أفصح وأخف مع الاستغناء بدلالة

(١) عبد الملك بن قُرَيْب بن عبد الملك بن علي بن أصم - ومنه أتاه اللَّقْب - ،
أبو سعيد الأصمعي البصري ، قدم بغداد أيام الرشيد ، يُبَالِغ في حفظه ، كان رأساً
في اللِّغَةِ ، له مؤلِّفات عدَّة ، منها : خلق الإنسان ، المقصور والممدود ، الإبل ، النِّسَاء ،
الوحوش ، ما اختلف لفظه واتفق معناه وغيرها ، مات عام : ٢١٣ هـ ، وقيل غير ذلك .
ترجمته في : سِرِّ أعلام النبلاء ١٠ : ١٧٥ ت ٣٢ ، إنباء الرواة ٢ : ١٩٧ ت ٤٠٨
ومصادرهما ومقدمات كتبه .

(٢) اختلف في ضبطها ولا يهم ، وهي إحدى الفروع الأربع للأزد القحطانيَّة اليمانيَّة
المنتسبة للأزد بن الغوث بن سبأ ، تفرَّقوا بعد خراب سدِّ مأرب ، اختصَّوا ببعض
اللَّهجات .

للتوسعة ينظر : نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب للقلقشندي : ٢٨٢ ت
١١٠٩ ، لسان العرب ١ : ١٠٢ ، تاج العروس ١ : ١٨٣ ، «شناً» في الجميع ،
ولاحظ معجم قبائل العرب لكخالة ١ : ١٥ .

(٣) البيت لم نجده إلا في المخصَّص لابن سيده ومن دون نسبة ٢ : ٢٦٤ .

الشاهد فيه : استعمال كلمة الأزواج مسقطاً عنها الهاء ؛ لما أفاده في المتن .

(٤) إشارة إلى ما ورد في سورة البقرة ٢ : ١٠٢ ، سورة النساء ٤ : ٢٠ ، سورة الأعراف
٧ : ١٩ ، سورة طه ٢٠ : ١١٧ ، سورة الأنبياء ٢١ : ٩٠ ، سورة الأحزاب ٣٣ : ٣٧
وغیرها .

الإضافة عن دلالة هاء التأنيث^(١) .

وقوله تعالى : ﴿ وَكَلَّا ﴾ :

فالأكل ، والمضغ ، واللقم متقاربة .

وضد الأكل الأزم^(٢) .

وسأل عمر بن الخطاب الحارث بن كلدة^(٣) طبيب العرب ، فقال :

يا حار ، ما الدواء ؟ قال : الأزم . أي : ترك الأكل .

والأكلة : مرة ، والأكلة : اسم كالكلمة .

والأكولة : الشاة ، والغنم التي تُرعى للأكل لا للنسل ، والأكال : أن

يتأكل عوداً أو شيء ، وأكَيْل الرجل : مواكِلُهُ ، وأكَيْل الذئب : الشاة وغيرها إذا

أرذت معنى المأكولة ، وإذا أردت به اسماً قلت : أكلة ذئب . والمأكلة :

ما يجعل للإنسان لا يحاسب عليه . ورجل وامرأة أكلول : كثير الأكل .

(١) تعرضت لذلك كثير من كتب التفسير والأدب واللغة بين مُفَصَّل ومُجْمِل على

اختلاف في نسبة الأقوال ، انظر للمثال : الوسيط في تفسير القرآن المجيد ١ :

١٢١ ، تفسير الجامع لأحكام القرآن ١ : ٢٤٠ ، تفسير زاد المسير ١ : ٦٥ ،

المختص ٢ : ٢٦٤ ، المذكر والمؤث للأنياري ١ : ٤٦٠ ، النوادر لأبي زيد : ١٩٤ ،

لسان العرب ٢ : ٢٩١ ، تهذيب اللغة ١١ : ١٥١ ، تاج العروس ٣ : ٣٩٥ .

(٢) الأزم : الحمية ، أو أن لا يأكل الإنسان إلا بمقدار ، أو أن لا يدخل طعاماً على

طعام ، وقيل : الإمساك ، والعص ، أو أشده .

انظر : العين ٧ : ٣٩٥ ، جمهرة اللغة ٢ : ١٠٧١ ، تهذيب اللغة ١٣ : ٢٧٤ ،

المحيط في اللغة ٩ : ١٠٧ ، الصحاح ٥ : ١٨٦١ ، لسان العرب ١٢ : ١٦ .

(٣) الحارث بن كلدة بن عمرو القففي الطبيب . عربي من مدينة الطائف جاب البلاد

وتعلم الطب ، كانت سمية أم زياد مولاته ، وفي إسلامه ترديد ، بقي - على ما قيل -

حتى حكومة معاوية . وفد على كسرى فاختبره وأحسن وفادته .

السؤال في المصادر تارة ينسب إلى عمر ، وأخرى إلى معاوية وإلى غيرهما .

انظر : عيون الأنباء في طبقات الأطباء : ١٦١ ، ومصادر الهامش المتقدم .

والمأكَل : كالمَطْعَم والمَشْرَب . والمؤْكَل : المَطْعِم .

وأصل الباب : الأَكَل ، وهو : المَضْعُ لِذِي الطَّعْمِ^(١) .

ويقال : اللَّذَة التي يشترك الحيوان كله فيه سوى الملائكة : المأكَل ،
والمَشْرَبُ ، والمُنْكَحُ .

و«الرَّغْدُ» : النفع الواسع الكثير الذي ليس فيه عناء .

وقال صاحب العين : عَيْشٌ رَغِيدٌ : رَغْدٌ رَفِيهٌ . وَقَوْمٌ رَغْدٌ ونِسَاءٌ رَغْدٌ .

قال امرؤ القيس بن حُجْر^(٢) :

بَيْنَمَا المَرْءُ تَرَاهُ نَاعِمًا يَأْمُنُ الْأَخْدَاتُ فِي عَيْشِ رَغْدٍ^(٣) [١٧٤]

(١) اللّغة ينظر لها : العين ٥ : ٤٠٨ ، جمهرة اللّغة ٢ : ١٠٨٣ ، تهذيب اللّغة ١٠ : ٣٦٥ ، المحيط في اللّغة ٦ : ٣٢٩ ، الصحاح ٤ : ١٦٢٤ ، مجمل اللّغة ١ : ١٠٠ ، المحكم والمحيط الأعظم ٧ : ٨٦ ، لسان العرب ١١ : ١٩ «أَكَلٌ» فيها .

(٢) حندج بن حُجْر - أَكَل المُرَار - الكندي ، لَقَبَ بامرئ القيس ؛ لَمَّا جرى عليه من شدائد ومصائب ، وذلك أَنَّ معنى امرئ القيس : رجل الشّدّة ، وكنيته أبا وهب أو أبا الحارث ، أشهر من أن يُعرَف ، اقترن اسمه باحدئ المعلقات السبع ، حاول الثّار من بني أسد لقتلهم أبيه فلم يوفق لمراده تماماً ، قيل مات عام ٨٠ ق هـ .
انظر مقدمة الديوان تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم ، معجم الشعراء الجاهليين : ٣٢ ومصادرها والقائمة غنية جداً .

(٣) نَسَب البيت إلى امرئ القيس بن حجر كلّ من استشهد به على مورد الشاهد لدى المصنّف ، ولكن تخلو طبعات الديوان منه .
الشاهد فيه - هنا ولدى الجميع - : استعمال «رَغْد» وإرادة العيش الهنيئ الذي لا عناء فيه .

انظر : الديوان تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم ، رغم أنّه أهم طبعاته وأجمعها فهو خال منه .

وانظر : تفسير جامع البيان ١ : ١٨٢ - ١٨٣ ، تفسير المحرّر الوجيز ١ : ٢٣٧ ، تفسير الوسيط ١ : ١٢١ ، تفسير البحر المحيط ١ : ١٥٥ ، تفسير الدرّ المصون ١ : ١٩٠ ت ٣٧٠ ، تفسير اللّباب في علوم الكتاب ١ : ٥٥٤ ت ٣٩١ ، وفي الجامع لأحكام القرآن ١ : ٣٠٣ بلا عزو .

وَالرَّغِيدَةُ: الزُّبْدَةُ فِي بَعْضِ اللُّغَاتِ . وَأَرْغَدَ الرَّجُلُ مَا شِئَتْهُ : إِذَا تَرَكَهَا وَسَوَّمَهَا ^(١) .

وَالْمِشِيئَةُ وَالْإِرَادَةُ بِمَعْنَى وَاحِدٍ ، وَكَذَلِكَ الْمَحَبَّةُ وَالِاخْتِيَارُ وَالِإِثَارُ ، وَإِنْ كَانَ لَهَا شُرُوطٌ ذَكَرْنَاهَا فِي الْأَصُولِ ^(٢) .

﴿ وَلَا تَقْرَبَا ﴾ :

الْقُرْبُ وَالذُّنُوبُ ، وَالْمُجَاوَزَةُ مُتَقَارِبُ الْمَعْنَى . وَضِدَّ الْقُرْبِ : الْبُعْدُ ، يُقَالُ : قَرُبَ يَقْرُبُ قُرْبًا وَافْتَرَبَ افْتِرَابًا .

قَالَ صَاحِبُ الْعَيْنِ : الْقَرَبُ : طَلَبُ الْمَاءِ لَيْلًا ، يُقَالُ : قَرَبَ الْمَاءَ يَقْرُبُ وَقَدْ قَرَبَهُ قُرْبًا : إِذَا طَلَبَهُ لَيْلًا ، وَلَا يُقَالُ لَطَالِبِ الْمَاءِ نَهَارًا : قَارِبَ .

وَالْقِرَابُ : لِلسَّيْفِ وَالسَّكِينِ ، وَالْفِعْلُ مِنْهُ : قَرَبْتُ قِرَابًا ، وَقِيلَ : أَقْرَبْتُ قِرَابًا .

وَالْقُرْبَانُ : مَا تَقَرَّبْتَ بِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، وَقُرْبَانُ الْمَلِكِ وَقَرَابِيئُهُ : وَزَرَاؤُهُ .

وَالْقُرْبَى : حَقُّ ذِي الْقِرَابَةِ . وَقَرَبَ فُلَانٌ أَهْلَهُ : إِذَا غَشِيَهَا ، قُرْبَانًا . وَمَا قَرَبْتُ هَذَا الْأَمْرَ - وَلَا فُلَانًا - قُرْبَانًا وَقُرْبًا ^(٣) .

(١) «رَغَدَ» أَنْظَرَهَا فِي : الْعَيْنِ ٤ : ٣٩٢ ، جُمُهرَةُ اللَّغَةِ ٢ : ٦٣٣ ، تَهْذِيبُ اللَّغَةِ ٨ : ٧١ ، الْمَحِيطُ فِي اللَّغَةِ ٥ : ٣٩ ، الصَّاحِحُ ٢ : ٤٧٥ ، مُجْمَلُ اللَّغَةِ ٢ : ٣٨٨ ، لِسَانُ الْعَرَبِ ٣ : ١٨٠ .

(٢) لَعَلَّهُ عِنْدَ بَحْثِ الْإِرَادَةِ فِي تَهْذِيبِ الْأَصُولِ ١٠٨ - ١١٠ ، وَانْظُرْ ٢٨٩ - ٢٩٠ مِنْهُ . وَلِمَعْرِفَةِ مُخْتَلَفِ الْأَرَاءِ الْكَلَامِيَّةِ يَسْتَحْسِنُ مَرَاجَعَةَ مَعْجَمِ الْعَنَاوِينِ الْكَلَامِيَّةِ : ١٢ - ١٦ و ١٢٧ ، شَرْحُ الْمَصْطَلَحَاتِ الْكَلَامِيَّةِ : ١١ ت ٥٤ و ١٤ ت ٦٢ و ١٧ ت ٦٧ و ٣٢٠ ت ١١٢٨ .

(٣) لَضَبْطُ اللَّغَةِ انْظُرْ : الْعَيْنِ ٥ : ١٥٢ ، جُمُهرَةُ اللَّغَةِ ١ : ٣٢٤ ، تَهْذِيبُ اللَّغَةِ ٩ : ١١٢

وَالشَّجَرَةَ: كُلُّ مَا قَامَ عَلَى سَاقٍ مِنَ النَّبَاتِ. وَهُوَ اسْمُ يَعْمُ النَّخْلَةِ
وَالكَرْمَةِ وَغَيْرَهُمَا. وَمَا لَمْ يَقَمْ عَلَى سَاقٍ لَا يُسَمَّى شَجَرًا كَالْبَقْلِ وَالْحَشِيشِ.
وَأَمَّا الْيَقْطِينُ كَالْقَرْعِ وَالْبَطِيخِ فَقَدْ سُمِّيَ شَجَرًا، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:
﴿وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ﴾^(١).

قال صاحب العين: الشَّجَرَةُ وَاحِدَةٌ، تُجْمَعُ عَلَى الشَّجَرِ وَالشَّجَرَاتِ
وَالْأَشْجَارِ^(٢).

واختلفوا في الشجرة التي نهى الله آدم عنها.

فقال ابن عباس: هي السُّنْبُلَةُ.

وقال ابن مسعود، والسُّدَيِّ، و(جَعْدَةٌ بَن هُبَيْرَةَ)^(٣): هي الكَرْمَةُ.

وقال ابن جريج: هي التَّيْنَةُ.

وروي عن عليٍّ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: «شَجَرَةُ الْكَافُورِ».

١٢٢٤، المحيط في اللغة ٥: ٤٠٣، الصحاح ١: ١٩٨، المحكم والمحيط الأعظم

٦: ٣٨٨، مجمل اللغة ٣: ٧٥٠، لسان العرب ١: ٦٦٢ «قَرَبَ» فِي الْجَمِيعِ.

(١) سورة الصَّافَّات ٣٧: ١٤٦.

(٢) العين ٦: ٣٠، واعطف على: جمهرة اللغة ٢: ٤٥٨، تهذيب اللغة ١٠: ٥٢٨،

المحيط في اللغة ٦: ٤٢٦، الصحاح ٢: ٦٩٣، لسان العرب ٤: ٣٩٤.

(٣) فِي النِّسْخِ وَالْحُرُوفِيَّاتِ: جَعْفَرُ بْنُ زُهَيْرٍ، وَفِي «خ»: جَعْفَرُ بْنُ هُبَيْرَةَ. وَلَمْ أَجِدْ لَهُ
اسْمًا وَلَا تَرْجُمَةً فِي الْمَصَادِرِ وَلَا كُتُبَ التَّرَاجِمِ.

هَذَا وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ مَصْحَفُ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ فَإِنَّهُ قَرِيبٌ جَدًّا، وَيدلُّ عَلَيْهِ مَا رَوَى عَنْهُ فِي

الْمَصَادِرِ الرَّاوِيَةِ مِثْلُ: تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ لِابْنِ أَبِي حَاتِمٍ الرَّازِيِّ، جَامِعِ الْبَيَانِ وَغَيْرِهِمَا.

وَجَعْدَةُ بْنُ هُبَيْرَةَ الْمَخْزُومِيُّ، أُمُّهُ أُمُّ هَانِيٍّ، تَابِعِيٌّ وَلَدَ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ وَلَمْ

تُثَبِّتْ لَهُ صَحْبَةٌ، لَهُ مَوَاقِفٌ وَشِدَّةٌ بِلَاءٍ فِي صَفِّينَ مَعَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ

أَبِي طَالِبٍ عليه السلام. وَلَوْ خَالَه أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام خُرَاسَانَ. وَوُصِفَ بِالْعِلْمِ وَالْفَقْهِ. رَوَى

عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام، وَعَنْ ابْنِهِ عَبْدِ اللَّهِ، وَأَبُو فَاخْتَةَ، وَمَجَاهِدٌ، وَأَبُو الضَّحَى.

لَهُ تَرْجُمَةٌ فِي: تَفْهِيمِ الْمَقَالَ ٤: ٣٤٤ ت ٣٧٥٠، تَهْذِيبِ الْكَمَالِ ٤: ٥٦٣ ت

٩٢٩ وَانْظُرْ مَصَادِرَهُ.

وقال الكلبي: شجرة العلم، علم الخير والشر.

وقال ابن جُعدان^(١): هي شجرة الخُلد التي كانت تأكل منها الملائكة .
والأقاويل الثلاثة الأولى أقرب^(٢).

﴿ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ :

الظُّلم والجور والعُدوان متقارب . وضدُّ الظُّلم : الإنصاف ، وضدُّ
الجور : العَدل .

وأصل الظُّلم انتقاص الحق ؛ لقوله تعالى : ﴿ كِلْنَا الْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أَكْلَهَا
وَلَمْ تَظْلِمِ مِنْهُ شَيْئًا ﴾^(٣) أي : لم تنقص .

وقيل : أصله وضع الشيء في غير موضعه ، من قولهم :

(من أشبه أباه فما ظلم) [١٠٧]

(١) علي بن زيد بن جُعدان . أبو الحسن البصريّ الضريّر . حدّث عن : أنس ، وابن
المسيّب ، والحسن البصريّ ، وعروة . وعنه : شُعْبَة ، والسفيانان ، وابن سلمة . قال
الذهبيّ : من أوعية العلم على تشيع فيه قليل ، ولعله السبب في ذمّهم إِيّاه ورميه
بالضعف على ما هو ديدنهم في من يُسبّ إلى التشيع . مات عام : ١٣١ هـ .
ترجمته في : سير أعلام النبلاء ٥ : ٢٠٦ ت ٨٢ ، تهذيب الكمال ٢٠ : ٤٣٤
ت ٤٠٧٠ .

(٢) تعدّدت الأقوال في نوعية الشجرة . ولعلّها ممّا يتساوئ فيه العلم والجهل ، وعلى
كلّ تجد الآراء مبثوثة في : تفسير الشهيد زيد بن عليّ : ٨١ ، التفسير المنسوب إلى
الإمام العسكريّ عليه السلام : ٢٢١ ت ١٠٣ ، ١٠٤ ، عيون أخبار الرضا عليه السلام ١ : ١٩٥ ب ١٥
ت ١ و ٣٠٦ ب ٢٨ ت ٦٧ ، معاني الأخبار : ١٢٤ ت ١ ، تفسير الحسن البصريّ
«جمع» ٢ : ٣٩ ت ٤٢ ، تفسير جامع البيان ١ : ١٨٤ ، تفسير النكت والعيون ١ :
١٠٥ ، تفسير كتاب الله العزيز للهوّاريّ ١ : ٩٨ ، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم
الرازيّ ١ : ٨٦ ت ٣٧٦ - ٣٨٢ ، تفسير الوسيط ١ : ١٢١ ، تفسير بحر العلوم ١ :
١١١ ، تفسير القرآن للسمرقانيّ ١ : ٦٨ ، تفسير المحرّر الوجيز ١ : ١٨٤ ، باهر
البرهان ١ : ٦٧ ، اللّباب في علوم الكتاب ١ : ٥٥٦ ، وغيرها .
(٣) سورة الكهف : ١٨ : ٣٣ .

أي : فما وضع الشبه غير موضعه . وكلاهما مُطْرَد .
وعلى الوجهين فالظلم اسم دَم . ولا يجوز أن يُطلق على غير مستحقّ
اللّٰعن ؛ لقوله : ﴿ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ ^(١) ولا يجوز إطلاقه على
أنبياء الله تعالى ولا الأنمة المعصومين .

وظالم ومُسيءٌ وجائرٌ : اسم دَم ، وهو فاعل لما يَسْتَحِقُّ به الدَم من
الضرر .

وضدّه : عادل ، ومنصف ، ومحسن ، وهي من صفات المدح .

ويقول المعتزلة لصاحب الصغيرة : ظالم لنفسه .

ومن نفى الصغيرة عن الأنبياء من الإمامية قال : يجوز أن يقال : ظالم
لنفسه إذا بَخَسَهَا الثواب . كقوله : ﴿ ظَلَمْتُ نَفْسِي ﴾ ^(٢) وقوله : ﴿ إِنِّي كُنْتُ
مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ ^(٣) حكاية عن يونس من حيث بَخَسَ نَفْسَهُ الثواب بترك
المندوب إليه ^(٤) .

والظلم هو : الضّررُ المَحْضُ الذي لا نفع فيه يوفى عليه عاجلاً أو
آجلاً ، ولا فيه دفع ضرر أعظم منه ، ولا هو واقع على وجه المدافعة ،
ولا هو مستحقّ . فما هذه صفته يُسْتَحَقُّ به الدَم إذا وقع من مختارٍ عالمٍ
بقبحه أو متمكّنٍ من العلم به ^(٥) .

(١) سورة هود : ١١ : ١٨ .

(٢) تَكَوَّرَتْ في سورة النمل : ٢٧ : ٤٤ ، وسورة القصص : ٢٨ : ١٦ .

(٣) سورة الأنبياء : ٢١ : ٨٧ .

(٤) انظر الموضوع مفصلاً في : تنزيه الأنبياء للسيد الشريف المرتضى ؛ فإنه خير من
أشبع البحث قولاً وتنقيهاً وجمعاً للآراء ، ولاحظ ما يأتي في : ٨٦ هامش ١ .

(٥) للتوسعة ينظر : الذخيرة في علم الكلام : ٢١٦ ، تمهيد الأصول : ٢٢٥ ، الاقتصاد
الهادي إلى طريق الرشاد : ٨٣ .

وروي: إِنَّ الله تعالى أَلْقَى عَلَى آدَمَ النُّومَ ، وَأَخَذَ مِنْهُ ضِلْعاً فَخَلَقَ مِنْهُ حَوَّاءَ^(١) .

وليس يمتنع أن يخلق الله حَوَّاءَ من جُملَةِ جسد آدم بعد أن لا يكون جزءٌ ممَّا لا يتمُّ كون الحيِّ حياً إلاَّ معه ؛ لأنَّ ما هذه صفته لا يجوز أن يُنْقَلَ إلى غيره ، أو يُخْلَقَ منه حيٌّ آخر من حيث يُوَدِّي إلى أن لا يصل الثواب إلى مستحقِّه ؛ لأنَّ المستحقَّ لذلك الجُملَةُ بأجمعها . وهذا قول الرِّمَّاني وغيره من المفسِّرين ؛ ولذلك قيل للمرأة : ضلع أعوج .

وقيل : سَمِيَتْ امرأة ؛ لأنَّها خُلِقَتْ من المرء .

فأمَّا تَسْمِيَتُهَا حَوَّاءَ : فقال قوم : لأنَّها من حيٍّ ، ذكر ذلك ابن عباس وابن مسعود . وقال آخرون : سَمِيَتْ بذلك لأنَّها أُمُّ كُلِّ حيٍّ .

وقال ابن عباس وابن مسعود : خلقت حَوَّاءَ لما أُدْخِلَ آدم الجنة وحده وأُخْرِجَ منها إبليس ولعن وطُرد فاشتَوَّحش ، فخلقت ليسكن إليها . فقالت له الملائكة - تجربة لعلمه - : ما اسمها ؟ قال : حَوَّاءَ . قالوا : لم سَمِيَتْ حَوَّاءَ ؟ قال : لأنَّها خُلِقَتْ من شيء حيٍّ .

وقال ابن إسحاق^(٢) : خُلِقَتْ من ضلعه قبل دخوله الجنة ، ثم دخلا

(١) رواه الشيخ المجلسي في البحار ٥٧ : ٢٦٥ ح ٥ عن العلل «مخطوط» لمحمد بن علي بن إبراهيم ، وانظر متشابه القرآن لابن شهر آشوب ١ : ٩ .

(٢) الظاهر أنه : محمد بن إسحاق بن يسار الأخباري أبو بكر القرشي المطلبي مولاهم صاحب السيرة . كان جدُّه من سبي عين التمر ، عاصر أنس وسعيد بن المسيب . ضعفه جمع وشكَّ في مروياته ؛ إذ لها غالباً أصول سريانية ، وآخرون وثَّقوه حتَّى عدَّوه أمير المحدثين . مات عام : ١٥١ ، وقيل غير ذلك . لترجمته انظر : سير أعلام النبلاء ٧ : ٣٣ ت ١٥ ومصادره .

معاً الجنة؛ لقوله تعالى: ﴿يَقَادَمُ أَسْكُنُ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾^(١).
وقال الحسن: إن الجنة التي كان فيها آدم في السماء؛ لأنه تعالى
أهبطهما منها.

وقال أبو مسلم محمد بن بحر: هي في الأرض؛ لأنه امتحنهما فيها
بالنهي عن الشجرة التي نهيا عنها دون غيرها من الثمار^(٢).
و ﴿حَيْثُ﴾:

مبنية على الضم كما ثبتني الغاية، نحو: ﴿مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾^(٣)؛
لأنه مُنْعٌ من الإضافة كما مُنْعَت الغاية الإضافة إلى مُفْرَد.
وقوله: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾:

صِغَتُهُ صِغَةُ النَهْيِ، والمراد به الندب عندنا؛ لأنه دَلُّ الدليل على أن
النهي لا يكون نهياً إلا بكراهية المنهي عنه. والله تعالى لا يكره إلا القبيح.
والأنبياء لا يجوز عليهم القبائح، لا صغيرها ولا كبيرها.
وقالت المعتزلة: إن ذلك كانت صغيرة من آدم، على اختلافهم في
أنه كان منه عمداً أو سهواً أو تأويلاً.

وإنما قلنا: لا يجوز عليهم القبائح؛ لأنها لو جازت عليهم لوجب أن

(١) تعرضت لهذا البحث ولأقوال الرواة جملة من المصادر، منها: تفسير محمد بن
إسحاق: ٢٠، تفسير الكشف والبيان ١: ١٨١، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم
الرازي ١: ٨٥ ت ٣٧٢ و ٥: ١٤٤٨ ت ٨٢٧٧، تفسير القرآن للسماعاني ١: ٣٩٣،
الأسماء والصفات للبيهقي: ٨٢٠، تفسير المحرر الوجيز ١: ١٨٢، تفسير جامع
البيان ١: ١٨٢؛ وانظر: طبقات ابن سعد ١: ٣٩، وتاريخ دمشق ٧: ٤٠٢ و ١٠٢٦٩،
المعارف لابن قتيبة: ١٠١، تاريخ الطبري ١: ١٠٤، الكامل في التاريخ ١: ٣١،
والتفسير أغلبها متعرضة لها عند الآية هذه تارة وأخرى في سورة الأعراف ٧: ١٩.
(٢) تقدمت الإشارة إلى الأقوال وأمثالها ضمن بداية تفسير هذه الآية صفحة: ٧٥.
(٣) سورة الروم ٣٠: ٤.

يستحقّوا بها ذمّاً وعقاباً ولعنة وبراءة؛ لأنّ المعاصي كلّها كبائر عندنا .

والإحباط باطل .

ولو جاز ذلك لنفّر عن قبول قولهم . وذلك لا يجوز عليهم ، كما لا يجوز كلّ منفرّ عنهم من الكبائر ، والخلق المشوّهة ، والأخلاق المنفّرة^(١) .

(١) لزوم اجتناب الذنوب كبيرها بل وصغيرها ، أو ما يصطلح على تسميته بالعصمة هو : بحث عقائديّ مهمّ جدّاً تشارك فيه مختلف الطوائف الإسلاميّة ، بل والمذاهب الكلاميّة قديماً وحديثاً ، وكلّ يُدلي بدلوه ويفض من جهة ما يمليه عليه معتقده ويبيّن عليه تصحيح حكومة من يتولّاه .

أمّا الإماميّة الإثني عشرية فهم قائلون بوجود عصمة الأنبياء والأئمة عليهم السلام من كبير الذنب بل وصغيره حتّى اللّهم مستدلّين على ذلك في كتبهم الكلاميّة . والكلام حول الموضوع منشعب طويل ، لزيادة الاطلاع إليك ثبّتاً لتسهيل الرجوع :

فالمختصة بها ومن الفريقين أنظر :

تنزيه الأنبياء للشرّيف المرتضى ، مادة عصم في الحدود والحقائق ضمن رسائل الشريّف المرتضى ٢ : ٢٧٧ ، رسائل الشريّف المرتضى ٣ : ٣٢٣ ، المسألة ٥٠ ، العصمة للسيد الحيدري ، الجزء الخامس من موسوعة مفاهيم القرآن الكريم للشيخ السبحاني ، وانظر تنزيه الأنبياء عمّا نسب إليهم حثالة الأغبياء . وللشاملة لغيرها أيضاً من الخاصة أنظر :

تقريب المعارف : ٩٥ - ١١٥ ، الشافي في الامامة للشرّيف المرتضى ٢ : ٣٠٠ ، أوائل المقالات : ١٢٢ و ٢١٤ ، الذخيرة : ٣٣٧ ، العدة للشيخ الطوسي ٢ : ٥٦٦ ، تمهيد الأصول في علم الكلام : ٢٠٨ و ٣١٢ و ٣٢٠ و ٣٤٩ ، تلخيص الشافي للشيخ الطوسي ١ : ١٨١ ، اللوامع الإلهيّة في المباحث الكلاميّة : ١٦٩ و ١٧١ و ٢٦٨ ، إرشاد الطالبين : ٢٩٥ ، التنبيه بالمعلوم للحزّ العاملي ، حقّ اليقين في معرفة أصول الدين ، لوامع الحقائق في أصول العقائد : ١٧ ، وغيرها .

ومن العامة أنظر :

المغني للقاضي ١٥ : ٢٨١ ، ٣٠٤ ، شرح الأصول الخمسة : ٧٨٠ ، الإرشاد للجويني :

ولا خلاف أن النهي تناول الأكل دون القرب ، كأنه قال : لا تقربا بأكل ؛ لأنه لا خلاف أن المخالفة وقعت بالأكل لا بالدنو منها ، ولذلك قال : ﴿ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتَ لَهُمَا سَوْءُ تُهْمَا ﴾ ^(١) .

وقوله : ﴿ فَتَكُونَا ﴾ :

يحتمل أن يكون جواباً للنهي ، فيكون موضعه نصباً .

وهو الأقوى .

ويحتمل أن يكون عطفاً على النهي فيكون موضعه جرماً .

وكلاهما جيد محتمل .

ومتي كان جواباً كان تقديره : إن قربتما كُنتما من الظالمين ؛ لأنه يتضمن معنى الجزاء .

وإذا كان عطفاً على النهي فكأنه قال : لا تكونا من الظالمين .

وأجاز البصريون من أهل العدل أن يبتدئ الله الخلق في الجنة فينعمهم فيها مؤبداً تفضلاً منه لا على وجه الثواب ؛ لأن ذلك نعمة منه تعالى ، كما أن خلقهم وتكليفهم وتعريضهم للثواب نعمة منه ، وله أن يفعل ما يشاء من ذلك .

وقال أبو القاسم البلخي : لا يجوز خلقهم في الجنة ابتداءً ؛ لأنه لو جاز ذلك لما خلقهم في دار المحنة ، ولما ابتلى من يعلم أنه يكفر ويصير إلى عذابه .

وإنما لم يجز أن يخلقهم ابتداءً في الجنة ؛ لأنه لو خلقهم فيها

٥٩٨ ، شرح المقاصد ٥ : ٤٩ ، وغيرها كثير . للتوسعة أنظر معجم العناوين الكلامية والفلسفية : ٩٤ ، شرح المصطلحات الكلامية : ٢١٦ ت ٧٤١ .

(١) سورة طه ٢٠ : ١٢١ .

لم يَخُلْ : إمّا أن يكونوا متعبدين بالمعرفة بالله والشكر له ، أو لا يكونوا كذلك ؛ فلو كانوا غير متعبدين كانوا مُهمَلين وذلك لا يجوز . ولو كانوا متعبدين لم يكن بُدّ من ترغيب وترهيب ، ووعد ووعيد . ولو كانوا كذلك كانوا على ما هم عليه في دار الدنيا وكان لا بدّ من دار أخرى يُجازون فيها ويخلّدون . وأجاب عن ذلك الأولون بأن قالوا: لو ابتدأ خلقهم في الجنة لاضطرهم إلى معرفته ، وألجأهم إلى فعل الحسن وترك القبيح ، ومتى راموا القبيح مُنعوا منه ، فلا يؤدّي ذلك إلى ما قاله ، كالحور العين والأطفال والبهائم إذا حشرهم الله يوم القيامة .

قوله تعالى :

﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ آية (٣٦) آية بلا خلاف .

قرأ حمزة وحده : فَأَزَالَهُمَا بِالْف وتخفيف اللام . الباقون بتشديد اللام وحذف الألف ^(١) .

الرَّزَّةُ وَالْمَغْصِيَّةُ وَالْخَطِيئَةُ وَالسَّيِّئَةُ بمعنى واحد . وضدّ الخطيئة الإصابة .

(١) أشارت إلى القراءة أغلب كتب القراءات ، منها : السبعة في القراءات : ١٥٤ ت ١٧ ، معاني القراءات : ٤٨ ، الحجة في القراءات : ٧٤ ، مختصر في شواذ القراءات : ١٢ ، إعراب القراءات السبع ١ : ٨١ ، الحجة للقراء السبعة ١ : ١٤ ، حجة القراءات : ٩٤ ، التذكرة في القراءات ٢ : ٣١٢ ، الكشف عن وجوه القراءات ١ : ٢٣٥ . إضافة إلى بعض كتب اللغة التي سيشار إليها . وانظر تفسير سفيان الثوري : ٤٤ ت ١٢ .

ويقال : زَلَّ زَلَّةً ، وَأَزَلَّهُ إِزْلَالًا ، وَاسْتَزَلَّهُ اسْتِزْلَالًا .

وقال صاحب العين : زَلَّ السَّهْمُ . عن الدَّرْعِ زَلِيلًا ، وَزَلَّ فُلَانٌ عَنِ الصَّخْرِ زَلِيلًا . فَإِذَا زَلَّتْ قَدَمُهُ قَلَتْ : زَلَّ زَلًّا . فَإِذَا زَلَّ فِي مَقَالَةٍ أَوْ خُطْبَةٍ قَلَتْ : زَلَّ زَلَّةً . قال الشاعر :

هَلَا عَلَى غَيْرِي جَعَلَتِ الزَّلَّةُ^(١)

[١٧٥]

وَأَزَلَّهُ الشَّيْطَانُ عَنِ الْحَقِّ : إِذَا أَزَالَهُ . وَالْمُرَّةُ : الْمَكَانُ الدَّخْضُ^(٢) .
وَالْمُرَّةُ : الزَّلُّ فِي الدَّخْضِ . وَالزَّلُّ : مِثْلُ الزَّلَّةِ فِي الْخَطَأِ . وَالْإِزْلَالُ : الْإِنْعَامُ .
وَفِي الْحَدِيثِ : (مَنْ أَزَلَّتْ إِلَيْهِ نِعْمَةٌ فَلْيَشْكُرْهَا)^(٣) . بِمَعْنَى أُسْدِيَتْ .
قال كثير^(٤) :

(١) رجز في ثلاث أشطر هكذا :

قد كانت الفعلة مَنِيَّ ضَلَّةٍ
هَلَا عَلَى غَيْرِي جَعَلَتِ الزَّلَّةُ
فَسَوْفَ أَعْلُو بِالْحُسَامِ الْقُلَّةُ

وقد نُسِبَ لِلْبَرَّاضِ النَّمِرِيِّ الْكِنَانِيِّ ، أَحَدِ خُلَعَائِهَا قَالَهُ عِنْدَمَا قَتَلَ عُرْوَةَ الرِّحَالِ الْكَلَابِيِّ سَيِّدَ هَوَازِنَ فِي قِصَّةٍ مَذْكُورَةٍ فِي قِضَايَا حَرْبِ الْفَجَّارِ الرَّابِعَةِ .
لِلتَّفَصِيلِ انْظُرْ : الْعَقْدُ الْفَرِيدُ ٥ : ٢٥٤ ، أَيَّامُ الْعَرَبِ لِلتَّيْمِيِّ ٢ : ٥٠٦ . نِهَاجَةُ الْأَرْبِ لِلنُّوَيْرِيِّ ١٥ : ٤٢٦ ، تَهْذِيبُ اللَّغَةِ ١٣ : ١٦٤ ، لِسَانُ الْعَرَبِ ١١ : ٣٠٦ ، تَاجُ الْعُرُوسِ ١٤ : ٣١٠ .

(٢) الدَّخْضُ - بَفَتْحِ الْحَاءِ وَسُكُونِهَا - : الْمَكَانُ الزَّلِقُ ، الْعَيْنُ ٣ : ١٠١ ، الصَّحَاحُ ٣ : ١٠٧٥ ، «دَخَضَ» فِيهَا .

(٣) مسند الشهاب ١ : ٢٣٨ ت ٢٧١ ح ٣٧٦ ، المبسوط للسرخسي ٧ : ٦١ ، غريب الحديث لابن سلام ١ : ٢٠ ، الصحاح ٤ : ١٧١٨ ، مفردات ألفاظ القرآن : ٣٨٢ ، النهاية في غريب الحديث ٢ : ٣١٠ ، الفائق في غريب الحديث ٢ : ١١٩ .

(٤) كَثِيرٌ عَزَّ أَبُو صَخْرٍ ، كَثِيرٌ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْأَسْوَدِ الْخَزَاعِيِّ الْمَدَنِيِّ ، مِنْ فُحُولِ

وإني - وإن صدت - لَمُنِّي وَصَادِقٌ عَلَيْهَا بِمَا كَانَتْ إِلَيْنَا أَرْزَلَتْ^(١) [١٧٦]

ويقال منه : أَرْزَلْتُ إِلَى فُلَانٍ نِعْمَةً ، فَأَنَا أَرْزَلُهَا إِزْلَالًا .

والأضَلُّ فِي ذَلِكَ الزَّوَالُ .

وَالرَّزْلَةُ : زَوَالٌ عَنِ الْحَقِّ^(٢) .

ومعنى «أزالهما» : نحّاهما . من قولك : زِلْتُ عَنِ الْمَكَانِ : إِذَا تَنَحَّيْتُ

منه .

والوجه ما عليه القراء ؛ لَأَنَّ هَذَا يُؤَدِّي إِلَى التَّكْرَارِ ؛ لِأَنَّهُ قَالَ بَعْدَ

الشعراء العصر الإسلامي الثاني . أحب عَزَّةَ حُبًّا عَفِيفًا واشتهر بها حتى عفت على نسبه . كان مجاهرًا في موالاته لأهل البيت عليه السلام عدَّ من أصحاب الإمام الباقر عليه السلام له فيهم شعر كثير . مدح حاكم وقته عبدالمك بن مروان . شعره مليئ بالحكم والأمثال السائرة ، منه :

وَمَنْ لَا يُغْمِضُ عَيْنَهُ عَنْ صَدِيقِهِ وَعَنْ بَعْضِ مَا فِيهِ يَمُتْ وَهُوَ عَائِبٌ
وَمَنْ يَسْتَبِغْ جَاهِدًا كُلَّ عَشْرَةٍ يَجِدْهَا ، وَلَا يَسْلَمْ لَهُ الدَّهْرُ صَاحِبٌ
مات في المدينة المنورة عام : ١٠٥ هـ ، ومشى في جنازته الإمام الباقر عليه السلام على ما قيل .

له ترجمه في : وفيات الأعيان ١ : ٥٤٧ ، معجم الشعراء للمرزباني : ٢٤٢ ، معجم مشاهير شعراء الشيعة ٣ : ٣٨٣ ت ٧٤٤ ، الشعر والشعراء ١ : ٥٠٣ ت ٩١ ، معجم الشعراء للجبوري ٤ : ٢٢٤ ومصادرهم .

(١) البيت ٣٣ من تائية مطولة برقم ٢١ تعدّ من منتخبات شعره يمدح فيها عَزَّةَ ويذكر بدايات حُبِّه إياها .

المعنى واضح .

والشاهد : استعمال : أَرْزَلْتُ بمعنى أسدت وقَدَمْتُ .

انظر : الديوان : ٥٤ ق ٢١ ب ٣٣ . وأمالى القالي ٢ : ١٠٨ ، منتهى الطلب

٤ : ١١٢ ق ١٩٩ ب ٢٨ .

(٢) مادة «رُزِلَ» انظرها في : العين ٧ : ٣٤٨ ، جمهرة اللّغة ١ : ١٣٠ ، تهذيب اللّغة

١٣ : ١٦٣ ، المحيط في اللّغة ٩ : ١١ ، الصحاح ٤ : ١٧١٧ ، لسان العرب ١١ : ٣٠٦

وملاحظة بعض كتب القراءات في الهامش : ١ صفحة ٨٨ لا تخلو من فائدة .

ذلك : ﴿ فَأَخْرَجَهُمَا ﴾ فيصير تقدير الكلام : فَأَخْرَجَهُمَا الشيطان عنها فَأَخْرَجَهُمَا . وذلك لا يجوز . وَيَحْسُنُ أَنْ يَقُولَ : اسْتَزَلَّهُمَا فَأَخْرَجَهُمَا .

ومن قرأ : ﴿ فَأَزَالَهُمَا ﴾ ، أراد المقابلة بين قوله : «أَزَالَهُمَا» وبين قوله : ﴿ آسَكُنْ ﴾ ؛ لأنَّ معناه : اسْكُنْ واثْبُتْ أَنْتَ وزَوْجُكَ . وتقديره : اثْبُتَا ، فَأَرَادَ أَنْ يَقَابِلَ ذَلِكَ فَقَالَ : « فَأَزَالَهُمَا » فقابل الثبات بالزوال .

وإِذَا نُسِبَ الْإِزْلال والإخراج إلى الشيطان لَمَّا وَقَعَ ذَلِكَ بِدَعَائِهِ ووسوسته وإغوائه .

ولم يكن إخراجهما من الجنة على وجه العقوبة ؛ لأنَّا قد بَيَّنَّا أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَا يَجُوزُ عَلَيْهِمُ الْقَبَاحُ عَلَى حَالٍ^(١) . ومن أجاز عليهم العقاب فقد أَعْظَمَ الْفِرْيَةَ وَقَبَّحَ الذِّكْرَ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ .

وإِذَا أَخْرَجَهُمُ مِنَ الْجَنَّةِ ؛ لِأَنَّهُ تَغَيَّرَتِ الْمَصْلُحَةُ لَمَّا تَنَاوَلَ مِنَ الشَّجَرَةِ ، واقتضى التدبير والحكمة تكليفه في الأرض وسَلْبَهُ مَا أَلْبَسَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ لِبَاسِ الْجَنَّةِ .

وقال قوم : إِنَّ الْإِبَاسَ اللَّهُ لَهُ ثِيَابَ الْجَنَّةِ كَانَ تَفْضُلًا . وللمتفضِّل أَنْ يَمْنَعَ ذَلِكَ تَشْدِيدًا لِلْمَحَنَةِ . كما يُفْقِرُ بَعْدَ الْغِنَى ، وَيُمِيتُ بَعْدَ الْإِحْيَاءِ ، وَيُسْقِمُ بَعْدَ الصَّحَّةِ .

فإن قيل : كيف وصل إبليس إلى آدم حتَّى أَغْوَاهُ ووسوس إليه وآدم كان في الجنة ، وإبليس قد أُخْرِجَ مِنْهَا حين تَأَبَّيَ مِنَ السَّجُودِ ؟
قيل : عن ذلك أجوبة :

أحدها^(١): إِنَّ آدَمَ كَانَ يَخْرُجُ إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ ، وَابْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مَمْنُوعاً مِنَ الدَّنْوِ مِنْهُ ، وَكَانَ يَكْلُمُهُ وَيُغْوِيهِ .

الثاني : وقال آخرون : إِنَّهُ كَلَّمَهُمَا مِنَ الْأَرْضِ بِكَلَامٍ فَهَمَاهُ مِنْهُ وَعَرَفَاهُ .

والثالث : قال قوم : إِنَّهُ دَخَلَ فِي فَقَمِ الْحَيَةِ ، وَخَاطَبَهُمَا مِنْ فَقَمِهَا .
وَالْفَقَمُ : جَانِبُ الشَّدْقِ .

والرابع : قال قوم : رَاسَلَهُمَا بِالْخَطَابِ .
وظاهر الكلام يدلّ على أَنَّهُ شَافَهُمَا بِالْخَطَابِ .
والخامس : وقال قوم : يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ قَرُبَ مِنَ السَّمَاءِ فَكَلَّمَهُمَا .

فأما ما روي عن سعيد بن المسيّب : إِنَّهُ كَانَ يَحْلِفُ وَلَا يَسْتَثْنِي : إِنَّ آدَمَ مَا أَكَلَ مِنَ الشَّجَرَةِ وَهُوَ يَعْقِلُ ، وَلَكِنْ حَوَاءَ سَقَتْهُ الْخَمْرُ حَتَّى إِذَا سَكَرَ قَادَتْهُ إِلَيْهَا فَأَكَلَ^(٢) .
فإنّه خبر ضعيف .

وعند أصحابنا : إِنَّ الْخَمْرَ كَانَتْ مُحَرَّمَةً فِي سَائِرِ الشَّرَائِعِ .
ومن لم يقل ذلك ، يقول : لو كان كذلك ، لما توجّه العتب على آدم ،
ولا كان عاصياً بذلك ، والأمر بخلاف ذلك . وإنّما قلنا ذلك ؛ لأنّ النائم غير مكلف في حال نومه ؛ لزوال عقله ، وكذلك المغمى عليه ، وكذلك

(١) اختلفت النسخ في التسلسل إثباتاً وعدمأً ، أثّرنا الإثبات ؛ للوضوح والسهولة .
(٢) انظر : تفسير جامع البيان ١ : ١٨٨ ، تاريخ الأمم والملوك ١ : ١١١ ، تفسير النكت والعيون ١ : ١٠٦ ، تفسير الكشف والبيان ١ : ١٨٣ ، المنتظم ١ : ٢٠٦ .

السكران . وإنّما يؤاخذ السكران بما يفعله في شرعنا لمّا ثبت تحريم ما يتناوله اسمُ المسكر . وإلّا فحكمه حكم النائم عقلاً .

وقد قلنا : إنّ أكلهما من الشجرة كان على وجه ترك الندب ، دون أنّ يكون ذلك محظوراً عليهما ، لكن لمّا خالفا في ترك المندوب إليه تغيّرت المصلحة ، واقتضت إخراجهما من الجنّة . وقد دللنا على ذلك في ما مضى ^(١) .

والسادس : وقال قوم : تعمّد ذلك .

والسابع : وقال آخرون : تُهي عن جنس الشجرة ، وأخطأ .

والثامن : وقال قوم : إنّهُ تأوّل النهي الحقيقي ، فحمله على الندب ، فأخطأ .

وقد بيّنا ما عندنا فيه ^(٢) .

فإن قيل : كيف يكون ذلك ترك الندب مع قوله : ﴿ فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ﴾ ^(٣) ؟

قلنا التوبة : هي الرجوع . ويجوز أنّ يرجع تاركُ الندب عن ذلك ، ويعزم على أن لا يعود إلى مثله فيكون تائباً .

ومن قال : وقعت معصيته مُحِبّة . يقول : إنّهُ تاب توبة صحيحة ؛ لأنّ بها يخرج عن الإصرار . كما تجدد التوبة بعد التوبة ، وإن كانت الأولى أسقطت العقاب .

فإن قيل : كيف يكون ذلك ندباً أو صغيرة وإبليس يقول لهما :

(١) مضى في صفحة : ٨٦ .

(٢) انظر صفحة : ٨٦ .

(٣) سورة البقرة : ٢ : ٣٧ .

﴿ مَا نَهَكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴾ * وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴿١١﴾ ؟

قيل : ما قبلًا ذلك من إبليس ، ولو قبلًا كانت المعصية أعظم . فلمَّا لم يعاتبهما الله على ذلك ، دلَّ على أنَّهما لم يقبلاه .

وهذا جواب من يقول : إنَّه كان صغيرة أو كان ناسياً .

وعلى ما قلناه - إنَّ ذلك كان ندباً - لا نحتاج إلى ذلك ، بل نقول : دليل العقل أمَّنَّا من وقوع قبيح من آدم والأنبياء . فلو كان صريحاً لتركنا ظاهره ؛ لقيام الدليل على خلافه . على أنَّه لا يمنع أنَّ يقاسمهما : إنَّه لمن الناصحين في ترك الندب . وأنَّ ما ظاهره النهي تركه يُوجب أنَّ يصيرا من الخالدين .

وقوله : ﴿ مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴾ :

يحتمل أنَّ يكون أراد : من لباسهما حتَّى بدت لهما سواتهما .

ويحتمل أنَّ يكون : من الجنة ، حتَّى أهبطا .

ويحتمل أنَّ يكون أراد : من الطاعة إلى المعصية .

وقوله : ﴿ أَهْبَطُوا ﴾ :

فالهبوط ، والنزول ، والوقوع نظائر .

ونقيضُ الهبوط والنزول : الصعود .

يُقال : هَبَطَ يَهْبِطُ : إذا انْحَدَرَ فِي هُبُوطٍ مِنْ صُعُودٍ . والهَبُوطُ اسم

كالْحُدُورِ ، وهو : الموضع الذي يَهْبِطُكُ مِنْ أَعْلَى إِلَى أَسْفَلٍ . والهَبُوطُ :

المصدر. قال ابن دُرَيْد^(١): هَبَطَتْهُ وَأَهْبَطَتْهُ [لغتان فصيحتان]^(٢).

وَالْعَدَاوَةُ، وَالْبَرَاءَةُ، وَالْمُبَاعَدَةُ، نَظَائِرُ، وَضَدَّ الْعَدُوَّ الْوَلِيَّ.

وَالْعَدُوُّ: - خَفِيف - الْحُضُرُ^(٣). وَالْعَدُوُّ - ثَقِيل - يُقَالُ: فِي التَّعَدِي.

وَقُرِئَ: ﴿فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا﴾ وَعَدْوًا^(٤) ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾^(٥).

وَالْعَدْوَانُ: الظُّلْمُ. وَالْعَدَوَى: طَلَبُكَ إِلَى الْوَالِي لِيُعْذِيكَ عَلَى مَنْ ظَلَمَكَ،

أَي: يَنْتَقِمَ لَكَ.

وَالْعَدُوُّ: اسْمٌ جَامِعٌ لِلوَاحِدِ وَالْأَثْنَيْنِ وَالْجَمْعِ وَالْمَذْكَرِ وَالْمَوْثُثِ. فَإِذَا

(١) مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ دَرِيدٍ، أَبُو بَكْرٍ الْأَزْدِيُّ اللَّغَوِيُّ، وَرَدَ بِغَدَادَ، حَدَّثَ عَنِ الزَّيَّاشِيِّ وَالسَّجِسْتَانِيِّ. رَوَى عَنْهُ السَّيْرَافِيُّ وَالْمَرْزَبَانِيُّ وَغَيْرُهُمْ، لَهُ: جُمُهِرَةُ اللَّغَةِ، الْاِشْتِقَاقُ، الْمُجْتَنِبِيُّ، الْمُقْتَبَسُ، الْمَلَاخُنُ، غَرِيبُ الْقُرْآنِ، وَغَيْرُهَا كَثِيرٌ. مَاتَ عَامَ: ٣٢١ هـ.

له ترجمة في المنتظم ١٣: ٣٢٩ ت ٢٣٢٨، إنباء الرواة ٣: ٩٢ ت ٦١٩، مرآة الجنان ٢: ٢١٢، سِيرَ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ ١٥: ٩٦ ت ٥٦ ومصادره، إضافة لمقدمات كتبه المطبوعة.

(٢) الزيادة مُؤَصَّحَةٌ مِنْ جُمُهِرَةِ اللَّغَةِ ١: ٣٦٣ تخلو منها جميع النسخ، وانظر المادة اللُّغَوِيَّةُ «هَبَطَ» إضافة إلى الجُمُهِرَةِ فِي: الْعَيْنُ ٤: ٢١، تَهْذِيبُ اللَّغَةِ ٦: ١٨١، الْمُحِيطُ فِي اللَّغَةِ ٣: ٤٣٦، الصَّحَاحُ ٣: ١١٦٩، لِسَانُ الْعَرَبِ ٧: ٤٢١.

(٣) الْحُضُرُ وَالْإِخْضَارُ: ارْتِفَاعُ الْفَرَسِ فِي عَدْوِهِ وَمِنْهُ الْحَدِيثُ (... ثُمَّ كَحْضُرِ الْفَرَسِ...) لِسَانُ الْعَرَبِ ٤: ٢٠١ (حَضَرَ).

(٤) وَثَالِثَةٌ (عَدْوًا) بَفَتْحِ الْعَيْنِ وَتَشْدِيدِ الْوَاوِ. انظر: معاني القرآن للأخفش ٢: ٥١ معاني القراءات: ١٦٤، مختصر في شواذ القرآن: ٤٥، إعراب القرآن للنحاس ٢: ٨٩، الغاية في القراءات العشر: ٢٤٧، المحتسب ١: ٢٢٦، التذكرة في القراءات ٢: ٤٠٦ ت ٣٨، التلخيص في القراءات الثمان: ٢٦٠، الموضح في وجوه القراءات وعللها ١: ٤٩٠، غاية الاختصار ٢: ٤٨٤ ت ٨٥٧، إعراب القراءات الشواذ ١: ٥٠٧. وغيرها كثير.

(٥) سورة الأنعام ٦: ١٠٨.

جَعَلْتَهُ نَعْتًا، قُلْتُ: الرجلانِ عَدَوَاكَ، والرجُلانِ عَدَاؤُكَ، والمرأتانِ عَدَوَاتُكَ، والنَّسوةُ عَدَوَاتُكَ.

وأصل الباب: المجاوزة. يقال: لا يَغْدُوَنَّكَ هذا الأمر، أي: لا يَتَجَاوَزَنَّكَ^(١).

وقوله: ﴿أَهْبِطُوا﴾:

إنَّما قال بالجمع؛ لأنَّه يُحتمل أشياء:

أحدها: إنَّه خاطب آدم وحواء وإبليس، فيصلح ذلك، وإن كان إبليس أهبط من قبلهما. يقال: أُخْرِجَ جَمِيعٌ مِّنْ فِي الجَيْشِ وإن أُخْرِجُوا متفرِّقين. اختار هذا الزَّجَّاج^(٢).

والثاني: إنَّه أراد آدم وحواء والحية.

والثالث: آدم وحواء وذريَّتهما.

والرابع: قال الحسن: إنَّه أراد آدم وحواء والوسوسة.

وظاهر القول وإن كان أمراً فالمراد به التهديد. كما قال: ﴿أَعْمَلُوا مَا

سُئِلْتُمْ﴾^{(٣)(٤)}.

(١) لمادة «عَدَوَ» وتفصيلاتها انظر: العين ٢: ٢١٣، جمهرة اللغة ١: ٦٦٦، تهذيب

اللغة ٣: ١٠٨، المحيط في اللغة ٢: ١٢٢، الصحاح ٦: ٢٤١٩، لسان العرب

٣١: ١٥، تاج العروس ١٩: ٦٥٨.

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزَّجَّاج ١: ١١٥.

(٣) سورة فصلت ٤١: ٤٠.

(٤) الآراء تجدها منسوبة وغير منسوبة في: تفسير مجاهد بن جبر: ٢٠٠، تفسير

الحسن البصري «جمع» ٢: ٤١، التفسير المنسوب للإمام العسكري عليه السلام: ٢٢٢

وقوله : ﴿مُسْتَقَرًّا﴾ :

قرار ؛ لقوله : ﴿جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا﴾^(١) . وقيل معناه : مستقرٌّ

في القبور . والأول أقوى وأحسن .

والقَرَارُ : الثبات . والبَقَاءُ مِثْلُهُ .

وضدَّ القرار : الانزعاج . وضدَّ الثبات : الزوال ، وضدَّ البقاء : الفناء .

ويقال : قرَّ قراراً ، وأقرَّه إقراراً .

والاستِقرار : الكون أكثر من^(٢) وقت واحد على حال .

والمستقرُّ : يحتمل أن يكون بمعنى الاستِقرار ، ويحتمل أن يكون

بمعنى المكان الذي يُستقرُّ فيه^(٣) .

وقوله تعالى : ﴿وَمَتَّعَ إِلَىٰ حِينٍ﴾ :

فالمَتَاع ، والتَّمَتُّع ، والتَّلَذُّذ ، والمُتَنَّةُ متقارب المعنى .

وضدَّه : التَّأْلُم .

جاءت ١٠٤ ، تفسير جامع البيان ١ : ١٩٠ ، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازي

١ : ٨٨ ت ٣٩١ - ٣٩٧ ، تفسير بحر العلوم ١ : ١١٢ ، أمالي المرتضى ٢ : ١٥٤ ،

تفسير كتاب الله العزيز للهواري ١ : ٩٩ ، تفسير النكت والعيون ١ : ١٠٧ ، وفيه :

والمُؤَسَّوْس ، تفسير الوسيط ١ : ١٢٢ ، تفسير السمعاني ١ : ٦٩ ، تفسير المحرر

الوجيز ١ : ١٨٩ ، تفسير زاد المسير ١ : ٦٨ ، تفسير البرهان ١ : ١٧٨ ت ٣٩٩ وما بعدها .

(١) سورة غافر ٤٠ : ٦٤ .

(٢) اختلفت النسخ في ضبط التعريف ففي «س ، ل ، خ» : المثبت ، ولعله الصحيح .

وفي «هـ ، و» : الكون في وقت . والحجرية : الكون من وقت واحد .

(٣) المادَّة اللُّغوية «قَرَزَ» ومطابقتها ينظر لها : العين ٥ : ٢١ ، تهذيب اللغة ٨ : ٢٧٦ ،

المحيط في اللغة ٥ : ٢٠٦ ، الصحاح ٢ : ٧٨٨ ، لسان العرب ٥ : ٨٢ ، مفردات

ألفاظ القرآن : ٦٦٢ ، عمدة الحفاظ ٣ : ٢٩٣ ، وقبلها الأفعال لابن القوطية : ٥٤ ،

تاج العروس ٧ : ٣٧٨ .

ويقال: أَمْتَعَهُ به إِمْتاعاً، وَتَمَتَّعَ تَمَتُّعاً، وَاسْتَمْتَعَ اسْتِمْتاعاً، وَمَتَّعَهُ تَمْتِيعاً. وَمَتَّعَ النَّهَارُ مَتْنُوعاً: وذلك قبل الزوال.

وَالْمَتَاعُ مَنْ أَمْتَعَهُ الْبَيْتُ: مَا يَسْتَمْتَعُ بِهِ الْإِنْسَانُ مِنْ حَوَائِجِهِ. وَكُلُّ شَيْءٍ تَمَتَّعْتَ بِهِ فَهُوَ مَتَاعٌ.

ومنه مُتْعَةُ النِّكَاحِ، وَمُتْعَةُ الْمُطَلَّاقَةِ، وَمُتْعَةُ الْحَجِّ^(١).

وقوله تعالى: ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾:

فَالْحِينُ، وَالْمُدَّةُ، وَالزَّمَانُ مُتَقَارِبٌ.

وَالْحَيْنُ: الْهَلَاكُ، حَانَ يَحِينُ؛ وَكُلُّ شَيْءٍ لَمْ يُؤَفَّقْ لِلرَّشَادِ فَقَدْ حَانَ حَيْنًا.

وَالْحِينُ: وَقْتُ مِنَ الزَّمَانِ، وَجَمْعُهُ: أَخْيَانٌ. وَجَمْعُ الْجَمْعِ: أَحَايِينُ.

ويقال: حَانَ يَحِينُ حَيْنُونَةً. وَحَيْنْتُ الشَّيْءَ: جَعَلْتُ لَهُ حَيْنًا. وَحِينْتُ:

تَبْعِيدُ قَوْلِكَ: الْآنَ. فَإِذَا بَاعَدُوا بَيْنَ الْوَقْتَيْنِ، بَاعَدُوا بِهِ: (إِذْ) فَقَالُوا: حِينِيذُ.

وَالْحِينُ: يَوْمُ الْقِيَامَةِ.

وَأَصْلُ الْبَابِ: الْوَقْتُ. فَالْحَيْنُ: وَقْتُ الْهَلَاكِ، ثُمَّ كَثُرَ فَسَمِيَ الْهَلَاكُ

بِهِ. وَالْحِينُ: الْوَقْتُ الطَّوِيلُ^(٢).

وقيل: إِنَّ الْحِينَ فِي الْآيَةِ يَعْنِي إِلَى الْمَوْتِ. وَقِيلَ: إِلَى الْقِيَامَةِ. وَقِيلَ:

إِلَى أَجَلٍ.

(١) «مَتَّعَ» لغة تجدها في: العين ٢: ٨٣، جمهرة اللغة ١: ٤٠٣، تهذيب اللغة ٢: ٢٩٠، المحيط في اللغة ١: ٤٥٠، الصحاح ٣: ١٢٨٢، لسان العرب ٨: ٣٢٨.

(٢) لمصادر لغة «حَيْنَ» ينظر: العين ٣: ٣٠٤، ١: ٥٧٥، تهذيب اللغة ٥: ٢٥٥، المحيط في اللغة ٣: ٢١٦، الصحاح ٥: ٦ - ٢١، لسان العرب ١٣: ١٣٣.

وقال ابن السراج : إذا قيل : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ ﴾ ظَنُّ أَنَّهُ غير منقطع . فقيل : ﴿ إِلَى حِينٍ ﴾ أي : حين انقطاعه ^(١) .

والفرق بين قول القائل : هذا لك حيناً ، وبين قوله : إلى حين : إن «إلى» تدلّ على الانتهاء ، ولا بدّ أن يكون له ابتداءً ، وليس كذلك الوجه الآخر . ومعنى قوله تعالى : ﴿ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾ :

قال الحسن : بني آدم ، وبني إبليس ^(٢) .

وليس ذلك بأمرٍ على الحقيقة ؛ بل هو تحذير ؛ لأنّ الله لا يأمر بالعداوة . وفي الآية دلالة على أنّ الله تعالى لا يريد المعصية . ولا يصدّ أحداً عن طاعته ، ولا يُخرجه عنها .

ولا تُنسب المعصيةُ إليه ؛ لأنّه نسبها إلى الشيطان ، وهو يتعالى عمّا عابَ به الأبالسة والشياطين .

قوله تعالى :

﴿ فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ آية (٣٧) .

قرأ ابن كثير : (آدم) بنصب الميم ، (كلمات) : برفع التاء ^(٣) .

(١) الآراء في المصادر التالية منسوبة وغير منسوبة في : معاني القرآن وإعرابه للزجاج ١ : ١١٥ ، تفسير جامع البيان ١ : ١٩٢ ، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ١ : ٩٠ ت ٤٠٣ ، تفسير بحر العلوم ١ : ١١٢ ، تفسير النكت والعيون ١ : ١٠٨ ، تفسير الوسيط ١ : ١٢٤ ، تفسير كلام الله العزيز ١ : ٩٩ ، تفسير المحرّر الوجيز ١ : ١٨٩ .

(٢) تفسير الحسن البصريّ (جمع) ٢ : ٤١ ت ٤٥ ، تفسير النكت والعيون ١ : ١٠٨ .

(٣) أشارت أغلب كتب القراءات إلى هذه ، وفي البعض توجيه لها ، لمزيد الفائدة لله

يقال : لَقِيَ زَيْدٌ خَيْرًا ، فيتعدى الفعل إلى مفعول واحد . ومنه قوله :
﴿ فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ ﴾ ^(١) . وقوله : ﴿ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً
فَاتَّبَعُوا ﴾ ^(٢) و ﴿ لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴾ ^(٣) .

فإذا ضَعُفَت العين ؛ تعدى إلى مفعولين ، تقول : لَقِيتُ زَيْدًا خَيْرًا ، قال
الله تعالى : ﴿ وَلَقَهُمْ نَصْرٌ وَسُرُورًا ﴾ ^(٤) .

وتقول : أَلَقِيتُ بَعْضَ مَتَاعِكَ عَلَى بَعْضٍ ، فتعدّيه إلى مفعول واحد ؛
لأنه بناء مُفْرَد لا لأنه منقول من لقيه ؛ لأنه لو كان منقولاً لتعدى إلى
مفعولين . وتقول : لَقِيتُهُ لَقِيَةً وَاحِدَةً ، في التلاقي والقتال . وَلَقِيتُهُ لِقَاءً وَلِقْيَانًا
وَلِقَاءً .

وقوله : ﴿ نَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ ﴾ ^(٥) معناه يَلْقَوْنَ ثَوَابَهُ بخلاف
قوله : ﴿ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾ ^(٦) .

﴿ انظر : السبعة في القراءات : ١٥٤ ، معاني القراءات : ٤٨ ، إعراب القراءات السبع : ١ :
٨٢ ، الحجة في القراءات السبع : ٧٥ ، الحجة للقراء السبعة ٢ : ٢٣ ، حجة
القراءات : ٩٤ ، الغاية في القراءات العشر : ١٧٦ ، التذكرة في القراءات ٢ : ٣١٢
٩ ، الكشف عن وجوه القراءات ١ : ٢٣٦ ت ٢١ ، التيسير في القراءات السبع :
٧٢ .

(١) سورة محمد ﷺ ٤٧ : ٤ .

(٢) سورة الأنفال ٨ : ٤٥ .

(٣) سورة الكهف ١٨ : ٦٢ .

(٤) سورة الإنسان ٧٦ : ١١ .

(٥) سورة الأحزاب ٣٣ : ٤٤ .

(٦) سورة مريم ١٩ : ٥٩ .

ومعنى ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾ : تعلمها . يقال : تَلَقَّيْتُ هذا من فلانٍ ، أي : قَبِلْتُ فهمي مِنْ لفظه . قال أبو عبيدة : قال أبو مهدي^(١) - وتلا علينا الآية قال - : تَلَقَّيْتُهَا مِنْ عَمِّي ، تَلَقَّاهَا مِنْ أَبِي هُرَيْرَةَ^(٢) ، تَلَقَّاهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ^(٣) .

وأصل المُلاَقاة المُلاصَقةُ : لكنّه كثر حتّى قيل : لاقى فلانٌ فلاناً : إذا قاربَه ، وإن لم يُلاصِقه . وكذلك تَلاقى الجيْشان ، وتَلاقى الفُرسانُ . ويقال : تَلاقى الخَطَّان ، أي : تَماساً .

وتقول : تَلَقَّيْتُ الرجلَ ، بمعنى اسْتَقْبَلْتُهُ . وتَلَقَّاني : اسْتَقْبَلْنِي . فعلى هذا يجوز في العربية رفعُ آدم ، ونصبُه ، مع رفع الكلمات . والاختيار قراءة الأكثر ؛ لأن معنى التَّلَقَّى ههنا القبولُ . فكأنه قال : فَقَبِلَ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كلمات .

(١) في النسخ «و ، ل ، الحجرية» : أبو مهديّة وليس له ترجمة في ما توفّر من المصادر الرجاليّة لدينا ، وفي مجاز القرآن و«خ ، هـ» المثبت ، ولم يترجم بأكثر من أنّه : أبو مهديّ الأعرابيّ من شيوخ الأصمعيّ ومن فصحاء الناس ، روى عن أبي هريرة توسّط عمّه ، خولط آخر عمره .
انظر لسان الميزان ٨ : ٣١ ت ١٠٧٤٨ .

(٢) أبو هريرة الدّوسيّ ، شيخ المضيرة ، اختلف في اسمه وسبب كنيته كثيراً ولا يضرّ ، إذ هو يكنيته أشهر وأعرف ، عدّ في الصحابة وكانت صحبته للنبي ﷺ فترة قصيرة ، روي عنه من الأحاديث عدداً مدهشاً بالنسبة لصحبته ، اختلف في شأنه كثيراً ، والموسوعات هي الكفيلة في البيان . مات عام : ٥٩ هـ .

انظر : تاريخ الإسلام حوادث ٤١ - ٦٠ هـ : ٣٤٧ ، سير أعلام النبلاء ٢ : ٥٧٨ ت ١٢٦ ، أبو هريرة الدّوسيّ لأبي ريّة وغيرها كثير .

(٣) مجاز القرآن ١ : ٣٨ ، إعراب القراءات السبع ١ : ٨٣ .

وإنما جاز نصب «آدم»؛ لأن الأفعال المتعدية إلى المفعول به على ثلاثة أقسام:

أحدها: يجوز أن يكون الفاعل له مفعولاً به والمفعول به فاعلاً. نحو: أَكْرَمَ بِشْرٌ بَكْرًا، وَشَمَّ زَيْدٌ عَمْرًا.

[ثانيها:] ومنها: ما لا يكون فيه المفعول به فاعلاً، نحو: أَكَلْتُ الْخُبْزَ، وَسَرَقْتُ دِرْهَمًا، وَأَعْطَيْتُ دِينَارًا، وَأَمْكَنْتِي الْغُوصَ.

وثالثها: ما يكون إسنادُه إلى الفاعل في المعنى كإسناده إلى المفعول به، نحو: أَصَبْتُ وَنَلْتُ وَتَلَقَّيْتُ. تقول: نالني خيرٌ، ونلتُ خيرًا. وأصابني خيرٌ، وأصبتُ خيرًا. وَلَقَيْتُ زَيْدًا، وَلَقَيْتُ زَيْدًا. وتلقَّيتُه. وتلقَّيتُه. وقال تعالى: ﴿وَقَدْ بَلَغَنِي الْكِبَرُ﴾^(١). وقال: ﴿وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾^(٢). فعلى هذا الرفع والنصب في المعنى واحدٌ في الآية.

وإنما أختير رفعُ آدم؛ لأن عليه الأكثر وشواهد أكثر، كقوله: ﴿إِذْ تَلَوْنَاهُ بِالْأَسْتَكِّ﴾^(٣) فأسند الفعل إلى المُخَاطَبِينَ، والمفعول به كلامٌ يُتَلَقَّى. كما أن الذي تَلَقَّى آدمُ كلاماً مُتَلَقًى، وكما أسند الفعل إلى المخاطبين والمفعول به كلامٌ فجعل التلقي لهم، كذلك يلزم أن يُسند الفعل إلى آدم، فيُجعل التلقي له دون الكلمات.

فأما على ما قال أبو عبيدة أن معناه: قَبِلَ الكلمات، فالكلمات مقبولةٌ، فلا يجوز غير الرفع في آدم.

ومثل هذا في جواز إضافته تارةً إلى الفاعل، وأخرى إلى المفعول.

(١) سورة آل عمران ٣: ٤٠.

(٢) سورة مريم ١٩: ٨.

(٣) سورة النور ٢٤: ١٥.

قوله: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾^(١). وفي قراءة ابن مسعود: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمُونَ﴾^(٢).

والكلمات : جمع كلمة . والكلمة : اسم جنس ؛ لوقوعه على الكثير والقليل . يقولون : قال امرؤ القيس في كلمته ، يعني قصيدته . وقال قيس^(٣) في كلمته ، يعنون خطبته . فوقوعها على الكثير نحو ما قلناه ، ووقوعها على القليل فإن سبويه قد أوقعها على الاسم المفرد ، والفعل المفرد ، والحرف المفرد . فأما الكلام فإن سبويه قد استعمله في ما كان مؤلفاً من هذه الكلم فقال : لو قلت : إن يضرب يأتينا ، وأشباه هذا لم يكن كلاماً . وقال أيضاً : (إن «قلت» إنما وقعت في كلام العرب على أن يحكى بها ، وإنما تحكى بعد

(١) سورة البقرة ٢ : ١٢٤ .

(٢) أشير إليها في : مختصر في شواذ القرآن : ١٦ ، معاني القرآن للقرءاء ١ : ٢٨ ، الحجة للقرءاء السبعة ٢ : ٤١ .

(٣) قيس - بالفتح والكسر - : رتبة دينية عند النصارى ، وبالضم المراد : قيس بن ساعدة ابن عمرو بن عددي بن مالك الإبادي ، أشقف نجران ، من حكماء العرب ، عمّر حتى أدرك النبي ﷺ ، عدت له بعض الأوليات ، كان مقرراً بالبعث ، له القول المشهور : «مالي أرى الناس يذهبون فلا يرجعون ! أرضوا بالمقام فأقاموا؟ أم تركوا فناموا؟ سبيل مؤتلف وعمل مختلف» .
له أبيات حكمية منها :

في الذاهبين الأولين من	القرون لنا بصائر
لما رأيت موارد	للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها	يمضي الأكابر والأصاغر
أبقت أني لا مح	لـ حيث صار القوم صائر

قال عنه النبي ﷺ : «قُس يُحشر أُمَّةً وحده» .

له ترجمة في : ثمار القلوب : ١٢١ ت ١٧٢ ، مروج الذهب ١ : ٧٦ ت ١٣٥ ، خزانة الأدب للبغداد ٢ : ٧٧ - ٩١ ش ٩٢ ، المعارف لابن قتيبة : ٦١ ، الإصابة ٥ : ٢٨٥ ت ٧٣٣٤ . وغيرها كثير .

القول ما كان كلاماً لا قولاً^(١). وأوقع الكلام على المتألف .

والذي حرّره المتكلمون : إنّ حدّ الكلام ما انتظم من حرفين فصاعداً من هذه الحروف المعقولة ، إذا وقع ممّن تصحّ منه أو من قبيله الإفادة ، ثمّ ينقسم قسمين : مفيد ، ومهمّل^(٢) .

فالذي أراد سيبويه أنّه لا يكون كلاماً ، أنّه لا يكون مفيداً ، وذلك صحيح .

فأمّا تسميته بأنّه كلامٌ ، فصحيح^(٣) . وكيف لا يكون صحيحاً ، وقد قسموه إلى قسمين : مهمّل ، ومفيد ، فأدخّلوا المهمّل الذي لا يفيد في جملة الكلام؟! والكلمة ، والعبارة ، والإبانة نظائر ، وبينها فروق .

والفرق بين الكلمة والعبارة : إنّ الأظهر في الكلمة هي الواحدة من جملة الكلام ، وإنّ قالوا في القصيدة : إنّها الكلمة . والعبارة : تصلح للقليل والكثير^(٤) .

وأما الإبانة : فقد تكون بالكلام وبالحال وغيرهما من الأدلة كالإشارة والعلامة وغير ذلك .

وأما النطق : فيدلّ على إدارة اللسان بالصوت ، وليس كذلك الكلام .

(١) الجملة المحصورة المحكيّة عن سيبويه مضطربة في النسخ المخطوطة والمطبوعة صُحِّحت إلى المثبت بالاعتماد على « الكتاب » ١ : ١٤ و ١٢٢ . ولاحظ الحجة للقراء السبعة ٢ : ٣٢ ، لسان العرب ١٢ : ٥٢٢ .

(٢) للمثال ينظر : العدة في أصول الفقه ١ : ٢٨ فصل ٤ حقيقة الكلام ، تمهيد الأصول : ١١٧ تقريب المعارف : ٦٦ . وغيرها ، ومن العامة : المحصول ١ : ١٧٧ ، الإرشاد للجويني : ١٠٧ وغيرها كثير .

(٣) من نسخة « هـ » ، وفي الباقي : صحيح ، ولا يمكن المساعدة عليه .

(٤) معجم الفروق اللغوية : ٤٥٧ ت ١٨٣٦ .

ولهذا يقولون : ضربته فما تكلم . ولا يقولون : فما نطق ، إذا كان صاح . وكذلك لا يجوز أن يقال في الله : إنه ناطق .

وأما اللفظ فهو من قولك : لَفَظْتُ الشيء ، إذا أخرجته من فمك . وليس في الكلام مثل ذلك . ويقال : كَلَّمْتُهُ تَكْلِيمًا وَتَكْلَمًا . وتكلم تكلمًا ولذلك لا يجوز أن يقال فيه تعالى : لَفَظَ ، ولا : إنه لا فظ .

والكَلَمُ : الجَرْحُ . والجمع : الكُلوم . تقول : كَلَّمْتُهُ أَكْلِمُهُ ، فأنا كالِم ، وهو مَكْلوم .

وَكَلِيمُكَ : الذي يُكَلِّمُكَ . ويُقال : كَلِمَةً ، وكَلِم ، لغة تميمية ، وقيل : إنها حجازية ، وتميم حكى عنها كَلِمَةً بكسر الكاف وتسكين اللام ، وحكى تسكين اللام مع فتح الكاف ^(١) .

وأصل الباب : إنه أثر دالٌ .

والكَلَمُ : أثر دالٌ على الجارح .

والكلام : أثر دالٌ على المعنى الذي تحته .

والمتكلم : من وَقَعَ منه ما سَمِينَاهُ ^(٢) كلاماً بحسب دواعيه وأحواله ، وربما ^(٣) عُبِّرَ عنه بأنه الفاعل للكلام .

(١) اللغة ينظر لها : العين ٥ : ٣٧٨ ، جمهرة اللغة ١ : ٩٨١ ، تهذيب اللغة ١٠ : ٢٦٤ ، المحيط في اللغة ٦ : ٢٧٣ ، المحكم والمحيط الأعظم ٧ : ٤٩ ، الصحاح ٥ : ٢٠٢٣ ، لسان العرب ١٢ : ٥٢٢ ، عمدة الحفاظ ٣ : ٤١٨ ، ولاحظ : تاج العروس ١٧ : ٦٢٣ «كَلَمَ» في الجميع .

(٢) اختلفت النسخ في الضبط ، ففي «خ» : من وَقَعَ ما سَمِينَاهُ ، وفي الباقي : من رَفَعَ ما سَمِينَاهُ رفع . والمثبت : (وَقَعَ منه ما سَمِينَاهُ) من «س» ، ولعل لكل وجهاً .

(٣) المثبت من «خ» ، وفي «و» ، ل قديماً ، وكذا الحجرية واستظهر في هامشها المثبت .

وليس المتكلم من حلّه الكلام ؛ لأنّ الكلام يحلّ اللسان والصدى ولا يوصفان بذلك .

وقد بيّنا فساد الكلام النفسي في كتاب العُدّة في أصول الفقه . وقلنا : إنّ اختصر ذلك ، هل هو إلّا الخبر ، أو ما معناه معنى الخبر ، وإن كان لكلّ قسم معنى يخصّه ^(١) ؟ .

والكلمات التي تلقّاها آدم قال الحسن ، ومجاهد ، وقتادة ، وابن زيد : هي قوله : ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ ^(٢) فإنّ في ذلك اعترافاً بالخطيئة ؛ ولذلك وقعت موقع الندم ، وحقيقة الإنبابة .

وحكي عن مجاهد أنّه قال : هي قول آدم : اللَّهُمَّ لا إله إلا أنت ، سبحانك وبحمدك ، ربّ إنّني ظلمت نفسي فاغفر لي إنّك خير الغافرين . اللَّهُمَّ لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك ، ربّ إنّني ظلمت نفسي فارحمني ، إنّك أنت خير الراحمين . اللَّهُمَّ لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك ، ربّ إنّني ظلمت نفسي ، فتب عليّ إنّك أنت التّوّاب الرحيم .

وروي مثل ذلك عن أبي جعفر عليه السلام .

وحكي عن ابن عباس : إنّ آدم قال لربّه إذ عصاه : ربّ أرايت إنّ تُبْتُ وأصلحت ؟ . فقال له تعالى : إنّني راجعك إلى الجنّة . وكانت هذه الكلمات . وروي في أخبارنا : إنّ الكلمات هي توسّله بالنبي عليه السلام وبأهل بيته .

(١) لعلّه من سهو القلم ؛ إذ البحث مستوفى في تمهيد الأصول في علم الكلام : ١١٧ وما بعدها ، ولاحظ العُدّة في أصول الفقه ١ : ٢٨ فصل ٤ في حقيقة الكلام .

(٢) سورة الأعراف ٧ : ٢٣ .

وكل ذلك جائز^(١).

قوله تعالى: ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ :

فالتوبة، والإنابة، والإقلاع نظائر في اللغة. وضد التوبة: الإصرار، يقال: تاب يتوب توبةً، وتواباً واستتابه. والله تعالى يوصف بالتواب. ومعناه: إنه يقبل التوبة عن عباده.

وأصل التوبة: الرجوع عما سلف، والندم على ما فرط. والله تعالى تائب على العبد بقبول توبته. والعبد تائب إلى الله بمعنى نادى على معصيته.

والتائب: صفة مدح لقوله تعالى: ﴿التَّائِبُونَ الْعَبْدُونَ﴾^(٢).

والتوبة من شرطها الندم على ما مضى من القبيح، والعزم على أن لا يعود إلى مثله من القبيح؛ لأن هذه التوبة هي المجمع على سقوط العقاب عندها، وما عداها فمختلف فيه.

وقد يقول القائل: قد ثبت من هذا الأمر، يعني قد: عزمت ألا أفعله،

(١) الرواية عن المعصوم عليه السلام والأقوال تجدها في: تفسير مجاهد: ٢٠٠، تفسير الحسن البصري ٢: ٤٢ ت ٤٦، تفسير زيد الشهيد: ٨١، تفسير الصنعاني ١: ٢٦٧ ت ٤٤، التفسير المنسوب للإمام العسكري عليه السلام: ٢٢٤ ت ١٠٥، الكافي ٨: ٣٠٤، تفسير فرات الكوفي: ٥٧، تفسير العياشي ١: ١٢٩ ت ١٢٨، تفسير علي بن إبراهيم القمي ١: ٤٤، معاني الأخبار: ١٢٥، تفسير جامع البيان ١: ١٩٣، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازي ١: ٩٠ ت ٤٠٦، تفسير بحر العلوم ١: ١١٢، تفسير النكت والعيون ١: ١٠٩، تفسير الوسيط ١: ١٢٤، تفسير السمعي ١: ٦٩، تفسير المحرر الوجيز ١: ١٩٠، متشابه القرآن ومختلفه: ٢١٤، تأويل الآيات الظاهرة ١: ٥٠، تفسير زاد المسير ١: ٦٩، تفسير نور الثقلين ١: ٦٧ ت ١٤٢، تفسير البرهان ١: ١٩١ ت ٤١٦.

(٢) سورة التوبة ٩: ١١٢.

وصرّت بمنزلة التائب ، وذلك مجاز .

وكلّ معصية لله تعالى فإنّه يجب التوبة منها .

والطاعة لا يصحّ التوبة منها .

والتوبة يجب قبولها ؛ لأنها طاعة . فأما إسقاط العقاب عندها ففضل منه تعالى . وقالت المعتزلة ومن وافقها : ذلك واجب . وقد بينّا الصحيح من ذلك في شرح الجمل .

والتوبة إذا كانت من تَرْكِ نَدْبٍ عندنا تصحّ ، وتكون على وجه الرجوع إلى فعله . وعلى هذا تحمل توبة الأنبياء كلّهم في جميع ما نطق به القرآن ؛ لأنّا قد بينّا أنّه لا يجوز عليهم فعل القبيح ^(١) .

والمطبوع على قلبه له توبة ، وبه قال أهل العدل ^(٢) .

وقالت البكرية ^(٣) : لا توبة له .

وهو خطأ ؛ من قَبِلَ أنّه لا يصحّ تكليفه إلّا وهو مُمَكِّنٌ من أن يتخلّص من ضرر عقابه . وذلك لا يتمّ إلّا بأن يكون له طريق إلى إسقاط عقابه . وقد وعد الله بذلك - وإن كان تفضّلاً - إذا حصلت التوبة .

(١) تمهيد الأصول : ٢٧١ - ٢٧٢ ، وانظر ما تقدم في : ٨٦ .

(٢) اصطلاح كلاميّ يشير إلى المعتزلة والشيعة الإمامية الاثنى عشرية .

للبحث انظر : اوائل المقالات للشيخ المفيد : ١١٦ ت ١٢٢ ، المغني ١٤ : ٣٧٤ ، متشابه القرآن ١ : ٥١ و ٢١١ وانظر الفهرس ٢ : ٧٨٣ وهما للقاضي عبد الجبار .

(٣) البكرية : أصحاب بكر بن زياد ، ابن أخت عبد الواحد بن زيد الزاهد ، فرقة مستقلة بين الأشاعرة والمعتزلة ، لهم آراء وافقوا النظم في بعض وانفردوا بأخرى ، كقرهم المسلمون عليها .

انظر : مقالات الإسلاميين : انظر الفهرس ، التبصير في الدين : ١٠٩ ، الفرق بين الفرق : ٢١٢ ت ١١٧ ، معجم الفرق الإسلامية : ٦٠ ، موسوعة الفرق والجماعات الإسلامية : ١٥٥ ت ١٦٣ الملل والنحل للبغدادي : ١٤٦ .

واختلفوا في التوبة من الغضب، هل تصحّ مع الإقامة على منع
المغضوب؟

فقال قوم: لا تصحّ.

وقال آخرون: تصحّ، وهو الأقوى. إلا أنه يكون فاسقاً بالمنع يعاقب
عقاب المانع، وإن سقط عنه عقاب الغضب.

والصحيح: إن القاتل عمداً تصحّ توبته. وقال قوم: لا تصحّ.

والتوبة من القتل الذي يُوجب القود، قال قوم: لا تصحّ إلا
بالاستسلام لوليّ المقتول، وحصول الندم، والعزم على أن لا يعود.
وقال آخرون: تصحّ التوبة من نفس القتل، ويكون فاسقاً بترك
الاستسلام. وهذا هو الأقوى، واختاره الرّماني.

فأمّا التوبة من قبيح بفعل قبيح آخر، فلا تصحّ على أصلنا كالتائب من
الإلحاد بعبادة المسيح.

وقال قوم: تصحّ. وأجراه مجرى معصيتين يترك بإحداهما الأخرى،
فإنه لا يؤخذ بالمتروكة.

وقال قوم: التوبة من اعتقاد جهالة إذا كان صاحبها لا يعلم أنها
معصية، بأنه يعتقد: أنه لا محجوج إلا عارف. فإنه يتخلّص من ضرر تلك
المعصية إذا رجع عنها إلى المعرفة، وإن لم يوقع معها توبة.

وقال آخرون: لا يتخلّص إلا بالتوبة؛ لأنه محجوج فيه، مأخوذ
بالنزوع عن الإقامة عليه، وهو الأقوى.

فأمّا ما نسي من الذنوب، فإنه يجري مجرى التوبة منه على وجه الجملة.

وقال قوم: لا يجري. وهو خطأ؛ لأنه ليس عليه في تلك الحال أكثر

مما (علم)^(١).

فأما ما نَسِيَ من الذنوب ممّا لو ذكر لم تكن عنده معصية هل يدخل في الجملة إذا وقع التوبة من كلّ خطيئة ؟
قال قوم : يدخل فيها .

وقال آخرون : لا يدخل فيها ، لكنّه يتخلّص من ضرر المعصية ؛ لأنّه ليس عليه أكثر ممّا عِلِمَ في تلك الساعة .

والأوّل أقوى ؛ لأنّ العبد إذا لم يذكر صُرِفَتْ توبته إلى كلّ معصية هي في معلوم الله معصية .

فأما المشرك إذا كان يُعرف قبل توبته بفسق - إذا تاب من الشرك - هل يدخل فيه التوبة من الفسق في الحكم ، وإن لم يُظهر التوبة منه ؟ .

قال قوم : لا يزول عنه حكم الفسق ، وهو قول أكثر المعتزلة .
وقال قوم : يزول عنه حكم الفسق .

وقال الإخشيد : القول في هذا باجتهاد .

والذي يقوى في نفسي أنّه يزول ؛ لأنّ الإسلام الأصل فيه العدالة إلى أن يتجدّد منه بعد الإسلام ما يوجب تفسيقه .

فأما التوبة من قبيح مع الإقامة على قبيح آخر ، يعلم ويعتقد قبحه ، فعند أكثر من تقدّم : صحيحة . وقال أبو هاشم ، وأصحابه : لا تصحّ .
وقد قلنا ما عندنا في ذلك ، في شرح الجمل^(٢) .

واعتمد الأولون على أن قالوا : كما يجوز أن يمتنع من قبيح لقبحه ويفعل قبيحاً آخرًا وإن علم قبحه ، كذلك جاز أن يندم من القبيح مع المقام

(١) في نسخة «هـ» : عمل ، والمثبت من باقي النسخ يساعد عليه السياق .

(٢) اسمه : تمهيد الأصول في علم الكلام : ٢٧٢ ، وانظر : الهامش الآتي .

على قبيح آخر يعلم قبحه . وهذا إلزام صحيح معتمد ^(١) .

(١) نقرأ مقاطع من دعاء في التوبة للإمام الرابع للشيعة الإمامية علي بن الحسين سيد الساجدين عليه السلام يصف فيها التوبة وكيفيةها وشروطها حيث يقول : «اللَّهُمَّ يَا مَنْ لَا يَصِفُهُ نَعْتُ الْوَاصِفِينَ يَا مَنْ لَا يُجَاوِزُهُ رَجَاءُ الرَّاجِينَ وَيَا مَنْ لَا يَضِيعُ لَدَيْهِ أَجْرُ الْمُحْسِنِينَ وَيَا مَنْ هُوَ مُنْتَهَى خَوْفِ الْعَابِدِينَ وَيَا مَنْ هُوَ غَايَةُ خَشْيَةِ الْمُتَّقِينَ هَذَا مَقَامٌ مَنْ تَدَاوَلَتْهُ أَيْدِي الدُّنُوبِ وَقَادَتْهُ أَرْثَةُ الْخَطَايَا وَاسْتَحْوَذَ عَلَيْهِ الشَّيْطَانُ فَقَصَرَ عَمَّا أَمَرْتَ بِهِ تَفْرِيطاً ... » .

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَتُوبُ إِلَيْكَ فِي مَقَامِي هَذَا مِنْ كِبَائِرِ ذُنُوبِي وَصَغَائِرِهَا وَبَوَاطِنِ سَيِّئَاتِي وَظَوَاهِرِهَا وَسَوَالِفِ زَلَاتِي وَحَوَادِثِهَا تَوْبَةً مَنْ لَا يُحَدِّثُ نَفْسَهُ بِمَعْصِيَةٍ وَلَا يُضْمِرُ أَنْ يُمُودَ فِي خَطِيئَةٍ وَقَدْ قُلْتُ يَا إِلَهِي فِي مُحْكَمِ كِتَابِكَ إِنَّكَ تَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِكَ وَتَغْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَتُجِبُ التَّوَابِينَ فَأَقْبَلْ تَوْبَتِي كَمَا وَعَدْتَ وَأَغْفُ عَنِ سَيِّئَاتِي كَمَا ضَمَنْتَ وَأَوْجِبْ لِي مَحَبَّتَكَ كَمَا شَرَطْتَ وَلَكَ يَا رَبِّ شَرْطِي أَلَّا أَعُودَ فِي مَكْرُوهِكَ وَضَمَانِي أَنْ لَا أَرْجِعَ فِي مَذْمُومِكَ وَعَهْدِي أَنْ أَهْجُرَ جَمِيعَ مَعَاصِيكَ ... » .

«اللَّهُمَّ وَإِنَّهُ لَا وِفَاءَ لِي بِالتَّوْبَةِ إِلَّا بِعِصْمَتِكَ وَلَا اسْتِمْسَاكَ بِي عَنِ الْخَطَايَا إِلَّا عَنْ قُوَّتِكَ فَقَوْنِي بِقُوَّةِ كَافِيَةٍ وَتَوَلَّنِي بِعِصْمَةِ مَانِعَةٍ .

اللَّهُمَّ أَتُبَا عَبْدٌ تَابَ إِلَيْكَ وَهُوَ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ فَاسْخُ لَتَوْبَتِهِ وَعَابُدٌ فِي ذَنْبِهِ وَخَطِيئَتِهِ فَأَنِّي أَعُودُ بِكَ أَنْ أَكُونَ كَذَلِكَ فَأَجْعَلَ تَوْبَتِي هَذِهِ تَوْبَةً لَا أَحْتَاجُ بَعْدَهَا إِلَى تَوْبَةٍ تَوْبَةً مُوجِبَةً لِمَحْوِ مَا سَلَفَ وَالسَّلَامَةَ فِيمَا بَقِيَ .

اللَّهُمَّ إِنِّي أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِنْ جَهْلِي وَأَسْتَهِبُكَ سَوْءَ فِعْلِي فَأَضْمُنِي إِلَى كَنْفِ رَحْمَتِكَ تَطَوُّلاً وَأَسْتَرْنِي بِسِرِّ عَافِيَتِكَ تَفَضُّلاً ... » .

«اللَّهُمَّ إِنْ يَكُنِ النَّدَمُ تَوْبَةً إِلَيْكَ فَأَنَا أَتَدَمُّ النَّادِمِينَ وَإِنْ يَكُنِ التَّرُّكُ لِمَعْصِيَتِكَ إِنَابَةً فَأَنَا أَوَّلُ الْمُتَنَبِّينَ وَإِنْ يَكُنِ الْاسْتِغْفَارُ حِطَّةً لِلدُّنُوبِ فَأَنِّي لَكَ مِنَ الْمُسْتَغْفِرِينَ .

اللَّهُمَّ فَكَمَا أَمَرْتَ بِالتَّوْبَةِ وَضَمَنْتَ الْقَبُولَ وَحَثَّيْتَ عَلَى الدُّعَاءِ وَوَعَدْتَ الْإِجَابَةَ فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَأَقْبَلْ تَوْبَتِي وَلَا تَرْجِفْنِي مَرْجَعِ الْخَيِّبَةِ مِنْ رَحْمَتِكَ إِنَّكَ أَنْتَ الثَّوَابُ عَلَى الْمُذْنِبِينَ وَالرَّحِيمُ لِلْخَاطِئِينَ الْمُتَنَبِّينَ ... » ، الصحيفة السجادية الجامعة : ١٥١ ، دعاؤه في ذكر التوبة وطلبها ، رقم ٨٠ .

وروي عن المعصوم سلام الله عليه أنه قال : «التائب من الذنب كمن لا ذنب له» ، الكافي ٢ : ٣١٦ ح ١٠ .

هذا هو رأي الشيعة الإمامية الاثني عشرية في التوبة وما يحيط بها .
ثم إنّ الفروع والآراء التي أشار إليها الشيخ المصنّف وكيفيتها وشروطها متشعبة ومتفرقة ، ولكن الإشارة إلى بعض مصادرها لمعرفة الآراء والمذاهب فيها حسن ، فمن المصادر الشيعية للمثال انظر : أوائل المقالات للشيخ المفيد : ٤٨ ، ٨٥ ، ٨٦ - ٨٨ ، ١١٦ ، شرح جمل العلم والعمل للشيخ المرتضى : ١٤٨ ، المنقذ من التقليد للرازي : ٢ : ٨٢ - ١٢٠ ، الذخيرة في علم الكلام للشيخ المرتضى : ٣٠٢ ، تمهيد الأصول للشيخ الطوسي : ٢٧١ - ٢٨٨ ، النهاية للشيخ الطوسي : ٣٧٦ ، متشابه القرآن ومختلفه لابن شهر آشوب : ٢١٤ ، تجريد الاعتقاد لنصير الدين الطوسي : ٣٠٥ ، كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد للعلامة الحلّي : ٤١٧ ، قواعد المرام في علم الكلام لابن ميثم البحراني : ١٦٨ ، مناهج اليقين في أصول الدين للعلامة : ٣٦١ ، الباب الحادي عشر للعلامة مع شرحه النافع يوم الحشر للسيوري : ٥٧ ، ومفتاح الباب : ٢١٥ ، إرشاد الطالبين إلى نهج المسترشدين للسيوري : ٤٣٠ ، المحجة البيضاء في تهذيب الإحياء للفيض : ٧ : ٥ ، بحار الأنوار للمجلسي في موارد متفرقة مثلاً : ٦ : ٢٨ وما بعدها ، وانظر سفينة البحار للقمي : ١ : ٤٧٥ مادة (التوبة) ، إضافة إلى فهارس البحار ، رياض السالكين لابن معصوم المدني ، ينظر الفهارس منه : ٢ : ٢٦٠ ، حقّ اليقين في معرفة أصول الدين لعبدالله شبر : ٢٨٥ ، جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام للنجفي : ٤١ : ١٠٩ - ١١٦ ، موسوعة المواضيع في المصادر الإسلامية : ١ : ١٥٩ .

ومن المصادر السنية للمثال انظر : التوبة للمحاسبي ، آداب النفوس : ٦٥ ، الرعاية لحقوق الله للمحاسبي : ٦ و ١٢٩ و ١٣١ ، تنبيه الغافلين للسمرقندي : ١٠٢ - ١١١ ، التعرف للكلايادي : ١٠٧ ، مجرّد مقالات الشيخ أبي الحسن الأشعري لابن فورك : ١٥٩ - ١٦٠ ، ١٦٦ - ١٦٧ ، شرح الأصول الخمسة للفاضي : ٧٨٩ ، ٧٤٧ ، المغني في أبواب التوحيد والعدل للأسدآبادي : ١٤ : ٣١١ - ٤٦١ ، الملل والنحل للبغدادي : ١٣٢ ، اللمع للشيرازي : ٤١ - ٤٢ ، الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد للجويني : ٣٣٧ ، الذريعة إلى مكارم الشريعة للراغب : ١٧٧ - ١٧٨ ، إحياء علوم الدين للغزالي : ٤ : ٢ ، الأربعين في أصول الدين للغزالي : ١١٥ - ١٢٠ ، تفسير الكشاف للزمخشري : ١ : ٥١٢ - ٥١٣ ، تفسير المحرر الوجيز للأندلسي : ٤ : ٥١ - ٥٢

واختلفوا في التوبة عند ظهور أشرار الساعة، هل تصح أم لا؟ فقال الحسن: يحجب عنها عند الآيات الست. ورواه عن النبي ﷺ أنه قال: (بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سِتًّا: طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، أَو الدَّجَالُ، أَو الدُّخَانُ، أَو دَابَّةُ الْأَرْضِ، أَو خُوصَصَةٌ أَحَدِكُمْ - يعني: الموت - أَو أَمْرُ الْعَامَّةِ. يعني: القيامة) ^(١).

وقال قوم: لا شك أن بعض الآيات يحجب، وباقيها محجوز، وهو الأقوى.

وقوله: ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ :

يعني: قَبِلَ تَوْبَتَهُ ؛ لِأَنَّهُ لَمَّا عَرَّضَهُ لِلتَّوْبَةِ بِمَا أَلْقَاهُ مِنَ الْكَلِمَاتِ فَعَلَّ التَّوْبَةَ، وَقَبِلَهَا اللَّهُ تَعَالَى مِنْهُ .

[وقيل: تاب عليه. أي: وَفَّقَ لِلتَّوْبَةِ، وَهَدَاهُ إِلَيْهَا] ^(٢) فقال: اللَّهُمَّ تُبْ عَلَيَّ. أي: وَفَّقْنِي لِلتَّوْبَةِ. [فَلَقَّنَهُ الْكَلِمَاتِ حَتَّى قَالَهَا، فَلَمَّا قَالَهَا قَبِلَ تَوْبَتَهُ] ^(٣).

وقوله: ﴿إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ :

إنما ذكر ﴿الرَّحِيمُ﴾ ؛ لِيَدُلَّ بِذَلِكَ عَلَى أَنَّهُ مُتَفَضِّلٌ بِقَبُولِ التَّوْبَةِ ،

٥٢٣، تفسير الجامع لأحكام القرآن ٥ : ٩٠ - ٩٣، شرح العقيدة الطحاوية للدمشقي ٤٥١ : ٢، شرح المواقف للرجزاني ٨ : ٣١٤.

(١) انظر الحديث ولعله بتقديم وتأخير صحيح مسلم ٤ : ٢٢٦٧ ب ٢٥ ح ١٢٩ ت ٢٩٤٧ م، مسند أحمد ٢ : ٣٣٧ و ٣٧٢ ٤٠٧، ٥١١ و ٥٣٢، سنن ابن ماجه ٤ : ٤٣٠ ب ٢٨ ح ٤٠٥٦، مستدرک الحاكم ٤ : ٥١٦ وللمزيد لاحظ معجم ألفاظ الحديث النبوي ج ١ مادة «توب» .

(٢ و ٣) الجملتان المحصورتان أثبتتهما من نسخة «خ» فقط ؛ لاضطراب العبارة من دونهما، ومساعدة ما في مجمع البيان ١ : ١٧٥ عند تفسير الآية .

وَمُنْعَمَ بِهِ ، وَأَنَّ ذَلِكَ لَيْسَ هُوَ عَلَى وَجْهِ الْجُوبِ ، عَلَى مَا يَقُولُهُ الْمُخَالَفُ .
وَمَنْ خَالَفَ فِي ذَلِكَ يَقُولُ : لَمَّا ذَكَرَ ﴿ التَّوَابُ ﴾ بِمَعْنَى : الْغَفَّارِ
بِإِسْقَاطِ الْعُقُوبَةِ ، وَصَلَ ذَلِكَ بِذِكْرِ النِّعْمَةِ ؛ لِيَدُلَّ عَلَى أَنَّهُ مَعَ إِسْقَاطِ الْعُقُوبَةِ
لَا يُخْلِي الْعَبْدَ مِنَ النِّعْمَةِ الْحَاصِلَةِ تَرْغِيباً لَهُ فِي الْإِنَابَةِ وَالرَّجُوعِ إِلَيْهِ بِالتَّوْبَةِ .
و«تَوَاب» بِمَعْنَى : إِنَّهُ قَابِلُ التَّوْبَةِ ، لَا يُطْلَقُ إِلَّا عَلَيْهِ تَعَالَى ، وَلَا يُطْلَقُ
فِي الْوَاحِدِ مَنَّا .

وَأَمَّا قَالَ : ﴿ فَتَابَ عَلَيْهِ ﴾ . وَلَمْ يَقُلْ : فَتَابَ عَلَيْهِمَا ؛ لِأَنَّهُ اخْتَصَرَ
كَمَا قَالَ : ﴿ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ ﴾ ^(١) . وَمَعْنَاهُ : أَنْ يَرْضَوْهُمَا ،
كَذَلِكَ مَعْنَى الْآيَةِ : فَتَابَ عَلَيْهِمَا ، وَمِثْلُ ذَلِكَ قَوْلُهُ : ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تَبْعَرَءَ أَوْ
لَهَوًا أَنْفَضُوا إِلَيْهَا ﴾ ^(٢) وَقَالَ الشَّاعِرُ :

رَمَانِي بِأَمْرِ ، كُنْتُ مِنْهُ وَوَالِدِي بَرِيئاً ، وَمِنْ أَجْلِ الطَّوِيِّ رَمَانِي ^(٣) [١٧٧]

(١) سورة التوبة ٩ : ٦٢ .

(٢) سورة الجمعة ٦٢ : ١١ .

(٣) اختلف في عزوه كما اختلف في بعض ألفاظه .

المعنى : كانت بين الشاعر وغريمه خصومة في عائدية بئر ، فهجاه الخصم ونسب
إليه ما هو أولى به . وبعده :

دعاني لصاً في إصوص وما دعا بها والدي فيما مضى رجلاً
الطَّوِيُّ : البئر المنيبة بالحجارة . الجول - وهي الرواية الثانية - : أطراف البئر
والصحيح المثبت كما لا يخفى . رماني : قذفني كما يدل عليه البيت اللاحق .
الشاهد فيه : افراد الخبر «بريئاً» اعتماداً على أَنَّ خبر الثاني معلوم لمحل العطف
بينهما ؛ إذ لا يجوز أن يخبر بالمفرد عن المثني .

ديوان عمرو بن أحمَر الباهلي : ١٨٦ ، واحتمل فيه نسبته إلى طرفة بن العمد .
وانظر : الكتاب ١ : ٧٥ ، مجاز القرآن ٢ : ١٦١ ، معاني القرآن للأخفش ١ : ٢٥٣
ت ٢٩ ، شرح أبيات سيبويه : ٥١ ت ٦١ ، النكت في تفسير كتاب سيبويه ١ : ٢١٢ ،
للم

وقال آخر :

نَحْنُ بِمَا عِنْدَنَا، وَأَنْتَ بِمَا عِنْدَكَ رَاضٍ، وَالرَّأْيُ مُخْتَلِفٌ ^(١) [١٧٨]
وحكي عن الحسن ، أنه قال : لم يخلق الله آدم إلا للأرض ، ولو
لم يعص لخرج على غير تلك الحال ^(٢) .
وقال غيره : يجوز أن يكون خلقه للأرض إن عصى ، ولغيرها إن
لم يعص ^(٣) .

شرح الحماسة للمرزوقي ٢ : ٩٣٦ ، شرح الحماسة للتبريزي ٣ : ٣ ، إعراب القرآن
(المنسوب للزجاج) ٢ : ٦١١ .

(١) بيت شعر حكيم ، كثير الدوران في المصنّفات ، استشهد به النّحاة والمعانيون ،
اختلف في عزوه إلى خمسة شعراء .
المعنى : واضح .

الشاهد فيه : أفراد الخبر «راضٍ» اعتماداً على ظهور حكم الآخر منه لمحلّ
العطف فيهما ؛ لكون الخبر هذا مفرداً ولا يُخبر به عن الجمع .

انظر : لنسبته إلى قيس بن الخطيم : الكتاب ١ : ٧٥ ، النكت في كتاب سيبويه
١ : ٢١٢ ، معاهد التنقيص ١ : ١٨٩ ت ٣٤ ، وانظر الديوان : ٢٣٨ ت ١٨ ب ٣
وانظر : ١٠١ ت ٥ منه .

وإلى : عمرو بن أمّريق القيس الخزرجي : مجاز القرآن ١ : ٣٩ ، معجم الشعراء :
٥٦ ، خزانة الأدب للبغداد ٤ : ٢٧٥ ش ٢٩٨ وفيه بحث ظريف حول الشعر والنسبة .
وإلى درهم بن زيد : الانصاف ١ : ٩٥ ت ٤٧ .

ولمّار الأسدي : معاني القرآن للفراء ٢ : ٣٦٣ .

ومن دون نسبة : المقتضب ٣ : ١١٢ و ٤ : ٧٣ ، الصاحبي : ٣٦٢ ، تأويل مشكل
القرآن : ٢٨٩ ، معاني القرآن للفراء ١ : ٤٣٤ و ٤٤٥ ، المذكر والمؤنث ٢ : ٢٩٨ ،
أمالى الشجري ٢ : ٢٠ و ٤٥ م ٣٧ ، ٣٨ و ٣ : ١١٣ م ٧٧ ، مغني اللبيب ٢ : ٨١٠
ت ١٠٤٩ .

(٢) تفسير الحسن البصري (جمع) ٢ : ٣١ ت ٣٠ ، تفسير النكت والعيون ١ : ١١٠ .

(٣) تفسير النكت والعيون ١ : ١١٠ .

وهو الأقوى ؛ لأن ما قاله لا دليل عليه .

وروي عن قتادة : إن اليوم الذي قبل الله توبة آدم فيه يوم عاشوراء ^(١) .
ورواه أيضاً أصحابنا ^(٢) .

(١) رويت تارة عن قتادة ، وأخرى عن عكرمة ، وثالثة عن ابن عباس .

انظر : المصنّف لعبد الرزاق ٤ : ٢٩١ ت ٧٨٥٢ ، فضائل الأوقات : ١١٩ ت ٢٨٢ ،
تفسير مقاتل ٢ : ٣٢ ، العلل ومعرفة الرجال ٢ : ٥٨٨ ت ٣٧٩١ ، المجروحين لابن حبان
١ : ٢٦٦ .

(٢) اختلف لسان الروايات في ذلك ، وقد جمع بينها الشيخ الطوسي ، انظر للجميع :
أُمالي الصدوق : ١١٠ ح ١ م ٢٧ ، تهذيب الأحكام ٤ : ٢٩٩ ح ٩٠٥ - ٩١٢ ، وانظر :
الكافي ٤ : ١٤٥ باب ٦١ .

قُلْنَا أَهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ تَبَعَ
 هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا
 وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٩﴾
 يٰبَنِي إِسْرَءِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي
 أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴿٤٠﴾ وَءَامِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ
 مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَتِي
 ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ ﴿٤١﴾ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ
 وَتَكْنُتُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا
 الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾ * أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ
 وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾
 وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ
 ﴿٤٥﴾ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْقَوْنَ رَبَّهُمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿٤٦﴾
 يٰبَنِي إِسْرَءِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ
 عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا
 يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾



قوله تعالى :

﴿ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبَعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ آية (٣٨) آية بلا خلاف .

﴿ اهْبِطُوا ﴾ :

قد بيّنا معنى الهبوط في ما مضى بما فيه كفاية^(١) .

وقال الجُبائي : الهَبُوطُ الأول : هو الهَبُوطُ من الجَنَّةِ إلى السَّمَاءِ ، وهذا الهَبُوطُ من السَّمَاءِ إلى الأرض^(٢) .

وقد يستعمل الهبوط في غير النزول من مكان عالٍ إلى استفال . يُقال : هَبَطَ فلانٌ إلى أرض كذا ، إذا أتاها ، وإن لم يُرد به النزول الذي هو استفال . إلّا أن فيه إيماءً إلى هبوط المنزل^(٣) . قال لبيد :

كُلُّ بَنِي حُرَّةٍ مَصِيرُهُمْ قُلٌّ ، وَإِنْ أَكْثَرُوا مِنَ الْعَدَدِ [١٧٩]
إِنْ يُغَبِّطُوا يُهْبَطُوا ، وَإِنْ أَمَرُوا يَوْمًا ، فَهُمْ لِلْفَنَاءِ وَالْفَسَدِ^(٤)

(١) في صفحة : ٩٤ .

(٢) نسبه إليه الفخر الرازي في تفسيره الكبير ٣ : ٢٦ ، ورده .

(٣) «هَبَطَ» تقدّمت الإشارة إليها . وأمّا «سَقَلٌ» فانظر : تهذيب اللّغة ١٢ : ٤٣٠ ، المحيط في اللّغة ٨ : ٢٦ ، الصحاح ٥ : ١٧٣٠ ، المحكم والمحيط الأعظم ٨ : ٥٠٢ ، لسان العرب ١١ : ٣٣٧ ، بصائر ذوي التمييز ٣ : ٢٢٧ .

(٤) من مقطوعة يرثي بها أخاه أُرْبُدُ ، وقد اختلف في ضبط ألفاظٍ منها بعد أن كان المعنى المراد منها واحداً .

المعنى : الحُرَّةُ : كناية عن الزوجة . قُلٌّ : الواحد أو الوحدة . الغُبْطَةُ : الفرح .

الفند : الهرم .

والإتيان والمجيء والإقبال نظائر ، ونقيضه : الذهاب والانصراف .
ويقال : أتى إثناً ، وأتى أثباً ، وتأتى أثباً ، وأتى تأتيةً ، وأتيت فلاناً
على أمره مواتةً ، ولا تقل وأتيتُهُ إلا في لغة قبيحة لئيم^(١) .
قوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا يَا تِئَنَّكُمْ ﴾ :

ودخلت «ما» في قوله أمّا مع «أن» التي للجزاء ؛ ليصح دخول النون
للتوكيد في الفعل ، ولو أسقطت لم يجز دخول النون ؛ لأنها لا تدخل في
الخبر الواجب إلا في القسم ، أو ما أشبه القسم ، كقولك : زيدٌ ليأتينك ، ولو
قلت بغير اللام لم يجز ، وكذلك تقول : (بعينٍ ما أرينك) ^(٢) . ولو قلت :
بعينٍ أرينك ، بغير «ما» لم يجز ، فدخول «ما» هاهنا كدخول اللام في أنها
تؤكد أول الكلام ، وتؤكد النون آخره .

والأمر والنهي والاستفهام تدخل النون فيه وإن لم يكن معه «ما» إذا

كَمَا يُهَيِّطُوا : الهَيِّطُ : الموت ، أي : يموتوا . أَمِرُوا : أمر القوم أي : كثروا ، والفعل منه :
أَمَرُ يَأْمُرُ أَمْرًا . الفند : العجز وضعف العقل من الهرم .

الشاهد : استعمال كلمة : الهَيُّوط وإرادة نزول الحال وتغيرها إلى سفال .

- انظر الديوان ٤٩ ق ١٢ ، وشرح الديوان تحقيق : إحسان عباس : ١٥٨ ق ١٨ ب
٨ - ٧ ، سيرة ابن هشام ٢ : ١١٥ ، مجاز القرآن ١ : ٣٧٣ ت ٤٣٤ ، معاني القرآن
وإعرابه للزجاج ٣ : ٢٣٢ ، الأغاني ١٧ : ٦٢ ، معجم مقاييس اللغة ١ : ١٣٨ ، باهر
البرهان في معاني مشكلات القرآن ١ : ٧٠ ت ٥١ - ٥٢ ، لسان العرب ٧ : ٤٢٢ .
(١) انظر : العين ٨ : ١٤٥ ، جمهرة اللغة ١ : ٢٣٠ ، تهذيب اللغة ١٤ : ٣٥٠ ، المحيط
في اللغة ٩ : ٤٨٧ ، المحكم والمحيط الأعظم ٩ : ٥٤٥ ، الصحاح ٦ : ٢٢٦١ ، لسان
العرب ١٤ : ١٣ ونسبها إلى لغة لأهل اليمن ، تاج العروس ١٩ : ١٣٦ ، «أتى» في الجميع .
(٢) هذا هو الصحيح ، وما ورد في بعض النسخ : بغير ما أرينك ، أرينك ، لا يمكن
المساعدة عليه ، وانظر له : جمهرة الأمثال ١ : ٢٣٦ ت ٣٠٣ ، مجمع الأمثال ١ :
١٧٥ ت ٤٩٤ ، المستقصى ٢ : ١١ ت ٣١ .

كان الأمر والنهي ممّا تشتدّ الحاجة إلى التوكيد فيه ، والاستفهام مشبّه به إذا كان معناه : أَخْبِرْنِي ، و«النون» إنّما تُلحق للتوكيد ، فلذلك كان من مواضعها ، قال الله تعالى : ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا﴾^(١) .

فإن قيل : أين جواب إِمَّا؟ وأين جواب من؟

قيل : الجزاء وجوابه بمنزلة المبتدأ والخبر ؛ لأنّ الشرط لا يتم إلّا بجوابه ، كما لا يتمّ الابتداء إلّا بخبره ، ألا ترى أنّك لو قلت : إن تقم ، وَسَكْتَ لم يجز ، كما لو قلت : زيد ، لم يكن كلاماً حتّى تأتي بالخبر . ولك أن تجعل خبر المبتدأ جملة هي أيضاً مبتدأ وخبر ، كقولك : زيد أبوه منطلق . وكذلك «إن» التي للجزاء ، إذا كان الجواب بالفاء ، ووقع بعد الفاء الكلام مستأنفاً صَلَحَ أن يكون جزاءً وغير جزاء ، تقول : إن تأتني فَأَنْتَ محمودٌ . ولك أن تقول : إن تأتني فَمَنْ يُكْرِمُكَ أَكْرِمُهُ . وإن تأتني فمن بَعْضَكَ فَلَا وَضِيعَةً عليه .

فقوله : ﴿إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ﴾ : شرط ، وجوابه الفاء ، وما بعده من قوله : ﴿فَمَنْ﴾ : شرط آخر ، وجوابه الفاء التي بعده من قوله : ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ . وهو نظير المبتدأ والخبر الذي يكون خبره مبتدأ وخبراً وهذا في المقدمات القياسيةّ يسمّى : الشرطية المركّبة ؛ وذلك أنّ المقدم فيها إذا وجب وجب التالي المركّب عليه .

و(الهدى) : المذكور في الآية يحتمل أمرين :

أحدهما : البيان والدلالة .

والآخر : الأنبياء والرّسل .

وعلى القول الأخير يكون قوله: ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا﴾ لآدم وحواء وذريتهما. كما قال: ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ آئِيتَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾^(١) أي آئينا بما فينا من الخلق طائعين .
وقوله: ﴿فَمَنْ تَبَعَ هُدَايَ﴾ :

فالآتِبَاعُ والافْتِدَاءُ والاختِذاءُ نظائر . ونقيض الاتِّبَاعِ : الابتداع .
تقول : تَبِعَهُ تَبَاعاً وَأَتْبَعُهُ إِتْبَاعاً . وَتَتَّبَعَ تَتَّبِعاً . وَاسْتَتَبَعَ اسْتِتْبَاعاً وَتَابَعَهُ مُتَابَعَةً . وَالتَّابِعُ : التالي . وَمِنْهُ : التَّتَبُّعُ . وَالتَّبِيعُ : مَا تَبِعَ أَثَرُ شَيْءٍ فَهُوَ يَتَّبِعُهُ . وَالتَّتَبُّعُ : فِعْلُكَ شَيْئاً بَعْدَ شَيْءٍ . تقول : تَتَّبَعْتُ عَلَيْهِ آثَارَهُ .
وفي الحديث : (القادة والآتِبَاعُ)^(٢) . والقادة : السادة . والآتِبَاعُ : القَوْمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَهُمْ .
وَالْقَوَائِمُ يقال لها : تَتَّبِعُ .

والتبِيع من ولد البقر : العجل المُدْرِك ؛ لَأَنَّهُ يَتَّبِعُ أُمَّهُ بَعْدَ ذِيهِ . وثلاثة أَتْبَعَةٍ ، والجميع : أَتَابِيع جمع الجمع . وَبَقَرَةٌ مُتَّبِعٌ : خَلْفُهَا تَتَّبِعُ . وخادم مُتَّبِعٌ : معها وَلَدَهَا يَتَّبِعُهَا حَيْثُمَا أَقْبَلَتْ وَأَذْبَرَتْ . وَأَتَّبَعَ فُلَانٌ فُلَاناً . وَأَتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ : إِذَا تَبِعَهُ يُرِيدُ بِهِ شَرّاً . كما أَتَّبَعَ فِرْعَوْنُ مُوسَى . قال الله تعالى :

(١) سورة فصلت ٤١ : ١١ .

(٢) قطعة من حديث نبويّ ورد في أحد الموارد السبعة التي لَعَنَ النَّبِيُّ بِهَا أَبَا سَفِيَّانٍ وغيره من المشركين ، وقد ورد في موارد متكررة منها : يومي أحد والحديبية وغيرهما ، تجده في مصادر كثيرة منها : الخصال للشيخ الصدوق : ٣٨ ، شرح الأخبار للقاضي ٢ : ١٦٥ حديث ٥٠٢ وانظر الهامش عليه ، الاحتجاج ١ : ٤٠٨ ، إقبال الأعمال ٣ : ٦٦ ، شرح نهج البلاغة للحديدي ٦ : ٢٩٠ ، جواهر المطالب ٢ : ٢٢٤ ، وغيرها .

﴿فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْمَخْلُوعِينَ﴾^(١). وفلانٌ تَتَّبَعَ فلاناً: إذا تَتَّبَعَ مساوئِهِ في مُهْلَةٍ. والتَّتَابَعُ بَيْنَ الْأَشْيَاءِ: إذا فَعَلَ هَذَا فِي أَثَرِ هَذَا بِلَا مُهْلَةٍ. ومنه تَتَابَعَتِ الْأَمْطَارُ: وَتَتَابَعَتِ الْأَشْيَاءُ. والتَّبَعُ: الظِّلُّ^(٢). وأصلُ الْبَابِ كُلُّهُ. الْإِثْبَاعُ: وَهُوَ أَنْ يَتْلُو شَيْءً شَيْئاً. قوله: ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾:

فَالْخَوْفُ وَالْجَزَعُ وَالْفَزَعُ نِظَائِرٌ. وَنَقِضُ الْخَوْفِ: الْأَمْنُ. يقال: خَافَهُ يَخَافُهُ خَوْفاً، وَأَخَافُهُ إِخَافَةً، وَتَخَوَّفَ تَخَوُّفاً، وَخَوْفُهُ تَخَوُّفاً. وَطَرِيقُ مَخَوْفٍ: يَخَافُهُ النَّاسُ. وَطَرِيقُ مُخِيفٍ: يُخِيفُ النَّاسَ. وَالتَّخَوُّفُ: التَّنَقُّصُ. يقال: تَخَوَّفْنَاهُمْ: تَنَقَّضْنَاهُمْ. ومنه قوله: ﴿أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ﴾^(٣)، أَي: عَلَى تَنَقُّصٍ. وأصلُ الْبَابِ: الْخَوْفُ الَّذِي هُوَ الْفَزَعُ. وَالْخَوْفُ كُلُّهُ مِنَ الضَّرَرِ. ويقال: فلانٌ يَخَافُ الْأَسَدَ، أَي: يَخَافُ ضَرَرَهُ. وَيَخَافُ اللَّهَ، أَي: يَخَافُ عِقَابَهُ^(٤). وَالْحُزْنُ وَالْغَمُّ وَالْهَمُّ نِظَائِرٌ. وَنَقِضُهُ السَّرُورُ. يقال: حَزَنَ حُزْناً، وَحَزَنَتُهُ حُزْناً، وَتَحَزَّنَ تَحْزُّناً، وَحَزِنَ تَحْزِيناً.

(١) سورة الأعراف ٧: ١٧٥.

(٢) لَفْظُ «تَتَّبَعَ» انظرها في: العين ٢: ٧٨، جمهرة اللغة ١: ٢٥٤، تهذيب اللغة ٢: ٢٨١، المحيط في اللغة ١: ٤٤٨، الصحاح ٣: ١١٨٩، المحكم والمحيط الأعظم ٢: ٥٦، لسان العرب ٨: ٢٧، عمدة الحفاظ ١: ٢٥٥.

(٣) سورة النحل ١٦: ٤٧.

(٤) لاشتقاق «خَوْفٍ» ولغتها انظر: العين ٤: ٣١٢، جمهرة اللغة ١: ٦١٧، تهذيب اللغة ٧: ٥٩٢، المحيط في اللغة ٤: ٤٢٣، المحكم والمحيط الأعظم ٥: ٣٠٥، الصحاح ٤: ١٣٥٨، لسان العرب ٩: ٩٩.

وَالْحُزْنَ وَالْحَزْنَ لِعَتَانٍ . وَحَزَنْتَنِي وَأَحْزَنْتَنِي لِعَتَانٍ . وَأَنَا مَحْزُونٌ وَمُحْزَنٌ . وَإِذَا أَفْرَدُوا الصَّوْتَ أَوْ الْأَمْرَ قَالُوا : مُحْزَنٌ لَا غَيْرَ . وَالْحَزْنَ مِنَ الْأَرْضِ وَالْدُّوَابِّ : مَا فِيهِ خُسُوفَةٌ . وَالْأُنْثَى : حَزْنَةٌ . وَالْفِعْلُ : حَزَنَ حَزُونَةً .

وقولهم : كَيْفَ حَسَمْتُكَ وَحَزَانَتُكَ ؟ أَي : كَيْفَ مِنْ تَتَحَزَّنُ بِأَمْرِهِ ^(١) .

وأصل الباب : غَلَطَ اللَّهُ .

وقوله : ﴿ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ :

عُمُومُهُ يَقْضِي أَنَّهُ لَا يَلْحَقُهُمْ خَوْفٌ أَهْوَالِ الْقِيَامَةِ . وَهُوَ قَوْلُ الْجُبَّائِيِّ .

وقال ابن الإخشيد : لَا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَصَفَ الْقِيَامَةَ

بِعَظَمِ الْخَوْفِ . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَرَوْنها تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ ^(٢) .

وَلأنَّهُ رَوَى : أَنَّهُ يَلْجِمُ النَّاسَ الْعَرَقُ ^(٣) . وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الشَّدَائِدِ .

وهذا ليس بمَعْتَمَد ؛ لأنَّهُ لَا يَمْتَنِعُ أَنْ يَكُونَ هَؤُلَاءِ خَارِجِينَ مِنْ ذَلِكَ

الْعُمُومِ .

وَأَمَّا الْحُزْنُ ، فَأنَّهُ لَا خِلَافَ أَنَّهُ لَا يَلْحَقُهُمْ . وَمِنْ أَجَازِ الْخَوْفِ فَرَّقَ

بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْحُزْنِ ، بِأَنَّ الْحُزْنَ إِنَّمَا يَقَعُ عَلَى مَا يَغْلُطُ وَيَعْظُمُ مِنَ الْغَمِّ وَالْهَمِّ ؛

(١) لُغَةٌ وَاسْتِشْقَاقُ «حَزَنَ» تَجَدُّهَا فِي : الْعَيْنِ ٣ : ١٦٠ ، جُمُوهُةُ اللَّغَةِ ١ : ٥٢٩ ، تَهْذِيبُ

اللُّغَةِ ٤ : ٣٦٤ ، الْمُحِيطُ فِي اللَّغَةِ ٣ : ١٠ ، الصَّحَاحُ ٥ : ٢٠٩٨ ، الْمُحْكَمُ وَالْمُحِيطُ

الْأَعْظَمُ ٣ : ٢٢٥ ، لِسَانُ الْعَرَبِ ١٣ : ١١١ ، عَمْدَةُ الْحَقَاطِ ١ : ٣٩٩ .

(٢) سُورَةُ الْحَجِّ ٢٢ : ١ - ٢ .

(٣) إِشَارَةٌ إِلَى مَا وَرَدَ فِي أَحَادِيثَ صِفَةِ أَهْوَالِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، انْظُرْ : كَنْزُ الْعَمَالِ ١٤ :

٣٦٧ ح ٨ - ٣٨٩٦٥ وَغَيْرُهَا كَثِيرٌ .

فلذلك لم يُوصَفُوا بذلك . ولذلك قال تعالى : ﴿لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾^(١) ؛ لأن ما يلحقهم لا يلبث ، ويزول وشيكاً .

قالوا : ويدلّك على أنّ الحزن ما ذكرناه أنّه مأخوذ من الحزن ، وهو : ما غلظ من الأرض . فكان ما غلظ من الهم .

فأمّا لحوق الخوف والحزن في دار الدنيا فلا خلاف أنّه يجوز أن يلحقهم ؛ لأن من المعلوم أنّ المؤمنين لا ينفكون منه .

﴿هداي﴾ :

بتحريك الياء . وزوي عن الأعرج^(٢) «هَدَاي» بتسكين الياء . وهو غلط ، إلّا أنّ ينوي الوقف^(٣) .

وإنّما كرّر ﴿اهبطوا﴾ ؛ لأنّ أحدهما كان من الجنة إلى السماء . والثاني من السماء إلى الأرض ، عند أبي علي^(٤) .

وقيل : المعنى واحد ، وكرّر تأكيداً .

وقيل : هو على تقدير اختلاف حال المعنى لاختلاف الأحوال ، كما

يقول : اذهب مُصَاحَبًا ، اذهب سالماً مُعَافًى . فكأنّه على تقدير : ذهاب

(١) سورة الأنبياء ٢١ : ١٠٣ .

(٢) عبدالرحمن بن هُرْمُز المَدَنِي الأعرج ، أبو داود ، أخذ القراءة عن أبي هريرة وابن عباس وغيرهم ، قرأ عليه نافع بن أبي نعيم وغيره ، وحدث عنه الزهري وابن كيسان وابن لهيعة وغيرهم ، وهو بالحديث أشهر ، أخذ العربية عن أبي الأسود الدؤلي . توفي في الاسكندرية عام ١١٧ هـ .

ترجمته في : طبقات القراء ١ : ٥٥ ت ٣١ ، غاية النهاية ١ : ٣٨١ ت ١٦٢٢ .
(٣) أشير إلى القراءة في المصادر التالية منسوبة إلى نافع . وهو ممّن أخذ القراءة عن الأعرج .

انظر : إعراب القراءات السبع ١ : ٨٣ ت ٢٨ ، الحجة في القراءات السبع : ٧٥ ، حجة القراءات : ٩٥ .

(٤) هو الجُبَاطِي ، وانظر : التفسير الكبير ٣ : ٢٦ .

يجامع ذهاباً، وإن كان حقيقته واحدة.

وإنما كَرَّرَ «إِذَا» في قوله: «إِذَا شَاكِراً وَإِذَا كُفُوراً»^(١) ولم يكرّر هاهنا؛ لأنها هناك للعطف، وهاهنا للجزاء. وإنما هي «إِنْ» ضم إليها «ما» كقوله: «وَإِذَا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ»^(٢).
وهذاي: مثل هوأي. وهي لغة قريش وعامة العرب.

وبعض بني سليم يقولون: هَوَيَّ. مثل: عَلَيَّ، وَلَدَيَّ. قال أبو ذؤيب:
سَبَقُوا هَوَيَّ وَأَعْنَقُوا لِهَوَاهُمْ فَتَحَرَّمُوا وَلِكُلِّ جَنْبٍ مَضْرَعٌ^(٣) [١٨٠]
وروي: (هُدَيَّ) في الآية عن الجُحْدَرِيِّ، وابن أبي إسحاق^(٤)،
وعيسى^(٥).

(١) سورة الإنسان «الدهر»: ٧٦ : ٣.

(٢) سورة الأنفال آية : ٨ : ٥٨.

(٣) من قصيدة يرثي بها خمسة أبناء له هلكوا بالطاعون في يوم واحد.

المعنى: مات الأولاد قبلي ولم يبقوا لهوأي إذ كان يجب أن أموت قبلهم، بل مضوا لهوهم. أعنقوا: أسرعوا. التحزّم: الأخذ واحداً واحداً. ولكلّ جنب: أي كلّ إنسان يموت.

الشاهد فيه: إيراد «هَوَيَّ» على لغة هذيل ويريد: هَوَايَ.

انظر: ديوان الهذليين ١ : ١ ق ١ ب ٦، وشرح أشعار الهذليين ١ : ٤ ق ١ ب ٧.

(٤) عبدالله بن أبي إسحاق الحضرمي، مولاهم المقرئ النحوي له باع في العربية، أخذ القراءة عن يحيى بن يعمر ونصر بن عاصم. توفي عام : ١١٧ هـ.

له ترجمة في: طبقات القراء لابن الجزري ١ : ٤١٠، إنباه الرواة ٢ : ١٠٤ ت

٣١٦، ومصادره.

(٥) عيسى بن عمر التفقي، أبو عمر البصري، النحوي وبه أشهر من القراءة، له في العربية: الجامع، والإكمال مفقودان، أخذ القراءة عن عاصم الجحدري، وعنه أخذ الأصمعي والخليل وهارون. مات عام : ١٥٠ هـ.

له ترجمة في معجم الأدباء ١٦ : ١٤٦ ت ٢١، طبقات القراء ١ : ١٢٧ ت ٥٣،

سير أعلام النبلاء ٧ : ٢٠٠ ت ٧٧ ومصادرها.

والصواب ما عليه القراء .

والفرق بين هَذَيَّ وَلَدَيَّ وَعَلَيَّ : هو أَنَّ إِلَيَّ وَلَدَيَّ وَعَلَيَّ مِمَّا يلزمها الإضافة ، وليست بمتمكنة . ففصلوا بينها وبين الأسماء المتمكنة ، كما فصلوا بين ضمير الفاعل وضمير المفعول حين قالوا : ضَرَبْتُ ، فسَكَنُوا لأجل التاء ، ولم يَسْكُنُوا في : ضَرَبَكَ ؛ إذ الفاعل يلزم الفعل .

قوله تعالى :

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٣٩) آية .

قد بيَّنا في ما مضى معنى الكفر والتكذيب^(١) ، فلا وجه لاعادته . والاستدلال بهذه الآية : على أَنَّ مَنْ مات مُصْرّاً على كفره غير تائب منه ، وكَذَّبَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ، فهو مخلَّد في نار جهنم . صحيح ؛ لأنَّ الظاهر يفيد ذلك .

والاستدلال بها : على أَنَّ عمل الجوارح من الكفر ، من حيث قال : ﴿وَكُذِّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ فبعيد ؛ لأنَّ التكذيب نفسه وإن لم يكن كفراً - وهو لا يقع إلَّا من كافر - فهو دلالة عليه ، كالسجود للشمس وغيره .
وقوله : ﴿أَصْحَابُ﴾ :

فلاضْطِحَابُ ، والاقتران والاجتماع نظائر . وكذلك الصاحب والقرين . ونقيضه : الافتراق .

يقال : صَحْبَةُ صُحْبَةٍ ، وَأَصْحَبُهُ إِصْحَاباً ، واضْطَحَبُوا اضْطِحَاباً

(١) تقدّم في ١ : ١٩٣ ضمن تفسير الآية ٦ من هذه السورة .

وَتَصَاحَبُوا تَصَاحَبًا، وَاسْتَضَحَبُوا اسْتِضْحَابًا، وَصَاحَبَهُ مُصَاحَبَةً.

وَالصَّخْبُ : جَمَاعَةٌ . وَالصَّخْبُ وَالْأَصْحَابُ : جَمَاعَةُ الصَّاحِبِ ، وَيُقَالُ أَيْضًا : الصُّخْبَانُ وَالصُّخْبَةُ ، وَالصَّحَاب .

وَالصَّحَابَةُ : مُضَدُّ قَوْلِكَ : صَحِبَكَ اللَّهُ ، يَعْنِي : بِالسَّلَامَةِ وَأَحْسَنِ صَحَابَتِكَ .

وَيُقَالُ لِلرَّجُلِ عِنْدَ التَّوْدِيعِ : مُعَانًا مُصَاحِبًا ، وَمُضْخُوبٌ ، وَمُصَاحَبٌ . وَمَنْ قَالَ : مُصَاحَبٌ مُعَانٌ ، فَأَتَمَّا مَعْنَاهُ : أَنْتَ الْمُصَاحَبُ الْمُعَانُ .

وَالصُّخْبَةُ : مُضَدُّ صَحِبَ يَصْحَبُ . وَقَدْ أَصْحَبَ الرَّجُلُ : إِذَا صَارَ صَاحِبًا .

وَيُقَالُ : قَدْ أَصْحَبَ الرَّجُلُ وَقَدْ أَشْطَأَ : إِذَا بَلَغَ ابْنُهُ مَبْلَغَ الرِّجَالِ ، أَيْ : صَارَ ابْنُهُ مِثْلَهُ . وَأَشْطَأَ الزَّرْعُ : إِذَا لَحِقَتْهُ فِرَاحُهُ . وَيُقَالُ لَهُ : الشَّطْءُ^(١) .

قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ ، وَابْنُ دُرَيْدٍ : قَوْلُهُ : ﴿وَلَا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ﴾^(٢) أَيْ : لَا يَحْفَظُونَ .

وَأَدِيمٌ مُصْحَبٌ : إِذَا دَبَّغَتْهُ وَتَرَكَّتْ عَلَيْهِ بَغْضَ الصُّوفِ أَوْ الشَّعْرِ . وَأَصْلُ الْبَابِ الصُّخْبَةُ الْمَقَارَنَةُ .

وَالصَّاحِبُ : هُوَ الْحَاصِلُ مَعَ آخِرِ مَدَّةٍ ؛ لِأَنَّهُ إِذَا اجْتَمَعَ مَعَهُ وَقْتًا وَاحِدًا لَا يُقَالُ : صَاحِبٌ ، وَلَكِنْ يُقَالُ : صَحِبَهُ وَقْتًا مِنَ الزَّمَانِ ثُمَّ فَارَقَهُ .

وَالْفَرْقُ بَيْنَ الْمَصَاحِبَةِ وَالْمُقَارَنَةِ : إِنَّ فِي الْمَصَاحِبَةِ دَلَالَةً عَلَى الْمَمَالَةِ ، وَلَيْسَ ذَلِكَ حَاصِلًا فِي الْمَقَارَنَةِ .

(١) تهذيب اللغة ١١ : ٣٩١ ، جمهرة اللغة ٢ : ١٠٧٥ «شَطْءًا» فيهما .

(٢) سورة الأنبياء ٢١ : ٤٣ ، وقول أبي عبيدة يخلو منه مجازه ، وعنه حكاه ابن دريد في جمهرته ١ : ٢٨٠ ، وانظر : المخصص ٥ : ٦٢١ ، الغريبين للهروي ٤ : ١٠٦٣ .

وَأَتَّبَعُ الرَّئِيسَ : أَصْحَابُهُ ^(١) .

و(آيات الله) : دلائله وكتبه التي أنزلها على أنبيائه . والآية : الْحُجَّة .

والدلالة والبيان والبرهان واحد في أكثر المواضع ، وإن كان بينها فرق في الأصل ؛ لأنك تقول : دلالة هذا الكلام كذا ، ولا تقول : آيته ، ولا علامته . وكذلك تقول : دلالة هذا الاسم ، ولا تقول : برهانه .

و(أَصْحَابُ النَّارِ) :

هم الملازمون لها . كما تقول : أصحاب الصُّخْرَاءِ ، يعني : القاطنين فيها ، الملازمين لها .

﴿خَالِدُونَ﴾ :

والخلود : بضرب من العرف ^(٢) ، يدلّ على الدوام ؛ لأنهم يقولون : ليست الدنيا دار خلود ، وأهل الجنة مخلّدون . يريدون الدوام . فأما في أصل الوضع ، فإنه موضوع لطول الحبس (يقولون : خُلد فلان الحبس ، يريدون به المبالغة في طول حبسه ، وإن لم يكن دائماً ، وكذلك خُلد

(١) مادة «صَجَبَ» لغة مختلف في ضبطها ومذكورة إجمالاً في المصادر الآتية : العين ٣ : ١٢٤ ، جمهرة اللّغة ١ : ٢٨٠ ، تهذيب اللّغة ٤ : ٢٦١ ، المحيط في اللّغة ٢ : ٤٦٧ ، الصحاح ١ : ١٦١ ، ديوان الأدب : موارد متفرقة انظر : الفهرست ، لسان العرب ١ : ٥١٩ . مفردات ألفاظ القرآن : ٤٧٥ ، عمدة الحفاظ ٢ : ٣٢٠ ، بصائر ذوي التمييز ٣ : ٣٨٦ ، شمس العلوم ٦ : ٣٦٧٥ - ٣٦٨٢ .

(٢) اختلفت النسخ في ضبط الكلمة - العرف - بين : معرب ، معرّب ، معرّف . والمثبت من : «خ» يُطْمَأُنُّ إليه ؛ بدليل المقابلة بين : لأنهم ، وعود الضمير إلى العرف واضح ، وبين : فأما في أصل الوضع . إضافة إلى ما يأتي في تفسير الآية ٢٣ من سورة التوبة ٩ .

الكتاب الديوان^(١) .

فإن قيل : لم دخلت الفاء في قوله : ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ في سورة الحج ولم تدخل هاهنا في قوله : ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ﴾^(٢) ؟

قيل : لأن ما دخلت فيه الفاء من خبر «الذي وأخواته» مشبه بالجزاء . وما لم يكن فيه فاء فهو على أصل الخبر .

وإذا قلت : ما لي فهو لك ، جاز على وجهه ، ولم يجز على وجهه . فإن أردت أن معنى «ما» : الذي ، فإنه جائز . وإن أردت أن «مالي» تريد به المال ثم تضيفه إليك كقولك : غلامي لك ، لم يجز كما لا يجوز غلامي فهو لك .

﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ :

وموضع ﴿أُولَئِكَ﴾ يحتمل ثلاثة أشياء :

أحدها : أن يكون بدلاً من ﴿الَّذِينَ﴾ ، أو يكون عطف بيان ، و : ﴿أَصْحَابُ النَّارِ﴾ بيان عن ﴿أُولَئِكَ﴾ مجراه مجرى الوصف . والخبر ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ .

والثاني : أن يكون ابتداءً وخبراً في موضع الخبر الأول .

والثالث : أن يكون على خبرين بمنزلة خبر واحد ، كقولهم : حلوا

حامض .

(١) زيادة من «خ» .

(٢) سورة الحج ٢٢ : ٥٧ .

قوله تعالى :

﴿يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكَرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُون﴾ آية (٤٠) آية بلا خلاف .

﴿يا﴾ :

حرف نداء .

﴿بني﴾ :

جمع ابن . والابنُ والولدُ والنسلُ والدُّرَّةُ متقارب المعاني . إِلَّا أَنَّ الابْنَ : المذكر ، والولدُ يقع على الذكر والأنثى . والنَّسْلُ والدُّرَّةُ تقع على جميع ذلك .

وأصله ، من البناءِ ، وهو : وَضَعَ الشَّيْءَ عَلَى الشَّيْءِ . والابْنُ مَبْنِيٌّ عَلَى الْأَبِ تشبيهاً بالبناء على الأصل ؛ لِأَنَّ الْأَبَ أَصْلُ الْإِبْنِ فرع .
ويقال : تَبَنَّى تَبْنِيًّا ، وَتَبَنَّى بِنَاءً ، وَابْتَنَى ابْتِنَاءً ، وَبَانَاهُ مُبَانَةً .
وَالْبُنُوَّةُ : مَصْدَرُ الْإِبْنِ - وَإِنْ كَانَ مِنَ الْبِنَاءِ - كَمَا قَالُوا : الْفُتُوَّةُ : مَصْدَرُ الْفَتَى . وَتَنَوَّاهُ الْفَتَى : فَتَيَانٌ (١) .

ويقال : فَلَانٌ ابْنُ فَلَانٍ عَلَى التَّبْنِيِّ . ولا يطلق ذلك إِلَّا عَلَى مَا كَانَ مِنْ جِنْسِهِ وَشَكْلِهِ تشبيهاً بالابن الحقيقي ؛ ولهذا لا يقولون : تَبَنَّى زَيْدٌ حِمَارًا ؛ لِمَا لَمْ يَكُنْ مِنْ جِنْسِهِ . ولا : تَبَنَّى شَابٌّ شَيْخًا ؛ لِمَا لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ فِيهِ .
والفرق بين اتِّخَاذِ الْإِبْنِ وَبَيْنِ اتِّخَاذِ الْخَلِيلِ : إِنَّ اتِّخَاذَ الْخَلِيلِ يَكُونُ بِهِ خَلِيلًا عَلَى الْحَقِيقَةِ ؛ لِأَنَّهُ بِالْمَحَبَّةِ وَالاطِّلَاعِ عَلَى الْأَسْرَارِ الْمَهْمَةِ يَكُونُ

(١) لغة «ابن» في : العين ٨ : ٣٨٠ ، تهذيب اللغة ١٥ : ٤٩٠ ، المحيط في اللغة ١٠ : ٤٠٥ ، الصحاح ٦ : ٢٢٨٦ ، لسان العرب ١٤ : ٨٩ .

خليلاً على الحقيقة . وليس كذلك الابن ؛ لأنَّ البُتُوَّةَ في الحقيقة إنما هي الولادة للابن .

و: ﴿بني﴾ :

في موضع نصب ؛ لأنه منادى مضاف .

و: ﴿إسرائيل﴾ :

في موضع جر ؛ لأنه مضاف إليه . وفتح ؛ لأنه أعجمي لا ينصرف .

وإسرائيل : هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم .

وقيل : إنَّ أصل الاسم مضاف ؛ لأنَّ «إسرا» معناه : عبد ، و«ئيل» : هو

الله بالعبرانية ، فصار مثل عبد الله . وكذلك جبرائيل ، وميكائيل .

ومن حذف الألف من جبرائيل ، حذفه للتعريب - كما يلحق الأسماء

التغيير إذا غرّبت - فيلخصون حروفها على العربية^(١) .

وفي «إسرائيل» خمس لغات : حكي الأخفش : إسرائيل ، بكسر الهمزة

من غير ياء . وحكى : إسرائيل ، بفتح الهمزة . ويقول بعضهم : إسرئيل ،

فيميلون . وحكى قطرب : إسرال ، من غير همز ولا ياء ، وإسرائين ، بالنون .

والخامس - إسرائيل ، قراءة الناس . وحمزة وحده : مدّ بغير ألف^(٢) .

وقال أكثر المفسرين : إنَّ المعْنَى بـ: ﴿يا بني إسرائيل﴾ : أحبار اليهود

(١) الْمُعَرَّبُ للجواليقي : ١٤ .

(٢) معاني القرآن للأخفش ١ : ٢٤٢ و ٣٢٤ . وللتوسعة ينظر : إعراب القرآن للنحاس

١ : ٢١٧ ، إعراب القراءات الشواذ ١ : ١٥٣ ، البيان في إعراب القرآن ١ : ٥٧ ،

المحتسب ١ : ٧٩ - ٨٠ والتفاسير أغلبها عند الآية منها : تفسير الجامع لأحكام

القرآن ١ : ٣٣١ ، تفسير الكشاف ١ : ٢٥٧ ، تفسير البحر المحيط ١ : ٢٧٧ ، تفسير

فتح القدير ١ : ٧٤ ، تفسير الدرّ المصون ١ : ٢٠٢ ، السبعة في القراءات : ١٣٥ .

الذين كانوا بين ظهراني مهاجري رسول الله ﷺ . وهو المحكي عن ابن عباس^(١) .

وقال أبو علي الجبائي : المَعْنِيُّ به : بنو إسرائيل من اليهود والنصارى . ونسبهم إلى الأب الأعلى ، كما قال : ﴿يَبْنِيْءَادَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾^(٢) .

قوله : ﴿اذْكُرُوا﴾ :

فَالذِّكْرُ وَالتَّنْبِيْهُ وَالتَّيَقُّظُ نظائر . ونقيضه : التغافل .

يقال : ذَكَرَهُ يَذْكُرُهُ ذِكْرًا ، وأَذْكُرُهُ إِذْكَارًا ، واستَذْكُرُهُ اسْتِذْكَارًا ، وتَذَكَّرُهُ تَذَكُّرًا ، وذَكَرُهُ تَذْكَارًا ، واذْكُرْ إِذْكَارًا .

وقال صاحب العين : الذِّكْرُ : الحِفْظُ لِلشَّيْءِ تَذْكُرُهُ . تقول : هو مِنِّي على ذِكْرٍ .

والذِّكْرُ : جَزْئِي الشَّيْءِ على لِسَانِكَ . تقول : جَرِئٌ مِنْهُ ذِكْرٌ .

والذِّكْرُ : الشَّرَفُ ، والصَّوْتُ^(٣) ؛ لقوله : ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾^(٤) .

والذِّكْرُ : الْكِتَابُ الَّذِي فِيهِ تَفْصِيلُ الدِّينِ . (وكلُّ كِتَابٍ من كتب

الأنبياء)^(٥) : ذِكْرٌ .

(١) حكاه ابن أبي حاتم الرازي في تفسيره ١ : ٩٥ ت ٤٣٤ ، وانظر : تفسير جامع البيان ١ : ١٩٧ .

(٢) سورة الأعراف ٧ : ٣١ .

(٣) بدلها في بعض مصادر اللُّغة الْآتِيَةِ ونسخة «هـ» : الصَّيْتُ ، واعتبر من المجاز .

(٤) سورة الزخرف ٤٣ : ٤٤ .

(٥) في نسختي «و» ، هـ : وكلُّ كتاب كُتِبَ لِلأنبياء . والمثبت من الباقي مؤيداً بالمصادر الآتية .

وَالذَّكْرُ: الصَّلَاةُ لِلَّهِ، والدُّعَاءُ. وقيل: كانت الأنبياء إذا حَزَبَهُمْ أَمْرٌ
فَزَعَوْا إِلَى الذَّكْرِ، أي: الصَّلَاةُ، يقومون فَيُصَلُّونَ.

وَذِكْرُ الْحَقِّ: هو الصَّلَاةُ^(١). والذِّكْرَى: هو اسم للتذكير.

وَالذَّكْرُ: ذَكَّرَ الرَّجُلَ مَعْرُوفٌ، والجمع: الذِّكْرَةُ؛ ولهذا يُسَمَّى
ما ينسب إليه: المذاكير، ولا يُفْرَد. وإن أُفْرِدَ: فَمُذَكَّرٌ، مثل مُقَدِّمٍ وَمَقَادِيمٍ.
وَالذَّكْرُ: خِلَافُ الْأُنْثَى. وجمعه: ذُكُور، وذُكْرَان. ومن الدُّوَابِّ:
ذُكُورَةٌ لا غير.

وَالذَّكْرُ مِنَ الْحَدِيدِ: أَيْبَسُهُ وَأَشَدُّهُ؛ ولذلك يُسَمَّى السَّيْفُ: مُذَكَّرًا.
وامرأةٌ مُذَكَّرَةٌ، وناقَةٌ مُذَكَّرَةٌ: إذا كانت خِلَقَتُهَا تُشَبِّهُ خِلَقَةَ الذَّكَرِ، أو
أَشَبَّهَتْهُ فِي شِمَائِلِهَا.

وامرأةٌ مِذْكَارٌ: إذا أَكْثَرَتْ وَلَادَةَ الذُّكُورِ - وعكسه: مُثْنٌ - ويقال
لِلْحُبْلَى: أَيْسَرَتْ وَأَذْكَرَتْ، أي: يَسَّرَ عَلَيْهَا وَوَلَدَتْ ذَكَرًا.
وَالذَّكْرُ: ضِدُّ النِّسْيَانِ. وَرَجُلٌ ذَكَّرَ: شَهَّمَهُ مِنَ الرَّجَالِ، ماهِرٌ فِي
أَمُورِهِ^(٢).

وأصلُ الباب: الذَّكْرُ الَّذِي هُوَ التَّنْبِيهُ عَلَى الشَّيْءِ. وَالذَّكْرُ: الْوَضْفُ
بِالْمَدْحِ وَالنِّثَاءِ، أو بِالذَّمِّ وَالْهَجَاءِ.

(١) في «هـ»: والذكر الحق هو الصلاة. والمثبت من: «خ، و» وتساعد عليه المصادر الآتية.

(٢) إضافة للعين ٥: ٣٤٦، تُنظَرُ لُغَةُ (ذَكَرَ) فِي جُمُحَةِ اللَّغَةِ ٢: ٦٩٤، تَهْذِيبُ اللَّغَةِ
١٠: ١٦٢، الْمُحِيطُ فِي اللَّغَةِ ٦: ٢٣٥، الصَّحَاحُ ٢: ٦٦٤، الْمُحْكَمُ وَالْمُحِيطُ
الْأَعْظَمُ ٦: ٧٨٧، لِسَانُ الْعَرَبِ ٤: ٣٠٨.

وقوله: ﴿نِعْمَتِي﴾:

المراد بها: الجماعة، كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾^(١) والنَّعْمَةُ وإن كانت على أسلافهم جاز أن تضاف إليهم. كما يقول القائل إذا فاجر غيره: هَزَمْنَاكُمْ يَوْمَ ذِي قَارِ، وَقَتَلْنَاكُمْ يَوْمَ الْفِجَارِ، وَبَدَدْنَا جَمْعَكُمْ يَوْمَ النَّسَارِ^(٢).

والمراد بذلك: جميع النعم الواصلة إليهم، ممَّا اختصَّوا به، دون آبائهم، أو اشتركوا فيها معهم، وكان نعمةً على الجميع. فمن ذلك: تبقية آبائهم حتَّى تناسلوا، فصاروا من أولادهم. ومن ذلك: خَلَقَهُ إِيَّاهُمْ على وجه يمكنهم الاستدلال على توحيده، والوصول إلى معرفته، فيشكروا نعمه، ويستحقُّوا ثوابه. ومن ذلك ما لا يخلون منه في كلِّ وقت من منفعة ودفع

(١) سورة إبراهيم ١٤ : ٣٤ وسورة النحل ١٦ : ١٨ .

(٢) ثلاثة أَيَّامٍ من أَيَّام العرب المشهودة تفخر بها شعراً ونثراً :

١ - يوم ذي قار : وَقَعَتْ بين العرب - بَكْرٌ - على الفرس أَيَّام كسرى ، إِيَّان بعثة النبي ﷺ ، وفيها قوله المشهور : (اليوم انتصفت العرب من العجم بي) حيث أخبر المسلمين بانتصار العرب قبل وصول الأخبار إلى الحجاز . وسببها الحسد والفرقة والمكر والخديعة بين العرب أنفسهم في قصَّة عَدِيِّ بن زيد .
٢ - يوم الفِجَار : عدَّة أَيَّام وقعت فيها حروب مدمِّرة بين العرب أنفسهم ، بين كنانة وهوازن ، وقريش وقيس عيلان ، وغيرهم .

٣ - يوم النَّسَار : حرب وقعت بين بني أسد وغطفان وطيء من جهة وبني عامر في المقابل . وقيل غير ذلك .

أبناء هذه الأَيَّام والوقائع تجدها منتثرة في المصادر التالية وغيرها على الترتيب : أَيَّام العرب قبل الإسلام للتيمي ٢ : ٤٨٩ و ٥٠٣ و ٥٢٧ ، العقد الفريد ٥ : ٢٦٢ و ٢٥١ و ٢٤٨ ، نهاية الأرب ١٥ : ٤٣١ و ٤٢٣ و ٤٢١ ، أَيَّام العرب في الجاهلية : ٣٧٨ و ٣٢٢ - ٣٣٧ و ٣٧٨ ، وأغلب مصادر التاريخ مثل الكامل في التاريخ ، وتاريخ الأمم والملوك وغيرهما كثير .

مضرة .

فالقول الأول : هو التذكير بالنعمة عليهم في أسلافهم .

والقول الثاني : تذكير بجميع النعم عليهم والنعم التي على أسلافهم ما ذكره في قوله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ لِقَوْمِهِ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُوْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾^(١) .

وقوله : ﴿أَوْفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ :

في موضع جزم ؛ لأنه جواب الأمر .

قال صاحب العين : تقول : وَفَيْتَ بِعَهْدِكَ وَفَاءً . ولغة أهل تهامة :

أَوْفَيْتَ بِعَهْدِكَ . وهي : لغة القرآن .

قال الشاعر في الجمع بين اللغتين :

أَمَّا ابْنُ طَوْقٍ فَقَدْ أَوْفَى بِذِمَّتِهِ كَمَا وَفَى بِقِلَاصِ النُّجْمِ حَادِيهَا^(٢) [١٨١]

يعني به الدبران . وهو التالي :

(١) سورة المائدة ٥ : ٢٠ .

(٢) البيت للشاعر طفيل الغنوي ، وهو بيت مفرد في ديوانه : ١١٣ رقم ٤٦ .

المعنى : يصف الشاعر ابن طوق - أو ابن عوف ، أو ابن أبيض ، على الاختلاف في الرواية والنسخ - بالوفاء وملازمة أصحابه ، مشبهاً له بالدبران في ملازمته الأنجم مثله . القلاص : عشرون نجمة منشورة تأتي بعد الثريا والدبران حيث يأتي بعدها ، كأنه حادٍ ورائع لها .

هذا وقد استشهد به لمحل الشاهد أيضاً : الزجاج في معانيه ١ : ١٢٢ ، والمبرد في كامله ٢ : ٧١٨ ، وابن منظور في لسانه ١٥ : ٣٩٨ وغيرهم .

وتقول: وَفَى يَفِي وَفَاءً. وَأَوْفَى يُؤْفِي إِيفَاءً. وَاسْتَوْفَى اسْتِيفَاءً.
وتوفى تَوْفِيًا. وَوَفَى تَوْفِيَةً. وَتَوَافَى تَوَافِيًا. وَوَفَاهُ مُوَافَاةً. وَكُلُّ شَيْءٍ بَلَغَ
تمامَ الكلامِ فقد وَفَى وَتَمَّ.
وكذلك درهمٌ وَافٍ؛ لأنه درهمٌ وَفَى مِثْقَالًا. وَكَيْلٌ وَافٍ، وَرَجُلٌ
وَفِيٌّ: ذو وفاء.

وأوفى فُلَانٌ عَلَى شَرَفٍ مِنَ الْأَرْضِ: إِذَا أَشْرَفَ فَوْقَهَا.
وتقول: أَوْفَيْتُهُ حَقَّهُ. وَوَفَيْتُهُ أَجْرَهُ.
وَالْوَفَاءُ: الْمَيَّةُ، تُؤْفَى فُلَانٌ، وَتَوَفَاهُ اللَّهُ: إِذَا قَبَضَ نَفْسَهُ ^(١).
وأصل الباب: الوفاء، وهو الإتمام.
ومن أكرم أخلاقِ النفس: الْوَفَاءُ. ومن أذونها وأزذلها: الْعَذْرُ.

ومعنى قوله: ﴿أَوْفُوا بِعَهْدِكُمْ﴾:

قال ابن عباس: أوفوا بما أمرتكم من طاعتي، ونهيتكم عن معصيتي
في النبي ﷺ وغيره ﴿أَوْفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ أي: أرضى عنكم، وأدخلكم الجنة ^(٢).
وسمى ذلك عهداً؛ لأنه تقدّم بذلك إليهم في الكتب السابقة كما قال:
﴿يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ
يَعْلَمُونَ﴾ ^(٣).

(١) «وَفَى» لغةً تجدها في: العين ٨: ٤٠٩، جمهرة اللُّغة ١: ٢٤٤، تهذيب اللُّغة
١٥: ٥٨٣، المحيط في اللُّغة ١٠: ٤٣٦، الصحاح ٦: ٢٥٢٦، المحكم والمحيط
الأعظم ١٠: ٥٤٩، لسان العرب ١٥: ٣٩٨.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازي ١: ٩٥ - ٩٦ ت ٤٣٧ و ٤٣٨ و ٤٤٠
و ٤٤١، تفسير جامع البيان ١: ١٩٨.

(٣) سورة البقرة ٢: ١٤٦.

وَالْعَهْدُ: هو العقد عليهم في الكتاب السابق بما أمروا به ، ونهوا عنه .

وقال بعضهم: إنَّما جعله عهداً؛ لتأكيدِه بمنزلة العهد الذي هو اليمين ، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾^(١).

وقال الحسن: العهد الذي عاهدهم عليه حيث قال: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾^(٢) أي: بجِدٍّ، ﴿وَأَذْكُرُوا مَا فِيهِ﴾^(٣) أي: ما في الكتاب في قوله: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَآئِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي...﴾^(٤) إلى آخر الآية .

وقال الجُبَّائِي: جعل تعريفه إياهم نِعَمَةً عَهْداً عليهم وميثاقاً؛ لأنَّه يلزمهم القيام بما يأمرهم به من شكر هذه النعمة ، كما يلزمهم الوفاء بالعهد والميثاق الذي يؤخذ عليهم .
والقول الأول أقوى ؛ لأنَّ عليه أكثر المفسرين ، وبه يشهد القرآن .

قوله: ﴿وَإِيَّاي﴾ :

ضمير منصوب ، ولا يجوز أن يكون منصوباً بقوله: ﴿فَارْهَبُون﴾ ؛ لأنَّه مشغول . كما لا يجوز في قولك: زيدا فاضربه ، أن يكون منصوباً

(١) سورة آل عمران ٣ : ١٨٧ .

(٢) الآية ٦٣ من سورة البقرة ٢ .

(٤) سورة المائدة ٥ : ١٢ .

بقوله : فاضربه ؛ لکنه يكون منصوباً بفعل دلّ عليه ما هو مذكور في اللفظ ، تقديره : وإيائي اربها ، ولا يظهر ذلك ؛ لأنه استغنى عنه بما يفسره ، وإن صحّ تقديره . ولا يجوز في مثل ذلك الرفع على أن يكون الخبر ﴿فَارْهَبُونِ﴾ إلا على تقدير محذوف . كما أنشد سيبويه :

وَقَائِلَةٌ : خَوْلَانُ فَانْكِحْ فَتَاتَهُمْ وَأُكْرَمَةٌ الْحَيِّينِ خَلَوْ كَمَا هِيَ^(١) [١٨٢]

تقديره : وقائلة : هذه خولان . وعلى هذا ، حمل قوله : ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾^(٢) وقوله : ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا﴾^(٣) تقديره : في ما يُتلى عليكم السارق والسارقة ، وفي ما فرض عليكم الزانية والزاني .

وقوله : ﴿فَارْهَبُونِ﴾ :

فَالرَّهْبَةُ وَالْحَشْيَةُ وَالْمَخَافَةُ نِظَائِرٌ . وَضَدُّهَا : الرَّغْبَةُ . (تقول : فَعَلْتُ

(١) البيت من شواهد سيبويه في «الكتاب» لم يسبق به ، فهو من الخمسين التي لم يُعرف لها قائل .

المعنى : خَوْلَان : حيّ في اليمن ، أُكْرَمَةٌ : المُكْرَمَةُ والمصونة . الْحَيِّينِ : حيّ الأب وحيّ الأم . خَلَوْ : التي لا زوج لها . كما هيا : صفة والمراد منها أنها ما زالت بكرًا . الشاعر يحرض مخاطبه على اغتنام فرصة وجود حيّ خَوْلَان ليتزوج منهم ؛ لشرفهم وحسن نسائهم .

الشاهد فيه : ما أشار إليه المصنّف رحمه الله من عدم زيادة الفاء في «فانكح» وأن «خولان» خبر مبتدأ محذوف تقديره : هذه .

انظر : الكتاب ١ : ١٣٩ ، النكت في تفسير كتاب سيبويه ١ : ٢٦٦ ، معاني القرآن للأخفش ١ : ٢٤٧ ، شرح المفصل ١ : ١٠٠ ، خزائن الأدب للبغدادى ١ : ٤٥٥ ت ٧٧ ، وغيرها . وراجع مجلة المورد العراقية . مجلد ٩ عدد ٣ صفحة ٣٦٣ .

(٢) سورة المائدة ٥ : ٣٨ .

(٣) سورة النور ٢٤ : ٤ .

كَذَارَعْبَةً أَوْ رَهْبَةً. والخوف نقيضه: الأمن^(١). تقول: رَهَبَ رَهْبَةً، وَأَزْهَبَهُ إِزْهَابًا. وَرَهْبُهُ تَرْهِيْبًا. وَاسْتَرْهَبَ اسْتِرْهَابًا. ويقال: رَهَبَ فُلَانٌ يَرْهَبُ رُهْبًا، وَرَهْبًا، وَرَهْبَةً: إِذَا خَافَ مِنْ شَيْءٍ. ومنهُ اسْتِثْقَاؤُ الرَّاهِبِ. والاسم: الرَّهْبَةُ. ومن أمثالهم: رَهْبُوتٌ خَيْرٌ مِنْ رَحْمَتٍ^(٢). أي: تَرْهِيْبٌ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَرْحَمَ.

والتَّرْهِيْبُ: التَّعَبُّدُ فِي صَوْمَعَةٍ. والجمع: الرُّهْبَانُ. والرَّهَابِنَةُ خطأ^(٣). والفرق بين الخوف والرَّهْبَةِ: إِنَّ الْخَوْفَ هُوَ الشَّكُّ فِي أَنَّ الضَّرْرَ هَلْ يَقَعُ أَمْ لَا؟ وَالرَّهْبَةُ: مَعَهَا الْعِلْمُ بِوُقُوعِ الضَّرْرِ عِنْدَ شَرْطٍ، فَإِنْ لَمْ يَحْصَلِ ذَلِكَ الشَّرْطُ لَمْ يَقَعْ.

واختير تحريك الباء في قوله تعالى: ﴿نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ﴾؛ لأنه لقيها ألف ولام فلم يكن بُدُّ من إسقاطها أو تحريكها وكان التحريك أولى؛ لأنه أدلُّ على الأصل وأشكل بما يلزم اللام في الاستثناف من فتح ألف الوصل. وإسكانُ الباء في قوله: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا﴾^(٤) أجود؛ لأنَّ من حقِّ ياء الإضافة ألا تثبت في النداء، وإذا لم تثبت فلا طريق إلى تحريكها. وقوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ﴾^(٥) الاختيار

(١) بين القوسين زيادة من نسختي «ل، خ»، تخلص منها البواقى .

(٢) مثل معروف مشهور، انظر: مجمع الأمثال ٢: ٢٥ ت ١٥٢٧، فصل المقال:

٥٦، المستقصى ٢: ١٠٧ ت ٣٨٣، الاشتقاق: ٤٣١.

(٣) الضبط اللغوي ينظر له «رَهَبَ» في: العين ٤: ٤٧، جمهرة اللغة ١: ٣٣٢،

تهذيب اللغة ٦: ٢٩٠، المحيط في اللغة ٣: ٤٧٩، المحكم والمحيط الأعظم ٤:

٣١، الصحاح ١: ١٤٠، لسان العرب ١: ٤٣٦، وغيرها .

(٤) سورة الزمر ٣٩: ٥٣.

(٥) سورة الزمر ٣٩: ١٧ - ١٨.

حذف الياء ؛ لأنه رأس آية . ورؤوس الآي لا تثبت فيها الياء ؛ لأنها فواصل ينوى فيها الوقف ، كما يفعل ذلك في القوافي .

ومثل قوله : ﴿نِعْمَتِي الَّتِي﴾ قوله : ﴿أَخِي * أَشَدُّ﴾^(١) في أن الاختيار تحريك الياء ، وإن كان مع الألف واللام أقوى ؛ لما تقدّم ذكره من المشاكلة والردّ إلى الأصل . وفي ﴿أَخِي * أَشَدُّ﴾ : سبب واحد ، وهو أنه أدلّ على الأصل .

وأجمعوا على إسقاط الياء من قوله تعالى : ﴿فَارْهَبُون﴾ . إلا ابن كثير ، فإنه أثبتّها في الوصل دون الوقف ، والوجه حذفها ؛ لكرهية الوقف على الياء . وفي كسر النون دلالة على ذهاب الياء^(٢) .

(١) سورة طه ٢٠ : ٣٠ - ٣١ .

(٢) الياء على قسمين :

أ - ياء الإضافة ، وهي : في هذه الحالة ضميرٌ يتصل تارة بالاسم فيكون مجروراً ، وأخرى بالفعل ويكون منصوباً ، وثالثة بالحرف فهو منصوب أو مجرور .
ب - ياء الزيادة والحذف ، وهي : في هذه الحالة زوائد على الكلمة تأتي في آخرها ، وهي على نوعين :

١ - ما لحق آخر المنادى وحذف ، نحو : يا قوم ، يا أبت . فالياء منه تحذف بلا خلاف ويُعوّض عنها الكسرة .

٢ - ما لحق آخر الأسماء والأفعال ، نحو : الداع ، يسر ، وهذه محذوفة رسماً ، مختلف في إثباتها وحذفها وصلّاً أو وقفاً .

والفرق بين القسمين :

أ - إنّ ياء الإضافة ثابتة في المصحف . والثانية محذوفة .

ب - إنّ ياء الإضافة تكون زائدة على الكلمة فلا تكون لام الفعل مثلاً . والثانية : تكون أصلية وزائدة .

ج - الخلاف في ياء الإضافة بين الفتح والإسكان . وفي الثانية : بين الحذف والإثبات . ثم إنّ مواردّها كثيرة جداً والإشارة إليها مشكل . وليُسرّ الاطلاع الإحالة إلى مَنْ

قوله تعالى :

﴿وَأَمِنُوا بِمَا أُنزِلَتْ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِنِّي فَاتَّقُونَ﴾ آية (٤) آية واحدة بلا خلاف .

﴿أَمِنُوا﴾ :

معناه : صدَّقوا ؛ لأنَّا قد بيَّنا أنَّ الإيمان هو التصديق ^(١) .

﴿بِمَا أُنزِلَتْ﴾ :

يعني : بما أنزلت على محمد ﷺ من القرآن .

وقوله : ﴿مُصَدِّقًا﴾ :

يعني : إنَّ القرآن مُصَدِّقٌ لما مع اليهود من بني إسرائيل من التوراة . فأمرهم بالتصديق بالقرآن ، وأخبرهم أنَّ في تصديقهم بالقرآن تصديقاً منهم للتوراة ؛ لأنَّ الذي في القرآن من الأمر بالإقرار بنبوة محمد ﷺ وتصديقه نظيرُ الذي في التوراة والإنجيل . وموافق لما تقدَّم من الإخبار به ، فهو مصداق ذلك الخبر .

وقال قوم : معناه أنَّه يصدِّق بالتوراة والإنجيل ؛ لأنَّ فيه الدلالة على أنَّه حقٌّ .

والأوَّل الوجه ؛ لأنَّه على ذلك الوجه حجةٌ عليهم ، دون هذا الوجه .

تلتجمَع مواضعها وفُضِّل الكلام فيها أفضل .

منهم : ابن غلبون في التذكرة في القراءات ٢ : ٨٢٧ ، وانظر الفهرس ، والهمذاني العطار في غاية الاختصار ١ : ٣٣١ - ٣٧٣ فقرة ٤٤٠ - ٥٢١ ، وابن الجزري في النشر في القراءات العشر ٢ : ١٦١ - ١٩٤ ، وأغلب كتب القراءات في آخر كلِّ سورة .
(١) تقدَّم في الجزء الأوَّل عند تفسير ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ في الآية ٣ من سورة البقرة ٢ .

وُنُصِبَ ﴿مُصَدِّقًا﴾ على الحال من الهاء المحذوفة ، كأنه قال :
 أَنْزَلْتُهُ مُصَدِّقًا . ويصلح أن ينتصب بـ : ﴿آمَنُوا﴾ كأنه قيل : آمَنُوا بالقرآن
 مُصَدِّقًا .

والمعني بقوله : ﴿آمَنُوا﴾ : أَهْلُ الْكِتَابِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ؛ لِأَنَّهُ فِي
 ذِكْرِهِمْ .

وفيه احتجاج عليهم ؛ إذ جاء بالصفة التي تقدّمت بها بشارة موسى
 وعيسى ﷺ . وهو أمرٌ بالإقرار بالنبوة وما جاءت به من الشريعة .

وإنما وُحِّدَ كَافِرًا فِي قَوْلِهِ : ﴿وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾ ، وقبله
 جمع ؛ لِمَا ذَكَرَهُ الْفَرَاءُ وَالْأَخْفَشُ : وَهُوَ أَنَّهُ ذَهَبَ مَذْهَبُ الْفِعْلِ ، أَنَّهُ قَالَ :
 أَوَّلُ مَنْ كَفَرَ بِهِ . وَلَوْ أَرَادَ الْأَسْمَ لَمَا جَازَ إِلَّا الْجَمْعُ ^(١) .

ومثل ذلك قول القائل للجماعة : لَا تَكُونُوا أَوَّلَ رَجُلٍ يَفْعَلُ ذَلِكَ .
 قال المبرد : هَذَا الَّذِي ذَكَرَهُ الْفَرَاءُ خَارِجٌ عَنِ الْمَعْنَى الْمَفْهُومِ ؛ لِأَنَّ
 الْفِعْلَ هَاهُنَا وَالْأَسْمَ سِوَاهُ ، إِذَا قَالَ الْقَائِلُ : زَيْدٌ أَوَّلُ رَجُلٍ جَاءَ ، فَمَعْنَاهُ أَوَّلُ
 الرِّجَالِ الَّذِينَ جَاءُوا رَجُلًا رَجُلًا ، وَلِذَلِكَ قَالَ : أَوَّلُ كَافِرٍ ، وَأَوَّلُ مُؤْمِنٍ ،
 وَمَعْنَاهُ : أَوَّلُ الْكَافِرِينَ وَأَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ لَا فَضْلَ بَيْنَهُمَا فِي لُغَةٍ وَلَا قِيَاسٍ .
 أَلَا تَرَى أَنَّكَ تَقُولُ : رَأَيْتُ مُؤْمِنًا ، وَرَأَيْتُ كَافِرًا كَمَا تَقُولُ : رَأَيْتُ رَجُلًا
 لَا يَكُونُ إِلَّا ذَلِكَ ، لِأَنَّكَ إِنَّمَا رَأَيْتَ وَاحِدًا ، كَمَا تَقُولُ : رَأَيْتُ زَيْدًا أَفْضَلَ
 مُؤْمِنٍ ، وَزَيْدًا أَفْضَلَ حَرًّا ، وَزَيْدًا أَفْضَلَ رَجُلًا ، وَأَنْبَلَ غَلَامًا ، وَلَيْسَ بَيْنَ ذَلِكَ
 اخْتِلَافٌ .

(١) معاني القرآن للفراء ١ : ٣٢ ، معاني القرآن وإعرابه للزجاج ١ : ١٢٣ ، وانظر تفسير
 جامع البيان ١ : ١٩٩ ، أمالي المازني : ١٩٧ .

قال: ولكن مجازه: ولا تكونوا أول قبيل كافر به، وأول حزب كافر به، وهو مما يسوغ فيه النعت، ويبين به الاسم؛ لأنك تقول: جاءني قبيل صالح، وجاءني حيي كريم، فينعت به الجمع إذا كان الجمع اسماً واحداً لجميعه كقولك: نفر، وقبيل، وحزب، وجمع.

ولا تقول: جاءني رجل كريم، وأنت تريد برجل نفراً، كما تقول: نفر كريم؛ لأن النعت جارٍ على المنعوت والاسم منفرد بنفسه^(١).

ونظير قوله: ﴿أول كافر﴾، قول الشاعر:

فإذا هم طعموا فالألم طاعم وإذا هم جاعوا فشرُّ جِياع^(٢) [١٨٣]

ومعنى قوله: ﴿ولا تكونوا أول كافر به﴾:

(١) خلاصة ما تقدّم: إن النكرة المضافة إلى أفعال التفضيل لها حالتان:

أ - أن لا تكون صفة، ومعه يكون أفعال مفرداً مذكراً، والنكرة هي التي تطابق ما قبلها إفراداً وتثنية وجمعاً، نحو: زيد أفضل رجل، وفاطمة أفضل امرأة، والزيدان أفضل رجلين، وهكذا.

ب - أن تكون صفة وقبلة - أفعال - جمع، فأنت مخير بين المطابقة وعدمها. وعليه الشاهد الشعري بشقيّه، فإن كانت المطابقة كما في الشطر الثاني فهو.

وإن كانت عدم المطابقة كما في الشطر الأول فهنا معركة الآراء في التأويل، والتفصيل موكول إلى كتب النحو؛ لأنه مستوفى فيها، وانظر: تفسير المحرر الوجيز ١: ١٩٩، تفسير اللباب في علوم الكتاب ٢: ١٤.

(٢) أقدم من رواه أبو زيد الأنصاري في النوادر: ١٥٢ آخر ثلاثة أبيات نسبها إلى أعرابي جاهلي، وكذا روى الشاهد الفراء في معانيه ١: ٣٣، ٢٦٨، والطبري في جامعه ١: ١٩٩، وأبو حيان في بحره ١: ١٧٧، وابن دريد في الاشتقاق: ٤١٧. طعموا: شبعوا، ألأم: أخبت.

يصف الشاعر من يهجوهم بأنهم أناس لؤماء إذا أكلوا لم يؤدوا حق الطعام وإذا جاعوا فهم شر من جاع.

الشاهد فيه: إفراده طاعم مع تقدّم الجمع (طعموا)، وجمعه جِياع مع تقدّم الجمع (جاعوا).

قال قوم : يعني بالقرآن من أهل الكتاب ؛ لأنّ قريشاً كانت كفرت به قبلهم بمكة .

وقيل : معناه ﴿وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾ : لا تكونوا أول السابقين إلى الكفر فيه فيتبعكم الناس ، أي : لا تكونوا أئمةً في الكفر به .
وقيل : ﴿وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾ : أول جاحدٍ ، إنّ صفته في كتابكم .

والأول والسابق والمتقدّم نظائر . ويقال أول وآخر ، وأول وثاني .
والأول : هو الموجود قبل آخر .
والأول قبل كلّ شيء ، يناقض وصفه بأنّه محدث (لكنّ يُعلم ذلك بدليل . والوصف بأنّه قديم يناقض الوصف في أنّه محدث)^(١) ، ويُعلم ذلك ضرورة .

والهاء في قوله : ﴿بِهِ﴾ قيل فيه ثلاثة أقوال :
أحدها : إنّّه يعود إلى ﴿مَا﴾ في قوله : ﴿بِمَا أُنزِلْتُ﴾ ، وهو الأجود .
والثاني : ﴿وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾ أي : بمحمّد ﷺ .
والثالث : أول كافر بما معكم ، من كتابكم ؛ لأنّهم إذا جحدوا ما فيه من صفة النبي ﷺ فقد كفروا به .

والأول : قول ابن جريج . وإنّما كان هو الأجود ؛ لأنّه أشكّل بما تقدّم .

(١) زيادة من النسخة «خ» والمختصرة .

والثاني : قول أبي العالية^(١) .

والثالث : حكاة الرّجّاج وقوّاه : بأنّهم كفروا بالقرآن . وإنّما قيل : ولا تكونوا أوّل كافر بكتابتكم ، أي : صفة محمّد ﷺ فيه^(٢) .

وقال الرّماني : وإنّما عظم أوّل الكفر ؛ لأنّهم إذا كانوا أئمّة فيه وقُدوة في الضلالة كان كفرهم أعظم . كما روي عن النبي ﷺ : (من سنّ سنّة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة ، ومن سنّ سنّة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة)^(٣) .

وليس في نهيه - عن أن يكونوا أوّل كافر - دلالة على أنّه يجوز أن يكونوا آخر كافر ؛ لأنّ المقصود من الكلام النهي عن الكفر على كلّ حال ، وخَصّ الأوّل بالذكر ؛ لما قدّمناه من عظم موقعه كما قال الشاعر :

(١) رُفِعَ بن مهران الرّياحيّ مولاهم البصريّ ، تابعيّ ، مفرّئ ، حافظ ، مفسّر ، أسلم بعد وفاة النبي ﷺ ، روى عن أمير المؤمنين ﷺ وابن عبّاس وابن مسعود وأبي ذر وغيرهم ، وعنه قتادة والربيع وابن العلاء . مات عام : ٩٠ هـ .
انظر : طبقات ابن سعد ٧ : ١١٢ ، المعارف لابن قتيبة : ٤٥٤ ، سير أعلام النبلاء ٤ : ٢٠٧ ت ٨٥ ومصادره .

(٢) الآراء منسوبة وغير منسوبة وإلى غيرهم تجدها في : تفسير الحسن البصريّ «جمع» ٢ : ٤٣ ت ٤٩ تفسير محمّد بن إسحاق «جمع» ٢٢ ، السيرة النبويّة لابن هشام ٢ : ١٨١ - ١٨٢ ، تفسير جامع البيان ١ : ٢٠٠ ، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١ : ٩٧ ت ٤٤٦ - ٤٤٨ ، تأويلات أهل السنّة ١ : ٤٦ ، تفسير بحر العلوم للسمرقنديّ ١ : ١١٤ ، تفسير النكت والعيون ١ : ١١٢ ، تفسير الوسيط ١ : ١٢٨ ، تفسير القرآن للسمعانيّ ١ : ٧٢ ، معاني القرآن وإعراجه للرّجّاج ١ : ١٢٢ .

(٣) الحديث في : الكافي ٥ : ٩ ذيل الحديث ١ ، الخصال : ٢٤٠ ذيل الحديث ٨٩ ، تهذيب الأحكام ٦ : ١٢٤ ذيل الحديث ٢١٧ ، مسند أحمد ٤ : ٣٦٢ ، السنن الكبرى للبيهقيّ ٤ : ١٧٥ ، وفيها زيادة (في الإسلام) ، السنن الكبرى للنسائيّ ٢ : ٣٩ - ٤٠ ذيل الحديث ٢٣٣٥ ، كنز العمّال ١٥ : ٤٢٠٧٨/٧٨٠ وغيرها .

مِنْ أَنَاسٍ لَّيْسَ فِيهِمْ أَخْلَاقُهُمْ عَاجِلُ الْفُحْشِ وَلَا سُوءُ الْجَزَعِ^(١) [١٨٤]
وليس يريد أن فيهم فحشاً أجلاً.

وقوله : ﴿ثُمَّناً قَلِيلاً﴾ :

فَالثَّمَنُ وَالْعَوَضُ وَالْبَدَلُ نظائر . وبينها فرق :

فَالثَّمَنُ : هو البدل في البيع من العين أو الورق . وإذا استعمل في غيرهما كان مشبهاً بهما ومجازاً .

والعوض : هو البدل الذي يُتَنَفَّعُ به كائناً ما كان .

وأما البدل : فهو الجعل للشيء مكان غيره .

ويقال : ثَمَنُهُ ثَمِيناً . وَثَامَتُهُ ثُمَامَةً . وَيُجْمَعُ الثَّمَنُ : أَثْمَاناً وَأَثْمُناً .

ويروى بيت زهير :

[١٨٥] ... وَعَزَّتْ أَثْمُنُ الْبَدَنِ^(٢)
.....

(١) للشاعر سويد بن أبي كاهل البشكري ، من قصيدة مفضلية وصفت بأنها من أغلى الشعر وأنفسه ، وعلى كثرة ما للشاعر من شعر فقد فضلتها العرب قديماً وسمتها اليتيمة وعدتها من حكمتها ؛ لما اشتملت عليه من الأمثال والحكم .
والبيت مقطع منها يفخر بقومه وشجاعتهم وشدة بهم وبسعة الأخلاق والإياء والرِّفعة ، ونايلاً عنهم كل شين .

ومعنى البيت : إنه من قوم لا فحش عندهم ولا جزع عند مصيبة أصلاً . لا كما قد يتصور أنه نفى عنهم الفحش العاجل والجزع السيئ . وإلا أين المدح إذن؟!
الشاهد : أمرٌ معنوي واضح من المعنى ، وقد أشار إليه الشيخ المصنف رحمه الله .
انظر : المفضليات : ١٩٠ ت ٤٠ ب ٣٢ ، شرح اختيارات المفضل ٢ : ٨٦٧ ت ٣٩ ب ٣٢ ، أمالي المرتضى ١ : ٢٣٠ ، شعراء النصرانية : ٤٢٥ .

(٢) لزهير بن أبي سلمى وتماهه :

مَنْ لَا يُذَابُ لَهُ شَحْمُ النَّصِيبِ ، إِذَا زَارَ الشَّيْءَ ،

الشاعر يمدح هَرَمَ بن سنان ، ويصفه بأنه ملجأ العشيرة والجائع منهم قائلاً : هو
للح

جمع ثَمَنٌ . ومن روى : «أَثْمَنُ الْبَدَنِ» : أراد : الثَّمِينَةَ منها ، أي : أَكْثَرَهَا ثَمَنًا .

وَالثَّمِينُ وَالثَّمَنُ : جُزْءٌ مِنْ ثَمَانِيَةِ أَجْزَاءٍ ، مِنْ أَيِّ مَالٍ كَانَ .

وَتَوَثَّبَ ثَمِينٌ : إِذَا كَانَ كَثِيرَ الثَّمَنِ .

والفرق بين الثَّمَنِ وَالْقِيَمَةِ : إِنَّ الثَّمَنَ قَدْ يَكُونُ وَفَقًا ، وَقَدْ يَكُونُ بَخْسًا ، وَقَدْ يَكُونُ زَائِدًا . وَالْقِيَمَةُ : لَا تَكُونُ إِلَّا مُسَاوِيَةً الْمِقْدَارِ لِلْمُثْمَنِ مِنْ غَيْرِ نُقْصَانٍ وَلَا زِيَادَةٍ . وَكُلُّ مَا لَهُ ثَمَنٌ فَهُوَ مَالٌ . وَلَيْسَ كُلُّ مِلْكٍ لَهُ ثَمَنٌ ^(١) .

وَالْقَلِيلُ وَالْحَقِيرُ وَالتَّيْسِيرُ نِظَائِرُ . وَضَدُهُ : الْكَثِيرُ .

تَقُولُ : قَلٌّ يَقِلُّ قِلَّةً . وَأَقَلُّ مِنْهُ إِقْلَالًا . وَاسْتَقَلَّ اسْتِغْلَالًا . وَتَقَلَّلَ تَقَلُّلًا . وَقَلَّلَهُ تَقْلِيلًا . وَقَلِيلٌ وَقِلَالٌ ، بِمَعْنَى .

وَرَجُلٌ قَلِيلٌ ، أَيْ : قَصِيرٌ . وَقُلُّ الشَّيْءِ : أَقْلُهُ . وَالْقِلَّةُ وَالْقُلُّ لِغَتَانِ .

وَالْقِلَّةُ : رَأْسُ كُلِّ شَيْءٍ . وَالرَّجُلُ يُقِلُّ شَيْئًا : يَخْمِلُهُ ، وَكَذَلِكَ يَسْتَقِيلُهُ . وَاسْتَقَلَّ الطَّائِرُ : إِذَا ارْتَفَعَ .

وَقِلَّةُ الْجَبَلِ : أَعْلَاهُ ، وَهِيَ : قِطْعَةٌ تَسْتَدِيرُ فِي أَعْلَاهُ . وَهِيَ الْقِلَّةُ .

والذي لا يأكل حصته . .

النصيب : الحصّة . وتروى السَّدِيف : السَّنَامُ . عَزَّتْ : غَلَّتْ ، أَوْ : قَلَّتْ . زَارَ : أَتَى .

الشاهد فيه قوله : «أَثْمَنُ» حيث هي جمع ثَمَنٍ ، ورويت : «أَثْمَنُ» بمعنى الثمينة .

انظر : الديوان : ٩٦ ق ٦ ب ١٦ صنعة ثعلب ، وفي صنعة الأعلام : ٢٧٨ ق ٥٠ ب ١٦ .

(١) انظر : جمهرة اللُّغة ١ : ٤٣٣ ، تهذيب اللُّغة ١٥ : ١٠٦ ، المحيط في اللُّغة ١٠ :

١٥٧ ، الصحاح ٥ : ٢٠٨٨ ، لسان العرب ١٣ : ٨٠ ، مادة «ثَمَنٌ» .

والْقَلَّةُ التي جاءت في الحديث (مثل : قِلَالٌ هَجَرَ) ^(١) قيل : إنها جرارٌ عِظَامٌ .

والْقِلَّةُ : التَّقْصَانُ في العَدَدِ . وقيل : في الصَّغَرِ ^(٢) .

وقوله : ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ فأدخل «الباء» في الآيات دون الثمن ، وفي سورة يوسف أدخله في الثمن في قوله : ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾ ^(٣) .

قال الفراء : إنما كان كذلك ؛ لأنَّ العروض كلها أنت مخير فيها في إدخال الباء وتركه ، إن شئت قلت : اشتريت الثوب بكساءٍ ، وإن شئت قلت : اشتريت بالثوب كساءً . أيُّهما جعلته ثمنًا لصاحبه جاز ، فإذا جئت إلى الدراهم والدنانير ، وضعت الباء في الثمن كقوله : ﴿بِثَمَنِ بَخْسٍ﴾ ؛ لأنَّ الدراهم ثَمَنٌ أبدأ ^(٤) .

وروي عن أبي جعفر عليه السلام في قوله : ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا

(١) الحديث في : صحيح البخاري ٥ : ٦٨ ، سنن النسائي ١ : ٢٢٠ ، مسند أحمد ٣ : ١٦٤ ، ٤ : ٢٠٧ و ٢٠٩ .

(٢) مادة «قَلَلَّ» تجدها في : العين ٥ : ٢٥ ، جمهرة اللُّغة ١ : ١٦٤ ، تهذيب اللُّغة ٨ : ٢٨٧ ، المحيط في اللُّغة ٥ : ٢١٢ ، الصحاح ٥ : ١٨٠٤ ، لسان العرب ١١ : ٥٦٣ . وانظر : مفردات ألفاظ القرآن الكريم : ٦٨٠ لتوضيح الجملة الأخيرة حيث يقول : الْقِلَّةُ والكثرة يستعملان في الأعداد ، كما أنَّ الْعِظَمَ وَالصَّغَرَ يستعملان في الأجسام ، ثُمَّ يُسْتَعَارُ كُلُّ واحد من الكثرة والعِظَمَ ومن القِلَّةِ وَالصَّغَرَ للآخر . (٣) سورة يوسف ١٣ : ٢٠ .

(٤) قول الفراء في معانيه ١ : ٣٠ ، وحكاة الأزهري في التهذيب ١٥ : ١٠٦ ، وابن منظور في لسان العرب ١٣ : ٨٠ .

قَلِيلًا قال عليه السلام : « كان لِحُجَيِّ بن أخطب ^(١) وكعب بن أشرف ^(٢) ، وآخرين منهم مأكلة على يهود في كل سنة . وكرهوا بطلانها بأمر النبي ﷺ فحزفوا لذلك آيات من التوراة فيها صفته وذكره ، فذلك الثمن القليل الذي أُريد به في الآية » ^(٣) .

وتقييده بـ « وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا » لا يدلُّ على أنه إذا كان كثيراً يجوز مشترئ به ؛ لأنَّ المقصود من الكلام : إنَّ أيَّ شيءٍ باعوا به آيات الله كان قليلاً ، وأنه لا يجوز أن يكون له ثمنٌ يساويه ، كقوله : « وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ » ^(٤) ، إنَّما أراد بذلك نفي البرهان عنه على كلِّ حال ، وأنه لا يجوز أن يكون عليه برهان . ومثله قوله : « وَيَقْتُلُونَ »

(١) حُجَيِّ - بالضم والكسر - بن أخطب ، رأس من رؤوس اليهود من بني قُرَيْضَةَ ، أَسْرَ في وقتهم ، وقتل عام خمس للهجرة ، سُبِيت ابنته صفية وهي من ذوات الشرف والعقل والجمال ، تزوجها النبي الأكرم ﷺ ، وأصبحت إحدى أمهات المؤمنين .
انظر : المغازي للواقدي ٢ : ٥٣٠ ، المؤلف والمختلف للدارقطني ٢ : ٧٨٦ ، سيرة ابن هشام ٢ : انظر الفهرس ، أعلام القرآن : ٥١٩ و ٣٣٣ .

(٢) كعب بن أشرف ، من كبار اليهود ، وأحد رؤوس الكفر ، حرَّض المشركين على المسلمين بعد وقعة بدر ، سَبَّبَ بنساء المسلمين ، قتله المسلمون في عُثْر داره عام ثلاث للهجرة .

مبهمات القرآن ١ : ١٢٢ ، السيرة النبوية ، لابن هشام : أنظر الفهرس ، أعلام القرآن : ٨٢٣ ، تاريخ الطبري ٢ : ٥٢ ، تاريخ ابن الأثير ٢ : ١٤٣ .
(٣) مع كثرة التتبع ، لمصادر ما قبل الشيخ ، لم نجد لها فانفراد الشيخ رحمته بروايتها وارد وعن مصادره المفقودة فعلاً وما أكثرها .

هذا ، وقد أشارت بعض التفاسير لذلك وانظر تفسير كتاب الله العزيز للهُوَارِيِّ ١ : ١٠٢ ، وتفسير بحر العلوم ١ : ١١٤ ، وتفسير الوسيط ١ : ١٢٨ ، وكذا تفسير القرآن للسمعاني ١ : ٧٢ .

(٤) سورة المؤمنون ٢٣ : ١١٧ .

النَّيِّبَ بَغَيْرِ حَقٍّ^(١) وَإِنَّمَا أَرَادَ أَنْ قَتْلَهُمْ لَا يَكُونُ إِلَّا بِغَيْرِ حَقٍّ، ونظائر ذلك كثيرة. ومثله قول الشاعر:

عَلَى لَا حِبٍّ لَا يُهْتَدَى بِمَنَارِهِ^(٢) [١٨٦]
وَإِنَّمَا أَرَادَ: لَا مَنَارَ هُنَاكَ فَيُهْتَدَى بِهِ. ولذلك نظائرُ نذكرها إذا انتهينا إليه إن شاء الله.

قوله تعالى:

﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ آية

٤٢) آية واحدة بلا خلاف.

اللَّبْسُ وَالسُّتْرُ وَالتَّغْطِيَةُ وَالتَّعْمِيَةُ نظائر.

والفرق بين التَّعْمِيَةِ، والتَّغْطِيَةِ: إِنَّ التَّعْمِيَةَ قد تكون بالنقصان والزيادة. والتَّغْطِيَةُ تكون بالزيادة.

وَضَدُّ السُّتْرِ: الْكَشْفُ. وَضَدُّ اللَّبْسِ: الْإِيضَاحُ.

يَقَالُ: لَبَسَ لِبْسًا. وَالْبَسَهُ إِبْسًا. وَالتَّبَسَّ التَّبَاسًا. وَتَلَبَّسَ تَلَبُّسًا. وَلَبَّسَهُ تَلْبِيسًا وَلَا بَسَهُ مُلَابَسَةً.

(١) سورة آل عمران ٣: ٢١.

(٢) من قصيدة رائية لامرئ القيس، قالها عندما استنجد بقيصر على بني أسد، وتماحه:

إِذَا سَافَهُ الْعَوْدُ النَّبَاطِيَّ جَرْجَرًا

المعنى: اللاحب: الطريق. المنار: العلم.

يريد: إِنَّهُ طريق لا علم فيه ولا منار يُهْتَدَى بِهِ فهو طريق غير مسلوک.

الشاهد فيه: ما أشار إليه الشيخ رحمه الله.

الديوان تحقيق: محمد أبو الفضل: ٥٦ ق ٤ ب ٣٧.

واللِّبَاسُ : ما وارتت به جَسَدَكَ . ولباس الثَّقَوَى : الحياء . والفعل : لَبَسَ يَلْبَسُ .

واللِّبْسُ : خَلَطُ الْأُمُورِ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ إِذَا انْتَبَسَتْ .
وَاللَّبُؤُسُ : الدَّرَوُحُ ، وَكُلُّ شَيْءٍ تَحَصَّنَتْ بِهِ فَهُوَ لَبُؤُسٌ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُؤْسٍ لَكُمْ﴾^(١) . قَالَ الشَّاعِرُ :
الْبَسَ لِكُلِّ حَالَةٍ لَبُؤْسَهَا

[١٨٧]

إِمَّا نَعِيمَهَا وَإِمَّا بُؤْسَهَا^(٢)

وَتَوْبُ لَبِيسٍ ، وَجَمَعَهُ : لُبَسٌ . وَاللَّبْسَةُ : ضَرْبٌ مِنَ اللَّبَاسِ . وَالْفِعْلُ : لَبَسَ يَلْبَسُ ؛ لُبَسًا ، وَلُبْسَةً وَاحِدَةً .

وَيَقَالُ : لَبَسْتُ الْأَمْرَ أَلْبَسُهُ : إِذَا عَمَيْتَهُ . وَمِنْهُ قَوْلُهُ : ﴿وَلَلْبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبَسُونَ﴾^(٣) . وَلَابَسْتُ الرَّجُلَ مُلَابَسَةً : إِذَا عَرَفْتُ دَخْلَتَهُ . وَفِي فَلَانٍ مَلْبَسٌ :

(١) سورة الأنبياء ٢١ : ٨٠ .

(٢) بيت رجز مفرد ، أُرْسِلَ مَثَلًا ، قَائِلُهُ جَاهِلِيٌّ يَسْمَى بِهِيسَ الْفَزَارِيِّ وَالْمَلَقَّبُ بِنُعْمَامَةَ ، وَقَصَّتْهُ : إِنَّهُ قُتِلَ لَهُ سَبْعَةُ إِخْوَةٍ ، فَجَعَلَ يُخَمِّنُ نَفْسَهُ وَيَلْبَسُ الْقَمِيصَ مَكَانَ السَّرْوَالِ ، وَالْعَكْسُ ، وَيُخْرِجُ سُوءَتَهُ ، فَإِذَا سُئِلَ عَنْ ذَلِكَ أَجَابَ بِالْبَيْتِ وَأَرْسَلَهُ مَثَلًا . وَقَدْ تَوَصَّلَ بِهَذِهِ الْحَالَةِ وَالْحِيلَةِ إِلَى طَلَبِ قَتْلَةِ إِخْوَتِهِ وَقَتْلِهِمْ وَجَمْعًا غَيْرِهِمْ .

الشَّاهِدُ فِيهِ : إِنَّ أَصْلَ لِبُوسٍ هُوَ اللَّبَاسُ أَوْ مَا يُلْبَسُ ، وَبِهِ اسْتَشْهَدَ فِي كِتَابِ اللَّغَةِ لِمَحَلِّ الشَّاهِدِ .

انظر : شرح الحماسة للمرزوقي ٢ : ٦٥٩ ، وشرحها للتبريزي ٢ : ١٠٢ ومفصلاً مع القصّة في خزانة الأدب للبغدادي ٧ : ٢٩٦ .

وَمِنْ كِتَابِ اللَّغَةِ : الْعَيْنُ ٧ : ٢٦٢ ، الصَّاحِ ٣ : ٩٧٤ ، لِسَانُ الْعَرَبِ ٦ : ٢٠٣ .

وَمِنْ كِتَابِ الْأَمْثَالِ : جَمَهْرَةُ الْأَمْثَالِ ١ : ١٩٧ ت ٢٣٤ ، الْمُسْتَقْصَى ١ : ٣٠٤ ت

١٣٠٨ ، وَغَيْرُهَا .

(٣) سورة الأنعام ٦ : ٩ .

إذا كان فيه مُسْتَفْتَعٌ . وفي أمره لِبَسَةٌ ، أي : ليس بواضح^(١) .

وأصل اللبس : السُّرْتُ : قال الأخطل^(٢) :

وَقَدْ لَبِسْتُ لِهَذَا الدَّهْرِ أَعْصَرَهُ حَتَّى تَجَلَّلَ رَأْسِي الشَّيْبُ فَاشْتَعَلَ^(٣) [١٨٨]

والفرق بين اللبس والإخفاء والرئب والإشكال :

إن الإخفاء : يمكن أن يُدْرَكَ معه المعنى . ولا يمكن إدراك المعنى مع

اللبس .

والرئب : معه تُهْمَةٌ لِلْمَشْكُوكِ فيه .

والإشكال : قد يُدْرَكَ معه المعنى ، إلا أنه بصعوبة ؛ لأجل التّعقيد .

وأسباب الإلباس كثيرة :

منها : الاشتراك .

ومنها : الاختلاف .

(١) «لَبَسَ» لغة تجدها في : العين ٧ : ٢٦٢ ، جمهرة اللُّغة ١ : ٣٤١ ، تهذيب اللُّغة ١٢ : ٤٤٢ ، المحيط في اللُّغة ٨ : ٣٢٩ ، المحكم والمحيط الأعظم ٨ : ٥١٠ ، الصحاح ٣ : ٩٧٣ ، لسان العرب ٦ : ٢٠٢ .

(٢) أبو مالك ، غياث بن غوث بن الصَّلْتِ التغلبيّ شاعر نصرانيّ مُجيد ، من شعراء الدولة الأمويّة ، أكثر من مدح ملوكها حتّى هجا الأنصار بسببهم وتحريضهم . اشتهر بالمهاجاة لجرير والفرزدق وهما له .

انظر طبقات فحول الشعراء ٢ : ٢٩٨ ت ٣٩٠ والفهرس ، الشعر والشعراء ١ : ٤٨٣ - ٤٩٦ ت ٨٧ ، جمهرة أنساب العرب ١ : ٣٠٥ ، تاريخ الإسلام للذهبيّ (حوادث سنة ٨١ - ١١٠٠هـ) : ٢٨٤ ت ٢٠٨ .

(٣) من قصيدة يمدح فيها مَصْقَلَةَ بن هُبَيْرَةَ الشيبانيّ .
المعنى : لقد تحمّلت من هذا الزمان واختلاف الأيّام - مرّها وحلوها - والشدائد والمحن حتّى جَلَّلَ رأسي الشيب .
الشاهد فيه : استعمال كلمة : «لَبِسْتُ» وإرادة التسترّ منها .
انظر : الديوان : ١٤٢ .

ومنها : الاختزال ، وهو : حذف مقدمه أو شرطه أو ركنه .

ومنها : الاختلاط .

واللَّبس ، وهو : المنع من إدراك الحقّ تشبيهاً بما منع من إدراكه بالسُّرِّ والتَّغْطِية . ومنه قول أمير المؤمنين عليه السلام للحارث بن حوث^(١) : « يا حار ، إنّه مُلبّوس عليك . إنّ الحقّ لا يُعرف بالرجال . اعرفِ الحقّ تُعرف أهله »^(٢) .

والبُطلانُ والفسادُ والكذبُ والزُّورُ والبُهتانُ نظائر .

وصدّ الحقّ : الباطل . يقال : بَطَلَ بَطُولاً ، وبُطْلًا وبُطْلَانًا : إذا تَلَفَ . وأَبْطَلْتُهُ إِبْطَالًا : إذا أَنْقَضْتُهُ . والبَطْلُ والباطِلُ واحد .

وبَطَلَ الرَّجُلُ بَطُولَةً إذا صار بَطْلًا . ويقال : رَجُلٌ بَطْلٌ . و(لا)^(٣) يقال :

(١) اختلفت مصادر التراجم والحديث والنسخ في ضبطه ، بين : خوط ، حوط ، حوت ، وإلى كلّ ذهب جمع ، وعلى كلّ : هو الجدّ الأعلى للحارث الأعور أبي زهير الهمدانيّ من أولياء وخوَص أمير المؤمنين عليه السلام أشهر وأعرف من أن يُعرَف بشيء ، كان من أفقه الناس وأعلمهم خصوصاً في الفرائض والحساب والقراءة ، تكلم فيه بعض أصحاب التراجم والجرح على ما هو ديدنهم في رجالات الشيعة خصوصاً أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام . مات عام : ٦٥ هـ .

انظر : ميزان الاعتدال ١ : ٤٣٥ ت ١٦٢٧ ، تهذيب التهذيب ٢ : ١٢٦ ، النجوم الزاهرة ١ : ١٨٥ ، اختيار معرفة الناقلين : ٨٨ ، تنقيح المقال ١٧ : ٤٥ ت ٤٣٣٤ ، سير أعلام النبلاء ٤ : ١٥٢ ت ٥٤ ومصادره ، غاية النهاية في طبقات القراء ١ : ٢٠١ . وغيرها كثير .

(٢) قطعة من حديث طويل تجده في أنساب الأشراف (بتحقيق الشيخ المحمودي) ٢ : ٢٣٨ ت ٢٦٩ و ٢٧٤ ت ٣٥٨ ، وتاريخ يعقوبي ٢ : ٢١٠ ، ورواه الشيخ المفيد في أماليه ٣ : ١٣ ح ٣ ، والشيخ الطوسي في أماليه : ٦٢٦ قطعة من الحديث ١٢٩٢ من المجلس ٣٠ ، البيان والتبيين ٣ : ٢١١ ، نثر الدرّ للآبي ١ : ٢٧٣ - ٢٧٤ .

(٣) هكذا الخطّيات مؤيَّدة بالجمهرة عن أبي زيد .

امرأة بَطْلَةٌ. وَبَطْلٌ بَطَالَةٌ: إِذَا هَزَلَ، وَكَانَ بَطَالًا. وَالْأَبَاطِيلُ: جَمْعُ إِبْطَالَةٍ وَأَبْطُولَةٍ.

والباطلُ: ضِدُّ الْحَقِّ.

وَأَبْطَلْتُهُ: جَعَلْتُهُ بَاطِلًا. وَأَبْطَلَ فُلَانٌ: إِذَا جَاءَ بِبَاطِلٍ.

وَالْبَطْلُ: الشَّجَاعُ الَّذِي يُبْطَلُ جُرَاحَاتِهِ، لَا يَكْتَرِثُ لَهَا، وَلَا تَكْفُهُ عَنْ نَجْدَتِهِ.

وَأَضْلُ الْبَاطِلِ: الْخَبَرُ الْكَذِبُ. ثُمَّ كَثُرَ حَتَّى قِيلَ لِكُلِّ فَاسِدٍ.

وَيَقَالُ: فِعْلٌ بَاطِلٌ، أَيْ: قَبِيحٌ. وَبِنَاءٌ بَاطِلٌ، أَيْ: مُتَّقِصٌ. وَزَرْعٌ بَاطِلٌ، أَيْ: مُخْتَرِقٌ تَالِفٌ^(١).

وَمَعْنَى لَبَسَهُمُ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ: إِنَّهُمْ آمَنُوا بِبَعْضِ الْكِتَابِ، وَكَفَرُوا بِبَعْضٍ، فَخَلَطُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ؛ لِأَنَّهُمْ جَحَدُوا صِفَةَ النَّبِيِّ ﷺ فَذَلِكَ الْبَاطِلُ، وَأَقْرَبُوا بِغَيْرِهِ مِمَّا فِي الْكِتَابِ.

(وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ لِأَجْلِ تَحْرِيفِهِمُ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ، فَتَحْرِيفُهُمْ بَاطِلٌ، وَتَرْكُهُمْ مَا فِي الْكِتَابِ)^(٢) عَلَى مَا هُوَ بِهِ حَقٌّ.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَا تَخْلَطُوا الصِّدْقَ بِالْكَذِبِ.

وَقَالَ الْحَسَنُ: كَتَمُوا صِفَةَ مُحَمَّدٍ ﷺ وَدِينَهُ، وَهُوَ الْحَقُّ. وَأَظْهَرُوا

١٥ وأما: المخصّص، المجل، اللسان، المحكم، الصحاح فقد حذفت «لا».

وأما: العين والتهذيب فلم تتعرض للتأنيث.

وانظر: مصادر الهامش الآتي.

(١) «بَطْلٌ» تجدها في: العين ٧: ٤٣٠، جمهرة اللغة ١: ٣٥٩، تهذيب اللغة ١٣:

٣٥٤، المحيط في اللغة ٩: ١٨١، الصحاح ٤: ١٦٣٥، المخصّص ٢: ٧٥،

المحكم والمحيط الأعظم ٩: ١٧٧، مجمل اللغة ١: ١٢٨، لسان العرب ١١: ٥٦.

(٢) الجملة زيادة من «خ».

دين اليهودية والنصرانية .

وقال ابن زيد : الحقّ : التوراة التي أنزلها الله على موسى . والباطل : ما كتبوه بأيديهم .

واللَّبْسُ في الآية : قيل معناه : التعمية . وقيل : خَلَطُ الحقّ بالباطل ، عن ابن عباس . ومنه قوله : ﴿ وَلَلْبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ ﴾ ^(١) أي : لخلطنا عليهم ما يخلطون .
قال العجاج :

لَمَّا لَبَسْنَ الْحَقَّ بِالْبُغْيِ

غَيَّنَ وَاسْتَبْدَلْنَ زَيْدًا مِنِّي ^(٢)

وقال بعضهم : الحقّ : إقرارهم بأنّ محمداً ﷺ مبعوث إلى غيرهم . والباطل إنكارهم أن يكون بُعث إليهم ^(٣) .

وهذا ضعيف ؛ لأنّه إن جاز ذلك على نفر يسير ، لم يجر على الخلق الكثير ، مع إظهار النبي ﷺ وتكذيبهم فيه ، وإقامة الحجّة عليهم .

(١) سورة الأنعام : ٦ : ٩ .

(٢) البيت : ٥ من القصيدة الرجزية : ١٦ في الديوان : ١ : ٢٧٨ .

المعنى : لَبَسْنَ : خَلَطْنَ . غَيَّنَ : استغنى عن الحاجة : طَرَحَهَا وسقطت من عينه ، ولم يعرها اهتماماً .

الشاهد : استعمال «لَبَسَ» وإرادة الخَلَطِ والتَّعْمِيَةِ منها . أي : لَبَسْنَ : خلطن وعَمَّيْنَ .
(٣) أُشير إلى الآراء متفرقة ومجتمعة في : تفسير الحسن البصري «جمع» ٢ : ٤٥ ت ٥١ ، تفسير محمد بن إسحاق «جمع» : ٢٢ ، السيرة النبوية ٢ : ٣٦ ، تفسير جامع البيان ١ : ٢٠١ معاني القرآن وإعرابه ١ : ١٢٤ ، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازي ١ : ٩٨ ت ٤٥٤ ، تفسير كتاب الله العزيز للهوّاري ١ : ١٠٢ ، تفسير القرآن للسمرقاني ١ : ٧٢ ، تأويلات أهل السنة ١ : ٤٦ ، تفسير النكت والعيون ١ : ١١٢ ، تفسير بحر العلوم ١ : ١١٤ ، تفسير الوسيط ١ : ١٢٨ ، تفسير المحرّر الوجيز ١ : ٢٠٠ .

وقوله: ﴿وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ﴾ يحتمل أمرين من الإعراب:

أحدهما: الجزم على النهي، كأنه قال: لا تلبسوا الحق، ولا تكتموا.
والآخر: النصب على الظرف، كأنه قال: لا تجمعوا اللبس
والكتمان. كما قال الشاعر:

لَا تَنَّهُ عَنْ خُلَّتِي وَتَأْتِي مِثْلَهُ عَارٌّ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمٌ^(١) [١٩٠]
ومثله: لا يسعني شيء، ويعجز عنك، أي: (لا تجتمع السعة لي
والعجز عنك)^(٢).

وعند الخليل وسيبويه، والأخفش، يُنتصب مثل ذلك بإضمار «أن». ويكون تقدير الكلام: لا يكن منكم لبس الحق وكتمان. ودلّ ﴿تَلْبَسُوا﴾

(١) بيت شعر كثير التداول في كتب النحو والأدب والأخلاق وغيرها، متنازع على نسبته لعدد من الشعراء، منهم: أبو الأسود الدؤلي، والمتوكل الليثي، والأخطل، وسابق البربري، وحسان، والأعرابي، والطرماح، والأعشى.
تردّد النسبة بين الدؤلي والليثي؛ لانساق (٣٠) بيتاً في قصيدة للأول (٦) أبيات في مقطوعة للثاني.

المعنى: إذا أردت النصح بترك خلق أو خلّة فينبغي أن تكون تاركاً لها غير متّصف بشيء منها، وإلا عدّ ذلك منك عجزاً ولحقك عار عظيم ولم يؤثر نصحك.
الشاهد فيه: نصب «تأتي» بـ«أن» مضمرة، والعطف يؤدي معنى الجمع.
انظر: ديوان أبي الأسود الدؤلي: ٤٠٣ ق ٦٩ ب ٩، ديوان المتوكل الليثي: ٢٨٣، المقطوعة ٥ ب ٦ من القسم الثالث ممّا ينسب له ولغيره، والتخريج لها فيهما.

ولاحظ: الجمل في النحو: ٦٨ ومصادره في الهامش، الكتاب ٣: ٤٢، شرح أبيات سيبويه للنحاس: ٢٦١ ت ٥٨٠، النكت في شرح الكتاب ١: ٧١٧، الأغاني ١٢: ١٦٥، المستقصى في الأمثال ٢: ٢٦٠ ت ٩٠٤، خزنة الأدب للبغدادي ٨: ٥٦٤ ش ٦٧١، وأغلب كتب النحو وشرح شواهدا.

(٢) بين القوسين ساقط من «هـ، و».

على اللبس و﴿تَكْتُمُوا﴾ على الكتمان^(١).

كما تقول: من كذب كان شراً له، فكذب دُلَّ على الكذب، فكأنه قال: من كذب كان الكذب شراً له.

قوله: ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾:

قال قوم: هو متوجه إلى رؤساء أهل الكتاب؛ ولذلك وصفهم بأنهم يحزفون الكلم عن مواضعه للتلبيس على أتباعهم. قالوا: وهذا تقييح لما يفعلونه.

وكذلك قوله: ﴿وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ﴾ أي: تتركون الاعتراف به وأنتم تعرفونه، أي: تجحدون ما تعلمون. وجحدُ المعاند أعظم من جحد الجاهل.

ومن قال هذا، لا يلزمه ما يتعلق به أهل (المعارف)^(٢)، من هذه الآية، من قولهم: إن الله أخبر أنهم يكتُمون الحق وهم يعلمون؛ لأنه إذا خصَّ الخطاب بالرؤساء - وهم نفر قليل - فقد جَوَّز على مثلهم العناد والاجتماع على الكتمان. وإنما يمنع ذلك في الجماعة الكثيرة، لما يرجع إلى العادات، واختلاف الدواعي. كما قيل في الفرق بين التواطئ والاتفاق في العدد الكثير.

وقال بعضهم: معناه: وأنتم تعلمون البعث والجزاء.

فإن قيل: كيف يصح ذلك على أصلكم الذي تقولون به: إن من عرف الله تعالى لا يجوز أن يُكفَّر؟ وهؤلاء إذا كانوا كفاراً، وماتوا على

(١) انظر لأرائهم على التوالي: الجمل في النحو: ٦٨، الكتاب ٣: ٤٤، معاني القرآن ١: ٢٢١.

(٢) في النسخ «التعارف» ولم نعرف له محصلاً، والمثبت من «خ».

كفرهم . كيف يجوز أن يكونوا عارفين بصفة محمد ﷺ ، وأنه حق ، بما معهم من التوراة . وذلك مبني على معرفة الله ، وعندكم أنهم ما عرفوا الله ؟ قلنا : إن الذي يمنع من أن تُكفّر من عرف الله تعالى ، إذا كانت معرفته على وجه يستحقّ بها الثواب ، فلا يجوز أن يُكفّر ؛ لأنه يؤدي إلى اجتماع الثواب الدائم على إيمانه ، والعقاب الدائم على كفره . والإحباط ^(١) باطل . وذلك خلاف الإجماع .

ولا يمتنع أن يكونوا عرفوا الله تعالى على وجه لا يستحقّون به الثواب ؛ لأنّ الثواب إنّما يُستحقّ ، بأن يكونوا نظروا من الوجه الذي وجب عليهم . فأمّا إذا نظروا بغير ذلك ، فلا يستحقّون الثواب ، فيكونوا على هذا عارفين بالله تعالى وبالكتاب الذي أنزله على موسى ، وعارفين بصفات النبي ﷺ ؛ لكن لا يكونوا مستحقّين للثواب . وعلى هذا يجوز أن يُكفّروا . وفي الناس من قال : استحقاقهم للثواب على إيمانهم مشروط بالموافاة ^(٢) . فإذا لم يوافوا به لم يستحقّوا الثواب .

(١) الإحباط : سواء أريد منه الإبطال أو الإنقاص من المتقدّم بسبب المتأخّر فالكلام حوله طويل نفيّاً أو إثباتاً ، فالإحالة على مصادر الاختصاص أفضل ، انظر من الشيعة : الذخيرة للشريف : ٣٠٤ ، الاقتصاد : ١١٧ ، كشف المراد للعلامة : ٤٢٩ ، اللوامع الإلهية للسيوري : ٤٣٦ ، محاضرات في الإلهيات للشيخ السبحاني بقلم الشيخ حسن مكّي العاملي : ٤ : ٣٦٣ ، المعجم في فقه لغة القرآن : ١٠ : ٦٦٦ - ٧٠٣ . ومن العامة : شرح الأصول الخمسة : ٦٢٦ ، الإرشاد للجويني : ٣٢٤ ، محصل أفكار المتقدمين : ٣٤٢ ، شرح المواقف : ٨ : ٢٠٩ ، شرح المقاصد : ٥ : ١٤٠ . وانظر : شرح المصطلحات الكلامية ٨ ت ٣٧ .

(٢) اختلف في معناها ، والمراد منها بين المسلمين بما يرجع حاصله إلى أنّ الموافاة : بقاء الإنسان على الإيمان بالباري ومعرفته معرفة تامّة بلواحقها من أصول الدين - العدل والنبوّة والإمامة و - والثبات عليها وعلى فعل الطاعة إلى آخر حياته وموته .

فعلى هذا أيضاً يجوز أن يكونوا عارفين وإن لم يكونوا مستحقين
لثواب يبطل بالكفر .

والمعتمد الأول .

وقال قوم : الآية متوجهة إلى المنافقين منهم . وكأنَّ خَلَطَهُمُ الْحَقُّ
بالباطل : ما أظهروا بلسانهم من الإقرار بالنبي ﷺ بما يستبطنونه من الكفر .
وهذا يمكننا الاعتماد عليه ، ويكون قوله تعالى : ﴿ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾
معناه : أنكم تعلمون أنكم تظهرون خلاف ما تُبطنونه .

وهذا أسلم من كلِّ وجه على أصلنا .

ويمكن أن يقال : معنى قوله تعالى : ﴿ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ أي : عند
أنفسكم ؛ لأنهم إذا كانوا يعتقدون أنهم عالمون بالتوراة ، وبأنها من عند الله ،
وفيها ذكر النبي ، فهم عالمون عند أنفسهم بنبوته ؛ لكن يكابرون .

قوله تعالى :

﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَآرْزُقُوا مَعَ الرُّكَّعِينَ ﴾ آية (٤٣)

آية بلا خلاف .

هذا ، وقد اختلف المسلمون فيها إثباتاً ونفيّاً وكيفيةً وشرطاً . وتفصيل ذلك يطول
فالإحالة على المصادر أفضل . أنظرها ضمن بحث الثواب ، الموازنة ، الجزء ، الوعد
والوعيد و

وللتسهيل ينظر : أوائل المقالات : ٩٧ ، إرشاد الطالبين : ٤١٩ ، اللوامع الإلهية :
٤٣٦ ، كشف المراد : ٤٣٨ ، مناهج اليقين : ٣٥١ .

مقالات الإسلاميين : ١٠٠ ، الفضل في الملل والأهواء والنحل ٤ : ٥٨ ، وغيرها
كثير ، وانظر : شرح المصطلحات الكلامية : ٣٥٤ ت ١٢٨٢ .

الصلاة في أصل اللغة : الدعاء . قال الأعشى :

عَلَيْكَ مِثْلَ الَّذِي صَلَّيْتَ فَاعْتَمِضِي نوماً، فَإِنَّ لِحْنِ الْمَرْءِ مُضْطَجَعاً^(١) [١٩١]

أي : دَعَوْتَ . وقال آخر :

وَقَابَلَهَا الرَّيْحُ فِي دَنْهَا وَصَلَّى عَلَى دَنْهَا وَازْتَسَمَ

[٧٠]

أي : ودعا .

وقيل : أصلها : اللزوم . من قول الشاعر :

لَمْ أَكُنْ مِنْ جُنَاتِهَا عَلِمَ اللَّهُ وَإِنِّي لِحَرَّهَا الْيَوْمَ صَالٍ^(٢) [١٩٢]

أي : ملازم لحَرَّها .

وكأن معنى الصلاة : ملازمة العباداة على الحد الذي أمر الله عز وجل به .

وقيل : أصلها : الصَّلا ، وهو : عَظُمَ الْعَجْزُ ؛ لرفعه في الركوع

والسجود ، من قول الشاعر :

(١) من قصيدة يمدح فيها هودّة بن عليّ الحنفيّ في الديوان : ١٥١ ، ق ١٣ ب ١٢ منها .

المعنى : دعت البنت لأبيها في بيت أسبق قائلة : - يا رَبِّ جَبَّ أَبِي الْأَوْصَابِ والوجع - فأجابها الأب بدعاء مثله وطمانها أن ليس للإنسان بدٌّ من الموت - فَإِنَّ لِحْنِ الْمَرْءِ - وإِنَّ لا يصيبه إلّا ما كتب له .

الشاهد : قوله : «صَلَّيْتَ» أي : دعوت .

(٢) من مقطوعة للحارث بن عباد بن ضبيعة ، وكان قد اعتزل حرب البسوس بين ابني وائل ، حتّى قتل ابن أخيه بجير بن جبلة غيلة - في قصّة مذكورة - اضطرَّ على إثرها خوض الحرب مع بني بكر ضدّ بني تغلب وكان ما كان ، وسمّي ذلك اليوم بيوم التحاليق ؛ لحلق بني الحارث رؤوسهم .

المعنى : يصرّح الشاعر بأنّه لم يكن من بغاة الحرب ولا من مسبّيها ، ولا رأي له فيها ، ولكن دُفِعَ لخوضها لما قتل ابن أخيه بجير بلا سبب .

الشاهد : ما أشار إليه الشيخ رحمه الله .

انظر : الحماسة البصريّة ١ : ١٦ ت ٣٧ ، الأغاني ٥ : ٤٧ ، ذيل الأمالي ٢٦ : الأصمعيّات ٧٠ ت ١٧ ، الاقتصاب ٣ : ٣٦٥ ت ٣١٦ ، الكامل في الأدب ٢ : ٧٧٦ ، الحيوان ١ : ٢٢ ، سمط اللاكي ٢ : ٧٥٧ ، تاريخ الأدب العربيّ ١ : ١٢٧ .

فَأَبَّ مُصَلُّوهُ بِعَيْنٍ جَلِيَّةٍ وَغَوْدِرَ بِالْجَوْلَانِ حَزْمٌ وَنَائِلٌ^(١) [١٩٣]

أي : الذين جاوزوا في صلا السابق .

والقول الأول أقرب إلى معنى الصلاة في الشرع .

وقد بينا معنى إقامة الصلاة فيما مضى^(٢) ، فلا وجه لإعادته .

وقوله : ﴿وَأَتُوا آلَ زَكَاةٍ﴾ :

فالزكاة والتماء والزيادة نظائر في اللغة .

ونقيض الزيادة : النقصان .

يقال : زكا ، يَزْكُو زَكَاءً . وَتَزَكَّى تَزَكِيًّا ، وَزَكَاهُ تَزَكِيَّةً .

قال صاحب العين : الزكاة ، زكاة المال ، وهو تَطْهِيرُهُ . والفعل منه :

زَكَّى يُزَكِّي تَزَكِيَّةً . والزكاة : زكاة الصلاح^(٣) . تقول : رَجُلٌ تَقِيٌّ زَكِيٌّ . ورجال أَتَقِيَاءُ أَزَكِيَاءُ .

والزرع : يَزْكُو زَكَاً ، ممدود . وَكُلُّ شَيْءٍ يَزْدَادُ وَيَنْمَى ، فهو : يَزْكُو زَكَاءً .

وتقول : هذا لَا يَزْكُو بِفُلَانٍ ، أي : لَا يَلِيْقُ بِهِ . قال الشاعر :

(١) البيت للناطقة الذبياني من قصيدة يرثي بها النعمان بن الحارث الغساني . الديوان :

١١٥ ق ٢٢ ب ٢٥ .

المعنى : أب : رج . مُصَلُّوهُ : الثاني . بعين جَلِيَّةٍ : خبر صدقٍ وبقين بموت النعمان . غَوْدِرَ : ترك . الجولان : موضع بالشام . حزم ونائل : أي رجل ذو حزم وعقل وعطاء .

المعنى : رجع أول القوم بخبر دفن أو ترك رجل الحزم والعطاء في منطقة الجولان ولم أتمكن من التصديق إلا بعد مجيء الثاني .

الشاهد : ما أشار إليه الشيخ المصنّف ﷺ .

(٢) تقدّم ضمن تفسير الآية ٣ .

(٣) في المصدر : والزكاة : الصلاح ، ولعل له وجه ، والمثبت من النسخ مدعوماً بالمحكي عن المصدر في المخصص ٦ : ١٢٤ .

المَالُ يَزْكُو بِكَ مُسْتَكْتَرًا يَخْتَالُ قَدْ أَشْرَقَ لِلنَّازِرِ ^(١) [١٩٤]
ومصدره الزَّكَاءُ مَمْدُودٌ.

ويقال: إِنَّ فُلَانًا لَزَكَاءُ النَّقْدِ، أي: حاضِرُهُ وَعَيْنُهُ
وَالزَّكِيُّ: الشَّعْفُ، مَقْصُورٌ ^(٢)، قال الشاعر:

كَانُوا خَسًا أَوْ زَكَأً مِنْ دُونِ أَرْبَعَةٍ لَمْ يَخْلُقُوا وَجُدُودُ النَّاسِ تَعْتَلِجُ ^(٣) [١٩٥]
وَالْخَسَا ^(٤): الْوِثْرُ.

وأصل الباب: النُّمُو، وَالزَّكَاةُ تُنْمِي الْمَالَ بِالْبَرَكَةِ الَّتِي يَجْعَلُ اللَّهُ فِيهِ.
وَسُمِّيَ بِالزَّكَاةِ فِي الشَّرِيعَةِ: مَا يَجِبُ إِخْرَاجُهُ عَنِ الْمَالِ؛ لِأَنَّهُ نِمَاءٌ

(١) لم تثبت نسبته لشاعر، استشهد به: الفراهيدي في العين ٥: ٣٩٤، والأزهري في التهذيب ١٠: ٣٢٠، وابن منظور في اللسان ١٤: ٣٥٨.
الشاهد فيه: استعمال «يزكو» وإرادة النماء والكثرة منه.

(٢) مصادر اللُّغَةِ لمادتي «زكا، زكاء» مشتركة غالباً، ينظر لهما: العين ٥: ٣٩٤، وجمهرة اللُّغَةِ ٢: ٨٢٥ و١٠٧١، تهذيب اللُّغَةِ ١٠: ٣١٩، المحيط في اللُّغَةِ ٦: ٣٠٠، المحكم والمحيط الأعظم ٧: ١٢٦، المخصّص ٦: ١٢٤، الصحاح ٦: ٢٣٦٨، لسان العرب ١٤: ٣٥٨، مجمل اللُّغَةِ ٢: ٤٣٧، معجم مقاييس اللُّغَةِ ٣: ١٧، مفردات ألفاظ القرآن الكريم: ٣٨٠، عمدة الحفاظ ٢: ١٤٢، والزاهر في معاني كلمات الناس ٢: ١٨٦، تاج العروس ١٩: ٤٩٤.

(٣) لم ينسب لدى أغلب من استشهد به، وبعضهم نسبته إلى الفراء، وفي اللسان نُسِبَتْهُ إِلَى الدُّبَيْرِيَّةِ.

المعنى: الخسا: الفرد أو الوتر. زكا: الزَّوْجُ أو الشَّعْفُ، تعتلج: يسطرع بعضها مع بعض، أو: تشتبك، أو: ترتفع، من اعتلجت الأرض، إذا طال نبتها واشتبك. انظر: المقصور والممدود: ٦٨، والمئقوص والممدود: ٣٥ وهما للفراء، تهذيب اللُّغَةِ ٧: ٤٨٥، الزاهر في معاني كلمات الناس ٢: ١٨٧، تفسير جامع البيان ١: ٢٠٣، تفسير الجامع لأحكام القرآن ١: ٣٤٣، لسان العرب ١٤: ٢٢٨.

(٤) يختلف ضبط آخر الكلمة حسب المراد منها، على ما هو الملاحظ من مصادر اللُّغَةِ، إذ لكل معنى. وعلى أيّ إضافة لمصادر الهامش الثاني ينظر: العين ٤: ٢٨٨، جمهرة اللُّغَةِ ٢: ١٠٥٤، تهذيب اللُّغَةِ ٧: ٤٨٣، الصحاح ٤: ٣٨٤.

ما ينقى . ويُنْمِر . وقيل : بل مَذْحُ لما يَنْقَى ؛ بأنه زَكِيٌّ ، أي : مُطَهَّر . كما قال :
﴿ أَقْتَلْتُ نَفْساً زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ ﴾ ^(١) أي : طاهرة .
وقوله : ﴿ وَأَزْكَمُوا ﴾ :

فالركوع ، والانحناء ، والانخفاض نظائر في اللُّغة . يقال : ركع ، ورفع . قال الشاعر :

لَا تُهَيِّنِ الْفَقِيرَ عِلَّكَ أَنْ تَرْكَعَ يَوْماً وَالذَّهْرُ قَدْ رَفَعَهُ ^(٢) [١٩٦]

قال ابن دريد ^(٣) : الرَّاكِعُ : الذي يَكْبُو على وَجْهِه . ومنه : الركوع في

(١) سورة الكهف ١٨ : ٧٤ .

(٢) للأصْبُط بن قريع السعديّ جاهليّ ، فُقد شعره ، والمتوفّر لدى الرواة منه تسعة عشر بيتاً موزّعة على خمسة مقاطع ، منها : العينية الحكيمة هذه وفيها يقول :
لِكُلِّ هَمٍّ مِنَ الْهُمُومِ سَعَةٌ والمُسَى والصُّبْحُ لَا فَلَاحَ مَعَهُ
مَا بَالُ مَنْ سَرَّهُ مُصَابِكُ لَوْ يَمْلِكُ شَيْئاً مِنْ أَمْرِهِ وَزَعَهُ
أَذُودٌ عَنْ حَوْضِهِ وَيَذْفَعُنِي يَا قَوْمُ مَنْ عَاذَرِي مِنَ الْخُدَعَةِ
حَتَّى إِذَا مَا أَنْجَلْتَ عَمَائَتَهُ أَقْبَلَ يَلْجِي ، وَغَشِيَهُ فَجَعَهُ
قَدْ يَجْمَعُ الْمَالَ غَيْرُ آكِلِهِ وَيَأْكُلُ الْمَالَ غَيْرُ مَنْ جَمَعَهُ
فَاقْبَلْ مِنَ الذَّهْرِ مَا أَتَاكَ بِهِ مَنْ قَرَّ عَيْناً بِعَيْشِهِ نَفَعَهُ
وَصَلِّ جِبَالَ الْبَعِيدِ إِنْ وَصَلَ الـ حَبْلٌ وَأَقْصِ الْقَرِيبَ إِنْ قَطَعَهُ
وَلَا تُهَيِّنِ الْفَقِيرَ عِلَّكَ أَنْ تَرْكَعَ يَوْماً وَالذَّهْرُ قَدْ رَفَعَهُ
المعنى واضح . والأصْبُط : هو الذي يعمل بكلتا يديه باليسرى كاليمنى .
الشاهد فيه : «تركع» بمعنى تكبوا أو تنحني .

وقد اختلف في ضبط بعضها ولا يضُرّ ، انظر : البيان والتبيين ٣ : ٣٤١ ، أمالي
القالبي ١ : ١٠٧ ، الحماسة الشجرية ١ : ٤٧٣ ت ٣٩٥ ، الحماسة البصرية ٢ : ٢ ،
الأغانى ١٨ : ١٢٩ ، خزائن الأدب للبغدادى ١١ : ٤٥٠ ش ٩٥٤ ، الشعر والشعراء ١ :
٣٨٢ ت ٥٤ ، العقد الفريد ٢ : ٣١٥ ، مجموعة المعاني : ٣١٩ ، عيون الأخبار لابن قتيبة
١ : ٢٤٧ ، شرح الحماسة للمرزوقي ٣ : ١١٥١ ، المعاني الكبير ١ : ٤٩٥ ، المقرب :
٣٦٩ ، الإنصاف ١ : ٢٢١ ، شرح المفصل ٩ : ٤٣ ، الكامل ٢ : ١٣٦ ، وغيرها .

(٣) في النسخ «و» ، هـ ، س ، حجري : ابن زيد ، والمثبت من «خ» هو الصحيح ؛
لله

الصلاة . قال الشاعر :

وَأُفْلَتَ حَاجِبٌ فَزُقَ الْعَوَالِي عَلَى شَقَاءَ تَزَكَّعُ فِي الظُّرَابِ^(١) [١٩٧]
وَالرُّكْعَةُ : الْهُوَّةُ فِي الْأَرْضِ . لَغَةً يَمَانِيَّةً^(٢) .

وقال صاحب العين : كُلُّ شَيْءٍ يَنْكَبُ لَوَجْهِهِ ، فَتَمَسُّ رُكْبَتَيْهِ الْأَرْضَ
أَوْ لَا تَمَسُّهَا ، بَعْدَ أَنْ يُطَاطَى رَأْسُهُ فَهُوَ رَاكِعٌ . قال الشاعر :

وَلَكِنِّي أَنْصَ الْعَيْسَ تَدْمِي أَيَاظِلَهَا وَتَزَكَّعُ بِالْحَزُونِ^(٣) [١٩٨]

بَدَلِيلِينَ : أَوَّلًا : لوجود النص كاملاً في الجمهرة ، وثانياً . نسب المؤلف ذلك في
المُفْصِح فِي إِمَامَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْمُطْبُوعُ ضَمَنَ (الرسائل العشر) : ١٣٢ ، إِلَى
ابن دريد .

(١) لبشر بن أبي خازم الأسدي ، قاله يوم التَّسَار . هذا وفي ضبط عجزه اختلاف كثير
بين المصادر والديوان .

المعنى : الشاعر يهجو رئيس بني تميم - حاجب - وإنه انهزم في الحرب ولم يصمد .
أُفْلَتَ : انهزم . حاجب : هو ابن زرارة رئيس تميم يوم التَّسَار . العوالي : الرِّمَاح .
شَقَاءُ : المنبسطة الطويلة . تزكع : تكبو على وجهها . الظُّرَاب : جمع لما ارتفع من
الأرض ولم يبلغ الجبل ، أي : التلال والرَّوَابِي .
الشاهد فيه : استعمال «تزكع» بمعنى الكبو على الوجه .

الديوان : ٢٠ ، بيت ١٨ قصيدة ٤ . وانظر : ديوان النقائض ١ : ٢٠٩ ، الملاحن :
١١١ ، مجاز القرآن ١ : ٥٤ ، جمهرة اللُّغة ٢ : ٧٧٠ ، لسان العرب ٨ : ١٣٣ . وفيها
اختلاف في بعض ألفاظه .

(٢) جمهرة اللُّغة ٢ : ٧٧٠ . وانظر المصادر اللغوية في الهامش ٢ الآتي .

(٣) اللَّطِيزُ مَاحِ الطَّائِي ، ب ٣٥ ق ٣٥ في الديوان : ٢٨٩ .

النَّصُّ : استفرغ غاية القدرة والأمر على الشيء ، وهنا : السير السريع ، بل
أشدَّ السير وأسرع . العيس : الإبل الشَّقراء يختلط بياضها مع الصَّفرة . تدمي : الدم .
أَيَاظِلُهَا ، واحده أَيَظْلٌ : وهي الخاصرة . الحزون : الأرض الخشنة الغير المستوية .
الشاهد فيه : تزكع : بمعنى أَنَّ العيس لشدة جريها تكبو ، وقد تمس ركبتها
الأرض مطأطأة رأسها .

وقال ليبد :

أَخْبَرُ أَخْبَارَ الْقُرُونِ الَّتِي مَضَتْ أَدَبُ كَأَنِّي كُلَّمَا قُمْتُ رَاكِعٌ ^{(١)(٢)} [١٩٩]

وقيل : إنه مأخوذ من الخُضوع . ذهب إليه المفضل بن سلمة والأصمعي ^(٣) . قال الشاعر :

[١٩٦] لَا تُسَيِّئَنَّ الْفَقِيرَ عَلَّكَ أَنْ تَزَكَّعَ يَوْمًا وَالذَّهْرُ قَدْ رَفَعَهُ

والأول أقوى ؛ لأن هذا مجاز مشبه به .

وقوله : «وَأَزَكَّعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ» :

إنما خَصَّ الركوع بالذكر من أفعال الصلاة ؛ لما قال بعض المفسرين : إن المأمورين هم أهل الكتاب ، ولا ركوع في صلاتهم . وكان الأحسن ذكر المختص دون المشترك ؛ لأنه أبعد من اللبس .

وقيل : لأنه يُعَبَّرُ بالركوع عن الصلاة . يقول القائل : فرغت من

كما وقد استشهد به الفراهيدي في العين ١ : ٢٠١ ، والأنباري في الأضداد : ٢٩٦ لما استشهد به الشيخ المصنف ، وقد اختلف في ضبطه ولا يضُرُّ ؛ لسلامة محل الشاهد في الجميع .

(١) للشاعر ليبد بن ربيعة ضمن قصيدة ضمنها حكماً ونصائح برقم ٢٤ ب ١٣ صفحة : ١٦٨ من الديوان .

يصف حاله : بأنه بلغ من العمر مقدراً أصبح فيه قائماً على هيئة الراكع ، أي : منحنياً مُطَاطِئاً رأسه بعد أن كان معتدلاً سويّاً .

الشاهد فيه : واضح وهو استعمال كلمة الركوع بمعنى الانحناء و... .

(٢) من مصادر اللغة لمادة «رَكَعَ» : العين ١ : ٢٠٠ ، جمهرة اللغة ٢ : ٧٧٠ ، تهذيب اللغة ١ : ٣١١ ، المحيط في اللغة ١ : ٢٢٢ ، المختص ٦ : ١٢١ ، المحكم والمحيط الأعظم ١ : ٢٧٥ ، الصحاح ٣ : ١٢٢٢ ، لسان العرب ٨ : ١٣٣ .

(٣) هذا هو الرأي الثاني في معنى الركوع ، وقد أشير إليه في البحر المحيط ١ : ١٧٣ ، والأول المتقدم في صفحة : ١٦٥ .

ركوعي، أي: من صلاتي. وإنما قيل ذلك؛ لأنه أول ما يُشاهد ممّا يدلّ على أنّ الإنسان في الصلاة، لأنّا بيّنا أنّ أضلّ الركوع الانحناء^(١).

فإن قيل: كيف أمروا بالصلاة والزكاة وهم لا يعرفون حقيقتهما في الشريعة؟

قيل: إنّما أمروا بذلك؛ لأنّهم أُحِيلوا فيه على بيان الرسول إذ قال: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾^(٢). ولذلك جاز أن يأمرهم بالصلاة على طريق الجملة، ويحيلهم في التفصيل على بيان الرسول ﷺ.

وقد بيّنا تفصيل ما ورد الشرع به، من: الصلاة والزكاة، وفرائضها وسننها في كتاب: النهاية، والمبسوط، وغيرهما من كتبنا في الفقه^(٣).

(١) أُشير إلى الآراء في: تفسير النكت والعيون ١: ١٠١، تفسير القرآن للسمعاني ١: ٧٢، تفسير المحرّر الوجيز ١: ٢٠٢. وانظر: الجامع لأحكام القرآن ١: ٣٤٥، تفسير البحر الزخار ١: ١٨٠، التفسير الكبير ٣: ٤٧، تفسير زاد المسير ١: ٧٥، تفسير معالم التنزيل ١: ٧٤. وكذا في أحكام القرآن للجصاص ١: ٣٢، أحكام القرآن للكنيا الهراسي ١: ٩، أحكام القرآن لابن العربي ١: ٢٠، وانظر صفحة: ١٦٤.

(٢) سورة الحشر ٥٩: ٧.

(٣) للشيخ المصنّف رحمه الله ما يبلغ الخمسين مصنفًا، ولعلّه أكثر في مختلف العلوم والمعارف الإسلامية - كما تقدّم في المقدمة - ويخصّنا منها هنا:

- ١ - النهاية في مجرّد الفقه والفتوى.
- ٢ - المبسوط دورة فقه كاملة.
- ٣ - الاقتصاد الهادي إلى الرّشاد.
- ٤ - الخلاف في الأحكام. أو: مسائل الخلاف.
- ٥ - الإيجاز في الفرائض.
- ٦ - تهذيب الأحكام وهو شرح روائيّ لمقتعة الشيخ المفيد رحمه الله.
- ٧ - الاستبصار في الجمع بين الأخبار.

فلانطوّل بذكره في هذا الكتاب .

وقد ورد في القرآن على طريق الجملة أي كثير : نحو قوله : ﴿أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ وقوله : ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ وقوله : ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾ ، وقوله : ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾^(١) .

ويمكن الاستدلال بهذه الآيات على وجوب جميع الصلوات ، وعلى صلاة الجنائز ، وصلاة العيدين ، وعلى وجوب الصلاة على النبي وآله في التشهد ؛ لأنه عام في جميع ذلك .

فإن قيل : قوله : ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ دخل فيها الركوع ، فلم يقل : ﴿وَأَرْكَعُوا﴾ ، هل هذا إلا تكرر؟

قلنا : قد بينا أنّ هذا خطاب لأهل الكتاب ، وليس في صلاتهم ركوع ، فكأنّه أمرهم بالصلاة على ما يرونها ، وأمرهم بضمّ الركوع إليها .

ومن معنى قوله : ﴿وَأَرْكَعُوا﴾ أي : صلّوا ، نقول : إنّ ذلك تأكيد . ويمكن أن يقال : فيه فائدة ، وهو أن يقال : إنّ قوله : ﴿أَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ إنّما يفيد وجوب إقامتها ، ويحتمل أن يكون ذلك إشارة إلى صلاتهم التي يعرفونها ، ويمكن أن يكون إشارة إلى الصلاة الشرعية . فلمّا قال : ﴿وَأَرْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ يعني : مع هؤلاء المسلمين الراكعين ، تخصّصت بالصلاة المقرّرة في الشرع ، فلا يكون تكراراً ؛ بل يكون بياناً . وقيل : إنّ قوله : ﴿وَأَرْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ حتّى على صلاة الجماعة ؛

(١) على الترتيب : سورة البقرة ٢ : ٤٣ ، سورة النساء ٤ : ١٠٣ ، سورة البقرة ٢ :

لتقدّم ذكر الصلاة المفردة في أوّل الآية^(١).

قوله تعالى :

﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ
أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ آية (٤٤).

كلّ طاعة لله تعالى فلا خلاف أنّها تُسمّى بِرّاً.

واختلفوا في المراد بهذه الآية :

فقال ابن عباس : المراد به التمسك بكتابهم ، فكانوا يأمرّون أتباعهم به ، ويتركّون هم التمسك به ؛ لأنّ جَحَدَهُم النبي ﷺ هو : تركُّهم التمسك به .

وقال قتادة : كانوا يأمرّون الناس بطاعة الله ويخالفون ذلك .

وقال قوم : إنّ معناه أنّهم كانوا يأمرّون ببذل الصدقة ويضنّون بها .

وقال بعضهم : إنّ البرّ : الصدق ، مِنْ قولهم : صدّق وبرّ ، ومعناه : إنّهم

يأمرّون بالصدق ولا يصدقون^(٢).

و﴿البرّ﴾ - في أصل اللغة - والصِّلَةُ والإحسان نظائر ، يُقال : هو بارٌّ

وَصُورٌ مُحْسِنٌ . وَضِدُّ البرّ : العُقوق .

وقال ابن دريد : البرّ : ضِدُّ العُقوق ، وَرَجُلٌ بارٌّ وَبِرٌّ بمعنى واحد .

(١) تقدّم في الآية ٣ ، وفي بداية هذه الآية ، وانظر : فقه القرآن للراوندي ١ : ١٣٩ ، كنز العرفان في فقه القرآن ١ : ٢٧٧ ، زبدة البيان في أحكام القرآن ١ : ١٢٦ .

(٢) الآراء تجددها في : تنوير المقياس : ٨١ ، تفسير محمد بن إسحاق : ٢٢ ، السيرة النبوية لابن هشام ٢ : ١٨٢ ، تفسير عبدالرزاق ١ : ٢٦٨ ت ٤٦ ، تفسير جامع البيان ١ : ٢٠٤ ، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازي ١ : ١٠١ ت ٤٧٥ ، تأويلات أهل السنّة ١ : ٤٧ ، تفسير بحر العلوم ١ : ١١٥ ، تفسير النكت والعيون ١ : ١١٤ ، تفسير المحرّر الوجيز ١ : ٢٠٣ . وانظر : التفسير المنسوب للإمام العسكري عليه السلام : ٢٣٣ ت ١١٣ ، تفسير القمي ١ : ٤٦ .

وَبَرَّتْ يَمِينُهُ إِذَا لَمْ يَخْنَثْ . وَبَرَّ حَجُّهُ ، وَبَرَّ لَغْتَان . وَالْبَرُّ : خِلَافُ الْبَخْرِ .
وَالْبَرُّ : مَعْرُوفٌ ، أَفْصَحُ مِنَ الْحِنْطَةِ وَالْقَمَحِ ، وَاحِدُهُ : بُرَّةٌ ، قَالَ
الْهَذَلِيُّ^(١) :

لَا دَرَّ دَرِّي إِنْ أَطْعَمْتُ نَازِلَهُمْ قِرَفَ الْحَتِّيِّ ، وَعِنْدِي الْبُرُّ مَكْنُوزُ^(٢) [٢٠٠]
الْحَتِّيِّ : رَدِيُّ الْمُقْلِ خَاصَّةً .

وَمِنْ أَمْثَالِهِمْ : «لَا يَعْرِفُ الْهَرُّ مِنَ الْبَرِّ»^(٣) ، وَاخْتَلَفُوا فِي هَذَا الْمَثَلِ ، فَقَالَ

(١) مَرْدَدٌ ، وَالظَّاهِرُ - أَنَّهُ : الْمُتَنَحِّلُ ، مَالِكُ بْنُ عُثَيْمٍ بْنِ عُثْمَانَ ، أَبُو أُتَيْلَةَ الْهَذَلِيُّ .
شَاعِرٌ مُحْسِنٌ مُجِيدٌ عُدَّ مِنْ نَوَائِجِ هُذَيْلٍ وَقُحُولِهِمْ لَهُ أَجُودٌ طَائِفَةٌ قَالَتْهَا الْعَرَبُ ، عُدَّ
مِنَ الْمُخَضَّرِينَ .

ترجمته في: الشعر والشعراء ٢ : ٦٥٩ ت ١٣٣ ، المؤتلف والمختلف : ٢٧٢ ،
معجم الشعراء للمرزباني : ٢٥٧ ، الأغاني ٢٤ : ١٠١ ، وانظر : الهامش الآتي .
(٢) بيت متنازع فيه ، فقد نُسِبَ لِلْمُتَلَمِّسِ ، كَمَا فِي مِلْحَقَاتِ دِيوانِهِ : ٢٩١ . وَلَأَبِي
ذُوؤَيْبٍ لَدَى الْجَاحِظِ فِي الْبَيَانِ وَالتَّبْيِينِ ١ : ١٧ ، وَالْحَيَوَانُ ٥ : ٢٨٥ . وَلِلْمُتَنَحِّلِ
الْهَذَلِيُّ - وَهُوَ الصَّحِيحُ - انظر ديوان الهذليين ٢ : ١٥ ، المعاني الكبير ٤ : ٣٨ ،
الأمثال للعسكري ٢ : ٢١٠ ت ١٥٥٥ ، سمط اللاكي ١ : ١٥٧ . الصَّحاح ٦ :
٢٣٠٨ ، معجم مقاييس اللغة ٢ : ١٣٦ ، المحكم والمحيط الأعظم ١٠ : ٢٤٣ ،
لسان العرب ٤ : ٥٥ و ٢٨٠ وغيرها .

المعنى : الدَّرُّ : كَثْرَةُ نَزُولِ الْحَلِيبِ ، وَلَا دَرَّ دَرَّهُ : كُنَايَةٌ عَنْ ذَمِّ الْآخِرِ ، أَيْ :
لَا كَانَتْ لَهُ حَلُوبَةٌ ، أَوْ لَا رِزْقَ لَهُ ، أَوْ لِأَخِيرِ يَدَرِّ عَلَى النَّاسِ . الْقَرْفُ : الْقَشْرُ مِنْ كُلِّ
شَيْءٍ . الْحَتِّيُّ ، رَدِيُّ السُّوَيْقِ ، وَقِيلَ : رَدِيُّ الْمُقْلِ خَاصَّةً .
الشَّاهِدُ : اسْتِعْمَالُهُ «الْبَرُّ» وَإِرَادَةُ الْحِنْطَةِ .

(٣) مَثَلٌ مَشْهُورٌ اخْتَلَفَ فِي إِعْرَابِهِ ؛ لِلْاِخْتِلَافِ فِي الْمُرَادِ مِنْهُ عَلَى أَقْوَالٍ خَمْسَةٍ ، أَشَارَ
الْشَيْخُ الْمُصَنِّفُ لِبَعْضِهَا وَجَمَعَهَا ابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ وَغَيْرِهِ .
انظر : غريب الحديث ١ : ٦٥ ، جُمُهرُ الْأَمْثَالِ ٢ : ٤٠١ ت ١٩٠٦ ، مَجْمَعُ
الْأَمْثَالِ ٣ : ٢٥٣ ت ٣٧٩٧ ، الْمُسْتَقْصَى ٢ : ٣٣٧ ت ١٢٣٨ ، فَصْلُ الْمَقَالِ : ٥١٥
ت ٢٣٧ ، مَجْمَلُ اللَّغَةِ : ٨٩٠ ، تَاجُ الْعُرُوسِ ٧ : ٦١٧ .

الرُّمَانِي^(١) : الْهَرُّ السَّنَوْرُ ، وَالْبِرُّ : الْفَأْرَةُ فِي بَعْضِ اللُّغَاتِ ، أَوْ دَوِيَّةٌ تَشَبَّهَهَا .
وقال الأخفش : معناه لا يَعْرِفُ مَنْ يَبْرُهُ مِمَّنْ يَهَرُّ عَلَيْهِ^(٢) .

وَقَوْمٌ بَرَزَةٌ وَأَبْرَارٌ ، وَالْمَصْدَرُ : الْبِرُّ ، وَيُقَالُ : صَدَقَ وَبَرَّ ، وَبَرَّتْ يَمِينُهُ ،
أَي : صَدَقَتْ ، وَكَانَتِ الْعَرَبُ تَقُولُ : فَلَانٌ يَبْرُ رَبَّهُ ، أَي : يُطِيعُهُ ، قَالَ الرَّاجِزُ :

[٢٠١]

لَا هُمْ إِنْ آلَ بَكَرًا دُونَكَ

يَبْرُكَ النَّاسُ وَيَفْجُرُونَكَ^(٣)

وَالْإِبْرَارُ : الْغَلْبَةُ ، يُقَالُ : قَدْ أَبْرَّ عَلَيْهِمْ فَلَانٌ . قَالَ طَرْفَةُ :

وَيُبْرُونَ عَلَى الْآبِي الْمُبْرِ^(٤) [٢٠٢]

(١) فِي «خ» : الْمَازِنِي ، وَنَسَبَ الْقَوْلَ فِي الْجُمُهْرَةِ إِلَى : أَبِي عَثْمَانَ الْأَشْنَانِدَانِي . وَهُوَ
سَعِيدُ بْنُ هَارُونَ مِنْ شَيْخِ ابْنِ دَرِيدٍ . انْظُرْ لَتَرْجُمَتِهِ : مَعْجَمُ الْأَدْبَاءِ ١١ : ٢٣٠ ت ٧١ .
(٢) جُمُهْرَةُ اللَّغَةِ ١ : ٦٧ وَنَسَبَهُ : لِقَالَ آخَرُونَ ، وَفِي الْمَخْصَصِ ٥ : ٧١٧ نَسَبَهُ : لِابْنِ
قَتِيبَةَ ، وَفِي الْمِزْهَرِ لِلْسَيُوطِيِّ ١ : ٥٠٠ نَسَبَهُ : لِبَعْضِ عُلَمَاءِ الْكُوفَةِ ، وَفِي الْجَمِيعِ
بِاخْتِلَافٍ بَسِيطٍ .

(٣) رَجَزٌ اخْتَلَفَ فِي ضَبْطِهِ ، وَلَمْ يَنْسَبْ لِأَحَدٍ . وَقِيلَ : إِنَّهُ وَرَدَ فِي تَلْبِيَةِ قَيْسٍ وَمِنْ وَالَاهَا
قَبْلَ الْإِسْلَامِ ، وَفِيهِ تَعْرِيفُ لِبْنِي بَكْرِ بْنِ كِنَانَةَ لِحَرْبٍ وَقَعَتْ بَيْنَهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ .
الشَّاهِدُ : اسْتِعْمَالُ : «يَبْرُكَ» ، بِمَعْنَى : يُطِيعُونَكَ .

انْظُرْ : تَارِيخُ دِمَشْقَ ١٩ : ٥٠٢ ، الْعَيْنُ ١ : ٢٢١ ، جُمُهْرَةُ اللَّغَةِ ١ : ٤١٤ ، مَعْجَمُ
مُقَايِيسِ اللَّغَةِ ١ : ١٧٧ ، أُسَاسُ الْبَلَاغَةِ ١ : ٤١ ، لِسَانُ الْعَرَبِ ٢ : ٣١٧ وَ ٤ : ٥٢ ،
تَاجُ الْعُرُوسِ ٣ : ٤٢٦ .

(٤) وَصَدْرُهُ :

يَكْتَشِفُونَ الضَّرَّ عَنْ ذِي ضُرِّهِمْ

مِنْ قَصِيدَةٍ يَفْخَرُ فِيهَا بِقَوْمِهِ ، وَيَصِفُ أَحْوَالَهُ وَأَحْوَالَهُمْ وَمُنَاقِبَهُمْ . انْظُرْ الْدِيَّوَانَ :
٥٠ ق ٢ ت ٥٣ .

الْمَعْنَى : يَبْرُونَ : يَغْلِبُونَ ، الْآبِي : الْغَالِبُ الْمَمْتَنِعُ ، الْمُبْرِ : طَالِبُ الْغَلْبَةِ
وَالسَّيْطَرَةِ . أَي : نَحْنُ نَغْلِبُ الْغَالِبَ الْمَمْتَنِعَ وَنَقْهَرُهُ .
الشَّاهِدُ : «يَبْرُونَ» اسْتَعْمَلَهَا وَأَرَادَ : يَغْلِبُونَ .

وَالْبَرْزَةِ: كَثْرَةُ الْكَلَامِ، وَالْجَلْبَةُ بِاللِّسَانِ.

وَأَصْلُ الْبَابِ كُلُّهُ: الْبِرُّ، وَهُوَ: اتِّسَاعُ الْخَيْرِ^(١).

وَالْفَرْقُ بَيْنَ الْبِرِّ وَالْخَيْرِ: إِنَّ الْبِرَّ يَدُلُّ عَلَى قَصْدٍ، وَالْخَيْرُ قَدْ يَقَعُ عَلَى وَجْهِ السُّهُوِ^(٢).

قوله: ﴿وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾:

فالنسيان والسُّهُو والغفلة نظائر. وضد النسيان: الذِّكْر.

تقول: نَسِيَ نَسِيَانًا، وَأَنْسَاهُ إِنْسَاءً، وَتَنَاسَاهُ تَنَاسِيًا، وَفُلَانٌ نَسِيٌّ: كَثِيرُ النِّسْيَانِ، وَالنَّسِيُّ وَالْمَنْسِيٌّ: الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَكُنْتُ نَسِيًّا مُنْسِيًّا﴾^(٣). وَسُمِّيَ الْإِنْسَانُ إِنْسَانًا اشْتِقَاقًا مِنَ النِّسْيَانِ، وَهُوَ فِي الْأَصْلِ: إِنْسِيَانٌ، وَكَذَلِكَ إِنْسَانُ الْعَيْنِ، وَالْجَمْعُ أَنْاسِيٌّ.

وَالنِّسَاءُ: عِزْقٌ مِنْ مَشَقٍّ مَا بَيْنَ الْفَخْذَيْنِ فَيَسْتَمِرُّ فِي الرَّجُلِ، وَهُمَا نَسِيَانٌ، وَالْجَمْعُ أَنْسَاءٌ وَهُوَ فِي الْفَخْذِ. وَيُسَمَّى فِي السَّاقِ: الْطِفْلُ. وَفِي الْبَطْنِ: الْحَالِئِينَ. وَفِي الظَّهْرِ: الْأَبْهَرُ. وَفِي الْحَلْقِ: الْوَرِيدُ. وَفِي الْقَلْبِ: الْوَتِينَ. وَفِي الْيَدِ: الْأُكْحَلُ - وَفِي الْعَيْنِ: النَّظِيرُ - يُقَالُ: هُوَ^(٤) نَهْرُ الْجَسَدِ؛

(١) تجد «بَرَزَ، بَرَزَ» فِي مَصَادِرِ اللَّغَةِ التَّالِيَةِ: إِضَافَةٌ لِلْجُمُحَةِ ١: ٦٧: الْعَيْنُ ٨: ٢٥٩، تَهْذِيبُ اللَّغَةِ ١٥: ١٨٤، الْمَحِيطُ فِي اللَّغَةِ ١٠: ٢١٤، الصَّحَاحُ ٢: ٥٥٨، مَعْجَمُ مَقَايِيسِ اللَّغَةِ ١: ١٧٧، مَفْرَدَاتُ أَلْفَاظِ الْقُرْآنِ: ١١٤، عَمْدَةُ الْحَقَاطِ ١: ١٧٧، كَنْزُ الْحَقَاطِ: ٢٦٩ وَ ٧٧٧.

(٢) الْفُرُوقُ اللَّغَوِيَّةُ لِلْعَسْكَرِيِّ: ١٣٩، شَمْسُ الْعُلُومِ ١: ٤٠٤ وَانْظُرِ الْفَهْرَسْتَ، فُرُوقُ اللَّغَاتِ لِلْجَزَائِرِيِّ: ٧١ ت ٦٧.

(٣) سُورَةُ مَرْيَمَ ١٩: ٢٣.

(٤) الضَّمِيرُ - وَحَسَبَ مَصَادِرِ اللَّغَةِ - يَعُودُ إِلَى الْأُكْحَلِ، أَوِ الْوَتِينَ.

لأنه يمدّ جميع العروق^(١).

وأصل الباب: النسيان ضدّ: الذكر.

وقوله: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾^(٢) أي: تركوا طاعته فترك ثوابهم،

ويقال: (آفة العلم النسيان)^(٣)، والمذاكرة تحيي العلم.

وحذّ النسيان: عزوب الشيء عن النفس بعد حضوره لها.

والفرق بين النسيان والسهو: إنّ السهو يكون ابتداءً وبعد الذكر،

والنسيان لا يكون إلّا بعد الذكر.

والذكر والنسيان معاً من فعل الله تعالى؛ لأنّ الإنسان يجتهد أن يتذكر

شيئاً فلا يذكره.

(١) من المصادر اللغوية للمادة «نَسَأَ» وملحقاتها هي: (طَقَلَ، بَهَرَ، وَرَدَ، وَتَنَ، كَحَلَ، نَظَرَ) تجدها وعلى الترتيب في:

العين ٤: ٤٨، ٨: ٦٥، ٨: ١٣٦، ٣: ٦٢، ٨: ١٥٤.

جمهرة اللغة ٢: ١٠٧٤، ١: ٣٣١، ١: ٤١٢، ١: ٥٦٣، ٢: ٧٦٣.

تهذيب اللغة ١٣: ٧٩، ٥: ٨٧، ٤: ١١٩، ٦: ٢٨٥، ١٤: ١٦٣، ١٤:

٣٢٤، ٤: ٩٩، ١٤: ٣٧٠.

المحيط في اللغة ٨: ٣٨٦، ٣: ٤٨٠، ٩: ٣٤٨، ٩: ٤٦٥، ٢: ٣٨٠، ١٠: ٢١.

الصحاح ٦: ٢٥٠٨، ١: ١١٥، ٢: ٥٩٨، ٢: ٥٥٠، ٦: ٢٢١١، ٥: ١٨٠٩،

٢: ٨٣١.

مجمل اللغة ٤: ٨٦٦، ١: ٢٤٨، ١: ١٣٧، ٤: ٩٢٣، ٤: ٩١٥، ٣: ٧٧٩.

لسان العرب ١٥: ٣٢١، ١: ٣٣٣، ٤: ٨٣، ٣: ٤٥٩، ١٣: ٤٤١، ١١:

٥٨٦، ٥: ٢١٦.

تاج العروس ٢٠: ٢٣٨، ٦: ١٢٠، ١٨: ٥٦٥، ١٥: ٦٥١.

ومعجم الأصمعي: ٣٩٠ و ٥٠، المخصّص ١: ٢٥٦.

(٢) سورة التوبة ٩: ٦٧.

(٣) هذا من جملة حديث طويل رواه أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام عن النبي

الأكرم صلى الله عليه وآله تجده في: التوحيد: ٣٧٥ ح ٢٠، الخصال ٢: ٤١٢ ب التسعة ح ٧.

ومعنى قوله: ﴿وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾ أي: تتركونها، وليس المراد بذلك ما يضاد الذكر؛ لأن ذلك من فعل الله لا ينهاهم عنه.

فإن قيل: إذا كان الواجب عليهم - مع ترك الطاعة والإقامة على المعصية - الأمر بالطاعة والنهي عن المعصية، فكيف قيل لهم هذا القول؟ قلنا: في أمرهم بالطاعة ونهيهم عن المعصية تعظيم لما يرتكبونه من معصية الله تعالى؛ لأن الزواجر كلما كانت أكثر كانت المعصية أعظم، ففي نهيمهم لغيرهم زاجر، فهو توبيخ على عظيم ما ارتكبوا من ذلك.

وقوله: ﴿وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾:

فالتلاوة، والقراءة، والدراسة نظائر.

يقال: فلان تلا يتلو تلاوة، فهو تالٍ، بمعنى: قرأ قراءة.

وتلا يتلو تلوًا: إذا تبع شيئاً فهو تال، أي: تابع، والمتالي: الأمهات إذا تلاهن الأولاد، والواحد متلي. وناقاة مثلية وهي: التي تنتج في آخر النتاج. وأصل الباب: الإنباع، فتسمى التلاوة بذلك؛ لإنباع بعض الحروف فيها بعضاً^(١).

والفرق بين التلاوة والقراءة: إن أصل القراءة: جمع الحروف، وأصل التلاوة: إنباع الحروف، وكل قراءة تلاوة، وكل تلاوة قراءة^(٢).

(١) «تَلَوْ» تجدها في: العين ٨: ١٣٤، جمهرة اللغة ١: ٤١٠، تهذيب اللغة ١٤: ٣١٦، المحيط في اللغة ٩: ٤٦٠، الصحاح ٦: ٢٢٨٩، لسان العرب ١٤: ١٠٢، مفردات ألفاظ القرآن ١٦٧.

(٢) هذا رأي المصنف رحمه الله، وانظر: مفردات ألفاظ القرآن ١٦٧، الفروق اللغوية: ٤٨، معجم الفروق اللغوية: ١٤٠ ت ٥٤٢، فروق اللغات: ٨٦ ت ٩٣، الكلبيات: ٣٠٨.

وَحَدَّ الرَّمَانِيَّ الثَّلَاوَةَ : بَأَنَّهُ صَوْتُ يَتَّبِعُ فِيهِ بَعْضُ الْحُرُوفِ بَعْضًا .

والكتاب الذي كانوا يتلونه : التوراة ، على قول ابن عباس وغيره^(١) .
وقال أبو مسلم : كانوا يأمرّون العرب باتّباع الكتاب الذي في أيديهم ،
فلَمَّا جاءَهُم كتابٌ مثله لم يَتَّبِعُوهُ^(٢) .

وقوله : ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ :

فالعَقْل ، والفَهْم ، واللُّب ، والمعرفة نظائر .
يقال : فلانٌ عاقلٌ فهِمٌ ، لبيبٌ ، أريبٌ ، ذو مَعْرِفَةٍ .
وَضُدُّ العَقْل : الحُمَق .

يُقَال : عَقَلَ الشَّيْءَ عَقْلًا ، وَأَعْقَلَهُ غَيْرَهُ إِعْقَالًا وتعاقل تعاقلًا واستعقل
استعقلًا وَتَعَقَّلَ تَعَقُّلاً وعقله تعقيلًا ، ويقال : اغتَقَلَهُ اغْتِقَالًا ، وَاِنْعَقَلَ اِنْعِقَالًا .
وقيل لابن عباس : أئنّى لك هذا العِلْمُ؟ قال : قَلْبٌ عَقُولٌ ، وَلِسَانٌ
سَوُؤُلٌ^(٣) .

-
- (١) تجد الإشارة إلى هذا - وإن كان في أغلبها من دون نسبة - في المصادر الآتية :
تفسير جامع البيان ١ : ٢٠٦ ، تفسير بحر العلوم ١ : ١١٥ ، تفسير الوسيط ١ :
١٣٠ ، تفسير القرآن للسمعاني ١ : ٧٢ ، تفسير المحرّر الوجيز ١ : ٢٠٤ . وانظر :
تأويلات أهل السنة ١ : ٤٧ ، تفسير النكت والعيون ١ : ١١٤ ، تفسير القرآن
العظيم لابن أبي حاتم الرازي ١ : ١٠١ ت ٤٧٣ ت ٤٧٦ ، تفسير مقاتل ١ : ١٠٢ .
(٢) نقله عنه الفخر الرازي في تفسيره الكبير ٣ : ٤٦ .
(٣) انظر : البيان والتبيين ١ : ٨٤ ، المصنّف للصنعاني ٤ : ٣٧٦ ت ٨١٢٣ ، تاريخ
جرجان : ٤٨٣ ت ٩٧١ ، المعجم الكبير للطبراني ١٠ : ٣٢٣ ت ١٠٦٢٠ ، حلية
الأولياء ١ : ٣١٨ .
وقد ينسب لدَعْقَل بن حنظلة النّسابة ، انظر عيون الأخبار لابن قتيبة ٢ : ١٣٤ ،
الحيوان ٣ : ٤٨٩ .

ويقال: عَقَلْتُ بعد الصُّبا، أي: عَرَفْتُ الخطأ الذي كُنْتُ فيه.

وقال صاحب العين: العقلُ: ضدُّ الجهلِ، يقال: عَقَلَ الجاهِلُ: إذا عَلِمَ، وعَقَلَ المَرِيضُ بعد ما كان أَهْجَر، وعَقَلَ المَعْتَوِّهُ ونحوه.

والعِقَالُ: الرِّباط، ويقال: عَقَلْتُ البَعِيرَ أَعْقَلُهُ عَقْلاً: إذا شَدَدْتَ يَدَهُ بالعِقال.

وإذا أَخَذَ صَدَقَةَ الإِيلِ تَامَةً لِسَنَةِ يُقال: أَخَذَ عِقْلاً، وعِقَالَيْنِ: لِسَتَيْنِ، وعُقْلاً: لجماعة، وقال الشاعر:

سَعَى عِقْلاً فَلَمْ يَثْرُكْ لَنَا سَبْداً فَكَيْفَ لَوْ قَدْ سَعَى عَمَرُو عِقَالَيْنِ؟ [٢٠٣]
لَأَضْبَحَ النَّاسُ أَوْبَاداً وَمَا وَجَدُوا يَوْمَ التَّحْمُلِ فِي الْهَيْجَا جِمَالَيْنِ^(١)

(١) استعمل معاوية بن أبي سفيان ابن أخيه عمرو بن عتبة على صدقات كلب، فجار واعتدى عليهم. فهجاه عمرو بن العذاء الكلبي بهذين البيتين، ولم نجد لهما ثالثاً.

المعنى: سعى: باشر عمله في تحصيل الزكاة. والسعاة: جباة وعمال الزكاة والصدقات. عقلاً: نصب على الظرفية وكذا الذي بعده. أي: مدة عقال وهي السنة. السَّبد: المال القليل، ومنه المثل: ما له سَبْدٌ ولا لَبْدٌ، أي: ليس له ذو شعر ولا ذو وبر. أوباداً: اختلف في ضبطها، وعلى أي، فهي: جمع وَبَد، كناية عن شدة العيش وشظفه، وفقهرهم. جِمَالَيْنِ: مثني جمال، وهي إشارة إلى صنفين منها: صنف للترحال وحمل الأثقال، وصنّف للحرب، وتشهد له رواية الأغاني. يريد: إِنَّ عَمراً تَوَلَّى علينا سنة في أخذ الزكاة منا فظلمنا ونهب أموالنا حتَّى لم يترك لنا شيئاً فلو تَوَلَّى علينا سنتين فما هو حالنا؟

الشاهد فيه: استعمال كلمة «عقال» وإرادة الزكاة. واستشهد بها آخرون على جواز ثنية الجمع. فبعضهم ذكر البيتين معاً، وآخرون الثاني فقط. وبعض - بل الأغلب - من دون نسبة.

انظر: الأغاني ٢٠: ١٦١، مجالس ثعلب ١: ١٤٢، المفصل ١٨٧، شرح المفصل لابن يعيش ٤: ١٥٣، التخمير ٢: ٣٢٩، المقرَّب ٣٩٦، خزانة الأدب

قال المبرّد: يقال للمُصدّق إذا أخذ من الصدقة ما فيها ولم يأخذ ثمنه: أخذ عقلاً، وإذا أخذ قيمته قيل: أخذ نقداً^(١).

والعقيلة من النساء: التي عقلت في بيتها، أي: حبست وخدّرت، والجمع عقائل.

والدرة: عقيلة البحر، وعقيلة كل شيء: أكرمه.

وعقل القتيل: إذا أدت ديته من القرابة لا من القاتل^(٢).

والعقل في الرجل: اضطكاك الركبتين، والعقل: ثوب أحمر تتخذه نساء العرب.

والمعقول: هو العقل عند قوم، قال الراعي^(٣):

حَتَّى إِذَا لَمْ يَتَرَكُوا لِعِظَامِهِ
لَحْماً وَلَا لِفُؤَادِهِ مَعْقُولاً^(٤) [٢٠٤]

اللسبغادي ٧: ٥٧٩ ش ٥٧٧، المخصّص ٧: ٧١٣، جمهرة الأمثال ٢: ٢٦٧
ت ١٦٦٢، ومصادر «عقل» الآتية.

(١) الكامل في الأدب ٢: ٥٠٨.

(٢) اختلفت النسخ في ضبط كلمة (القاتل) بينها والقبائل، ولعلّ المثبت هو الصحيح.

(٣) عبيد بن حصين بن معاوية النميري، لقب بالراعي وبه أشهر من اسمه؛ لكثرة وصفه الإبل والرعاة وإجادة ذلك، شاعر إسلامي فحل، من سادة قومه ورؤسائهم ولسانهم، عُذ في الطبقة الأولى من الإسلاميين. توفي عام ٩٠ هـ.

له ترجمة في: الشعر والشعراء ١: ٤١٥ ت ٦٨، الاشتقاق: ٢٩٥، الأغاني ٢٤: ٢٥٥.

(٤) الديوان: البيت ٧٤ من القصيدة ٥٨ صفحة: ٢٣٦ يمدح فيها عبد الملك بن مروان ويشكوه السعاة ومن ولى عليهم، حيث أوقع بهم وظلمهم؛ لأنهم زبيريّة الهوى.
المعنى: واضح وخصوصاً عند مراجعتها كاملة.

الشاهد فيه: استعمال «معقولا» بمعنى العقل، أي: المفعول بمعنى المصدر.
وأشارت إليه أغلب مصادر اللغة، إضافة إلى: معاني القرآن للفراء ٢: ٣٨، أمالي المرتضى ١: ١٠٦، تفسير جامع البيان ١٢: ٩٨، تفسير الجامع لأحكام القرآن ١٨: ٢٢٩.

والْعَقْلُ : المَعْقِلُ ، وهو : الحِصْنُ ، وجمعه : عُقُولٌ ومعاقِل .
والعاقول من النهر والوادي ، ومن الأمور أيضاً : المُلتَبَسُ وما اغْوَجَ مِنْهُ^(١) .

وَعَقَلَ الدَّوَاءَ بَطْنَهُ ، أي : حبسه .

وقولهم : لا يَعْقِلُ حَاضِرٌ لِبَادٍ ، قال ابن دريد : معناه أَنَّ الْقَيْلَ إِذَا كَانَ بِالْبَادِيَةِ فَإِنَّ أَهْلَهَا يَتَعَاقَلُونَ بَيْنَهُم الدِّيَّةَ ، ولا يُلْزِمُونَ أَهْلَ الْحَضَرِ مِنْ بَنِي أَعْمَامِهِمْ شَيْئاً .

وفي الحديث : إِنَّا لَا نَتَعَاقَلُ الْمَضِيعَ^(٢) ، يعني : ما سَهَّلَ مِنَ الشَّجَاجِ ، بل يُلْزِمُ الْجَانِي .

وعاقِلَةُ الرَّجُلِ : بَنُو عَمِّهِ الْأَدْنَوْنَ ؛ لِأَنَّهُمْ كَالْمَعْقِلِ لَهُ^(٣) .

(١) الجملة في كتب اللغة هكذا : والعاقول : الْمُعْرَجُ والملتوي من النهر والوادي ، ومن الأمور الملتبس الموعج . انظر المصادر اللغوية في الهامش (٣) الآتي .

(٢) اختلف في ضبطه ، بعد الاتفاق - تقريباً - على نسبته إلى عمر بن الخطاب ، بين : المضيع ، والمضغ ، والشجاج و... ، وكلها بمعنى قريب . أنظر : المصنّف لعبد الرزاق ٣٠٨ : ٩ ت ١٧٣٢٢ - ١٧٣٢٧ ، المصنّف لابن أبي شيبة ١٤ : ٢٦٢ ت ٢٨٣٧٩ من طبعة دار القبلة ، جامع الأحاديث للسيوطي ١٤ : ٤٧١ ت ٤٤٣٠ و : ٤٧٢ ت ٤٤٤١ ، الغريبين للهروي ٤ : ١٣١٢ ، غريب الحديث له ٣ : ٣٤٧ ، الفائق في غريب الحديث ٣ : ١٦٨ ، النهاية لابن الأثير ٣ : ٢٧٩ ، غريب الحديث لابن الجوزي ٢ : ٣٦٢ . ومصادر اللغة الآتية .

(٣) مادة «عَقَلَ» في المصادر التالية - بتقديم وتأخير - تجدها في : العين ١ : ١٥٩ ، جمهرة اللغة ٢ : ٩٣٩ ، تهذيب اللغة ١ : ٢٣٧ ، المحيط في اللغة ١ : ١٧٢ ، المحكم والمحيط الأعظم ١ : ٢٠٤ ، المخصّص ٣ : ١٥٩ - ١٦٠ ، الصحاح ٥ : ١٧٦٩ ، مجمل اللغة ٣ : ٦١٧ ، لسان العرب ١١ : ٤٥٨ ، ومعجم الأصمعي : ٢٨٢ ، مفردات ألفاظ القرآن : ٥٧٧ ، الكلّيات ٦٧ : ٥٩٩ و ٦١٧ ، تاج العروس ١٥ : ٥٠٤ «عَقَلَ» في الجميع .

وأصل الباب: العقل الذي هو العقد.

والعقل: مجموع علوم لأجلها يمتنع من كثير من المقبّحات، ويعقل كثيراً من الواجبات.

وقال الرّمانيّ: العقل: هو العلم الأوّل الذي يزجر عن قبيح الفعل، وكلّ من كان زاجره أقوى كان عقله أقوى.

قال: وقيل: العقل: قوّة في القلب رادعة عن قبيح الفعل.

وقيل: العقل: معرفة يُفصل بها بين القبيح والحسن في الجملة.

وقيل: العقل: قوّة يمكن معها الاستدلال بالشاهد على الغائب^(١).

وهذه العبارات قريبة المعاني ممّا ذكرناه.

والفرق بين العقل والعلم: إنّ العقل قد يكمل لمن فقد بعض العلوم، كفقده من كمل عقله - العلم بأنّ هذه الرّمانة خلوة أو حامضة، ولا يكمل العلم لمن فقد بعض عقله.

فإن قيل: إذا كان العقل مختلفاً فيه، فكيف يجوز أن يُستشهد به؟

قيل: الاختلاف في ماهية العقل لا يوجب الاختلاف في قضاياه، ألا ترى أنّ الاختلاف في ماهية العقل - حتّى قال بعضهم: معرفة، وبعضهم قال: قوّة - لا يوجب الاختلاف في أنّ الألف أكثر من الواحد، وأنّ الموجود غير المعدوم، وغير ذلك من قضايا العقول.

(١) هذه التعريفات للعقل وغيرها تجدها مجتمعة في المعاجم التالية مع مصادرها. ولعدم توقّر أغلب المصادر فالإشارة إلى المعاجم أفضل، انظر: المعجم الفلسفي ٢: ٨٤، موسوعة الفلسفة ٢: ٧٢، معجم العناوين الكلامية والفلسفية: ٩٥ و٧٨، شرح المصطلحات الفلسفية: ٢١٣ ت ٨٩٣، شرح المصطلحات الكلامية: ٢١٩ ت ٧٤٦، كشاف اصطلاحات الفنون ٢: ١١٩٤، الكلّيات: ٦١٧. ولعلّ في بعض مصادر الهامش السابق - مصادر اللغة - ما يفيد.

قوله تعالى :

﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ آية (٤٥) آية واحدة.

قال الجُبَّائِي : هذا خطاب للمؤمنين دون أهل الكتاب .

وقال الطبريُّ والرَّمَانِي : هو خطاب لأهل الكتاب ، ويتناول المؤمنين على وجه التأديب ^(١) .

والأقوى أن يكون خطاباً لجميع من هو بشرائط التكليف ؛ لفقد الدلالة على التخصيص ، واقتضاء العموم ذلك .

فمن قال : إنه خطاب لأهل الكتاب ، قال ، كأنه قال : واستعينوا على الوفاء بعهدي الذي عاهدتكم في كتابكم عليه - من : طاعتي ، واتباع أمري ، وترك ما نهيتكم عنه ، والتسليم لأمري واتباع رسولي محمد ﷺ - بالصبر والصلاة ^(٢) .

وأصل الصَّبْر هو : مَنَعَ النَّفْسِ مَحَابَّهَا ، وَكَفَّهَا عَنْ هَوَاهَا . ومنه الصَّابِرُ على المصيبة ؛ لَكَفِّهِ نَفْسَهُ عَنِ الْجَزَعِ .

وقيل لَشَهْرِ رَمَضَانَ : (شهر الصَّبْر ؛ لصبر صائمه عن الطعام والشراب نهاراً . وَصَبْرُهُ إِيَّاهُمْ عن ذلك : هو حَبْسُهُ لَهُمْ ، وَكَفُّهُ إِيَّاهُمْ عنه ، كما تُصْبِرُ الرجلَ المُسِيءَ للقتل فَتُخْبِسُهُ عليه حتى تقتله ، يقال : قَتَلَ فُلَانٌ فُلَانًا صَبْرًا ،

(١) الجُبَّائِي ، الرَّمَانِي ، مؤلفاتهم مفقودة في ما يخص القرآن الكريم . وللطبري انظر : جامع البيان ١ : ٢٠٥ .

(٢) كأنه ناظر إلى الطبري في جامعه ١ : ٢٠٥ .

يعني: حَبَسَهُ عَلَيْهِ حَتَّى قَتَلَهُ . فَاَلْمَقْتُولُ : مَضْبُورٌ ، وَالْقَاتِلُ : صَابِرٌ ^(١) .

وَالصَّبْرُ ، وَاللَّبْتُ ، وَالْحَبْسُ نِظَائِرٌ .

وَالصَّبْرُ صَدٌّ : الْجَزَعُ ، وَأَنشَدَ أَبُو الْعَبَّاسِ ^(٢) :

فَإِنْ تَضَبَّرَ فَالصَّبْرُ خَيْرٌ مَعِيَّةٍ وَإِنْ تَجَزَّعَا فَالْأَمْرُ مَا تَرَيَانِ ^(٣) [٢٠٥]

وَيَقَالُ : صَبَرَ صَبْرًا ، وَتَصَبَّرَ تَصَبُّرًا ، وَاضْطَبَّرَ اضْطِبَارًا ، وَتَصَابَرَ

تَصَابِيرًا ، وَصَابَرَهُ مُصَابِرَةً .

قَالَ صَاحِبُ الْعَيْنِ : الصَّبْرُ : نَضَبُ الْإِنْسَانِ لِلْقَتْلِ ، فَهُوَ مَضْبُورٌ ، يَقَالُ :

صَبْرُوهُ ، أَيْ : نَضَبُوهُ لِلْقَتْلِ . وَيَقَالُ : صَبِرْتَ يَمِينَهُ ، أَيْ : حَلَفْتَهُ بِاللَّهِ جُهْدَ

الْقِسْمِ .

وَكُلُّ مَنْ حَبَسَتْهُ لِقَتْلٍ أَوْ يَمِينٍ ، فَهُوَ : قَتْلٌ صَبْرٍ ، وَيَمِينٌ صَبْرٍ .

وَالصَّبْرُ : عُصَارَةُ شَجَرٍ مَعْرُوفٍ ، وَالصُّبَارُ : تَمْرُ الْهِنْدِ .

وَصُبْرُ الْإِنَاءِ وَنَحْوُهُ : نَوَاحِيهِ ، وَأَضْبَارُ الْقَبْرِ : نَوَاحِيهِ ، وَالصَّبْرَةُ مِنْ

الْحِجَارَةِ : مَا اشْتَدَّ وَعَلَطَ ، وَالْجَمْعُ الصُّبَارُ .

وَأُمُّ صَبَّارٍ : هِيَ الدَّاهِيَةُ الشَّدِيدَةُ .

وَصُبْرٌ كُلُّ شَيْءٍ : أَعْلَاهُ .

(١) العبارة بين القوسين في النسخ والحروفيات مشوشة ، صححت بالاعتماد على النسخة المختصرة ، وجامع البيان ١ : ٢٠٥ ، وكتب اللغة الآتية .

(٢) لم تسعنا المصادر بشيء لتشخيصه ، ولعلّه مردّد بين المبرّد وثعلب ، وما لدينا من مؤلفاتهما خال منه .

(٣) الظاهر أنّه بيت شعر مفرد لم نجده إلّا عند الراغب الأصفهانيّ في محاضراته ٢ : ٥٠٥ ، وبعده لدى البقاعي في نظم الدرر ٣ : ٥٨٧ ، وله رواية أخرى بإبدال «معيّة» إلى «معيّة» وقد وردت في طبعة المحاضرات بتحقيق : د . مراد .

وَصَبِيرُ الْقَوْمِ: الذي يَصْبِرُ مَعَهُمْ فِي أَمْرِهِمْ .

وَصَبِيرُ الْخِوَانِ: رُقَاقَةٌ عَرِيضَةٌ تُبْسَطُ تَحْتَ مَا يُؤْكَلُ مِنَ الطَّعَامِ .

وتقول: اشْتَرَيْتُ الشَّيْءَ صُبْرَةً، أي: بِلا كَيْلٍ .

وَالصَّبِيرُ: الْكَفِيلُ .

وأصل الباب كله: الصَّبْرُ الذي هو الْحَبْسُ^(١) .

وَالصَّبْرُ: خُلِقَ مُحَمَّدٌ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ وَدَلَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: ﴿وَأَصْبِرْ

وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾^(٢)، وقال: ﴿أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا﴾^(٣)، وقال: ﴿وَبَشِّرِ

الْصَّابِرِينَ﴾^(٤)، وقال: ﴿وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ

الْأُمُورِ﴾^(٥) .

وفي الحديث: (اقْتُلُوا الْقَاتِلَ وَاصْبِرُوا الصَّابِرِ)^(٦) وذلك فيمن أَمْسَكَه

حَتَّى قَتَلَهُ آخَرٌ، فَأَمَرَ بِقَتْلِ الْقَاتِلِ وَحَبْسِ الْمُتَمَسِّكِ .

وَالصَّبْرُ الْمَأْمُورُ بِهِ فِي الْآيَةِ قِيلَ فِيهِ قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا: الصَّبْرُ عَلَى

(١) الْمَادَّةُ اللَّغَوِيَّةُ لـ «صَبَرَ» إِضَافَةُ لِلْعَيْنِ ٧ : ١١٥ تَجَدُّهَا فِي : جُمُهِرَةُ اللَّغَةِ ١ : ٣١٢ ،

تَهْذِيبُ اللَّغَةِ ١٢ : ١٧٠ ، الْمَحِيطُ فِي اللَّغَةِ ٨ : ١٣٤ ، الْمَحْكَمُ وَالْمَحِيطُ الْأَعْظَمُ ٨ :

٣١٢ ، الصَّحَاحُ ٢ : ٧٠٦ ، مَجْمَلُ اللَّغَةِ ٢ : ٥٤٩ ، لِسَانُ الْعَرَبِ ٤ : ٤٣٧ . وَمُفْرَدَاتُ

أَلْفَاظِ الْقُرْآنِ : ٤٧٤ ، عُمْدَةُ الْحِفَاطِ ٢ : ٣١٥ . وَغَرِيبُ الْقُرْآنِ لِابْنِ قَتِيبَةَ : ٤٧ ت

٤٥ ، وَالْكَلِّيَّاتُ : ٥٦٠ .

(٢) سُورَةُ النُّحْلِ ١٦ : ١٢٧ .

(٣) سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ ٣ : ٢٠٠ .

(٤) سُورَةُ الْبَقَرَةِ ٢ : ١٥٥ .

(٥) سُورَةُ لُقْمَانَ ٣١ : ١٧ .

(٦) السَّنَنِ الْكُبْرَى لِلْبَيْهَقِيِّ ٨ : ٥٠ ، كَنْزُ الْعَمَالِ ١٥ : ١٠ ت ٣٩٨٣٩ ، شَرْحُ ابْنِ أَبِي

الْحَدِيدِ ٦ : ٣٥٤ ، غَرِيبُ الْحَدِيثِ لِلْهَرَوِيِّ ١ : ٢٥٥ ، الْفَائِقُ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ ٢ :

٢٧٦ ، وَتَفْسِيرُ النَّكَتِ وَالْعَيُونِ ١ : ١١٥ ، تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ لِلْسَمْعَانِيِّ ١ : ٧٤ .

طاعته واجتناب معصيته . والثاني : إنه الصوم^(١) .

وفي الصَّلَاة - هاهنا - قولان : أحدهما : الدعاء . والثاني : إنها الصَّلَاة الشرعية ذات الرُّكُوع والسُّجُود^(٢) .

وكان النبي ﷺ إذا أحزنه أمر استعان بالصلاة والصوم^(٣) .

وجه الاستعانة بالصَّلَاة لمكان ما فيها من تلاوة القرآن والدعاء والخضوع لله تعالى والإخبات ؛ فإن في ذلك معونة على ما تنازع إليه النفس من حبِّ الرياسة ، والأُنْفَقَة من الانقياد إلى الطاعة .

والضمير في قوله : ﴿وَأَنهَا لَكَبِيرَةٌ﴾ عائد على الصَّلَاة عند أكثر المفسرين ، وقال قوم : عائد على الإجابة للنبي ﷺ^(٤) .

وهذا ضعيف ؛ لأنه لم يَجْرِ للإجابة ذكر ، ولا هي معلومة إلا بدليل

(١) تجد الإشارة إليهما في : تفسير جامع البيان ١ : ٢٠٦ ، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازي ١ : ١٠٢ ت ٤٨٠ ، تفسير النكت والعيون ١ : ١١٥ ، تفسير كتاب الله العزيز للهواري ١ : ٤٨ ، تفسير المحرر الوجيز ١ : ٢٠٤ ، تفسير القرآن للسماعي ١ : ٧٤ ، تأويلات أهل السنة ١ : ٤٨ ت ٤٥ ، تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين ١ : ١٣٧ .

(٢) تقدّم الكلام عليها في ١ : ١٨٢ ضمن الآية ٣ من هذه السورة من التبيان .

(٣) أنصحت عن ذلك عدّة من الروايات وفي البعض : (إذا صَرَبَهُ أُمُرٌ . . .) انظر : مسند أحمد بن حنبل ٥ : ٣٨٨ ، سنن أبي داود ٢ : ٣٥ ت ١٣١٩ ، شرح ابن أبي الحديد ١٠ : ٢٠٧ ، كنز العمال ٧ : ٦٩ ت ١٨٠٠١ ، الجامع الصغير ٢ : ٣٢٧ ت ٦٦٤١ .

(٤) ذهب إليه جمع ، وأشار إلى الخلاف آخرون ، أنظر : تفسير جامع البيان ١ : ٢٠٦ ، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازي ١ : ١٠٣ ت ٤٨٦ ، تفسير بحر العلوم ١ : ١١٥ ، تفسير الوسيط ١ : ١٣١ ، تفسير كتاب الله العزيز للهواري ١ : ١٠٣ ، تفسير القرآن للسماعي ١ : ٧٤ ، تفسير المحرر الوجيز ١ : ٢٠٥ ، تفسير الجامع لأحكام القرآن ١ : ٣٧٣ ، تفسير زاد المسير ١ : ٧٦ . معاني القرآن للأخفش ١ : ٢٥٢ ، معاني القرآن وإعرابه ١ : ١٢٥ ، مشكل إعراب القرآن ١ : ٤٤ ت ٩١ ، البيان في غريب إعراب القرآن ١ : ٧٩ ، التبيان في إعراب القرآن ١ : ٥٩ .

غامض ، وليس ذلك كقوله : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ ﴾^(١) ؛ لأن ذلك معلوم .

ورَدَّ الضمير على واحد ، وقد تقدّم ذكر شيئين لأمرين ، فيه قولان : أحدهما : إنها راجعة إلى الصلاة دون غيرها على ظاهر الكلام ؛ لقربها منه ، ولأنها الأهم والأفضل ، ولتأكيد حالها ، وتفخيم شأنها ، وعموم فرضها .

والآخر : أن يكون المراد الاثنين ، وإن كان اللفظ واحداً ، كقوله : ﴿ وَاللهَ وَرَسُولَهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ ﴾^(٢) وقال الشاعر :

أَمَا الْوَسَامَةُ أَوْ حُسْنُ النِّسَاءِ فَقَدْ أَوْتِيَتْ مِنْهُ لَوْ أَنَّ الْعَقْلَ مُحْتَكَ^(٣) [٢٠٦]
وقال البرزجمي^(٤) :

(١) مقطع متكرر في سورة يوسف ١٢ : ٢ ، سورة الدخان ٤٤ : ٣ ، سورة القدر ٩٧ : ١ .
(٢) سورة التوبة ٩ : ٦٢ .

(٣) بيت من مقطوعة ذكرت متفرقة في المصادر الآتية منسوبة تارة لعبدالرحمن بن حسان بن ثابت ، وأخرى غير منسوبة ، قيلت في ولد لعمر بن الأهتم ، وكان فيه تأنيث .
انظر : معاني القرآن للأخفش ١ : ٢٥٣ ش ٥٨ ، جمهرة اللغة ٢ : ٦٦٢ ، معجم مقاييس اللغة ٢ : ٢٨٢ ، لسان العرب ١٠ : ٤٢٤ « دَعَكَ » فيها ، وانظر ديوان حسان ابن ثابت ١ : ٥٠٠ ت ٣٢٧ .

(٤) ضابئ بن الحارث بن أروطا ، شاعر مخضرم خبيث اللسان ، له قصائد ضمنها حكميات منها قصيدة بيت الشاهد ، أدرك حكومة عثمان حيث سجنه أولاً ؛ لهجوه قوماً من بني جرّول . وثانية : لمحاولة اغتياله بجعل سكين أسفل نعله ولم يفلح ، فقال في السجن :

هَمَمْتُ وَلَمْ أَفْعَلْ ، وَكِدْتُ وَلَيْتَنِي تَرَكْتُ عَلَى عُثْمَانَ تَبْكِي خَلَائِلِي

مات في السجن عام : ٣٠ هـ . وقد ينسب البيت لولده عمير .

له ترجمة في : طبقات الشعراء ١ : ٧١ ، الشعر والشعراء ١ : ٣٥٠ ت ٤٥ ، الكامل في الأدب ١ : ٤١٦ ، الكامل في التاريخ ٣ : ١٨٣ و ٤ : ١٣٨ ، خزنة الأدب للبغداد ٩ : ٣٢٣ ش ٧٤٩ ، وبعض مصادر الهامش الآتي .

فَمَنْ يَكُ أَمْسَى بِالْمَدِينَةِ رَحْلُهُ فَلَيْلِي وَقَيَّارٌ بِهَا لَغَرِيبٌ ^(١) [٢٠٧]
وقال ابن أحمر ^(٢) :

[١٧٧] رَمَانِي بِأَمْرِ كُنْتُ مِنْهُ وَوَالِدِي بَرِيئاً، وَمِنْ أَجْلِ الطَّوِيِّ رَمَانِي
وقال آخر :

[١٧٨] نَحْنُ بِمَا عِنْدَنَا، وَأَنْتَ بِمَا عِنْدَكَ رَاضٍ، وَالرَّأْيُ مُخْتَلِفٌ
وقوله : ﴿وَإِذَا رَأَوْا تَبْعَرَةً أَوْ لَهْراً أَنْفَضُوا إِلَيْهَا﴾ ^(٣) .
قال قوم : اللَّفْظ واحد ، والمراد به الاثنان .

(١) من أبياته التي قالها في السجن ، شاكياً ما يلقي ودابته من غربة في المدينة المنورة ، مستشعراً الصبر .
المدينة : المدينة المنورة . رحله : منزله أو بقاؤه . قيارٌ : اسم فرسه ، وقيل : جملة .

الشاهد فيه : «لغريب» أفرد وأراد الاثنان .

استشهد به جمع لمورد الشاهد ، وآخرون لإعراب «قيار» رفعاً أو نصباً ، وبعض المصادر أوردت قصيدة الشاعر وأخرى اقتصرت عليه فقط .

إضافة لمصادر الترجمة انظر : الأصمعيّات : ١٨٤ ت ٦٤ ، الكتاب ١ : ٧٥ ، شرحه للأعلم ١ : ٢١٢ ، شرح أبيات سيبويه للنحاس ١ : ٥٠ ت ٥٩ ، الحماسة البصريّة ٢ : ٥٦ ت ١٤٩ ، خزانة الأدب للبغدادي ١٠ : ٣١٢ ش ٨٥٤ ، معاهد التنصيص ١ : ١٨٦ ت ٣٣ ، شرح شواهد المغني ٧ : ٤٣ ش ٧٢١ .

(٢) أبو الخطّاب عمرو بن أحمر الباهليّ ، شاعر مخضرم معمر ، له شهرة في الجاهليّة ، أسلم وغزا الروم ، عمّر حتّى أدرك أيام حكومة عبد الملك بن مروان ، مدح عليّاً عليه السلام وعمر وعثمان . هجا يزيد بن معاوية . أغلب شعره حكيميّ ، أكثر فيه من الغريب ، منه :

متى تطلب المعروف في غير أهله تجد مطلب المعروف غير يسير
الأغاني ٨ : ٢٣٤ ، الشعر والشعراء ١ : ٣٥٦ - ٣٥٩ ، معجم الشعراء للمرزبانيّ : ٢٤ ، طبقات فحول الشعراء ٢ : ٥٧١ و ٥٨٠ ، وتقدمت مصادره ضمن تفسير الآية ٣٧ .

(٣) سورة الجمعة ٦٢ : ١١ .

وقال الفراء: راجع إلى التجارة؛ لأنّ تجارة جاءت فضرّبوا بالطبل فانصرف الناس إليها^(١).

والاستعانة بالمأمور بها في الآية على ما تنازع إليه نفوسهم من حب الرئاسة وغلبة الشهوة للذة العاجلة، والاستعانة بالصبر على المشقة بطاعة الله. ومعنى ﴿لَكَبِيرَةٌ﴾ هاهنا أي: ثَقِيلَةٌ، عند الحسن والضحاك^(٢).

وأصل ذلك: ما يكبر ويثقل على الإنسان حملة، كالأحمال الجافية^(٣) التي يشق حملها، فقليل لكل ما يصعب على النفس وإن لم يكن من جهة الحمل: يَكْبُرُ عَلَيْهَا، تشبيهاً بذلك.

وقوله: ﴿إِلَّا عَلَى الْخَشِيعِينَ﴾:

فَالْخُشُوعُ وَالْخُضُوعُ والتذلل والإخبات نظائر.

وضدّ الخُشُوع: الاستكبار.

يقال: خَشَعَ خُشُوعًا، وَتَخَشَّعَ تَخَشُّعًا.

(١) البحث أعلاه - أفراد لفظ الخبر وإرادة الاثنين منه - تجده في: معاني القرآن للفراء ١ : ٣١١ و ٣ : ١٥٧ ، إعراب القرآن المنسوب للزجاج ٢ : ٧٦٣ و ٣ : ٧٨٧ ، النودار لأبي زيد : ٢٠ ، شرح المفصل (التخميم) ٤ : ٥٣ ، شرح المفصل لابن يعيش ٨ : ٦٨ ، الإيضاف : ٦٥ مسألة ٩ ، وشرح الحماسة للمرزوقي ٢ : ٩٣٦ ، وغيرها من مصادر النحو والأدب.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازي ١ : ٤٨٧/١٠٣ (عن الضحاك) ، تفسير الحسن البصري ١ : ٩٤ ، تفسير زاد المسير ١ : ٧٦ ، وانظر: تفسير الهواري ١ : ١٠٣ ، تفسير النكت والعيون ١ : ١١٥ ، تفسير الكشف والبيان ١ : ١٨٩ ، تفسير الوسيط ١ : ١٣١ .

(٣) قال ابن سيده في المحكم والمحيط الأعظم ٧ : ٥٦١ «جَفَوُ: جفا الشيء: لم يستقرّ في مكانه... وجفا عليه الشيء: ثَقُلَ ، ولَمَّا كان في معناه وكان ثقل يعتدى بعلى ، عدّوه بعلى أيضاً ومثل هذا كثير . وانظر لسان العرب ١٤ : ١٤٨ «جفا» .

قال صاحب العين : خَشَعَ الرَّجُلُ يَخْشَعُ خُشُوعًا : إذا رَمَى بَبْصَرِهِ إلى الأرض ، واخْشَعَ : إذا طَاطَأَ رَأْسَهُ كَالْمُتَوَاضِعِ . والخُشُوعُ : قريب المعنى من الخُضُوع ، إِلَّا أَنَّ الخُضُوعَ فِي البَدَنِ - وهو : الإقْرَارُ بِالاسْتِخْذَاءِ^(١) - والخُشُوعُ فِي و^(٢) الصَّوْتِ والبَصَرِ ، قال الله تعالى : ﴿ خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ ﴾ و : ﴿ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ ﴾^(٣) أي : سَكَتَتْ^(٤) .

وأصل الباب : من اللين والسهولة ، من قولهم : قَفٌّ خَاشِعٌ ، للأرض التي غَلَبَتْ عليها السُّهولة .

والخاشِيعُ : الأرض التي لَا يُهْتَدَى لها بِسُهُولةٍ ؛ لمحو الرِّيحِ آثارها .

والخاشِيعُ والمتواضِعُ والمتدَلِّلُ والمُسْتَكِينُ بمعنى ، قال الشاعر :

لَمَّا أَتَى خَبَرَ الزُّبَيْرِ تَوَاضَعَتْ سُورُ الْمَدِينَةِ وَالْجِبَالُ الْخُشَعُ^(٥) [٢٠٨]

(١) في النسخ والمصدر : بالاستخدام . ولا معنى له يساعد عليه . والمثبت هو الذي تساعد عليه كتب اللغة في الهامش : ٤ ، الآتي ، وكذا المحكي عن العين في المخصص ٦ : ١٣٥ ، وانظر لسان العرب ٨ : ٧١ ، تاج العروس ١١ : ٩٤ «خشع» . والاستخذاء : التدلل والخضوع والانقياد .
انظر «خَذَأَ» في : العين ٤ : ٢٩٨ ، جمهرة اللغة ١ : ٥٨٢ ، تهذيب اللغة ٧ : ٥٢٤ ، وغيرها .

(٢) في بعض المصادر اللغوية هكذا : ... في البدن و... .

(٣) على التوالي سورة المعارج ٧٠ : ٤٤ ، سورة طه ٢٠ : ١٠٨ .

(٤) «خَشَعَ» في العين ١ : ١١٢ . وجمهرة اللغة ١ : ٦٠١ ، تهذيب اللغة ١ : ١٥١ ، المحيط في اللغة ١ : ١٢٠ ، المخصص ٦ : ١٣٥ ، الصحاح ٣ : ١٢٠٤ ، لسان العرب ٨ : ٧١ - ٧٢ ، مفردات القرآن الكريم : ٢٨٣ ، الوجوه والنظائر للدماغاني ١ : ٣١٦ .
(٥) من قصيدة تربو على ١٢٠ بيتاً يرَدُّ فيها جرير على الفرزدق ويهجو والشعراء ويعدّد معانيه منها ما في الشاهد .

المعنى : يعدّ جرير من معايب الفرزدق قتل المجاشعيّ الزبير بن العوام عند
للّ

وخاشع صفه مدح ؛ لقوله : ﴿وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ﴾^(١) .
وإنما خصّ الخاشع بأنها لا تكبر عليه ؛ لأنّ الخاشع قد تواطأ ذلك له
بالاعتقاد له والمعرفة بما له فيه ، فقد صار بذلك بمنزلة ما لا يشقّ عليه فعله
ولا يثقل تناوله .

وقال الربيع بن أنس : ﴿الْخَاشِعِينَ﴾ في الآية : الخائفين^(٢) .

قوله تعالى :

﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ آية (٤٦)
آية بلا خلاف .

إن قيل : كيف أخبر الله عمّن وصفه بالخشوع بالطاعة ، ومدحهم
بذلك ؛ بأنهم يظنون أنهم ملاقوا ربهم ، وذلك مناف لصفة المدح ؟
قلنا : الظنّ المذكور في الآية المراد به العلم واليقين^(٣) ، قال دُرَيْدُ بْنُ

كثامنصره من حرب الجمل غيلة ، وهو من أبناء جلده . فلمّا وافى خبر ذلك مدينة
الرسول الأكرم المنورة تواضعت هي وجبالها وخشعت حزناً!!

انظر : الديوان (بشرح ابن حبيب) ٢ : ٩٠٩ ق ٢٧ ب ٤٨ . ديوان النقائض ٢ :
٣١١ ق ١٠١ ب ٤٨ . والديوان : ٢٧٠ وخزانة الأدب للبغدادى ٤ : ٢١٨ ش ٢٨٧ .

(١) سورة الأحزاب : ٣٣ : ٣٥ .

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازي ١ : ٤٩١/١٠٣ ، تفسير جامع البيان ١ : ٢٠٦ ،
تفسير ابن أبي زمنين ١ : ١٣٧ ، الغريبين للهروي ٢ : ٥٥٧ (وفي الأخيرين بلا نسبة) .

(٣) عُدَّ الظَّنُّ من الأضداد تارة بنفسه وأخرى بمعنّيه ، للتوسعة انظر : الأضداد
للأبّاري : ١٤ ت ١ ، الأضداد في كلام العرب ١ : ٤٦٦ ، الأضداد لأبي عبيد : ٥١
والأضداد للتوزي : ٧٧ وهما ضمن (ثلاثة نصوص في الأضداد) ، الأضداد
للأصمعي : ٣٤ ت ٤٢ ، وللسجستاني : ٧٦ ت ١٠٧ ، ولابن السكّيت : ١٨٨ ت
٣١٥ وذيل الأضداد للصنعاني : ٢٣٨ ت ٥٦٩ وهي ضمن ثلاثة كتب في
الأضداد ، وانظر ما يأتي في : صفحة ١٩٢ هامش ١ .

الصُّمَّة^(١) :

فَقُلْتُ لَهُمْ ظُنُّوا بِالْفَلْيِ مُدَجِّجٌ سَرَاتُهُمْ فِي الْفَارِسِيِّ الْمُسَرَّدِ^(٢) [٢٠٩]
 وَقَالَ عَمِيرَةُ بْنُ طَارِقٍ^(٣) :
 بِأَنْ يَسْتَغْتَرُوا قَوْمِي وَأَقْعُدَ فِيكُمْ بِأَنْ يَجْعَلَ مَنِي الظَّنَّ غَنِيًّا مُرَجَّحًا^(٤) [٢١٠]

(١) دُرَيْدُ بْنُ الصُّمَّةِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ معاوية بن جُداعة - من جُشَمِ هِوَاظَن - شاعرهم ، بل سيدهم وقائدهم وفارسهم ، شجاع قيل : لم يهزم ، أدرك الإسلام ولم يُسلم ، قتل يوم حنين مع رهطه عام : ٨ هـ .

انظر : جمهرة أشعار العرب ١ : ٢٢٠ و ٥٨٧ ، الشعر والشعراء ٢ : ٧٤٩ - ١٧٨/٧٥٦ ، شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٢ : ٨١٢ ، الأغاني ١٠ : ٣ - ٤٠ ، المؤلف والمختلف للأمدى : ١٦٣ .

(٢) بيت من أبيات الاستشهاد يكثر تداوله في كتب اللغة والأدب . وهو من قصيدة يرثي فيها أخاه عبدالله .

المعنى : ظُنُّوا : تيقنوا . مُدَجِّجٌ : المحارب المسلح التام التسليح . سراة : الأشراف والخيار . الْفَارِسِيُّ الْمُسَرَّدُ : الدروع المصنوعة في فارس ، وكذا الزرد . الشاهد : استعمال «ظَنَّ» بمعنى اليقين والعلم .

انظر : الديوان «جمع البقاعي» : ٤٥ ق ١٥ ب ١٢ .

(٣) شاعر جاهلي ، شعره متفرد ، لم يترجم بأكثر من أنه ابن خَصْبَةَ الْيَرْبُوعِيِّ من فرسانهم الشجعان وشعرائهم ، اشتهر في المصادر من خلال ذكرها ليوم ذي طلوح أو ما يسمى يوم الصمد أو أود . هذا وقد اختلف في ضبط اسمه بين عَمِيرَةَ وعمارة وعَمْرَةَ وعَمِير . انظر لترجمته الهامش الآتي .

(٤) مقطوعة قالها عندما أُسر في بعض الحروب ، وفي البيت يخاطب صاحبيه بأن قومي وعشيرتي يُغَرِّون وأنا أجلس معكم جاعلاً ظَنِّي - علمي - بالغزو احتلاماً ووطناً وهو محل الشاهد أيضاً إذ لو لم يرد من الظَّنِّ هنا اليقين والعلم لكان استعمالاً ضعيفاً ؛ لأنَّ الظَّنَّ هو الغيب المرجح الذي لا يوقف على حقيقته . من الرجم ، وهو : القذف ، فلا بد من الفرق .

هذا وللبيت رواية ثانية لا يمكن المساعدة عليها للشاهد .

انظر : الكامل في التاريخ ١ : ٦٣٧ ، نقائض جرير والفرزدق (ديوان النقائض) ١ :

وقال أبو دؤاد^(١) :

رُبَّ هَمٍّ فَرَجَتْهُ بَعْرِيمٌ وَغُيُوبٍ كَشَفَتْهَا بِظُنُونٍ^(٢) [٢١١]
وقال المُبَرِّد: ليس من كلام العرب: أَظُنُّ عند زيد مَالاً. يريد: أعلم؛
لأنَّ الْعِلْمَ المشاهد لا يناسب باب الظنِّ^(٣)، وقد أفصح عن ذلك أوس بن
حجر في قوله :

الْأَلْمَعِيُّ الَّذِي يَظُنُّ بِكَ الظَّ نَّ كَأَنَّ قَدْ رَأَى وَقَدْ سَمِعَا^(٤) [٢١٢]

٥٨٤، أيام العرب قبل الإسلام: ٣٨٥ ب ٩، العقد الفريد ٥: ١٨٨ أيام العرب في
الجاهلية: ١٨٩، معجم الشعراء الجاهليين: ٢٧٤.

(١) الإيادي، جارية بن الحجاج بن بحر... بن معد - وقيل غير ذلك - شاعر جاهلي
قديم، شهد له الحطيئة بأنه أشعر الناس، أكثر شعره في نعت الخيل، له ديوان شعر.
انظر: الشعر والشعراء ١: ١٧/٢٣٧، الأغاني ١٦: ٣٧٣.

(٢) البيت من قصيدة للشاعر قالها في امرأته.
المعنى: العزيم: الدعاء، الحرز: الغيوب: المجهول الغير المعلوم. الظنون:
أراد اليقين والعلم.

الشاهد فيه: استعمال الظن وإرادة اليقين والعلم والمعرفة، أي: اكتشفتها،
عرفتها، وإلا لضعف معنى البيت.

وقد استشهد به جمع لمورد الشاهد منهم: الأنباري في الأضداد: ١٥، الحلبي
في الأضداد في كلام العرب ١: ٤٧٠، الماوردي في تفسير النكت والعيون ١:
١١٦، القرطبي في جامع أحكام القرآن ١: ٣٧٦، السمين الحلبي في الدرر المصون
١: ٤٣٦/٢١٣، وغيرهم.

(٣) لم نجده في المتوقر لدينا من مؤلفاته: الكامل، المقتضب، التعازي، المذكر،
أعجاز أبيات، و....

(٤) من قصيدة يرثي بها فضالة بن كندة -كلدة- مطلعها:
أَيْتُهَا النَّفْسُ أَجْمَلِي جَزَعًا إِنَّ الَّذِي تَحْذَرِينَ قَدْ وَقَعَا
الديوان: ٥٣ ق ٢٦ ب ٣.

المعنى: الألمعي: هو الشخص الذي يضع الأمور مواقعها. أو القوي القلب
للـ

وقال آخر :

فَالْأَيُّكُمْ خَبِيرٌ يَقِينٌ فَإِنَّ الظَّنَّ يَنْقُصُ أَوْ يَزِيدُ^(١) [٢١٣]

وقال بعض الشيوخ : أصل الظَّنَّ ما يجول في النَّفس من الخاطر الذي يغلب على القلب ، كأنه حديث النَّفس بالشيء . وتأول جميع ما في القرآن من معنى العلم على هذا^(٢) .

والذي يوقع الأشياء مواقعها ، ووضَّحه بما بعد الذي ، بك : اختلفت المصادر والديوان بينه و : لك .

المعنى : الشاعر يصف قَصَالَةً بالعقل وإصابة الرأي ومضاء العزم وثبوت الرأي والفظنة ، إذ كان يتشَوَّف ، بل يعرف ما لم يكن بما كان .
الشاهد : تنزيل ظَنُّ الأَلَمعي منزلة العلم ، حتَّى قيل : لا عاش بخير من لم ير برأيه ما لم ير بعينه ، و : ظَنُّ الرجل قطعة من عقله .

ووصف البيت : بأنَّه من أجود ما قيل في مضاء العزم وثبوت الرأي والفظنة .
(١) مع التَّبَع لم نجده إلَّا في الحيوان للجاحظ ٣ : ٦٠ وتفسير وضح البرهان ٢ : ٣١٥ منسوباً فيهما إلى أبي الفَضَّة المسيَّب ، وبلقبه هذا أشهر من اسمه زهير بن علس ، انظر ترجمته في معجم الشعراء الجاهليين : ٣٣٥ ومصادره .

(٢) مَادَّة «ظَنَّ» عُدَّت مِمَّا اتَّفَق لفظه واختلف معناه فهي من الأضداد ، حيث استعملت في القرآن الكريم والسنة الشريفة والشعر والنثر لمعانٍ مختلفة أُنْهاها البعض إلى خمس ينضدها أنه : ترجيح أحد الطرفين . منها اثنان متضادان فلا يقال فيه إلَّا العلم هما مورد الكلام والشاهد ، والمعان الخمس هي :

١ - اليقين : وهو الحاصل عن تدبُّر وتفكير وإعمال نظر . وأمَّا الحاصل من العيان المراد منه العلم أو اليقين ، وإلَّا لكان - في بعض الموارد - مدح على الكفر ، انظر ما ورد في سورة البقرة ٢ : ٤٦ و ٢٣٠ و ٢٤٩ ، سورة الحاقة ٦٩ : ٢٠ ، سورة ص ٣٨ : ٢٤ ، وسورة المطففين ٨٣ : ٤ وغيرها كثير .

٢ - الشك : وموارده كثيرة نحو ما في سورة البقرة ٢ : ٧٨ ، سورة الجاثية ٤٥ : ٣٢ .
والباقي :

٣ - الإنكار : كما في سورة ص ٣٨ : ٢٧ .

٤ - الجحد : كما في سورة يونس ١٠ : ٦٠ .

وقال الحسن وأبو العالية ومجاهد وابن جريج: ﴿يَظُنُّونَ﴾، أي: يوقنون^(١). ومثله: ﴿ظَنَنْتُ أَنِّي مُلْتَمِسٌ حِسَابِيَّةٍ﴾^(٢) أي: علمت، ومثله: ﴿وَزَظُّوا أَن لَّمْ يَلْجَأْ مِنْ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ﴾^(٣) معناه: استيقنوا، وقوله: ﴿وَرَأَا

٥ - الحسبان: كما في سورة الانشقاق ٨٤: ١٤.

هذا وقد سرى ذلك إلى علم الكلام.

وللتوسعة أنظر من مصادر اللغة: مادة «ظَنَنَ» في: العين ٨: ١٥١، جمهرة اللغة ١٥٤: ١، تهذيب اللغة ١٤: ٣٦٢، المحيط في اللغة ١٠: ١٢، الصحاح ٦: ٢١٦٠، المخصص ٦: ٣٦٧، المحكم والمحيط الأعظم ١٠: ٨، مفردات ألفاظ القرآن: ٥٣٩، مجمع البحرين ٢: ١١٤٣، الغريبين للهروي ٤: ١٢٠٨، لسان العرب ١٣: ٢٧٢، الأشباه والنظائر ٣٢٧ ت ١٨٣، الوجوه والنظائر في القرآن الكريم: ٣٧٤، ما اتفق لفظه واختلف معناه: ٢٢، الوجوه والنظائر ٢: ٦١.

ومن كتب الأضداد انظر: الأضداد للأصمعي: ٣٤ ت ٤٢ وللجستاني: ٧٦ ت ١٠٧ ولابن السكيت: ١٨٨ ت ٣١٥ كلها ضمن ثلاثة كتب في الأضداد، الأضداد لأبي عبيد: ٥١ وللتوزي: ٧٧ ضمن ثلاثة نصوص في الأضداد، الأضداد للأنباري: ١٤ ت ١، الأضداد في كلام العرب ١: ٤٦٦.

وأما كتب الكلام فانظر: شرح المصطلحات الكلامية: ٢٠٤ ت ٧٠٣ فإنه خير من جمع مواردها.

وانظر عيون الأخبار لابن قتيبة ١: ٣٤، ومعاني القرآن للزجاج ١: ١٢٦. وأما التفاسير فقد أشير إليها في مواردها؛ وتأتي الإشارة إلى بعضها لاحقاً. (١) لم ينحصر القول بهم؛ بل نسب في التفاسير أيضاً؛ للجمهور، ومختاراً، وأرسل مسلماً. أنظر: تفسير الشهيد زيد بن علي: ٨١، تفسير سفيان الثوري ٤٥ ت ١٥، غريب القرآن لليزيدي: ٦٨ ت ٤٦، غريب القرآن لابن قتيبة: ٤٧ ت ٤٦ وتأويل مشكل القرآن له: ١٨٧، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازي ١: ١٠٣ ت ٤٩٣ و ٤٩٤، تفسير القرآن العزيز لابن زمين ١: ١٣٨، تفسير جامع البيان ١: ٢٠٦، تفسير بحر العلوم ١: ١١٦، تفسير النكت والعيون ١: ١١٦، تفسير الوسيط ١: ١٣٢، تفسير القرآن للسمعاني ١: ٤٧، تفسير المحرر الوجيز ١: ٢٠٦، وغيرها كثير.

(٢) سورة الحاقة ٦٩: ٢٠.

(٣) سورة التوبة ٩: ١١٨.

الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا^(١) يعني: عَلِمُوا.

وقد جاء في القرآن الظنَّ بمعنى الشك كقوله: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾^(٢) وقوله: ﴿إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾^(٣).

وقال قوم: يحتمل قوله: ﴿يَظُنُّونَ﴾ وجهاً آخر، وهو: أَنَّهُمْ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ ملاقوا رَبَّهُمْ بذنوبهم؛ لشدة إِسْفاقِهِمْ من الإقامة على معصية الله^(٤)، وهذا وجه مليح، وقد استبعده الرمانى^(٥) وقال: لأن فيه حذفاً كثيرة.

وهذا ليس بمنكر إذا كان الكلام محتملاً له.

وقيل أيضاً: الذين يَظُنُّونَ انقضاء أجلهم وسرعة موتهم فيكونون أبدأً على حذرٍ ووجل، كما يُقال لمن مات: قد لقي الله^(٦).

والظنُّ، والشكُّ، والتَّجْوِيزُ نَظائِرٌ، إِلَّا أَنَّ الظَّنَّ فيه قوَّةٌ على أحدِ الأمرين دون الآخر، وحده: ما قوي عند الظَّانِّ كون المَظْنُونِ على ما ظنَّه مع تجويزه أن يكون على خلافه. فبالتجويز ينفصل من العلم، وبالقوَّة ينفصل من الشكِّ والتقليد وغير ذلك.

وضدَّ الظَّنَّ: اليَقِينُ.

ويقال: ظَنَّ ظَنًّا وَتَظَنَّ تَظَنُّنًا، وقال: ﴿وَوَظَنُوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا

(١) سورة الكهف ١٨ : ٥٣ .

(٢) سورة الجاثية ٤٥ : ٢٤ .

(٣) سورة يونس ١٠ : ٣٦ .

(٤) انظر مصادر الهامش ١ في : ١٩٢ ، والهامش ٢ صفحة : ١٩١ .

(٥) تقدَّم أَنَّ مؤلفاته في القرآن الكريم لم تَرَ النور بعد .

(٦) راجع الهامش الأسبق .

يُزْجَعُونَ^(١)، وقوله: ﴿وَضَنَّتُمْ ظَنَّ السَّوِّءِ^(٢)﴾.

والظَّئِنُّ: المُتَّهَمُ، ومصدره: الظَّنَّةُ.

والظَّنُونُ: الرَّجُلُ السَّيِّئُ الظَّنُّ بِكُلِّ أَحَدٍ. وَالظَّنُونُ: الْقَلِيلُ الْخَيْرِ.

والتَّظَنِّي والتَّظَنُّن بمعنى واحد.

والظَّنُونُ: الْبِئْرُ الَّتِي يُظَنُّ أَنَّ بِهَا مَاءٌ وَلَا يَكُونُ فِيهَا شَيْءٌ.

وَمَظَنَّةُ الرَّجُلِ وَمَظَانُهُ حَيْثُ يَأْلَفُهُ فَيَكُونُ فِيهِ^(٣).

ومعنى قوله: ﴿أَنَّهُمْ مُلْقُوا رَبِّهِمْ﴾، أي: ملاقوا جزاء ربِّهم، فجعل

ملاقاة الجزاء ملاقاة له؛ تفخيماً وتعظيماً لشأن الجزاء.

وأصل المُلَاقاة: المُلَاصَقَةُ، من قولك: التَّقَى الْحَدَّانِ إِذَا تَلَاصَقَا، ثُمَّ

كَثُرَ حَتَّى قَالُوا: التَّقَى الْفَارِسَانِ إِذَا تَحَاضَا وَلَمْ يَتَلَاصَقَا.

ومثل ما قلنا في قوله: ﴿مَلَّاقُوا رَبِّهِمْ﴾ قوله تعالى: ﴿فَاعْقَبَهُمْ نِفَاقًا

فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ^(٤)﴾ معناه: يَوْمٌ يَلْقَوْنَ جَزَاءَهُ؛ لِأَنَّ الْمُنَافِقِينَ

لَا يَرُونَ اللَّهَ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا

عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبَّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا

كُنتُمْ تَكْفُرُونَ^(٥)﴾ معناه: إِذْ وَقَفُوا عَلَى جَزَاءِ رَبِّهِمْ؛ لِأَنَّ الْكَافِرَ لَا يَرُونَ اللَّهَ

عِنْدَ أَحَدٍ مِنَ الْأُمَّةِ.

(١) سورة القصص ٢٨ : ٣٩ .

(٢) سورة الفتح ٤٨ : ١٢ .

(٣) مصادر اللُّغة تقدّمت ضمن الهامش : ٢ صفحة : ١٩١ وانظر الهامش : ٤ صفحة :

١٩٣ .

(٤) سورة التوبة ٩ : ٧٧ .

(٥) سورة الأنعام ٦ : ٣٠ .

فإن قيل : ما معنى الرجوع هاهنا ، وهم ما كانوا قطّ في الآخرة فيعودوا إليها؟

قيل : راجعون بالإعادة في الآخرة في قول أبي العالية .

وقيل : يرجعون بالموت كما كانوا في الحال المتقدمة ؛ لأنّهم كانوا أمواتاً فأُحيوا ثمّ يموتون فيرجعون أمواتاً كما كانوا .
والأوّل أظهر وأقوى .

وقيل معناه : إنّهم راجعون إلى أن لا يملك أحد لهم ضرراً ولا نفعاً غيره تعالى ، كما كانوا في بدء الخلق ؛ لأنّهم في أيام حياتهم قد يملك الحكم عليهم غيرهم ، والتدبير لنفعهم وضرّهم^(١) . يبيّن ذلك قوله : ﴿ مَا لِكَ يَوْمَ الدِّينِ ﴾^(٢) .

ومعنى الآية : إنّهم يُقرّون بالنشأة الآخرة ، فجعل رجوعهم بعد الموت إلى المحشر رجوعاً إليه .

وأصل الرُّجُوع : العَوْدُ إلى الحال الأولى ، يقال : رَجَعَ الرَّجُلُ وَرَجَعْتُهُ ، وهو أحد ما جاء على فَعَلَ وَفَعَلْتُهُ .

ويُحتمل أن يكون المراد به : إنّهم إليه صائرون ، كما يقول القائل : رَجَعَ الأمرُ إلى فلان وإن كان قطّ لم يكن له ، ومعناه : صار إليه .

(١) الأقوال تجدها في : متشابه القرآن لابن شهرآشوب ١ : ٧٢ ، تفسير النكت والعيون ١ : ١١٦ ، معاني القرآن للزجاج ١ : ١٠٦ ، تفسير جامع البيان عن تأويل القرآن ١ : ٢٠٨ ، التفسير الكبير ٣ : ٥١ ، تفسير البحر المحيط ١ : ١٨٦ .

(٢) سورة الفاتحة ١ : ٤ .

وحُذِفَت النون من ﴿مُلَاقُوا رَبَّهُمْ﴾ عند البصريين ؛ تخفيفاً ، والمعنى على إثباتها ؛ ومثله قوله : ﴿إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ﴾^(١) ، و﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾^(٢) . قال الشاعر :

هَلْ أَنْتَ بَاعِثٌ دِينَارٍ لِحَاجَتِنَا أَوْ عَبْدٌ رَبِّ أَخَا عَوْنِ بْنِ مِخْرَاقٍ^(٣) [٢١٤]

ولو أردت معنى الماضي لتعرف الاسم بالإضافة ، ولم يجز فيه إظهار النون البتة ، وإذا كان الفعل غير واقع كان إثبات النون هو الوجه دون الإضافة ، فلو قيل : «ملاقون» كان صواباً .

قال الأخفش : وجرى حذف النون هاهنا ؛ للاستتقال ، كما حذف الشاعر في قوله :

(١) سورة القمر ٥٤ : ٢٧ .

(٢) مقطع متكرر في سور : آل عمران ٣ : ١٨٥ ، الأنبياء ٢١ : ٣٥ ، العنكبوت ٢٩ : ٥٧ .

(٣) اختلّف في البيت من جهات :

أ - القائل : إذ نسب لجريز ، تأبط شراً ، جابر السننسي ، مجهول القائل إذ هو من الخمسين في الكتاب ، مصنوع .

ب - والمعنى : فبي باعث : بمعنى مُرْسِل أو مُوقِظ . وفي دينار : إنّه رجل ، جارية ، النقد المعروف . وفي عبد ربّ : إنّه مبدل من أخاعون ، وقيل : إنّه موصوف بأخاعون ، وقيل غير ذلك .

ج - وأخيراً الشاهد حيث قيل : إنّه شاهد للفظيّة الإضافة في «باعث دينار» . وقيل : إنّه شاهد لنصب «عبد ربّ» بإضمار فعل أو عطف على محلّ السابق . وقيل هما .

وللتوسعة انظر : الكتاب ١ : ١٧١ ، النكت في تفسير كتاب سيويه للأعلم ١ : ٢٩٤ ، شرح آياته للنحاس : ١٠٤ ت ٢٢٢ ، الجمل للفراهيدي : ٩٩ ، الجمل للزجاجي : ٨٧ ، شرح جمل الزجاجي لابن عُصفور ١ : ٢٥٣ ت ١٥٧ ، والبسيط في شرح جمل الزجاجي للشُّبِّي ٢ : ١٠٢٩ ، وشرح الجمل لابن هشام : ١٧٢ ، المقتضب ٤ : ١٥١ ، خزنة الأدب للبغدادي ٨ : ٢١٥ ، شرح ابن عقيل ٢ : ١٦٠ ش

وَأَنَّ الَّذِي حَاتَتْ بِفَلَجٍ دِمَاؤُهُمْ هُمُ الْقَوْمُ كُلُّ الْقَوْمِ يَا أُمَّ خَالِدٍ

فأسقط النون من (الَّذِينَ) استثقالاً، وقال الأخطل:

أَبْنِي كُلَّيْبٍ إِنَّ عَمِّيَ اللَّذَا قَتَلَا الْمُلُوكَ وَفَكَكَا الْأَغْلَالَ^(١) [٢١٥]
فأسقط النون^(٢).

وقال الكوفيون: إذا حذف النون فاللفظ الاسم، وإذا أثبت وظهر

النصب فالمعنى الفعل^(٣).

قال الزجاج: ويجوز كسر الهمزة من قوله: «أَنْتَهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ»

لكن لم يقرأ به أحد على معنى الابتداء، ولا يجوز كسر «أَنَّ» الأولى؛ لأنَّ الظَّنَّ وقع عليها^(٤).

(١) البيت السادس عشر من قصيدة يهجو بها جريراً ويفخر على قيس، الديوان: ٤٤.

المعنى: يفخر الشاعر على جرير وعشيرته وهم بنو كليب بأبطال قومه والمشهورين منهم وبأعمالهم: منها قتل الملوك ومنها فك أغلال الأسرى وإطلاقهم من يد أعدائهم.

بني كليب: عشيرة جرير. عَمِّيَّ: اختلف فيهما فليل هما: عمرو بن كلثوم قاتل الملك عمر بن هند، والآخر: عصم بن النعمان أبو حنش قاتل شرحبيل بن عمرو التغلبي وغيره، وقيل غير ذلك. الأغلال: جمع غُلٍّ: الطوق الذي يوضع في ربة الأسير وغيره من حديد كان أو غيره.

الشاهد فيه: حذف النون من «الَّذِينَ» بجعلها «اللَّذَا» إما: تخفيفاً؛ لاستطالة الصلة. أو أنها إحدى لغات ثلاث فيها - اللَّذَانِ، اللَّذَانُ، اللَّذَا - على رأي الكوفيين. للتوسعة انظر: أمالي الشجري ٣: ٥٥، المقتضب ٤: ١٤٤، الكتاب ١: ١٦٤، معاني القرآن للأخفش ١: ٢٥٤، سر صناعة الإعراب ٢: ٥٣٦، المصنّف ١: ٦٧، المحتسب ١: ١٨٥، شرح المفصل لابن يعيش ٣: ١٥٤ وخزانة الأدب للبغدادى ٦: ٦ ت ٤٢٣.

(٢) انظر مورد الشاهد في الهامش السابق.

(٣) للتوسعة انظر مصادر الهامش الأسبق ومعاني القرآن للقرّاء ٢: ٢٠٢، ٢٢٥،

٢٢٦، ٤٢٠ و ٣: ١٥٣.

(٤) معاني القرآن للزجاج ١: ١٢٧.

قوله تعالى :

﴿يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكَرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ آية (٤٧) .

﴿يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكَرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ ، قد مضى تفسير مثل هذا في ما تقدّم ؛ فلا وجه لإعادته ^(١) .

وأما قوله : ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ .

ذكرهم الله تعالى من آلائه ونعمه عندهم بقوله : ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ أي : فضلت أسلافكم ، فنسب النعمة على آبائهم وأسلافهم أنّها نعمة عليهم منه ؛ لأنّ مآثر الآباء مآثر الأبناء ، والنعم عند الآباء نعم عند الأبناء ؛ لكون الأبناء من الآباء .

وقوله : ﴿فَضَّلْتُكُمْ﴾ :

فالتفضيل والترجيح والتزويد نظائر .

والتفضيل نقيضه : التسوية .

يقال : فَضَّلَهُ وَتَنَقَّصَهُ على وجه النقيض .

ونقيض التزويد التثقيص .

يقال : فَضَّلَ فَضْلاً ، وَأَفْضَلَ إِفْضَالاً ، وَتَفَضَّلَ تَفَضُّلاً ، وَاسْتَفْضَلَ اسْتِفْضَالاً ، وَتَفَاضَلُوا تَفَاضُلاً ، وَفَاضَلَهُ مُفَاضَلاً ، وَفَضَّلَهُ تَفْضِيلاً . وَالفِضَالُ : اسمٌ للمُفَاضَلَةِ ^(٢) ، وَالفَضِيلَةُ : الدَّرَجَةُ وَالرَّفْعَةُ فِي الْفَضْلِ .

(١) ضمن الآية ٤٠ من سورة البقرة .

(٢) في المحيط في اللغة ٨ : ٢١ : لِلْمُقَاضِلِ ، وفي شمس العلوم ٨ : ٥٢٠٩ للتفاضل . ويأتیان في صفحة ١٩٩ هامش (٢) .

والتَّفَضُّلُ : التَّوَشُّحُ ، وَرَجُلٌ فُضِّلَ مُتَّفَضِّلٌ وامرأةٌ مُتَّفَضِّلَةٌ عليها ثَوْبٌ
فُضِّلَ : إذا خَالَفَتْ بَيْنَ طَرَفَيْهِ عَلَى عَاتِقِهَا وَتَتَوَشَّحُ بِهِ ، قال الشاعر :

..... إذا تُغَرَّدَ فِيهِ الْقَيْنَةُ الْفُضْلُ ^(١) [٢١٦]

وَأَفْضَلُ فُلَانٌ عَلَى فُلَانٍ : إذا أَنَالَهُ مِنْ خَيْرِهِ وَفَضَّلَهُ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ .
وَأَفْضَلُ فُلَانٌ مِنَ الطَّعَامِ وَالْأَرْضِ وَالْخُبْزِ : إذا تَرَكَ مِنْهُ شَيْئاً .
لغة أهل الحجاز : فَضَّلَ يَفْضُلُ .

وَرَجُلٌ مِفْضَالٌ : كَثِيرُ الْمَعْرُوفِ وَالْخَيْرِ .

وَالْفَضَائِلُ : واحداها فَضِيلَةٌ ، وهي : الْمَحَاسِنُ . وَالْفَوَاضِلُ : الْإِيَادِي
الْجَمِيلَةُ . وَالْمِفْضَلُ : ثَوْبٌ تَتَخَفَّفُ بِهِ الْمَرْأَةُ فِي بَيْتِهَا ، وَالْجَمْعُ مَفَاضِلُ ،
وامرأةٌ فُضِّلَ : إذا كَانَ عَلَيْهَا مِفْضَلٌ .
وَأَصْلُ الْبَابِ الزِّيَادَةُ .

وَالْإِفْضَالُ وَالْإِحْسَانُ وَالْإِنْعَامُ نَظَائِرُ .

وَيُقَالُ : فَضَّلَهُ إِذَا أَعْطَاهُ الزِّيَادَةَ ، وَفَضَّلَهُ إِذَا حَكَمَ لَهُ بِالزِّيَادَةِ ^(٢) .

(١) وصدرة :

وَمُسْتَجِيبٌ تَخَالَ الصَّنَجُ يُسْمِعُهُ
بيت من اللامية الشهيرة التي يُودَّعُ فِيهَا الْأَعْشَى الْكَبِيرُ مِمُّونُ بْنُ قَيْسٍ صَاحِبَتِهِ
هُزَيْزَةُ .

انظر : الديوان : ١٠٥ ق ٦ ب ٤٢ ، وفيه : تُرْجَعُ ، عوض : تُغَرَّدُ . وانظر :
ما تقدم برقم ٩٢ ج ١ : ٢٢١ .

المعنى : يشير إلى المرأة التي تلبس ثوباً واحداً للتبذل مخالفة بين طرفيه .
الشاهد فيه : استعمال كلمة «الْفُضْلُ» وإرادة ما تقدم .

(٢) مصادر اللُّغة لمادة «فَضَّلَ» هي : العين ٧ : ٤٣ ، جمهرة اللُّغة ٢ : ٩٠٧ ، تهذيب
اللُّغة ١٢ : ٣٩ ، المحيط في اللُّغة ٨ : ٢١ ، الصحاح ٥ : ١٧٩١ ، المحكم والمحيط
الأعظم ٨ : ٢٠٥ ، لسان العرب ١١ : ٥٢٤ ، شمس العلوم انظر الفهرس : ٧٣٩ «فَضَّلَ» .

فإن قيل : لِمَ كرّر قوله : ﴿يَسْتَبِي إِسْرَءِيلَ﴾ ؟

قلنا : لأنه لما كانت نِعَمُ الله هي الأصل في ما يجب فيه شكره وعبادته احتيج إلى تأكيدها ، كما يقول القائل : اذهب اذهب ، اعجل اعجل ، وغير ذلك في الأمر المهم .

وأيضاً فإنّ التذكير الأول ورد مجملاً ، وجاء الثاني مفصلاً ، كأنه قال : اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم في ما أنتم عليه فيه من المنافع التي تتصرفون فيها وتمتعون بها ، وإنّي فضلتكم على العالمين ، ودلّ هذا على قوله : ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ ؛ لأنها إحدى الخصال التي ذكروا بها ، وجاءت عاطفة ، فدلّت على خصلة قبلها إما مذكورة أو مقدّرة . وإما فضّلوا بما أرسل الله فيهم من كثرة الرسل ، وأنزل عليهم من الكتب .

وقيل : بكثرة مَنْ جُعِلَ فيهم من الأنبياء . وما أنزل الله عليهم مِنَ الْمَنْ والسّلوى ، إلى غير ذلك من النعمة العظيمة من تغريق فرعون عدوهم ، ونجاتهم من عذابه ، وتكثير الآيات التي يخف معها الاستدلال ، ويسهل بها كثرة المشاق . وهو قول أكثر أهل العلم كأبي العالية وغيره^(١) .

ونظير هذه الآية قوله : ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاهُ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾^(٢) ، ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾^(٣) .

(١) انظر : تفسير كتاب الله العزيز للهُواريّ ١ : ١٠٠ ، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازي ١ : ٩٥ ت ٤٣٥ و ٤٣٦ ، تفسير النكت والعيون ١ : ١١١ ، تفسير الوسيط ١ : ١٢٧ .

(٢) سورة البقرة ٢ : ٤٩ .

(٣) سورة البقرة ٢ : ٥٠ .

وقوله : ﴿عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ :

قال أكثر المفسرين : إنه أراد الخصوص ، ومعناه عالمي زمانهم .
ذهب إليه قتادة والحسن وأبو العالية ومجاهد وغيرهم .

وقال بعضهم : إذا قلت : فَضَّلَ زيدٌ على عمرو في الشجاعة ؛ لم يدلّ على أنه أَفْضَلُ منه على الإطلاق ، ولا في جميع الخصال ، فعلى هذا يكون التخصيص في التفضيل لا في العالمين ^(١) .

وأمة نبينا محمد ﷺ أفضل من أولئك ؛ لقوله : ﴿كُنتُمْ خَيْرُ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ ^(٢) وعليه إجماع الأمة ؛ لأنهم أجمعوا على أن أمة محمد ﷺ أفضل من سائر الأمم ، كما أن محمداً ﷺ أفضل الأنبياء من ولد آدم عليه السلام .

قوله تعالى :

﴿وَأَتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ آية (٤٨) آية واحدة بلا خلاف .
قرأ ابن كثير وأهل البصرة : ﴿لَا تُقْبَلُ مِنْهَا﴾ بالتاء ، الباقون : بالياء ^(٣) .

(١) انظر : تفسير مقاتل ١ : ١٠٣ ، تفسير الصنعاني ١ : ٢٦٨ ، تفسير غريب القرآن لابن قتيبة : ٤٨ ، تفسير كتاب الله العزيز للهوراي ١ : ١٠٣ ، تفسير جامع البيان ١ : ٢٠٨ ، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازي ١ : ١٠٤ ت ٤٩٧ و ٢ : ٦٣٥ ت ٣٤١٥ ، تفسير بحر العلوم ١ : ١١٦ ، تفسير ابن أبي زمنين ١ : ١٣٨ ، تفسير المحرر الوجيز ١ : ٣٤٧ ، تفسير البحر المحيط ١ : ٣٠٦ ، تفسير غرائب القرآن ١ : ٢٧٩ ، وانظر مواردها في التفاسير فإنها مختلفة حسب ورودها واستعمالها .

(٢) سورة آل عمران ٣ : ١١٠ .

(٣) السبعة في القراءات : ١٥٥ ، الحجة للقراء السبعة ٢ : ٤٣ ، حجة القراءات : ٩٥ ،

موضع ﴿لَا تَجْزِي﴾ نصب؛ لأنه صفة يوم. والعائد عند الكسائي لا يكون إلا «هاء» محذوفة من ﴿تَجْزِي﴾.

وقال بعضهم: لا يجوز إلا «فيه».

وقال سيبويه، والأخفش، والزجاج: يجوز الأمران^(١).

قال أبو علي: المعنى في قوله: ﴿لَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ﴾: لا يقبل فيه منها شفاعته^(٢).

فمن ذهب إلى أن «فيه» محذوفة من قوله: ﴿وَأَتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي﴾ جعل «فيه» محذوفة بعد قوله: ﴿وَلَا يُقْبَلُ﴾.

ومن ذهب إلى أنه حُذِفَ الجارَّ وأُوصِلَ الفعلُ إلى المفعول، ثم حذف الراجع من الصفة كما يحذف من الصلة، كان مذهبه في قوله: ﴿لَا يُقْبَلُ﴾ أيضاً مثله.

وحذف «الهاء» من الصفة يَحْسَن، كما يَحْسَن حذفها من الصلة، ألا ترى أن الفعل لا يَتَسَلَّطُ بحذف المفعول منه على الموصوف، كما لا يَتَسَلَّطُ بذلك على الموصول.

فمما حذف منه الراجع إلى الصفة قوله:

لثامعاني القراءات للأزهري: ٤٩، الكشف عن وجوه القراءات السبع ١: ٢٣٨ ت ٢٣ و ٢٤، التذكرة في القراءات ٢: ٣١٣ ت ١٢.

(١) معاني القرآن للكسائي: ٦٨، الكتاب ١: ٣٨٦، معاني القرآن للأخفش ١: ٢٥٨، معاني القرآن للزجاج ١: ١٢٨، البيان في غريب إعراب القرآن ١: ٨١، أمالي الشجري ١: ٦، الحجة في القراءات السبع: ٧٦.

(٢) هو الفارسي: وانظر: الحجة للقراء السبعة ٢: ٤٤.

وَمَا شَيْءٌ حَمَيْتَ بِمُسْتَبَاحٍ^(١) [٢١٧]

ومن الحذف قوله :

[٢١٨]

تَرَوْحِي أَجْدَرَ أَنْ تَقِيلِي

غداً بِجَنَّتِي بَارِدٍ ظَلِيلٍ^(٢)

المعنى : تأتي مكاناً أجدر أن تقيلي فيه . فحذف الجار ووصل الفعل

ثم حذف الضمير . ونظير الآية قول الرازي :

قَدْ صَبَحَتْ صَبَحَهَا السَّلَامُ

بِكَيْدٍ خَالَطَهَا السَّنَامُ

(١) عجز بيت لجرير من قصيدة في مدح عبدالملك بن مروان ، انظر الديوان ٧٦ ،

وشرح محمد بن حبيب ١ : ٨٢ ق ٤ ب ١٧ و صدره :

أَبَحْتُ حِمِيَّ تِهَامَةَ بَعْدَ نَجْدٍ

المعنى : يشير إلى وقعة عبدالله بن الزبير وإباحة الحرم وغلبة عبدالملك على

ما كان لديه وله من أموال وسلاح .

الشاهد : حذف الرابط بين جملة الصفة وهي (حميت) ، والموصوف وهو

(شيء) ؛ فيكون على الإثبات : حميته .

(٢) رجز استشهد به جمع من دون نسبة ، وهو لأخيحة بن الجلاح الأوسي .

المعنى : يخاطب ناقته ويحثها على الجد في السير والرواح للوصول إلى ماء

ومكان أفضل للإقامة والاستراحة فيه . وقيل : هو خطاب للفسيل ، أي : صغار النخل

يطالبه بالامتداد والارتفاع و ... وعليه ففيه تشبيه .

الشاهد : استشهد به لما صرح به الشيخ المصنف رحمه الله من توالي الحذف إذ أصله :

اتني مكاناً أجدر بأن تقيلي فيه .

حذف الفعل - اتني - ثم حذف - مكاناً - الموصوف ، ثم حذف الباء من بأن

تخفيفاً ، ثم حذف الجار - في - فصار تقيليه ، ثم حذف الضمير منه ، فصار : تقيلي .

وللتوسعة انظر : الحجة للقراء السبعة ٢ : ٤٥ ، المحتسب ١ : ٢١٢ ، المقتصد

١ : ٦٤٩ ش ١٦٣ ، أمالي ابن الشجري ٢ : ١٠٠ ، خزنة الأدب للبغداد ٥ : ٥٧ ،

وغيرها كثير . ولترجمة الشاعر : معجم الشعراء الجاهليين : ١٠ ومصادره .

فِي سَاعَةٍ يُحِبُّهَا الطَّعَامُ^(١)(٢)

[٢١٩]

أي: تُحِبُّ الطَّعَامَ فِيهَا.

والمُجَازَاةُ والمُكَافَاةُ والمُقَابَلَةُ نظائِرُ.

يُقَالُ: جَزَى يَجْزِي جَزَاءً، وَجَازَاهُ مُجَازَاةً، وَتَجَازَوْا تَجَازِيًا.

قال صاحب العين: الجَزَاءُ: المُكَافَاةُ بِالْإِحْسَانِ إِحْسَانًا، وَبِالْإِسَاءَةِ إِسَاءَةً. وَقُلَانِ دُو جَزَاءٍ وَذُو غَنَاءٍ.

وتقول: هذا الشيء يُجْزِي عن هذا، يُهْمَزُ وَيُلَيَّنُ. وفي لغة: يَجْزِي، أي: يَكْفِي.

وأصلُ الباب: مُقَابَلَةُ الشَّيْءِ بِالشَّيْءِ^(٣).

ومعنى قوله: ﴿لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ أي: لا تُقَابِلُ مكروهها بشيء يدرأه عنها، قال الله تعالى: ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُتِّمْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٤)، وقال: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾^(٥).

(١) الرجز هذا لم ينسب لأحد على كثرة مَنْ استشهد به، وقد اختلف في ضبط بعض ألفاظه. المعنى صَبَحَتْ: سقت القوم الصبح لبناً أو خمراً. أو ما يقال في الدَّعاء بالخير لحسن الصنعة وغيرها.

الشاهد: «يُحِبُّهَا»، أصله يُحِبُّ فِيهَا حَذْفُ الْجَارِ فَاتَّصَلَ الضمير، فكان: يُحِبُّهَا. انظر: معاني القرآن للقرآء ١: ٣٢، الكامل في الأدب ١: ٥٠، الأضداد لأبي الطيب ٢: ٧٣٢، المخصّص ٥: ٦١٦ و٦: ٥١٢.

(٢) الحجة للقرآء السبعة للفارسي ٢: ٤٤ - ٤٥، بتصرّف. (٣) «جَزَى وَجَزَأً» في: العين ٦: ١٦٤ و١٦٢، المحكم والمحيط الأعظم ٧: ٤٧٩ و٤٩٩. وانظر: تهذيب اللغة ١١: ١٤٢، المحيط في اللغة ٧: ١٥١.

(٤) سورة النمل ٢٧: ٩٠.

(٥) سورة غافر ٤٠: ١٧.

والفرق بين المُقَابَلَةِ والمَجَازَةِ: إِنَّ المُقَابَلَةَ قد تكون للمساواة فقط كمقابلة الكتاب بالكتاب، والمَجَازَةُ تكون في الشرِّ بالشرِّ والخير بالخير .
ومعنى قوله: ﴿لَا تَجْزِي﴾ أي: لا تُغني، وهو قول السُّدِّي^(١)، كما تقول: البقرة تُجْزِي عن سبعة، وهي لغة أهل الحجاز. وبنو تميم يقولون: تُجْزِي بالهمز، من: أَجْزَأْتُ، والأوَّل من: جَزَتْ .

وقال الأخفش: لا تجزي منها، أي: لا يكون مكانها بدلاً منها .
وَأُنْكِرَ عَلَيْهِ ذلك؛ لقوله: ﴿شَيْنًا﴾^(٢) .
وجعل الأخفش ﴿شَيْنًا﴾ في موضع المصدر، كأنه يقول: لا تُجْزِي جزءاً ولا تُغني عَنْهُ^(٣) .

قال الرماني: والأقرب أن يكون ﴿شَيْنًا﴾ في موضع «حقاً»، كأنه قال: لا يؤدِّي عنها حقاً وجب عليها^(٤) .

(١) انظر: تفسير جامع البيان ١ : ٢٠٩، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازي ١٠٤ : ١ ت ٤٩٨ و ٤٩٩، تفسير النكت والعيون ١ : ١١٧ .
(٢) الجملة وتبعاً للأصول «ل، حجرية، و» : وأنكر عليهم . صُحِّحَت للمثبت تبعاً للنسختين «خ، هـ» ؛ لأنَّ الفعل - أنكر - : إمَّا معلوم ففاعله الأخفش لا غير والضمير المجرور جمع ، ولا عائد له . وهذا بعيد غاية .
وإمَّا مجهول - كما هو المثبت - والضمير المجرور مفرد عائد على الأخفش .
وحاصل المراد: إِنَّ الأخفش ذاهب إلى حتمية المساواة بين المجزي والمجزي عنه ، والبدل والمبدل ؛ لمقتضى المكانية والبدلية .
لكن ردَّ عليه الآخرون بأنَّه في الآية الجزئية مرادة ، أي : لا تجزي ولو قليلاً ؛ لما دلَّت عليه ﴿شَيْنًا﴾ .

انظر: تفسير جامع البيان ١ : ٢١٠ ومعاني القرآن للأخفش ١ : ٢٦٠ .

(٣) معاني القرآن له ١ : ٢٦٠ - ٢٦١ ، بتصرف .

(٤) أُشير إلى الرأي ومن دون نسبة في: تفسير جامع البيان ١ : ٢١١ ، تفسير القرآن للسمرقاني ١ : ٧٦ ، تفسير البحر المحيط ١ : ٣٠٨ .

وقال بعضهم: ﴿لَا تَجْزِي﴾ بمعنى لا تقضي^(١).

وقَبُولُ الشيء: هو تَلْقِيهِه والأخْذُ بِهِ، وضْده الإِعْرَاضُ عنه، ومن ثَمَّ قيل لِتَجَاوِزِ القَبِيلَةِ: قُبَالَةً، وقالوا: أَقْبَلْتُ المَكْوَاةَ الدَّاءَ، أَي: جَعَلْتُهَا قُبَالَتَهُ.

ويجوز أن يكون المخاطبون بذلك اليهود؛ لأنهم زعموا أن آبَاءَهُم الأنبياء تشفع لهم، فأوَسُوا بقوله: ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ﴾^(٢)، وبقوله: ﴿لَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ﴾.

والقَبُولُ والانقياد والطاعة والإجابة نظائر، ونَقِضُهُ: الامتناع.

ينال: قَبِلَ قَبُولًا، وَأَقْبَلَ إِقْبَالًا، وقَابَلَهُ مُقَابَلَةً، وَتَقَابَلُوا تَقَابُلًا، وَاسْتَقْبَلَهُ اسْتِقْبَالًا، وَتَقَبَّلَ تَقَبُّلًا، وَقَبَّلَهُ تَقْبِيلًا.

وَقَبَّلَ: نَقِضُ بَعْدُ، والقَبْلُ: خِلَافُ الدُّبْرِ، والقَبْلُ: إِقْبَالُكَ عَلَى الشيء كَأَنَّكَ لَا تُرِيدُ غَيْرَهُ.

والقَبْلُ: الطَّاقَةُ، تقول: لَا قَبْلَ لِي، أَي: لَا طَاقَةَ لِي بِهِ، ومنه قولهم: جَاءَهُمْ مَا لَا قَبْلَ لَهُمْ بِهِ، أَي: لَا طَاقَةَ، ومنه قوله: ﴿فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قَبْلَ لَهُمْ بِهَا﴾^(٣).

والقَبْلُ: التَّلَقُّاءُ، تقول: لَقِيتُهُ قُبْلًا، أَي: مُوَاجَهَةً، وَأَصْبَتْ هَذَا مِنْ

(١) لعله إشارة إلى ما ذهب إليه المفضل الضبي من أنها - «تجزئ» - مع الهمز بمعنى: تكفي وتغني وتفي، ومن دونها بمعنى: الجزاء والثواب.

انظر: شرح اختيارات المفضل للخطيب ٣: ١٢٣٩ - ١٢٤٠ وتفسير النكت والعيون ١: ١١٧، غريب القرآن لابن قتيبة: ٤٨ ت ٤٨، تفسير البحر المحيط ١:

١٨٧ وغيرها.

(٢) سورة المائدة ٥: ١٨.

(٣) سورة النحل ٢٧: ٣٧.

قَبْلَهُ أَي: مِنْ تَلْقَائِهِ ، أَي: مِنْ لَدُنْهِ ، وَمِنْ عِنْدِهِ ، وَقَوْلُهُ: ﴿وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبْلًا﴾^(١) أَي: قَبْلًا قَبِيلًا ، وَفَسَّرَ بَعْضُهُمْ: عَيَانًا .

وَكُلُّ جَيْلٍ مِنَ النَّاسِ وَالْجِنَّ: قَبِيلٌ .

وَالْقَبِيلَةُ مِنَ قَبَائِلِ الْعَرَبِ مَعْرُوفَةٌ .

وَالْكُرَّةُ يُقَالُ لَهَا: قَبَائِلُ ، وَكُلُّ قِطْعَةٍ مِنَ الْجِلْدِ: قَبِيلَةٌ ، وَقَبِيلَةُ الرَّأْسِ: كُلُّ فِلَقَةٍ قَدْ قُوِبِلَتْ بِالْأُخْرَى . وَكَذَلِكَ قَبَائِلُ الْعَرَبِ .

وَالْقَبَالُ: زِمَامُ النَّعْلِ ، يُقَالُ: نَعْلٌ مَقْبُولَةٌ وَمُقْبَلَةٌ .

وَالْقَبْلُ: رَأْسُ كُلِّ شَيْءٍ: مِثْلُ الْجَبَلِ ، وَالْأَكْمَةِ ، وَكُتِبَ الرَّمْلِ .

وَقَبَالَةٌ كُلُّ شَيْءٍ: مَا كَانَ مُسْتَقْبَلَهُ ، وَمِنَ الْجِرَانِ: مُقَابِلٌ وَمُدَابِرٌ .

وَشَاءٌ مُقَابَلَةٌ: إِذَا قُطِعَتْ مِنْ أُذُنِهَا قِطْعَةٌ وَتَرِكَتْ مُعَلَّقَةً مِنْ مُقَدِّمٍ ، وَإِنْ

كَانَتْ مِنْ خَلْفٍ فَهِيَ مُدَابِرَةٌ ، وَإِذَا ضَمَمْتَ شَيْئًا إِلَى شَيْءٍ قُلْتَ: قَابَلْتُهُ .

وَالْقَابِلَةُ: هِيَ اللَّيْلَةُ الْمُقْبِلَةُ ، وَكَذَلِكَ الْعَامُ الْقَابِلُ وَالْمُقْبِلُ .

وَالْقَابِلَةُ: الَّتِي تَقْبَلُ الْوَلَدَ .

وَالْقَبُولُ مِنَ الرِّيحِ: الصَّبَا ؛ لِأَنَّهَا تَسْتَقْبِلُ^(٢) الدُّبُورَ ، وَهِيَ تَسْتَقْبِلُ

الْقَبْلَةَ مِنَ الْمَشْرِقِ .

وَالْقَبُولُ: أَنْ تَقْبَلَ الْعَفْوَ وَغَيْرَ ذَلِكَ . وَهُوَ اسْمُ الْمَصْدَرِ ، وَأُمِيتَ الْفِعْلُ

مِنْهُ ، وَالْقَبُولُ الْاسْمُ ، تَقُولُ: أَفْعَلُ هَذَا مِنْ ذِي قَبْلِ ، أَي: مِنْ ذِي اسْتِقْبَالٍ .

وَالْقَبْلَةُ: مَعْرُوفَةٌ ، وَالْفِعْلُ التَّقْبِيلُ .

(١) سورة الأنعام ٦ : ١١ .

(٢) فِي بَعْضِ مَصَادِرِ اللُّغَةِ: تَسْتَدِيرُ ، وَانْظُرْ: الْإِفْصَاحُ فِي فِقْهِ اللُّغَةِ ٢ : ٩٣٦ .

وَالْقَبْلَةُ : قِبْلَةُ الصَّلَاةِ .

وَالْتَقَبَّلُ : تَقَبَّلَ الشَّيْءَ ، تقول : تَقَبَّلَ اللَّهُ مِنْكَ وَعَنْكَ عَمَلَكَ ، وتقول : تَقَبَّلْتُ فُلَانًا مِنْ فُلَانٍ بَقْبُولٍ حَسَنٍ .

وَرَجُلٌ مُقَابِلٌ : فِي كَرَمٍ وَفِي شَرَفٍ مِنْ قِبَلِ أَعْمَامِهِ وَأَخْوَالِهِ .

وَرَجُلٌ مُقْتَبِلٌ ^(١) السَّبَابِ : لَمْ يُرَ فِيهِ أَثَرٌ مِنَ الْكِبَرِ .

وَالْقَبِيلُ وَالِدَيْبِيزُ : فِي الْحَبْلِ ، فَالْقَبِيلُ : الْفَتْلُ الْأَوَّلُ الَّذِي عَلَيْهِ الْعَامَّةُ ، وَالِدَيْبِيزُ : الْفَتْلُ الْآخَرُ .

وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ : الْقَبِيلُ فِي قُوَى الْحَبْلِ كُلُّ قُوَّةٍ عَلَى قُوَّةٍ وَجْهَهَا الدَّاخِلُ قَبِيلٌ ، وَالْوَجْهَ الْخَارِجُ دَيْبِيزٌ .

وَقَدْ قُرِئَ : «قَبْلًا» و«قَبْلًا» ؛ فَمَنْ قَرَأَ : «قَبْلًا» ، أَرَادَ جَمْعَ قَبِيلٍ ، وَمَنْ قَرَأَ : «قَبْلًا» ، أَرَادَ مُقَابَلَةً ^(٢) .

وَالْقَبِيلُ وَالْكَفِيلُ وَاحِدٌ ، وَقَبِيلُ الْقَوْمِ عَرِيفُهُمْ .
وَأَصْلُ الْبَابِ : الْمُقَابَلَةُ خِلَافَ الْمُدَابَرَةِ ^(٣) .

(١) فِي الْأَصُولِ : مُقْتَبِلٌ . وَالمثبت من المصادر .

(٢) اختلف القراء في ضبط «قَبْلًا» فجمعُ قَرَأَهَا : بِضَمِّ الْقَافِ وَالْبَاءِ ، وَآخَرُونَ : بِكَسْرِ الْقَافِ وَفَتْحِ الْبَاءِ ، وَثالثٌ : بِفَتْحِ الْقَافِ وَالْبَاءِ . وَلِكُلِّ مَعْنَى مُرَادٍ . لِلتَّوَسُّعَةِ انْظُرْ : مَعَانِي الْقُرْآنَ لِلزَّيْنِ ١ : ٣٥١ ، مَجَازُ الْقُرْآنِ ١ : ٤٠٧ و ٢٠٤ ، مَعَانِي الْقُرْآنَ وَإِعْرَابُهُ ٢ : ٢٨٣ ، مَعَانِي الْقُرْآنَ الْكَرِيمِ لِلنَّحَّاسِ ٢ : ٤٧٥ ت ١٣١ ، الْحِجَّةُ لِلْقُرَّاءِ السَّبْعَةِ ٣ : ٣٨٣ ، تَفْسِيرُ الْمَشْكَلِ : ١٦٤ ت ١١١ وَغَيْرُهَا .

(٣) فِي الضُّبْطِ اللَّغَوِيِّ وَبَعْضِ الْمَعَانِي اخْتِلَافٌ قَدْ لَا يَضُرُّ ، لِلتَّوَسُّعَةِ يُنْظَرُ : مَادَّةُ (قَبَّلَ) فِي : الْعَيْنِ ٥ : ١٦٦ ، جَمْهَرَةُ اللَّغَةِ ١ : ٣٧٢ ، تَهْذِيبُ اللَّغَةِ ٩ : ١٦٢ ، الْمَحِيطُ فِي اللَّغَةِ ٥ : ٤٢٩ ، الْمَحْكَمُ وَالْمَحِيطُ الْأَعْظَمُ ٦ : ٤٢٥ ، الْمَخْصَصُ ٢ :

وَأَمَّا الشَّفَاعَةُ: فهي مأخوذة من الشَّفَع الذي هو خِلافُ الْوِثْرِ، فكأنه سؤال من الشَّفِيع، شَفَعَ سؤال المشفوع له.

والشَّفَاعَةُ الْوَسِيلَةُ وَالْقُرْبَةُ وَالْوَصْلَةُ نظائر.

ويقال: شَفَعَ شَفَاعَةً، وَشَفَعَ تَشَفُّعًا، وَاسْتَشَفَعَ اسْتِشْفَاعًا، وَشَفَعَهُ تَشْفِيعًا.

وَالشَّفَعُ مِنَ الْعَدَدِ مَا كَانَ أَزْوَاجًا تقول: كَانَ وَثْرًا فَشَفَعْتُهُ بآخرِ حَتَّى صَارَ شَفْعًا، ومنه قوله: ﴿وَالشَّفَعِ وَالْوِثْرِ﴾^(١) قالوا: الشَّفَعُ: يَوْمُ النُّحْرِ، وَالْوِثْرُ: يَوْمُ عَرَفَةَ.

وقال بعض المفسرين: الشَّفَعُ: (الحصا)^(٢) يعني كثرة الخلق، والوتر: الله.

وَالشَّافِعُ: الطَّالِبُ لغيره، والاسم الشَّفَاعَةُ، والطَّالِبُ: الشَّفِيعُ وَالشَّافِعُ. وَالشَّفْعَةُ فِي الدَّارِ مَعْرُوفَةٌ.

وتقول: فَلَا تَشْفُعْ لِي بِالْعَدَاوَةِ، أَي: يُعِينُ عَلَيَّ وَيُعَادِينِي. وتقول:

﴿١٨٦﴾ ٤: ٤٨٤ وانظر المادة في الفهرس، الصحاح ٥: ١٧٩٥، مجمل اللغة ٢: ٧٤١، لسان العرب ١١: ٥٣٦؛ وانظر: الأفعال لابن القطّاع ٣: ٥، الأفعال لابن القوطية: ٥٣ و٥٨، التكملة للصاغاني ٦: ٢٣٩.

(١) سورة الفجر ٨٩: ٣.

(٢) في «ل، هـ، و، حجري»: الحفاء. والمثبت من «س، خ» والعين واستشهد له ببيت للعجاج. وبهذه الصراحة لم نجده في غيره من كتب اللغة والتفسير التي أنهت المعنى إلى عشرين إلّا بعناية كالكناية عن الكثرة والتعدد. إضافة لمصادر اللغة وكتبها في الهامش اللاحق، انظر: النوادر لأبي زيد: ١٩٦، تهذيب اللغة ٥: ١٦٣، المخصص ٢: ١٧٢، عن تهذيب الألفاظ: ٣٤ و٧٥٣ منه، اصلاح المنطق: ٤١٤ - ٤١٥. وأمّا التفسير فللمثال: تفسير جامع البيان ٣٠: ١٠٩، وتفسير زاد المسير ٩: ١٠٤ وغيرهما.

شَفَعْتُ الرَّجُلَ : إِذَا صِرْتَ ثَانِيَهُ . وَشَفَعْتُ لَهُ إِذَا كُنْتَ لَهُ شَافِعًا . وَإِنَّمَا سُمِّيَتْ شَفْعَةُ الدَّارِ ؛ لِأَنَّ صَاحِبَهَا يَشْفَعُ مَا لَهُ بِهَا ، وَيَضُمُّهَا إِلَى مُلْكِهِ . وَأَصْلُ الْبَابِ الزَّوْجُ مِنَ الْعَدَدِ ^(١) .

وقوله : ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفْعَةٌ﴾ :

مخصوص عندنا بالكفَّار ؛ لِأَنَّ حَقِيقَةَ الشَّفَاعَةِ عندنا أَنْ تَكُونَ فِي إِسْقَاطِ الْمَضَارِّ دُونَ زِيَادَةِ الْمَنَافِعِ .

وَالْمُؤْمِنُونَ عندنا يَشْفَعُ لَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ فَيُشَفِّعُهُ اللَّهُ تَعَالَى ، وَيُسْقِطُ بِهَا الْعِقَابَ عَنِ الْمُسْتَحَقِّينَ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ ؛ لِمَا رَوَى مِنْ قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : «ادْخَرْتُ شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكِبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي» ^(٢) .

وَإِنَّمَا قُلْنَا : لَا تَكُونَ فِي زِيَادَةِ الْمَنَافِعِ ؛ لِأَنَّهَا لَوْ اسْتَعْمَلَتْ فِي ذَلِكَ لَكَانَ أَحَدُنَا شَافِعًا فِي النَّبِيِّ ﷺ إِذَا سَأَلَ اللَّهُ أَنْ يَزِيدَهُ فِي كَرَامَاتِهِ ، وَذَلِكَ خِلَافُ الْإِجْمَاعِ فَعُلِمَ بِذَلِكَ أَنَّ الشَّفَاعَةَ مَخْتَصَّةٌ بِمَا قُلْنَا .

وَعُلِمَ بِثُبُوتِ الشَّفَاعَةِ أَنَّ النَّفْيَ فِي الْآيَةِ يَخْتَصُّ بِالْكَفَّارِ دُونَ أَهْلِ الْقُبْلَةِ . وَالْآيَاتُ الْبَاقِيَةُ تَتَكَلَّمُ عَلَيْهَا إِذَا انْتَهَيْنَا إِلَيْهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

(١) تَلَاظُمُ مَادَّةِ «شَفَعَ» فِي : الْعَيْنِ ١ : ٢٦٠ ، جُمُحَةُ اللَّغَةِ ٢ : ٨٦٩ ، تَهْذِيبُ اللَّغَةِ ١ : ٤٣٦ ، الْمَحِيطُ فِي اللَّغَةِ ١ : ٢٩٢ ، الْمَحْكَمُ وَالْمَحِيطُ الْأَعْظَمُ ١ : ٣٧٨ ، الصَّحَاحُ ٣ : ١٢٣٨ ، لِسَانُ الْعَرَبِ ٨ : ١٨٣ ، الْكَلِّيَّاتُ : ٥٣٦ ، تَاجُ الْعُرُوسِ ١١ : ٢٤٦ .
(٢) تَجَدُّهُ فِي : النَّكَتِ فِي مَقَدِّمَاتِ الْأُصُولِ لِلشَّيْخِ الْمَفِيدِ : ٥٤ ، التَّوْحِيدُ لِلصَّدُوقِ : ٤٠٧ ت ٦ ، الذَّخِيرَةُ لِلسَّيِّدِ الْمُرْتَضَى : ٥٠٧ ، سَنَنِ ابْنِ مَاجَةَ ٢ : ١٤٤١ ت ٤٣١٠ ، الْمُسْتَدْرَكُ لِلْحَاكِمِ ٢ : ٣٨٢ ، الْمَعْجَمُ الْأَوْسَطُ لِلطَّبْرَانِيِّ ٦ : ١٧٤ ت ٥٩٤٢ ، تَارِيخُ مَدِينَةِ دِمَشْقَ ١٣/٤٦٣ ت ١٤٧٦ ، مَجْمَعُ الزَّوَائِدِ ١٠ : ٣٧٨ ، وَغَيْرُهَا .

والشَّفَاعَةُ^(١) ثَبَّتْ عندنا للنبي ﷺ وكثير من أصحابه ولجميع الأئمة

(١) هي من مفردات القاموس المعرفي العقائدي الإسلامي ، وعلى أَنَّ جذورها العرفية في واقع مختلف المجتمعات - قديماً وحديثاً - عملياً واضحة بيّنة ثابتة ، ولكنَّ الجديد فيها النظرة الإسلامية وكيفية الطرح لها ومن ثَمَّ ما رافقها من آراء ناتجة عن اختلاف أنظار علماء ومتكلمي المذاهب الإسلامية لها كُلٌّ وما تمليه عليه التزاماته المعرفية والمذهبية حتَّى أَنَّ بحثها اللُّغوي أضحى متأثراً بها ، وعلى كُلِّ فالكلام في الشَّفَاعَة يدور حول ثلاثة أمور :

١ - الشَّافِع : لا خلاف بين المسلمين أَنَّ الشافع يوم القيامة يكون النبيُّ الأكرم والأئمة المهديون من آلِه صلوات الله عليهم وصالحُ المؤمنون . وعليه نصوص كثيرة .
٢ - المشفوع له : يذهب المعتزلة إلى أَنَّها مختصة بالمؤمنين ومن استحقَّ الثواب ، فيُشفع له للزيادة والرفعة .

وأما الشيعة الإثني عشرية والأشاعرة فذهبون إلى أَنَّها إسقاط العقاب عن مستحقِّه بعدم دخولهم النار أو عدم خلودهم .

هذا كُلُّه بعد اتفاق كلمتهم جميعاً أَنَّها ليست للكفَّار ومن لم يؤمن . بل هي في حقِّ المؤمن صاحب الذَّنْب ولعلَّ خصوص الكبيرة منه .

٣ - السبب والعلَّة : فقد علم ممَّا تقدَّم .
ولعلَّه لدى التَّتبُّع للمسألة تجدها تنشعب عن المعنى اللُّغوي لها الذي يدور حول زيادة منفعة أو إسقاط عقاب .

هذا وقد أولاها متكلمو علماء المسلمين عامَّة اهتمامهم في بحوثهم العقائدية وأثبتوها بما لا يقبل الجدل ، فقد فصلَّ الكلام فيها بعض وأجمل آخر ، وأفردها بالتأليف والبحث آخرون ، وهكذا كُلُّ حسب ظرفه ، ومن الفريقين . وبما أَنَّ الكلام حولها يطول ويخرج عن حدود الهامش فالإحالة على المصادر أولى وللفرقيين .

فأمَّا من الشيعة الإمامية الإثني عشرية فممنَّ فصلَّ الكلام فيها : الشيخ السبحاني في موسوعته التفسيرية الكلامية مفاهيم القرآن ٤ : ١٥٧ - ٣١٣ ، والعلامة الطباطبائي في تفسيره الميزان ١ : ١٥٤ وكذا الشيخ المكارم الشيرازي في تفسير الأمل ١ : ١٦١ ، والحيدري في كتابه الشَّفَاعَة بحوث في حقيقتها وأقسامها ومعطيتها ، وغيرهم من المعاصرين كثير .

المعصومين ، وكثير من المؤمنين الصالحين .

وقيل : إن نفي الشفاعة في هذه الآية يختص باليهود من بني إسرائيل ؛ لأنهم ادّعوا أنهم أبناء الله وأحباؤه وأولاد أنبيائه ، وأن آباءهم يشفعون لهم . فأيسهم الله من ذلك ، فأخرج الكلام مخرج العموم والمراد به الخصوص . ولا بد من تخصيص الآية لكل أحد^(١) ؛ لأن المعتزلة والقائلين بالوعيد

وأما من القدماء فتجدها في المصادر التالية للمثال لا الاستيعاب :

أوائل المقالات للشيخ المفيد : ٩١ ، الحدود والحقائق للشراف المرتضى : ١٦٣ ، والذخيرة : ٥٠٤ ، وشرح تجريد الاعتقاد للقوشجي : ٣٨٣ ، كشف المراد للعلامة الحلبي : ٣٣٠ ، وأنوار الملكوت في شرح الياقوت : ١٧٥ ، اللوامع الإلهية : ٤٠٤ وإرشاد الطالبين للمقداد السيوري : ٤٢٧ .
وأما من كتب العامة فللمثال أيضاً :

الإبانة للأشعري : ٢٤١ ، التوحيد للماتريدي : ٣٦٦ ، الإنصاف للباقلاني : ٢٣١ ، شرح الأصول الخمسة للقاضي : ٦٨٧ ، أصول الدين للبزدوي : ١٦٢ و ٢٤٤ ، الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد للسيهقي : ١٢٥ ، الأربعين في أصول الدين للغزالي : ٤١٩ ، البداية في أصول الدين للصابوني : ٨٣ ، الأربعين : ٢ : ٢٤٥ والشفاعة العظمى في يوم القيامة والبراهين : ١٨٥ وهي للفخر الرازي ، لباب العقول للمكلائي : ٣٧٥ ، شرح المقاصد للتفتازاني : ٢ : ٢٣٩ ، شرح المواقف للجرجاني : ٥٨٨ ، الكليات لأبي البقاء : ٥٣٦ ، كشف اصطلاحات الفنون : ١ : ١٠٣٤ ، وغيرها الكثير ومن الفريقين .

وللتوسعة أكثر انظر : موسوعة المواضيع في المصادر الإسلامية : ١ : ٢٧٥ ، شرح المصطلحات الكلامية : ١٧٧ ، معجم العناوين الكلامية والفلسفية : ٧٩ ، موسوعة مصطلحات علم الكلام الإسلامي : ١ : ٦٦٦ .

ولعل من المفيد مراجعة مصادر اللغة المشار إليها فيما سبق صفحة : ٢١٠ هامش ١ . ولمزيد الاطلاع أيضاً راجع ما أورده حجة البحث والعلم الشيخ الأمين^{رحمته} في موسوعته الغدير في الكتاب والسنة والأدب بواسطة الفهرس الموضوعي : على ضفاف الغدير : ١٢٣ .

(١) اللام هنا بمعنى «عن» ، أي : لا بد من تخصيص عموم النفي الوارد في الآية لله

يُثَبِّتُونَ شَفَاعَةَ مَقْبُولَةٍ، وَإِنْ قَالُوا أَنَّهُ فِي زِيَادَةِ الْمَنَافِعِ ^(١).

وَأَصْلُ الشَّفَاعَةِ أَنْ يَشْفَعَ الْوَاحِدُ لِلوَاحِدِ فَيَصِيرُ شَفْعًا، وَمِنْهُ الشَّفِيعُ؛ لِأَنَّهُ يَصِلُ جَنَاحُ الطَّالِبِ وَيَصِيرُ ثَانِيًا لَهُ.

وَالَّذِي يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الشَّفَاعَةَ فِي إِسْقَاطِ الضَّرَرِ قَوْلُ شَاعِرِ غُطْفَانَ أَنَشِدَهُ الْمُبَرِّدُ:

وَقَالُوا: تَعْلَمُ أَنَّ مَالَكَ إِنْ يُصَبَّ نَفِذُكَ، وَإِنْ تُحْبَسَ نَزْرُكَ وَتَشْفَعِ ^(٢) [٢٢٠]

وَاسْتَعْمَلْتَ فِي زِيَادَةِ الْمَنَافِعِ أَيْضًا وَإِنْ كَانَ مَجَازًا - لَمَّا مَضَى ^(٣) - قَالَ الْحَطِيطَةُ ^(٤) فِي طَلَبِ الْخَيْرِ:

وَذَاكَ أَمْرٌ إِنْ تَأْتِيهِ فِي صَنِيعَةٍ إِلَى مَالِهِ لَمْ تَأْتِهِ بِشَفِيعِ ^(٥) [٢٢١]

جاءت الشريفة فتكون الشفاعة غير ثابتة لكل أحد، وإنما هي مخصوصة بأفراد ولأفراد، وإلا لم يتجه التعليل الوارد في باقي كلامه رحمته. وانظر الهامش السابق. (١) انظر الهامش الأسبق.

(٢) هذا من جملة ثلاثة أنشدها المبرّد في الكامل ١ : ٧٧ ونسبها إلى رجل من بني عبد الله بن غطفان، وقبله أبو تمام في الوحشيات (الحماسة الصغرى) : ٢٤٩ ت ٤١٣ ونسبها إلى ابن دارة. والظاهر أنه سالم المتقدّم في الشاهد ٩. وقد اختلف في ضبط البيت بين النسخ والمصادر وضبط على المصادر.

أراد الشاعر: إن من جاورهم مدافعون عنه مهما بلغ الحال. وإنه إن حبس أو أُسر أو أُصيب ماله فإنهم يشفعون له ويدفعون عنه ويطلقونه. الشاهد: استعمال «نشفع» في دفع الضرر وهو ما أشار إليه الشيخ المصنّف.

(٣) انظر صفحة: ٢١٠ قوله: وإنا قلنا لا تكون...

(٤) الحطيطه، جروّل بن أوس بن مالك، أبو مليكة، لقب بلحطيطه؛ لقصر قامته، شاعر مخضرم هجاء عنيف لم يسلم منه أحد حتّى والديه وشخصه أيضاً، اختلف في وقت إسلامه في حياة النبي أو بعد وفاته رحمته، قيل ارتد ثم أُسر وعاد إلى الإسلام. قيل: مات عام ٤٥ هـ، أو ٥٩ هـ.

انظر معجم الشعراء المخضرمين والأمويين : ١٠٩، ومقدمة الديوان.

(٥) آخر بيت من قصيدة يمدح بها طريف الحنفي لكرمه وحسن ضيافته ونواله إيّاه.

وقد استعملت الشفاعة بمعنى المعاونة ، أنشد بعضهم للنايعة :

أتاك امرؤٌ مُستَعِلٌ لي بِغَضَةٍ له مِن عَدُوٍّ مِثْلَ ذَلِكَ شَافِعٌ ^(١) [٢٢٢]
أي : مُعِينٌ ، وقال الأحوص ^(٢) :

كأنَّ مَنْ لَامَنِي لِأُضْرِمَهَا كَانُوا عَلَيْنَا يَلْزُمُهُمْ شَفَعُوا ^(٣) [٢٢٣]

المعنى : إنَّ طَريقَ رجلٍ الخير والكرم لا يحتاج نيل نواله وخيره إلى وساطة أحد ، فَإِنَّهُ يَصِلُ كُلُّ مَنْ أَتَاهُ وَزَارَهُ .

الشاهد : استعمال (شفيع) في إصابة الخير والمنفعة ، بقرينة صنعة .

الديوان : ١٨٣ - ١٨٤ .

(١) البيت ١٨ من القصيدة ٢ من ديوان النايعة الذبياني ٢٩ - ٣٥ والتي اعتذر فيها للنعمان بن المنذر ومدحه بها ، ويهجو مرة بن ربيع .

هذا وضبط البيت في نسختنا المعتمدة ، مطابق لرواية ابن السكيت المشار إليها آخر الديوان : ٢٣٦ ، ت ١٨ ، والمعاني الكبير ٢ : ٨٥٢ و ١١٤٢ ، خزانة الأدب للبغدادى ٢ : ٤٦٤ ضمن الشاهد : ١٥٥ .

المعنى : الشاعر يخاطب النعمان قائلاً : إنَّ الذي سعى بي إليك وأخبرك عني شخص قد أعلن لي بغضه ، على أنَّ له شافعٌ ومعينٌ في إيصال أخبار السوء عني إليك .

الشاهد : واضح وهو ما أشار إليه الشيخ رحمه الله .

(٢) عبدالله بن محمد بن عبدالله بن عاصم الأنصاري ، اشتهر بلقبه - الأحوص - لضيق في مؤخرة عينيه ، عُذَّ من شعراء الدولة الأموية ، حسن الديباجة ، قدَّمه حمَّاد الراوية في النسيب والغزل على شعراء عصره ، كان من طبقة جميل ونصيب ، أقيم عليه الحدُّ لتشبيهه بالنساء حتَّى الفحش . مات سنة ١٠٥هـ .

انظر : طبقات فحول الشعراء ٢ : ٦٤٨ و ٦٥٥ وما بعدها ، الشعر والشعراء ١ :

٥١٨ ت ٩٢ ، الأغاني ٤ : ٢٢٤ ، تأريخ الإسلام ٧ : ٢٥ ت ٥ حوادث ١٠١ - ١٢٠هـ .

(٣) البيت التاسع من القصيدة : ٩٤ يمدح ويتغزل فيها بمحبوبته لُبْنَى ، ذكرت في

الديوان : ١٧٤ ، وانظر منتهى الطلب ٧ : ٢٧ ق ٣٥٨ ، فصلية المورد العراقية م ٤ عدد

٤ سنة ٧٥ : ٨٨ . وقد استشهد بالبيت جمع من أرباب اللُّغة منهم صاحب العين ١ :

٢٦١ وتهذيب اللُّغة ١ : ٤٣٧ والمُختَصَّص ١٣ : ١٣٢ وأساس البلاغة ١ : ٤٩٧ على

أي : تعاونوا .

قوله : ﴿لَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ :

والْعَدْلُ والْحَقُّ والإنصافُ نَظَائِرُ . والعَدْلُ نقيضُ : الجور .

يقال : عَدَلَ عَدْلًا ، واعتَدَلَ اعتِدالًا ، وتَعَادَلَ تَعَادُلًا وتَعَدَّلَ تَعَدُّلًا ، وعَادَلَهُ مُعَادَلَةً ، وَعَدَلَهُ تَعْدِيلًا .

والْعَدْلُ : الْمَرْضِيُّ مِنَ النَّاسِ ، يَقَعُ عَلَى الْوَاحِدِ وَالْجَمَاعَةِ وَالذَّكْرِ وَالْأُنْثَى ، فَإِذَا قُلْتَ : هُمْ عَدْلٌ ، قُلْتَ : هُمَا عَدْلَانِ .

والْعَدْلُ : الْحُكْمُ بِالْحَقِّ ، يَقَالُ : هُوَ حَكَمَ عَدْلٌ ذُو مَعْدَلَةٍ فِي حُكْمِهِ .

وعَدَلَ الشَّيْءَ : نَظِيرُهُ وَمِثْلُهُ ، تَقُولُ : عَدَلْتُ بِفُلَانٍ فُلَانًا فَأَنَا أُعْدِلُهُ .

وَالْعَادِلُ : الْمُشْرِكُ الَّذِي يَغْدِلُ بَرَبَّهُ .

وَالْعَدْلُ : أَنْ تَغْدِلَ الشَّيْءَ عَنْ وَجْهِهِ فَتُمِيلُهُ ، تَقُولُ : عَدَلْتُهُ عَنْ كَذَا ، وَعَدَلْتُ أَنَا عَنْ الطَّرِيقِ .

وَالْعَدِيلُ : الَّذِي يُعَادِلُكَ فِي الْمَحْمِلِ أَوْ نَحْوَهُ مَا كَانَ .

وَسَمِعْتَ الْعَرَبُ تَقُولُ : اللَّهُمَّ لَا عَدْلَ لَكَ . أَيِ : لَا مِثْلَ لَكَ .

وَفِي الْكَفَّارَةِ ﴿عَدْلٌ ذَلِكَ﴾ ^(١) أَيِ : مِثْلُهُ فِي الْمُعَدَّلِ لَا بِالنَّظِيرِ بَعِينِهِ .

وَالْعَدْلُ : الْفِدَاءُ ؛ لِقَوْلِهِ : ﴿لَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ ^(٢) .

﴿لَمَّا اسْتَشْهَدَ بِهِ الْمُصَنِّفُ مِنْ اسْتِعْمَالِ «شَفَعُوا» وَإِرَادَةِ الْإِعَانَةِ مِنْهُ .

الْمَعْنَى : الصَّرْمُ : الْقَطِيعَةُ وَالْهَجْرُ .

هَذَا وَلِلشَّطْرِ الثَّانِي رَوَايَةٌ ثَانِيَةٌ لَا ضَرِيرَ فِيهَا عَلَى الشَّاهِدِ .

(١) سورة المائدة ٥ : ٩٥ .

(٢) سورة البقرة ٢ : ١٣٢ .

وقيل أيضاً: إِنَّ الْعَدْلَ: الْقَرِيبَةُ، وَالصَّرْفُ: النَّافِلَةُ.

وقوله: ﴿يَرْبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾^(١) أي: يُشْرِكُونَ.

وتقول لما يؤكّل: مُعْتَدِلٌ إذا لم يكن فيه صَرَرٌ من حرٍّ أو بردٍ.

وتقول: عَدَلْتُهُ، أي: أقمته حتى اعتدل واستقام.

وعَدَلْتُ فلاناً عن طريقه، أو الدَّابَّةَ عن طريقها إذا عَطَفْتَهَا فَاثْعَدَلْتُ.

والْعَدْلُ: الطريق، ويقولون: الطريق يُعْدَلُ إلى مكانٍ كذا وكذا، فإذا

أرادوا الاعوجاج نفسه قالوا: يَنْعَدِلُ في مكان كذا وكذا، أي: يَنْعَوِجُ.

والاغْتِدَالُ: الاستِواء، وفلان عَدْلٌ حَسَنُ الْعَدَالَةِ.

وأصل الباب الْعَدْلُ: الذي هو الاستقامة^(٢).

والْعَدْلُ المذكور في الآية: الفِدية، روي ذلك عن النبي ﷺ، وهو

قول ابن عباس وأبي العالية. وقال قوم: هو بَدَل^(٣).

والفرق بين الْعَدْلُ وَالْعَدْلُ: إِنَّ الْعَدْلَ - بالكسر - المثل، تقول: عندي

عَدْلٌ جاريتك، أي: جاريةٌ مثلها؛ فإذا قلت: عندي عَدْلٌ جاريتك، يجوز

(١) سورة الأنعام ٦: ١ و ١٥٠.

(٢) لمتابعة اللُّغة وتفصيلاتها ينظر «عَدَلٌ» من: العين ٢: ٣٨، جمهرة اللُّغة ٢: ٦٦٣، تهذيب اللُّغة ٢: ٢٠٨، المحيط في اللُّغة ١: ٤٢٢، المحكم والمحيط الأعظم ٢: ١١، الصحاح ٥: ١٧٦٠، لسان العرب ١١: ٤٣٠. وانظر: ديوان الأدب: الفهرس منه، وكذا المخصّص ٥: ٣٤٨، و«عَدْلٌ» في الفهرس ٨: ٧٩، وفي بعض النقول والضبط اختلاف.

(٣) معاني الأخبار: ٢٦٥ ح ٢، تفسير ابن عباس: ٨، تفسير جامع البيان ١: ٢١٢، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازي ١: ١٠٥ ت ٥٠١، تفسير النكت والعيون ١: ١١٧، تفسير المحرّر الوجيز ١: ٢٠٩، تفسير الحسن البصري (جمع) ١: ٩٤ ت ١٠٠. وانظر غريب القرآن: لابن قتيبة: ٤٨ ت ٤٨ ولابن الملقن: ٥٣ ت ٤٩، تفسير الجامع لأحكام القرآن ١: ٣٨٠. وغيرها.

أَنْ يَكُونَ قِيمَتَهَا مِنَ الثَّمَنِ^(١) .

ومن قرأ بالتاء^(٢) فلأنَّ الشَّفاعة مؤنثة ، ومن ذَكَر قال : لأنَّ التانيث ليس بحقيقي ، ولأنَّ الفعل تقدّم على المؤنث فأشبهه علامة التثنية والجمع إذا تقدّم الفعل سقط ، كذلك هاهنا ، ومثله قوله : ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾^(٣) . وكقول الشاعر :

[١٤٣] فَلَامُزْنَةٌ وَدَقَّتْ وَذَقَّهَا وَلَا أَرْضَ أَنْقَلَ إِنْقَالَهَا

والتاء أجود ؛ لأنه أصل ، والياء حَسَن^(٤) .

قوله : ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ :

وَالنَّصْرُ وَالْمَعُونَةُ وَالتَّقْوِيَةُ نَظَائِرٌ ، وَضِدُّ النَّصْرِ : الْخُذْلَانُ .

يقال : نَصَرْتُهُ نَصْرًا ، وَانْتَصَرَ انْتِصَارًا ، وَاسْتَنْصَرَ اسْتِنْصَارًا ، وَتَنَاصَرَ تَنَاصُرًا . قال صاحب العين : النَّصْرُ : عَوْنُ الْمَظْلُومِ .

وفي الحديث : (أَنْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا)^(٥) . معناه : إِنْ كَانَ

(١) في ضبط الحركات والمعنى في «عَدْلٌ وعَدْلٌ» اختلاف ، انظر مصادر اللُّغة في الهامش الأسبق إضافة للغريبين للهروي ٤ : ١٢٣٧ والفائق للزمخشري ٣ : ٣٩٩ «عَدَلٌ» فيهما .

(٢) أي : عود إلى بداية الآية في قوله : قرأ ، لا تقبل .

(٣) سورة النساء ٤ : ١٦٥ . والشاهد في قراءة يكون : تكون .

(٤) القراءة وَمَنْ قرأ بها تجد الإشارة إليهما في : السبعة في القراءات : ١٥٥ ت ١٩ ، حجة القراءات : ٩٥ ، معاني القراءات : ٤٩ ، الحجة في القراءات السبع : ٧٦ ، وفي الحجة للقراء السبعة ٢ : ٥١ بتفصيل .

(٥) الحديث النبوي الشريف تجده في : صحيح البخاري ٣ : ١٦٨ ، سنن الترمذي ٤ : ٥٢٣ ت ٢٢٥٥ ، السنن الكبرى للبيهقي ٦ : ٩٤ و ١٠ : ٩٠ ، مسند أحمد ٣ : ٥٣٢ ت ١١٥٣٨ ، مسند أبي يعلى ٦ : ٤٤٩ ت ٣٨٣٨ .

مَظْلُومًا فَامْتَنَعَ مِنْهُ الظُّلْمَ، وَإِنْ كَانَ ظَالِمًا فَامْتَنَعَهُ مِنَ الظُّلْمِ وَانْتَهَى.

وَالْأَنْصَارُ جَمْعُ النَّاصِرِ، وَأَنْصَارُ النَّبِيِّ ﷺ: أَغْوَانُهُ.

وَانْتَصَرَ قُلَانٌ: إِذَا انْتَقَمَ مِنْ ظَالِمِهِ، وَالنَّصِيرُ: النَّاصِرُ.

وَالنَّصْرُ: الدُّخُولُ فِي النَّصْرَانِيَّةِ.

وَالنَّصَارَى مَنْسُوبُونَ إِلَى نَاصِرَةٍ، وَهِيَ: مَوْضِعٌ ^(١).

وَنَصَرَتِ السَّمَاءُ: إِذَا أَمْطَرَتْ، قَالَ الشَّاعِرُ:

إِذَا خَرَجَ الشَّهْرُ الْحَرَامُ فَوَدَّعِي بِلَادَ تَمِيمٍ وَأَنْصُرِي أَرْضَ عَامِرٍ ^(٢) [٢٢٤]

وَنَصَرْتُ الرَّجُلَ: إِذَا أُعْطِيَتْهُ، وَأَنْشَدَ:

أَبُوكَ الَّذِي أَجْدَى عَلَيَّ بَنْصَرِهِ فَأَسْكَتَ عَنِّي بَعْدَهُ كُلُّ قَائِلٍ ^(٣) [٢٢٥]

(١) قرية بينها وطبرية ثلاثة عشر ميلاً. ويذهب إلى النسبة إليها جمع من البلدانيتين

والمفسرين. وإن اختلفوا في السبب بين ولادة السيد المسيح فيها ونزولهم بها.

انظر: معجم البلدان ٥: ٢٩١ ت ١١٨٤١، مراصد الأطلاع ٣: ١٣٤٨، الروض

المعطار: ٥٧١ و١٢٣؛ إضافة إلى مصادر اللغة الآتية لمادة «نصر» في الهامش ١

الآتي.

(٢) قائله الراعي التميمي عبيد بن الحصين من شعراء العصر الأموي.

المعنى: واضح.

الشاهد: استعمال «انصري» وإرادة أمطري، وقد استشهد بالبيت هذا جمع من

أهل اللغة على محلّ الشاهد للشيخ المصنف رحمه الله.

انظر: الديوان ١٣٣ ب ٨ ق ٣٥ - على اختلاف في ضبط المصراع الأول لا أثر

له - ومصادر اللغة لمادة «نصر» الآتية.

(٣) البيت للراعي التميمي من قصيدة يمدح فيها يزيد بن معاوية بن أبي سفيان.

المعنى: إنّ أباك - معاوية - قد أعطاني مالاً جزيلاً بحيث أسكت جميع الأفواه

عن قذحي.

الشاهد: استعمال «نصر» بمعنى العطاء والبذل.

انظر: الديوان: ٢٠٥ ق ٥٧ ب ٢١.

وأصلُ البابِ المَعُونَةُ^(١).

والنُّصْرَةُ قد تكون بالحِجَّةِ وقد تكون بالغلبة، فالله عزَّ وجلَّ ينصر المؤمنين بالحِجَّةِ التي تؤيِّدهم، وأما النُّصْرُ بالغلبة فيحسب المصلحة. ولا يدلُّ وقوع الغلبة لبعض^(٢) المؤمنين على أنَّه مسخوط عليه، كما ليس في تخلية الله بين الكفَّار وأنبيائه دلالة على حال منكرة، وقد قتل الكفَّار كثيراً من الأنبياء، ونالوا منهم بضروب من الأذى، قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِنَايِئِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾^(٣). وقوله: ﴿ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لِيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ﴾^(٤) معناه: إمَّا بالغلبة، وإمَّا بأخذ الحقِّ له مِنَ الباغي عليه، فالنُّصْرَةُ مِنَ اللَّهِ للمُبْغِي عليه واقعة لا محالة. والخُذْلَانُ لا يكون إلَّا للظَّالِمِينَ؛ لأنَّ الله تعالى لا يخذلُ أوليائه وأهل طاعته.

وقوله: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾^(٥) أي: بالمعونة التي توجب الغلبة؛ لأنَّ الله تعالى يقدر على إعطائهم ما يَغْلِبُونَ به كلَّ من نازعهم، ويستعلون على كلِّ من ناوَاهُم. وحدَّ النُّصْرَةُ: المَعُونَةُ على كُلِّ مَنْ ظهرت منه عداوةٌ، وقد تكون

(١) مادة «نَصَرَ» تجدها في: العين ٧ : ١٠٨ ، جمهرة اللغة ٢ : ٧٤٤ ، تهذيب اللغة ١٢ : ١٥٩ ، المحيط في اللغة ٨ : ١٢٦ ، المحكم والمحيط الأعظم ٨ : ٢٩٩ ، الصحاح ٢ : ٨٢٩ ، لسان العرب ٥ : ٢١٠ ، تاج العروس ٧ : ٥٢٨ .

(٢) اللّام بمعنى على .

(٣) سورة البقرة ٢ : ٦١ .

(٤) سورة الحج ٢٢ : ٦٠ .

(٥) سورة آل عمران ٣ : ١٦٠ .

المَعُونَةُ بالطَّاعَةِ فلا تكون نُصْرَةً .

والفرق بين النُّصْرَةِ والتَّقْوِيَةِ : إِنَّ التَّقْوِيَةَ قد تكون على صناعة ،
والنُّصْرَةُ لا تكون إلَّا مع مُنازَعَةٍ .

فأما قولهم : لا قَبِلَ الله مِنْهُمْ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا .

فقال الحسن البصريّ : الصَّرْفُ : العمل ، والعَدْلُ : الفدية .

وقال الكلبيّ : الصَّرْفُ : الفِدْيَةُ ، والعَدْلُ : [رجلٌ مكانه .

وقال الأصمعيّ : الصرف التطوُّع ، والعَدْلُ : ^(١) الفريضة .

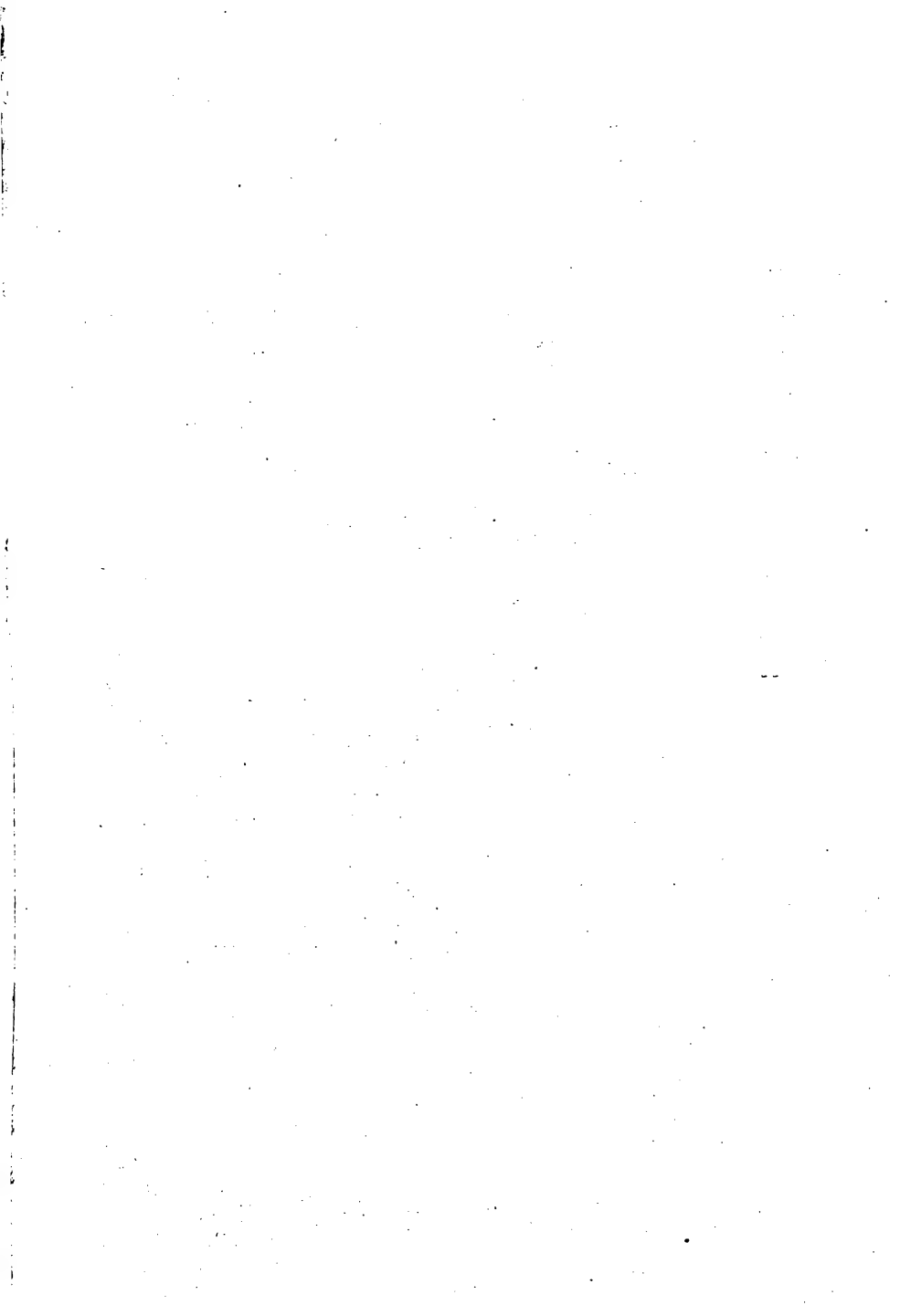
وقال أبو عبيدة : الصَّرْفُ : الحِيلَةُ ، والعَدْلُ : الفِدْيَةُ .

وقال أبو مسلم : الصَّرْفُ : التَّوْبَةُ ، والعَدْلُ : الفِدَاءُ ^(٢) .

(١) ما بين المعقوفين زيادة من نسخة «خ» . تساعد عليها بعض المصادر الآتية ،
خصوصاً : النكت والعيون ، جمهرة الأمثال . هذا وقد جاء في المخصص ٣ : ١٦٠
«عَدْلٌ» عن ابن كيسان قوله : (...) كانت العرب تقتل الرجلين والثلاثة بالرجل
الواحد ، فإذا قتلوا رجلاً برجلٍ فذلك العدل (...) ، وهو المراد بـ : رجلٌ مكانه .

(٢) الأقوال هذه منسوبة وغير منسوبة ، ولعلّها نسبت إلى غيرهم ، تجدها في
المصادر الآتية : الغريبين للهروي ٤ : ١٠٧٢ و ١٢٣٧ ، غريب القرآن لابن قتيبة : ٤٨
ت ٤٨ ، غريب الحديث للقاسم الهروي ٣ : ١٦٧ . والعين ٧ : ١١٠ ، المحيط في
اللغة ١ : ٤٢٣ ، المحكم والمحيط الأعظم ٨ : ٣٠٣ ، جمهرة الأمثال ٢ : ٤١٣ ت
٩٣٠ ، المخصص ٦ : ١١٧ ، «عَدْلٌ ، صَرْفٌ» . وهكذا في تفسير النكت والعيون ١ :
١١٧ ، مجاز القرآن ١ : ٥٣ ، تفسير الكشّاف ٤ : ٣٤٠ ، تفسير الكشف والبيان ٧ :
١٢٧ ، تفسير الحسن البصريّ (جمع) ١ : ٩٤ وغيرها .

وَاِذْ يَجْعَلُكَ مِنْ اٰلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكَ سُوءَ الْعَذَابِ
يُذِخُونَ اَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذٰلِكُمْ بَلَاءٌ
مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَاِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَاَاجْمَعْنَاكُمْ
وَاَغْرَقْنَا اٰلَ فِرْعَوْنَ وَاَنْتُمْ نَنْظُرُونَ ﴿٥٠﴾ وَاِذْ وَعَدْنَا مُوسٰى
اَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَاَنْتُمْ ظَالِمُونَ
﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾
وَاِذْ اَتَيْنَا مُوسٰى الْكِتٰبَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾
وَاِذْ قَالَ مُوسٰى لِقَوْمِهِ يَتَقَوْمِ اِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ اَنْفُسَكُمْ
بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوْا اِلَىٰ بَارِيكُمْ فَاَقْلُبُوْا اَنْفُسَكُمْ ذٰلِكُمْ
خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ اِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيْمُ
﴿٥٤﴾ وَاِذْ قُلْتُمْ يَمُوسٰى لَنْ نُّؤْمِنَ لَكَ حَتّٰى نَرٰى اِلٰهَ جَهْرَةً
فَاَخَذْنَاكُمْ الصَّيْعَةَ وَاَنْتُمْ نَنْظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاكَ مِنْ
بَعْدِ مَوْتِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ
الْغَمَامَ وَاَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّٰ وَالسَّلْوٰى كُلُوْا مِنْ طَيِّبٰتِ مَا
رَزَقْنٰكُمْ وَمَا ظَلَمُوْنَا وَلٰكِنْ كَانُوْا اَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾



قوله تعالى :

﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ آية (٤٩)
آية بلا خلاف .

هذه الآية عطف على ما تقدّم من قوله : ﴿أذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾^(١) ، ف﴿إِذْ﴾ هاهنا متعلّقة بذلك ، كأنّه قال : اذكروا نعمتي عليكم إذ نجّيناكم من آل فرعون ،

ونظيره : ﴿وَالِإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾^(٢) ، لمّا تقدّم ما يدلّ على ﴿أَرْسَلْنَا﴾ ، وهو قوله : ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ﴾^(٣) ، فكأنّه قال : وأرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحاً .

والخطاب وإن كان متوجّهاً إلى الحاضرين في الحال ، فالمراد به مَنْ سَلَفَ لَهُمْ مِنَ الْأَبَاءِ ، كما يقول القائل : هزمناكم يوم ذي قار ، وقتلناكم يوم الجفار^(٤) . وإنّما يعني الأسلاف ، قال الأخطل يهجو جريراً :

وَلَقَدْ سَمَّا لَكُمْ الْهَذَيْلَ فَتَالَكُمُ بِإِرَابٍ حَيْثُ يُقَسَّمُ الْأَنْفَالَا^(٥) [٢٢٦]

(١) سورة البقرة ٢ : ٤٧ .

(٢) سورة الأعراف ٧ : ٧٣ .

(٣) سورة الأعراف ٧ : ٥٩ .

(٤) من أيام حروب العرب بينها في الجاهليّة ، انظر أخبارها في : أيام العرب قبل الإسلام ٢ : ٥٢٧ ومصادره ، واحتمال التصحيف في «الجفار» من «الفجار» وارد على ما جاء في بعض النسخ العقد الفريد ٥ : ٤٤٨ .

(٥) البيت ٣١ من القصيدة ٨ في ديوان الأخطل : ٤٨ .

وَجَرِير لَمْ يَلْحَقْ هَذَا، وَلَا أَدْرِكُ إِرَابَ .

وقد بينّا أنّ النعمة على الآباء نعمة على الأولاد، فلا وجه لإعادته^(١).

ومعنى «نَجَّيْنَاكُمْ»: فالنَّجَاءُ، والسَّلَامَةُ، والاستنقاذ، والتَّخْلُصُ
نظائر، وضدَّ النَّجَاءِ: الهلاك .

تقول: نَجَا يَنْجُو نَجَاءً، وَأُنْجَاهُ اللهُ إِنْجَاءً، وَنَجَّاهُ تَنْجِيَةً، وَانْتَجَوْا
إِنْتِجَاءً، وَاسْتَنْجَى اسْتِنْجَاءً، وَتَنَاجَوْا تَنَاجِيًا .

قال صاحب العين: نَجَا يَنْجُو، نَجَاءً فِي السَّرْعَةِ، فَهُوَ نَاجٍ سَرِيعٌ،
وَنَاقَةٌ نَاجِيَةٌ: سَرِيعَةٌ .

وتقول: نَجَوْتُ فَلَانًا، أَي: اسْتَنْكَهْتُهُ، قال الشاعر:

نَجَوْتُ مُحَمَّدًا فَوَجَدْتُ مِنْهُ كَرِيحَ الْكَلْبِ مَاتَ حَدِيثَ عَهْدٍ^(٢) [٢٢٧]

المعنى: سما: ظهر وغلب وعلا. الهذيل: هو ابن هبيرة الأكبر التغلبي من
أجداد الأخطل. إراب: هذا هو الصحيح، والفتح - أراب - غلط على ما نصّ ياقوت
وأغلب كتب الأتيام، أنظر معجم البلدان ١: ١٣٣ والعقد الفريد ٥: ٢٤٠ وأتيام
العرب قبل الإسلام ٢: ٤٧٧ وعلى آية حال فهو من مياه العرب، وقيل: لبني رياح
ابن يربوع خاصة، وقعت عنده وقعة مهيبة حيث أغار الهذيل على بني رياح، فسبى
النساء وساق الأنعام ورجالهم خلوف غائبون عن الحيي .
الشاهد: واضح حيث افتخاره بفعل أجداده وكأته فعله. مع أنه لم يكن ولم
يشترك معهم .

(١) ضمن تفسير الآية ٤٠ و ٤٧ من سورة البقرة .

(٢) بيت من قصيدة للشاعر الحكم بن عبدل الأسدي يهجو بها محمد بن حسان
الكوفي صاحب الخراج لعبد الملك بن مروان على الكوفة .

فما ورد في النسخ «خ»، و، هـ، ل، ولعل في بعض المصادر أيضاً: عوض
محمد «مجالد» لا يمكن المساعدة عليه؛ لمحلّ المصادر الآتية .

وَنَجَّا بَنُو قُلَانٍ : إِذَا أَخَذْتُوا ذَنْبًا أَوْ غَيْرَهُ .

والاستنجاء : التَّنْظِيفُ بِمَدَرٍ أَوْ مَاءٍ .

وَالنَّجَاءُ : هِيَ النَّجْوَةُ مِنَ الْأَرْضِ ، وَهِيَ : الَّتِي لَا يَغْلُوهَا السَّيْلُ ، قَالَ

الشاعر :

فَمَنْ بِنَجْوَتِهِ كَمَنْ بِعَقَوْتِهِ وَالْمُسْتَكْنُ كَمَنْ يَمْشِي بِقِرْوَاكِ^(١) [٢٢٨]
وَالنَّجْوُ : السَّحَابُ أَوَّلُ مَا يَنْشَأُ ، وَجَمْعُهُ نَجَاءٌ .

المعنى : شممت محمداً بن حسان فوجدته تفوح منه رائحة كرائحة كلبٍ مات من قريب .

الشاهد : استعمال «نجوت» بمعنى : اسْتَنْكَهْتُهُ وشممت .

هذا ، وقد شاع البيت في مصادر الأدب واللغة لمحلّ الشاهد ، انظر : شرح مقصورة ابن دريد : ٤٣٣ ، الحيوان للجاحظ ١ : ٢٥١ ، وكتب اللغة المشار إليها في الهامش «٢» صفحة ٢٢٦ ، وانظر الديوان جمع الدليمي والمنشور في مجلة المورد البغدادية عدد ٤ مجلد ٥ عام ١٩٧٦ : ٩٩ .

(١) بيت شعر مختلف النسبة - ولعل القصيدة كذلك - بين شاعرين جاهليين ، هما : عبيد بن الأبرص وأوس بن حجر . في قصيدتين متقاربتين المعاني فيهما من بيت مشترك بينهما .

المعنى : النجوة : المرتفع من الأرض - وهي محلّ الشاهد - . ونقيضها المحفل : المنخفض المستقرّ للماء . المستكنّ : الساكن والمستقرّ في مكانه . القرواح : الأرض المستوية المنبسطة .

يقول : الكلّ بالنسبة للمطر سواء ؛ لشدّته وكثرته إذ لا ينجو من إصابته أحد أين كان .

انظر : ديوان عبيد بن الأبرص : ٥٢ ب ٨ ، ديوان أوس بن حجر : ق ٥ ب ٢١ : ١٣ ، وفيهما : «بمحفله» بدل «بعقوته» ولا ضير .

وقد استشهدت به أغلب كتب اللغة والأدب منسوباً وغير منسوب ، منها : العين ٦ : ١٨٦ ، تهذيب اللغة ١١ : ٢٠١ ، معجم مقاييس اللغة ٥ : ٣٩٨ ، الصحاح ١ : ٣٩٦ ، والأغاني ١١ : ٧١ ، الحيوان ٦ : ١٣٢ ، الشعر والشعراء ١ : ٢٠٧ ت ٣٣٧ ، طبقات الشعراء ١ : ٩٢ ت ١٠٧ ، أمالي القالي ١ : ١٧٧ ، مختارات ابن الشجري ٢ : ٤٨ ، محاضرات الراغب ٢ : ٥٥٨ .

وَالنَّجْوَى: مَا خَرَجَ مِنَ الْبَطْنِ مِنْ رِيحٍ وَغَيْرِهَا.

وَالنَّجْوَى: اسْتِطْلَاقُ الْبَطْنِ، يُقَالُ: نَجَا فُلَانٌ نَجْوَاً.

وَالنَّجْوَى: كَلَامٌ بَيْنَ اثْنَيْنِ كَالسَّرِّ وَالتَّسَارُّ. تَقُولُ: نَاجَيْتُهُمْ فَتَنَاجَوْا

بَيْنَهُمْ، وَكَذَلِكَ انْتَجَوْا. وَهُمْ جَمِيعاً نَجْوَى، وَكَلَامُهُمْ نَجْوَى، وَقُلَانٌ نَجِيٌّ

فُلَانٍ، أَيْ: يُنَاجِيهِ دُونَ غَيْرِهِ، قَالَ الشَّاعِرُ:

إِنِّي إِذَا مَا الْقَوْمُ كَانُوا أَتَجِيَّةً

وَاضْطَرَبَ الْقَوْمُ اضْطِرَابَ الْأَرْشِيَّةِ^(١)

وَالنَّجَا: مَا أَلْقَيْتَهُ عَنْ نَفْسِكَ مِنْ ثِيَابٍ، أَوْ سَلَخْتَهُ عَنِ الشَّاةِ، تَقُولُ:

نَجَوْتُ الْجِلْدَ أَنْجُوهُ نَجَاءً: إِذَا كَشَطْتَهُ، وَنَجَوْتُ الْعُودَ، أَيْ: اقْتَضَيْتُهُ^(٢).

وَقَالَ بَعْضُ الْمَفْسِّرِينَ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّكَ بِبَدَنِكَ﴾^(٣) أَيْ:

نُلْقِيكَ عَلَى نَجْوَةٍ^(٤).

(١) رَجَزُ نَسَبٍ لَشَحِيمِ بْنِ وَثِيلِ الْبِرْبُوعِيِّ، اخْتَلَفَ فِي عَجْزِهِ وَلَا ضَمِيرٍ، وَبَعْدَهُ:

هَنَّاكَ أَوْصِيَنِي وَلَا تُوصِي بِيهِ

الْمَعْنَى وَالشَّاهِدُ: وَاضِحٌ.

اسْتَشْهَدْتُ بِهِ كِتَابَ اللَّغَةِ، مِنْهَا: النُّوَادِرُ: ١٥٩، الْعَيْنُ ٦: ١٨٧، تَهْذِيبُ اللَّغَةِ

١٩٩: ١١، مَجْمَلُ اللَّغَةِ ٣: ٨٥٧، الصَّحَاحُ ٦: ٢٥٠٣، لِسَانُ الْعَرَبِ ١٥: ٣٠٨،

وَانْظُرْ: شَرْحُ دِيْوَانِ الْحَمَاسَةِ لِلْمَرْزُوقِيِّ ١: ٦٥٦ ت ٢١٩.

(٢) الْمَادَّةُ «نَجَوَ» نَجَا تَجِدُهَا فِي: الْعَيْنِ ٦: ١٨٦، جَمْهَرَةُ اللَّغَةِ ١: ٤٩٧، تَهْذِيبُ

اللُّغَةِ ١١: ١٩٨، الْمَحِيطُ فِي اللَّغَةِ ٧: ١٨٨، الْمَحْكَمُ وَالْمَحِيطُ الْأَعْظَمُ ٧: ٥٥٦،

الصَّحَاحُ ٦: ٢٥٠١، لِسَانُ الْعَرَبِ ١٥: ٣٠٤.

(٣) سُورَةُ يُونُسَ ١٠: ٩٢.

(٤) مَجَازُ الْقُرْآنِ لِأَبِي عُبَيْدَةَ ١: ٢٨١، الْغُرَيْبِينَ لِلْهَرَوِيِّ ٦: ١٨١٤ (نَجَا)، مَعَانِي

الْقُرْآنِ وَإِعْرَابُهُ لِلزَّجَّاجِ ٣: ٣٢، تَهْذِيبُ اللَّغَةِ ١١: ٢٠٠، الْوَجُوهُ وَالنَّظَائِرُ لِلدَّامِغَانِيِّ

وأصل الباب : النَّجْوَةُ ، وهي : الارتفاع .

والفرق بين النَّجَاة وبين التَّخْلَص : إِنَّ التَّخْلَص قد يكون من تعقيد ليس بأذى ، وليس كذلك النَّجَاة ؛ لأنها لا تكون إلا من مكروهه ، وكلَّ نَجاةٍ نعمة ، ولا يقال لمن لا خوف عليه : نجا ؛ لأنه لا يكون ناجياً إلا ممَّا يُخاف مثله ^(١) .

قوله : ﴿ مِنْ ءَالٍ فِرْعَوْنَ ﴾ فالآل والأهل والقرابة نظائر .

وقيل : أصل الآل : الأهل ؛ لأنه يُصَغَّرُ أَهْيَلٌ .

وحكى الكسائي : أُؤَيِّل ، فرعموا أنها أُبدلت ، كما قالوا : أُئِهَاتَ وهِيَهَاتَ ، وكما قالوا : ماء وأصلها ماه ، بدليل قولهم : مُؤَيِّه في التَّصْغِيرِ ، وفي الجمع : أَمْوَاءٌ ومِيَاءٌ .

وقيل : لا ، بل أصل على حياله ^(٢) .

(١) الفروق اللغوية للعسكري : ١٧٤ .

(٢) طال الخلاف في «آل» اشتقاقاً ومعنى واستعمالاً . فذهب جمع إلى أنه من «أَهْلٌ» اشتق ، بإبدال الهاء همزة - وقيل أَلْفًا - لقربها ، ثم هي أَلْفًا ؛ للسكون بعد مفتوح . والدليل التصغير ؛ لأنه يردُّ إلى الأصل ، تقول : أَهْيَلٌ ، أو أُؤَيِّل . وآخرون : إِنَّ الْأَصْل «أَوَّلٌ» واشتقاقه من آَل يُوَوِّلُ ، إذا رَجَعَ ؛ لرجوع الإنسان إلى آله . هذا ، ولتحرك الواو وانفتاح ما قبلها قُلبت أَلْفًا . وَيُصَغَّرُ على «أَوَيِّل» ، ويُجمع على «آلُون» .

وللفرق بينه والسراب يُجمع هذا على «آلوال» .

ويسري الخلاف إلى إضافته هل تجوز إلى الضمير أم لا ؟ وهل يجوز للنكرات أم للأعلام المشرفة والمشهورة فقط لغير الناطقة أم يختصُّ بها ؟ إلى كلِّ ذهب جمع ، ومن ثمَّ سرى الخلاف إلى المراد والمعنى منه في حالة إضافته للأعلام الناطقة ، لا مطلقاً فهو - والحالة هذه - جمع معنوي ، مفرد لفظي ، له ثلاثة معان ،

والفرق بين الآل والأهل : إِنَّ الأهل أعمّ منه ، يقال : أهل الكوفة ، ولا يقال : آل الكوفة ، ويقال : أهل البلد ولا يقال : آل البلد ، وآل فرعون قومه وأتباعه ^(١) .

وقال صاحب العين : الآل : كلُّ شيء يؤول إلى شيء إذا رجع إليه ، تقول : طبختُ العصير حتّى آل إلى كذا .
وأولى : كلمة وعيد على وزن فعلى .
والآل : السّرّاب .

وآل الرّجل : قرابته وأهل بيته .
وآل البعير : ألّواحه وما أشرف من أقطار جسمه ^(٢) .

جلاهي : الجند والأتباع ، النفس والشخص ، أهل بيت الرجل نحو آل محمد صلوات الله عليهم .

وللتوسعة انظر البحث بشيء من التفصيل في : تهذيب اللّغة ١٥ : ٤٣٨ ، المحكم والمحيط الأعظم ١٠ : ٤٥١ ، المخصّص توسط الفهرس مادة «ألّ» ، مفردات ألفاظ القرآن : ٩٨ ، لسان العرب ١١ : ٣٢ و ٢٨ ، تاج العروس ١٤ : ٣٥ ، شمس العلوم ١ : ٣٧٦ ، الكلّيات : ١٧١ . وفي : معاني القرآن للكسائي : ٦٩ ، إعراب القرآن للنحاس ١ : ٢٢٢ ، مشكل إعراب القرآن للقيسي ١ : ٤٥ ، سرّ صناعة الإعراب ١ : ١٠٠ ، البيان في إعراب القرآن لابن الأنباري ١ : ٨١ ، التبيان في إعراب القرآن ١ : ٦١ ، الغربيين للهوري ١ : ٢٢٢ ، وانظر : كشّاف اصطلاحات الفنون ١ : ٧١ ، وغيرها كثير .

(١) الفروق اللّغوية للعسكري : ٢٣٣ وانظر لسان العرب ١١ : ٢٨ - ٤١ «أهل - أول» .
(٢) اتّفاق المصادر اللّغويّة على المثبت يدلّ على صحّته . وما في الأصول : وما اقترب من أوطار جسمه . لعله تصحيف إضافة إلى أنّ الوطر : الحاجة المهمّة ، وجمعها أوطار . والألواح : العظام ، العين ٧ : ٤٤٦ ، تهذيب اللّغة ١٤ : ١٠ ، معجم مقاييس اللّغة ١ : ١٦١ .

وَأَلِ الْخَيْمَةِ : عَمَدُهَا .

والآلة : شِدِيدَةٌ من شِدَائِدِ الدَّهْرِ ، قالت الخنساء ^(١) :

سَأَخْمِلُ نَفْسِي عَلَى آلَةٍ إِمَّا عَلَيْهَا وَإِمَّا لَهَا ^(٢) [٢٣٠]

وَأَلِ الْجَبَلِ : أَطْرَافُهُ وَتَوَاجِيهِ ^(٣) .

وقال ابن دُرَيْد : أَلُ كُلِّ شَيْءٍ : شَخْصُهُ ، وَآلُ الرَّجُلِ : أَهْلُهُ وَقَرَابَاتُهُ .

قال الشاعر :

وَلَا تَبْنِكُ مَيْتًا بَعْدَ مَيْتٍ أَجْنَةً عَلَيَّ وَعَبَّاسُ وَآلُ أَبِي بَكْرٍ ^(٤) (٥) [٢٣١]

(١) ثَمَاضِر بنت عَمْرٍو بن الشَّرِيد السُّلَمِيَّة من أشهر شواعر العرب وأشعرهن على الإطلاق ، مخضمة أدركت النبي ﷺ ، وفدت عليه مُسَلِّمة مع قومها بني سُليم استنشدتها النبي الأكرم شعرها معجباً به ، وهو يردد : (هيه يا خنساء) . كان أجود شعرها مارث به أخاها صخراً . استشهد أبناؤها الأربعة في القادسيَّة فقالت : الحمد لله الذي شرفني بقتلهم . توفيت عام ٢٤هـ .

انظر : طبقات فحول الشعراء ١ : ٢٠٣ ، الشعر والشعراء ١ : ٣٤٣ ت ٤٣ ، الأغاني ١٥ : ٧٦ ، المعارف لابن قتيبة : ٨٥ .

(٢) سادس بيت من القصيدة : ٤ من الديوان : ٨٤ قالتها في رثاء أخيها معاوية عندما قتله بنو مِزَّة عند غدير قلهى .

المعنى : إنني سأدفع وأسوس نفسي ؛ لتحمل شدائد الدهر والزمن بعد فقد أخي .
الشاهد : استعمال «آلة» وإرادة الحالة الشديدة ، أو الشدة .

وفي شطر الشاهد اختلاف انظر له الديوان بشرح ثعلب وتحقيق د . أبو سويلم .

(٣) العين ٨ : ٣٥٩ «أَيْل» . وانظر مصادر اللغة فيما يأتي .

(٤) جمهرة اللغة ١ : ٢٤٧ «أَلَل» ، «أَوَّل» .

(٥) مقطوعة شعرية من خمسة إلى سبعة أبيات ، لها قصّة مذكورة ، وهي أو بعض منها مختلف فيها ؛ إذ تنسب تارة إلى الحطيئة ، وأخرى لرجل من بني عذرة ، وثالثة لعمر بن أَرَاكَة ، ورابعة لأَرَاكَة الثَّقَفِي ، وخامسة لعبدالله بن أَرَاكَة وهذا بعيد ؛ لأنها قيلت في رثائه .

والآلة : الحزينة^(١) .

وأصل الباب : الأول ، وهو الرجوع .

قال أبو عبيدة : سمعت أعرابياً فصيحاً يقول : أهل مكة آل الله ، فقلنا :

ما تعني بذلك؟ قال : أليسوا مسلمين ، والمسلمون آل الله؟

قال : وقال : ليس يجوز أن تنصب رجلاً من المسلمين ، فيقول :

آل فلان ، وإنما يجوز ذلك للرئيس المتبع ، وفي شبه مكة ؛ لأنها أم القرى .

ومثل فرعون في الضلال واتباع قومه له ، فإن جاوزت هذا فال الرجل أهل

بيته خاصة ، فقلنا له : فتقول لقبيلته آل فلان ؟ قال : لا ، إلا أهل بيته خاصة^(٢) .

المعنى : ينهى الشاعر مخاطبه عن البكاء لأجل الميت هذا ، بعد أن مات الرجل الذي دفنه الإمام علي بن أبي طالب والعباس وآل أبي بكر . وروي عوض أخته :
أَحَبُّهُ .
وَأَحَبُّهُ دَفَنُهُ .

الشاهد : استعمال «آل» وإرادة الأهل والقرابة الخاصة .

لمعرفة القصّة والمزيد عن المقطوعة انظر : ديوان الحطيئة : ١٦٣ ت ٤٦ ، الكامل في الأدب ٤ : ٢٥ ، الفاضل للمبرد : ٦٥ ، وللوشاء : ١٢٨ ، أمالي الزجاجي : ٨ ، العقد الفريد ٣ : ٣٠٦ ، أمالي المرتضى ١ : ٤٦١ ، الحماسة لابن الشجري ١ : ٤٧٨ ت ٤٠١ ، الحماسة البصريّة ١ : ٢٧٦ ت ١٧٦ ، مجموعة المعاني : ١٩٠ ، سمط اللاكي : ٦٢٧ .
(١) المواد «أَيْل ، أَوْل ، أَلَل ، وأَلَل» تجدها في : ديوان الأدب ٤ ق ١ : ١٤١ و ١٤٧ ، العين ٨ : ٣٥٩ و ٣٦١ ، جمهرة اللغة ١ : ٢٤٧ ، تهذيب اللغة ١٥ : ٤٣٤ و ٤٣٧ ، المحيط في اللغة ١٠ : ٣٧٤ و ٣٧٧ ، المحكم والمحيط الأعظم ١٠ : ٣٩٣ ، معجم مقاييس اللغة ١ : ١٦١ ، الصحاح ٤ : ١٦٢٦ و ١٦٢٧ ، إصلاح المنطق : ٢٠ ، وانظر كشف اصطلاحات الفنون ١ : ٧١ .

(٢) الظاهر أنّ ذلك متفق عليه ، فقد ذهب إليه الأخفش وغيره ، انظر : معاني القرآن للأخفش ١ : ٢٦٥ ، سر صناعة الإعراب ١ : ١٠٠ ، إعراب القرآن للنحاس ١ : ٢٢٣ ، وتفسير جامع البيان ١ : ٢١٣ .

وأما أبو عبيدة فقد أشار الرازي إلى رأيه مجملًا في التفسير الكبير ٣ : ٦٧ .

وفرعون: اسم لملوك العمالة، كما قيل: قيصر لملك الروم.
وكسرى: لملك الفرس. وخاقان: لملك الترك. والأخشاذ: لملك
(الفراغة)^(١). وتبع: لملك التبابعة. فهو على هذا بمعنى الصفة؛ لأنه يفيد
فيه أنه ملك العمالة بنفس الصفة الجارية عليه وعلى غيره.

وقيل: إن اسم فرعون: مُصعب بن الرُّيَّان.

وقال محمد بن إسحاق: هو الوليد بن مُصعب^(٢).

ومعنى قوله: ﴿يَسْؤُمُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ أي: يُؤْلُونَكُمْ سُوءَ
العذاب، يقال: سَامَهُ خُطَّةً خَسَفَ، إذا أولاه ذُلًّا، قال الشاعر:

إِنْ سِيمَ خَسَفًا وَجْهَهُ تَرَبَّدَا^(٣)

[٢٣٢]

(١) هذا هو الصحيح، وما في النسخ - عدا «خ» فإنها في هذا المورد سقطت منها عدة
صفحات - الفراغة، فغير صحيح؛ لأن الإخشاذ: من ألقاب ملوك المشرق،
وفرغانة بالخصوص. انظر: دائرة المعارف الإسلامية الكبرى ٦: ٢٣١، المسالك
والممالك: ٣٩ - ٤٠، حياة الحيوان ١: ٣٤٨، تاج العروس ٤: ٤٣٥ «خَشَدَ»، وما
تقدم في صفحة ٣٣ هـ (١).

(٢) انظر: نهاية الأرب ١٣: ١٧٣ بتفصيل، وتفسير محمد بن إسحاق: ٢٢، تفسير
المحرر الوجيز ١: ٢١٠، تفسير زاد المسير ١: ٧٨، وتفسير الكشف والبيان ١:
١٩١، تفسير النكت والعيون ١: ١١٨، تفسير معالم التنزيل ١: ٧٧، وانظر:
التفسير الكبير ٣: ٦٧.

(٣) رجز قائله عمر بن سالم الخزاعي الكعبي مخاطباً النبي الأكرم ﷺ ومستجيراً به
ومستنصراً إياه على بني بكر وقريش.

المعنى: إن كُلف أو ظلم تغَيَّر وجهه واحمرَّ؛ علامة الغضب.
الشاهد: استعمال كلمة «سِيم» وإرادة التحميل والتكليف لآخر مشقة، أو ظلماً،
أو سوءً، أو إذلالاً، أو ما يكره.

لمعرفة تفاصيل الحدث الذي انجرَّ لفتح مكة المكرمة انظر: السيرة النبوية لابن
لله

وقيل : يُجَشَّمُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ^(١) .

وَالسَّوْمُ وَالتَّجَشُّمُ وَالتَّحْمُلُ نَظَائِرُ ، يُقَالُ : سَامَهُ الْمَشَقَّةُ ، وَجَشَّمَهُ إِيَّاهَا ، وَحَمَلَهُ إِيَّاهَا بِمَعْنَى .

يُقَالُ : سَامَ يَسُومُ سَوْماً ، وَسَاوَمَهُ وَاسْتَامَهُ اسْتِيَاماً ، وَتَسَاوَمُوا تَسَاوِماً ، وَسَوَّاهُمْ تَسْوِياً .

وَالسَّوْمُ : سَوْمُكَ سَلْعَةٌ ، وَمِنْهُ : الْمُسَاوَمَةُ وَالِاسْتِيَامُ .

وَالسَّوْمُ : مِنْ سَبَرِ الْإِبِلِ ، وَهُبُوبُ الرِّيحِ إِذَا كَانَ مُسْتَمِرّاً فِي سَكُونٍ ، يُقَالُ : سَامَتِ الرِّيحُ ؛ وَسَامَتِ الْإِبِلُ ، وَهِيَ تَسُومُ سَوْماً .

وَالسَّوَامُ : هِيَ النَّعْمُ السَّائِمَةُ ، وَأَكْثَرُ مَا يُقَالُ ذَلِكَ فِي الْإِبِلِ خَاصَّةً ، وَالسَّائِمَةُ تَسُومُ الْكَلَأَ سَوْماً إِذَا دَاوَمَتْ رَعِيَهُ ، وَالرَّاعِي يُسَيِّمُهَا . وَالْمُسَيِّمُ : الرَّاعِي .

وَالتَّسْوِيمُ : الْعَلَامَةُ عَلَى الْخَيْلِ ، يُقَالُ : سَوَّمَ فُلَانٌ فَرَسَهُ ؛ إِذَا أَعْلَمَ عَلَيْهِ بِحَرِيرَةٍ ، أَوْ شَيْءٍ يُعْرَفُ بِهِ .

وَالسَّيِّمُ - فِي الْأَصْلِ يَأْوِهَا وَآؤٌ - وَهِيَ الْعَلَامَةُ الَّتِي يُعْرَفُ بِهَا الْخَيْرُ وَالشَّرُّ فِي الْإِنْسَانِ ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ : ﴿ سَيِّمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ ﴾^(٢) وَ : ﴿ تَعْرِفُهُمْ

١ هـ شام ٤ : ٣٦ ، المغازي للواقدي ٢ : ٧٨٩ ، عيون الأثر ٢ : ٢٢٤ ، شفاء الغرام ٢ : ١٧٥ ، تاريخ الإسلام (المغازي) للذهبي : ٥٢٣ ، الروض الأنف ٧ : ٥٤ ، الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ٢١ : ٥٢ ، نهاية الأرب للنويري ١٧ : ٢٨٧ ، والمعجم الكبير للطبراني ٢٣ : ٤٣٤ ت ١٠٥٢ ، السنن الكبرى للبيهقي ٩ : ٢٣٣ .

(١) انظر : تفسير النكت والعيون ١ : ١١٨ ، تفسير الوسيط ١ : ١٣٥ ، تفسير القرآن للسماعاني ١ : ٧٧ .

(٢) سورة الفتح ٤٨ : ٢٩ .

بِسْمِهِمْ»^(١) وقوله: ﴿يُعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِمَتِهِمْ﴾^(٢) ويُقال: سيماء الخير، و: سِمَتْ فلاناً سوءَ العذاب، من المشقة.

وقال ابنُ دُرَيْدٍ: سَامَ الرَّجُلُ مَاشِيَتَهُ يَسْوِمُهَا سَوْماً: إذا رعاها، فالماشية سَائِمَةٌ وَالرَّجُلُ مُسِيمٌ، ولم يقولوا: سَائِم، خرج هذا من القياس. وأصلُ البابِ السَّوْمُ: الذي هو إرسالُ الإبلِ في المرعى^(٣).

وقوله: ﴿سُوءَ الْعَذَابِ﴾، و: أليم العذاب، و: ﴿شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾^(٤): نَظَائِرُ، يُقال: سَاءَةٌ يَسُوءُهُ سُوءٌ، وأَسَاءَ إِسَاءَةً.

قال صاحب العين: السُّوءُ: اسمُ الْعَذَابِ الجَامِعِ لِلآفَاتِ والذَّاءِ، تقول: سُوءْتُ فلاناً، أَشْوَأُهُ مَسَاءَةً وَمَسَايَةً، وتقول: أَرَدْتُ مَسَاءَتَكَ وَمَسَايَتَكَ، وَأَسَأْتُ إِلَيْهِ فِي الصَّنْعِ.

واستاء فلانٌ من السُّوءِ، كقوله: اهْتَمَّ مِنْ هَمٍّ.

وسُوءْتُ فلاناً وسُوءْتُ لَهُ وَجْهَهُ. وتَقُولُ: لَسَاءَ مَا صَنَعَ.

وَالسَّيِّئُ وَالسَّيِّئَةُ: اسمُ الْخَطِيئَةِ. والسُّوءَى فُعْلَى: اسمٌ لِلْفَعْلَةِ السَّيِّئَةِ، بمنزلةِ الْحُسْنَى لِلْحَسَنَةِ. وامرأةٌ سُوءَى، أَي: قَبِيحَةٌ.

وَالسُّوءَةُ وَالسُّوءَى: الْفَعْلَةُ الْقَبِيحَةُ، يُقالُ لِلرَّجُلِ: أَسْوأُ.

(١) سورة البقرة ٢: ٢٧٣.

(٢) سورة الزحمن ٥٥: ٤١.

(٣) «سَوَمَ» تجدها في: العين ٧: ٣١٩، جمهرة اللغة ٢: ٨٦٢، تهذيب اللغة ١٣: ١١٠، المحيط في اللغة ٨: ٤٠٣، المحكم والمحيط الأعظم ٨: ٦٢٥، الصحاح ٥: ١٩٥٥، لسان العرب ١٢: ٣١٠.

(٤) سورة البقرة ٢: ١٦٥.

وَالسَّوْءَةُ: الْفَرْجُ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءُ تُهُمَا﴾^(١).

وَالسَّوْءَةُ: كُلُّ عَمَلٍ يَشِينُ، تَقُولُ: سَوْءَةٌ لِفُلَانٍ، نَصَبٌ^(٢)؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ بِخَيْرٍ، (إِنَّمَا هُوَ شَتَمٌ وَدَعَاءٌ)^(٣).

وَالسَّوْءَةُ السَّوْءُ: الْمَرْأَةُ الْمُخَالَفَةُ، وَتَقُولُ فِي النِّكَرَةِ: رَجُلٌ سَوْءٌ، فَإِذَا عَرَفْتَهُ قُلْتَ: الرَّجُلُ السَّوْءُ، لَا تَضِيفُهُ. وَتَقُولُ: عَمَلٌ سَوْءٌ، وَعَمَلُ السَّوْءِ. وَرَجُلٌ صَدَقٍ وَلَا تَقُولُ: الرَّجُلُ الصَّدَقُ؛ لِأَنَّ الرَّجُلَ لَيْسَ مِنَ الصَّدَقِ. وَكُلَّمَا ذُكِرَ بَسِيئٍ فَهُوَ السَّوْءُ.

وَيُكْنَى عَنِ الْبَرَصِ بِالسَّوْءِ، كَقَوْلِهِ: ﴿يَبْيِضَاءُ مِنْ غَيْرِ سَوْءٍ﴾^(٤) أَيِ: مِنْ غَيْرِ بَرَصٍ.

وَتَقُولُ: لَا خَيْرَ فِي قَوْلِ السَّوْءِ، وَلَا فِي قَوْلِ السَّوْءِ. فَإِذَا فَتَحْتَ السَّيْنَ فَعَلَى مَا وَصَفْنَاهُ، وَإِذَا ضَمَمْتَهُ فَمَعْنَاهُ: لَا تَقُلْ سَوْءًا.

وَأَصْلُ الْبَابِ: السَّوْءُ، مِنْ قَوْلِكَ: سَاءَ يَسُوءُ سَوْءً، ثُمَّ كَثُرَ حَتَّى صَارَ عَلَمًا عَلَى الضَّرِّ الْقَبِيحِ، فَقَالُوا: أَسَاءَ يُسِيءُ إِسَاءَةً، نَقِيضُ أَحْسَنَ يُحْسِنُ إِحْسَانًا^(٥).

(١) سورة طه ٢٠: ١٢١.

(٢) فِي النِّسْخِ: عَوْضٌ: نَصَبٌ، تَعْيِيهِ، وَالمَثْبُتُ مِنْ مَصَادِرِ اللُّغَةِ الْآتِيَةِ، وَلَعَلَّهُ الْأَنْسَبُ.

(٣) صُحِّحَتِ الْعِبَارَةُ إِلَى الْمَثْبُتِ اعْتِمَادًا عَلَى الْمَصَادِرِ اللَّغَوِيَّةِ. وَأَمَّا فِي الْأُصُولِ: سَوْءَةٌ لِفُلَانٍ، تَعْيِيهِ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ بِخَيْرٍ، وَبَيْنَ الْقَوْسَيْنِ مِنْ مَصَادِرِ اللُّغَةِ تَوْضِيحٌ وَتَعْلِيلٌ.

(٤) تَكَرَّرَتْ فِي سُورَةِ طه ٢٠: ٢٢، سُورَةِ النَّمْلِ ٢٧: ١٢، سُورَةِ الْقَصَصِ ٢٨: ٣٢.

(٥) مَادَّةُ «سَوْءٌ» تَجَدُّهَا فِي: الْعَيْنِ ٧: ٣٢٧، جَمْهَرَةُ اللُّغَةِ ١: ٢٣٧، تَهْذِيبُ اللُّغَةِ ١٣: ١٣١، الْمَحِيطُ فِي اللُّغَةِ ٨: ٤١٣ الْمَحْكَمُ وَالْمَحِيطُ الْأَعْظَمُ ٨: ٦٣٣،

الصَّحَاحُ ١: ٥٥، لِسَانُ الْعَرَبِ ١: ٩٥، الْغَرِيبِينَ لِلْهَرَوِيِّ ٣: ٩٤٧.

وقوله: ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾ :

فالذَّبْحُ والنَّحْرُ والشَّقُّ نَظَائِرُ، والذَّبْحُ: فَرِي الأوداج .

يُقَالُ: ذَبَحَ ذَبْحاً، وَاسْتَذَبَحَ اسْتَذْبَاحاً، وَتَذَابَحُوا تَذَابُحاً، وَذَبَحَ تَذْبِيحاً.

وَأَصْلُ الذَّبْحِ: الشَّقُّ، وَذَبَحْتَ الْمِسْكَ: إِذَا فَتَقْتَ عَنْهُ، فَهُوَ ذَبِيحٌ

وَمَذْبُوحٌ .

والذَّبْحُ: الشَّيْءُ الْمَذْبُوحُ؛ لقوله: ﴿وَفَدَيْنَهُ بِذَبِيحٍ عَظِيمٍ﴾^(١).

وَالذَّبَّاحُ، وَالذُّبْحَةُ - بفتح الباء وتسكينها -: دَاءٌ يَصِيبُ الْإِنْسَانَ فِي حَلْقِهِ.

وتقول العرب: حَيَّا الله هذه الذُّبْحَةَ، أَي: هذه الطَّلَعَةُ .

وَالذَّبَّاحُ: الشَّقُّوقُ فِي الرَّجْلِ، أَصَابَهُ ذَّبَّاحٌ فِي رِجْلِهِ .

وَالذَّبْحُ: نَوْرٌ أَحْمَرُ^(٢). وَسَعْدُ الذَّبَاحِ: كَوْكَبٌ مَعْرُوفٌ مِنْ مَنَازِلِ الْقَمَرِ.

وقال صاحب العين: الذَّبْحُ: قَطْعُ الْحُلُقُومِ مِنْ بَاطِنٍ. وَمَوْضِعُهُ:

الْمَذْبَحُ، وَالْمِذْبَحُ: السَّكِينُ الَّذِي يُذْبَحُ بِهِ .

الذَّبْحُ وَالذَّبَّاحُ: نَبَاتٌ مِنَ السَّمِّ^(٣).

قال الأعشى:

(١) سورة الصافات ٣٧ : ١٠٧ .

(٢) اختلفت مصادر اللغة في هذا فبعض - التهذيب واللسان - ذهب إلى أنه: نبت أحمر . وبعض - المحكم والجمهرة -: نور أحمر . وبعض أهمله .

(٣) المادَّة «ذَبَحَ» تجدها في: العين ٣ : ٢٠٢ ، جمهرة اللغة ١ : ٢٧٣ ، تهذيب اللغة

٤ : ٤٧٠ ، المحيط في اللغة ٣ : ٧٠ ، المحكم والمحيط الأعظم ٣ : ٢٩٤ ، الصحاح

١ : ٣٦٢ ، لسان العرب ٢ : ٤٣٦ .

..... إِنَّمَا قَوْلُكَ صَابٌ وَذُبْحٌ^(١) [٢٣٣]

وقال آخر:

..... كَأَنْ عَيْنِي فِيهَا الصَّابُ مَذْبُوحٌ^(٢) [٢٣٤]

وأصل الباب: الشَّقُّ .

وقوله: ﴿يَسْتَحْيُونَ نِسَاءَ كُمْ﴾:

إنما قال: ﴿نِسَاءَ كُمْ﴾ - وهم كانوا يستبقون الأطفال من البنات -
تغليبا؛ لأنهم كانوا يَسْتَبْقُونَ الصغار والكبار، كما يقال: «أقبل الرجل» وإن
كان معهم صبيان .

وقيل: إن اسم النساء يقع على الكبار والصغار .

وقيل: إنهم سُمُوا بذلك على تقدير أنهم يبقين حتى يصرن نساء .
والمرأة والنساء والزوجات نظائر، ولا واحد للنساء من لفظه، ويقال:
الرجال والنساء على وجه النقيض .

قال صاحب العين: النِّسْوَةُ والنِّسوان النِّسْوُ، كل ذلك مثل النساء^(٣) .

(١) ديوان الأعشى الكبير خال منه . واستشهد به ابن سيده في المحكم والمحيط
الأعظم ٣: ٢٩٤، وابن منظور في لسان العرب ٢: ٤٤٠ من دون نسبة . وفيهما
بدل «صاب»: سُمَّ .

(٢) مطلع قصيده لأبي ذؤيب الهذلي، في ديوان الهذليين ١: ١٠٤ وصدده:

نَامَ الْخَلِيُّ وَبِتُّ اللَّيْلُ مُسْتَجِرًا

المعنى: الصاب: شجر مَرَّ يفيد مرض العين . مذبوح: مشقوق . يُشَبَّه انفتاح
عينه وسهره كما لو شقَّ فيها الصاب فلم تغمض من الألم .

(٣) العين ٧: ٣٠٣، المحكم والمحيط الأعظم ٨: ٦١٥، الصحاح ٦: ٢٥٠٨، لسان
العرب ١٥: ٣٢١ «نَسَوُ، نَسَا» .

قوله : ﴿وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ :

فالبلاء والإحسان والنعمة نظائر في اللغة .

وبَلَى يَبْلَى فهو بالٍ ، والبلاء لغة في البلى ، قال الشاعر :

والمرءُ يَبْلِيهِ بِلَاءُ السَّرْبَالِ

تناسخ الإهلال بعد الإهلال^(١)

والْبَلِيَّةُ : الدَّابَّةُ التي كانت تُشَدُّ في الجاهلية عند قبر صاحبها ، رأسها

في الوِليَّةِ حتَّى تموت ، ومنها ما يُعَقَّرُ عند القبر حتَّى يموت^(٢) .

(١) رجز اختلفت المصادر كثيراً في ضبط الشطر الثاني منه على اتحاد في المعنى ، ولا ضير فيه ولا يهمنّا ؛ لعدم تأثير على الشاهد . على أنّ المثبت مطابق للنسخ المعتمدة .

المعنى العام واضح ، السَّرْبَالُ : كلُّ ما يُلبَسُ ، كالقميص والثوب . تناسخ الإهلال : توارده ، من أهْلَ الهلال .

الشاهد فيه : كلمة «بلاء» فهي مصدر بَلَى الثوبُ يَبْلَى بِلَى وبلاءً ، فقد رويت بالفتح فلا شاهد فيه ؛ للزوم المد أصالة لا للضرورة ، ومع الكسر والمد هو الشاهد . للجميع أنظر : المقصور والممدود : ٣٠ ت ١٧ ، معجم مقاييس اللغة ١ : ٢٩٢ ، مجمل اللغة ١ : ١٣٣ ، الألفاظ الكتابية : ٢٢١ ، الزاهر في معاني كلمات الناس ١ : ٣٤٩ ، المسلسل : ١١٤ ت ٩ ، المقاصد النحوية ٤ : ٥١٤ ، الموشح للمرزباني : ١١٨ ، ضرائر الشعر للشبيلي : ٤٠ وانظر أيضاً مصادر اللغة الآتية .

(٢) العجز المثبت هو الصحيح ، وتساعد عليه النسخ «خ» ، و ، هـ ، وأما الروايات الأخرى فتشكو خللاً عريضاً .

(٣) من عادات ومعتقدات العرب في الجاهلية كانوا إذا مات أحدهم حبسوا له ناقته عند قبره حتَّى تموت ؛ اعتقاداً منهم أنّه سوف يركبها في الحشر ، والخلاف في الكيفية ، فقول : تُحبس ، أي : تعقر عنه قبره ، وقيل : تشقُّ البرذعة - أي : الوِليَّة - من الوسط ويدخل رأس الناقة فيه معكوسة إلى أن تموت وهو المراد . فإن أفلتت من الحبس هذا تركت فلا تُردّ ولا تُمنع عن مرعى أو ماء ، ولا يركبها أحد . للزيادة

وَنَاقَةً يَلُؤُ، مِثْلَ يَضُو، قَدْ أَبْلَاهَا السَّفَرُ، وَالْفِعْلُ مِنَ الْبَلَاءِ ابْتَلَيْتُ وَتَقُولُ: بَلَّيْتُ الْإِنْسَانَ وَابْتَلَيْ.

وَالْبَلَاءُ عَلَى وَجْهَيْنِ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَاللَّهُ تَعَالَى يُبْلِي الْعَبْدَ بَلَاءً حَسَنًا، وَبَلَاءً سَيِّئًا.

وَأَبْلَيْتُ فَلَانًا عَذْرًا، أَيُ: يَبْنُتُ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنِي بِمَا لَا لَوْمَ عَلَيَّ بَعْدَهُ. وَالْبَلْوَى: هِيَ الْبَلَاءَةُ. وَالْبَلْوَى: التَّجْرِبَةُ، تَقُولُ: بَلَوْتُهُ بَلْوًا. وَأَصْلُ الْبَابِ: التَّجْرِبَةُ.

وَالْبَلَاءُ: الْامْتِحَانُ الَّذِي فِيهِ إِنْعَامُ.

وَالْبَلَاءُ: الْامْتِحَانُ الَّذِي فِيهِ انتِقَامُ، فَإِذَا أَرَدْتَ الْإِنْعَامَ قُلْتَ: أَبْلَيْتُهُ بَلَاءً حَسَنًا، وَفِي الْاِخْتِبَارِ تَقُولُ: بَلَوْتُهُ بَلَاءً، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾^(١)، وَقَالَ فِي الْإِنْعَامِ: ﴿وَلِيَبْلِي الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا﴾^(٢)، قَالَ زَهِيرُ:

جَزَى اللَّهُ بِالْإِحْسَانِ مَا فَعَلَ بِكُمْ وَأَبْلَاهُمَا خَيْرَ الْبَلَاءِ الَّذِي يَبْلُو^(٣) [٢٣٦]

فَجَمَعَ الْمَعْنَيْنِ؛ لِأَنَّهُ أَرَادَ: وَأَنْعَمَ عَلَيْهِمَا خَيْرَ النُّعْمِ الَّتِي يَخْتَبِرُ بِهَا

﴿انظر: رسائل الشريف المرتضى ٣: ٢٢٦، نشر الدرر للآبي ٦: ٣٦٤، المحكم والمحيط الأعظم ١٠: ٤٥٨، تاج العروس ٢٠: ٣١٣، لسان العرب ١٥: ٤١٠ «ولي» فيها.

(١) سورة الأنبياء ٢١: ٣٥.

(٢) سورة الأنفال ٨: ١٧.

(٣) لزهير بن أبي سلمى البيت ٢٩ من القصيدة ٥ من الديوان: ٨٣ صنعة ثعلب، مادحا فيها هَرَمَ والحارث أحفاد أبي حارثة المُرِّي. والمعنى والشاهد: واضحان.

عباده^(١).وقال الأخنف^(٢): البلاءُ ثمَّ الثناءُ، يعني الإنعامُ ثمَّ الشُّكر^(٣).

وإنما كان في استحياء النساءِ مِحْنَةً عليهم وبلوى لهم؛ لأنَّهنَّ كنَّ يُستعبدنَّ ويُنكحنَّ على الاسترقاق، فهو على رجالهنَّ أعظم من قتلهن.

وقيل: إنَّهنَّ كنَّ يُستبقين للإذلال. والاستبقاء مِحْنَةٌ؛ كما أنَّ من أحيي للتعذيب فحياته نعمة؛ ومن أحيي للتلذذ فحياته نعمة^(٤).

والأبناء: جمع ابن. والمحذوف من الابن عند الأخفش الواو؛ لأنَّها أثقل وهي بالحذف أولى^(٥).

وقال الزجاج: يجوز أن يكون المحذوف ياءً أو واواً وهما سيَّان،

(١) «بَلَوْ» تجدها في اللُّغويات: العين ٨: ٣٣٩، ديوان الأدب ٤: ٤٦، جمهرة اللُّغة ١: ٣٨٠، تهذيب اللُّغة ١٥: ٣٩٠، المحيط في اللُّغة ١٠: ٤٢٢، المحكم والمحيط الأعظم ١٠: ٤٢٢، الصحاح ٦: ٢٢٨٤، لسان العرب ١٤: ٨٣، تاج العروس ١٩: ٢١٤.

(٢) أبو بحر، الضحَّاك - وقيل: صخر - بن قيس بن معاوية التميمي، سيدها وأحد العظماء الدهاء والحكماء الفصحاء الشجعان، يُضرب به المثل في الحلم، أدرك النبي ﷺ ولم يره، شهد مع أمير المؤمنين عليه السلام صفين واعتزل الجمل، حدَّث عن علي عليه السلام وأبي ذر وابن مسعود وغيرهم، وعنه: البصري وعروة وابن عميرة. توفي في الكوفة عام ٦٧، وقيل: ٧٢هـ.

انظر: تنقيح المقال ٢: ١٠٤ ت ٥٨٢٩، طبقات ابن سعد ٧: ٩٣، المعارف لابن قتيبة: ٤٢٣، سير أعلام النبلاء ٤: ٨٦ ت ٢٩، جمهرة الأمثال ١: ٤٠٧ ت ٦٧٩. (٣) معاني القرآن للزجاج ١: ١٣٢، الفروق اللُّغوية للعسكري: ١٩٩، معجم الفروق اللُّغوية ١٠٥ ت ٤١٨، الزاهر في معاني كلمات الناس: ١: ٣٤٩. وبلا عزو في مجاز القرآن ١: ٤٠، نثر الدرِّ للآبي ٥: ١٦.

(٤) ينظر: تفسير النكت والعيون ١: ١١٨، تفسير الوسيط ١: ١٣٥.

(٥) حكاه عنه الزجاج في معاني القرآن ١: ١٣١ وابن سيده في المخصَّص ٦: ٢٦٩، وابن منظور في لسان العرب ١٤: ٨٩.

ولا حجة في البتوة كما لا حجة في الفتوة ؛ لقولهم : فَيَان .

قال : وقد جاء حذف الياء كما في يد ، كقولهم : يديتُ إليه يداً ؛ وفي دم ، قال الشاعر :

فَلَوْ أَنَّا عَلَى حَجَرٍ دُبَحْنَا جَرَى الدَّمْيَانِ بِالْخَبَرِ الْيَقِينِ^(١)^(٢) [٢٣٧]

والقتل الذي هو فري الأوداج ، أو نقض بُنية الحياة يقدر الواحد مِنَّا عليه .

وأما الموت بتسكين الحركة الحيوانية أو فعل ضد الحياة عند من قال لها ضدّ ، فلا يقدر عليه غير الله .

(١) هذا وبيتان قبله شعر مختلف فيه بين المثقّب العبديّ ، وعليّ بن بدّال ، وعبد بني الحسحاس ، ومرداس بن عمرو ، والفرزدق ، والأخطل .
وهناك رواية للبيت هذا مع بيتين قبله مقطوعة النسبة إلى المثقّب ، رواها الهروي في الأزهية .

المعنى : الخبر اليقين : هو ما اشتهر عند العرب - بل قيل : وآمنوا به - من عدم امتزاج دم المتباغضين لو ذبحا معاً وعلى حجر واحد لذهب دم هذا يسرةً ودم الآخر يمنةً .

الشاهد فيه : «الدّمْيَان» وكونه مثني فأتى به على الياء . وقد ادّعي أنه واوي . وهذا خلاف بين الكوفيّين والبصريّين . ذكرته بعض المصادر الآتية .

للتوسعة في النسبة والاستشهاد انظر : الجمل للخليل : ٢٢١ ، الوحشيات : ٨٤ ت ١٢٧ ، المُقتضب ١ : ٢٣١ ، أمالي الزّجاجيّ : ٢٠ ، المنصف ٢ : ١٤٨ ، الأزهية : ١٤٠ - ١٤١ ، أمالي ابن الشجريّ ٢ : ٢٢٨ م ٤٩ و ٣ : ١٢٦ م ٧٨ ، الإنصاف ١ : ٣٥٧ ، المقرب : ٣٩٧ ، تذكرة النّحاة : ١٤٣ ، خزانة الأدب للبغدادي ٧ : ٤٨٢ ش ٥٦٥ . وغيرها كثير ، وفي هامش البعض فوائد ، وانظر ديوان المثقّب العبديّ قسم المنسوب من الشعر : ٢٨١ ق ١٦ .

(٢) معاني القرآن للزّجاج ١ : ١٣١ . ويمكن متابعة الآراء للمادة في : المحكم والمحيط الأعظم ١٠ : ٥٢١ ، المحيط في اللّغة ١٠ : ٤٠٥ ، تهذيب اللّغة ١٥ : ٤٩٠ ، الصحاح ٦ : ٢٢٨٦ ، لسان العرب ١٤ : ٨٩ ، تاج العروس ١٩ : ٢٢٤ ، وغيرها .

وموضع ﴿يَسْؤُمُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ يحتمل أمرين من الإعراب :
أحدهما : الاستثناف ، فيكون موضعه رفعاً ، كأنه قال : يسومونكم من
قبل ذلك سوء العذاب .
والثاني : أن يكون موضعه نصباً على الحال من : ﴿ءَالٍ فِرْعَوْنَ﴾ ،
والعامل فيه : ﴿نَجِّنَاكُمْ﴾ .

و﴿يَسْؤُمُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ :

(وسومهم سوء العذاب)^(١) : كان بذبح الأبناء ، واستحياء النساء .
وقيل : باستعمالهم في الأعمال الشاقة ، واستحياء النساء كان بأن
يُسْتَبْقِينَ .

وقيل : إنه كان يفتش أحياء النساء عما يلدن .
وقيل : إنهم كانوا يَسْتَحْيُونَ أن يلجوا على النساء في بيوتهن إذا
انفردن عن الرجال صيانة لهن ، فعلى هذا يكون إنعاماً عليهن^(٢) . وهذا بعيد
من أقوال المفسرين .

والسبب في أن فرعون كان يُذَبِّحُ الأبناء ويستحيي النساء : ما ذكره
السُّدِّي وغيره : إن فرعون رأى في منامه : ناراً أقبلت من بيت المقدس حتى
اشتملت على بيوت مصر ، فأحرقت القبط ، وتركت بني إسرائيل ، وأخربت

(١) زيادة من «خ» .

(٢) الآراء أشير إليها في : تفسير جامع البيان ١ : ٢١٣ ، تفسير بحر العلوم ١ : ١١٧ ،
أجوبة المسائل القرآنية (ضمن رسائل الشريف المرتضى) ٣ : ١٠٤ ، تفسير النكت
والعيون ١ : ١١٨ و ٢ : ٢٤٩ ، تفسير الوسيط ١ : ١٣٥ ، وانظر : تأويلات أهل السنة
٥٠ : ١ ، التفسير الكبير ٣ : ٦٩ ، تفسير البحر المحيط ١ : ٣١٤ .

مصر . فدعى السحرة والكهنة والقافة فسألهم عن رؤياه .

فقالوا له : يخرج من هذا البلد الذي جاء بنو إسرائيل منه - يعنون بيت المقدس - رجل يكون على يده هلاك مصر .

فأمر بني إسرائيل ألا يولد لهم غلام إلا ذبحوه ولا جارية إلا تُرِكَت^(١) .

وليس في الآية دلالة على : سقوط القود عمّن قتل غيره مُكرّهاً . ولا القود على المكره . ولا إن كان مختاراً غير مكره فالقود عليه ؛ لأنه لم يجزٍ لذلك ذكر^(٢) .

فإن قيل : إذا كانوا نَجَوْهُم والله أنجاهم ، ما المنكر أن يكون العاصي هو الذي عصى والله خلق معصيته؟!

قيل : لا يجب ذلك ؛ ألا ترى أنه يقال : قد يُنجيني زيدٌ فأنجو ، وإن لم يكن فعَلٌ فعلاً بلا خلاف . وكذلك إذا استنقذنا النبي ﷺ من الضلالة فحلّضنا لا يجب أن يكون من فعلٍ فعلنا .

وأخبار الله تعالى اليهود بهذه القصة على لسان رسوله من دلائل نبوته ؛ لأن منشأه معروف ، وبُعده عن مخالطة الكتّابين معلوم .

(١) العلة والسبب والقصة أُشير إليها في مصادر التأريخ القديم وكتب التفسير ، للمثال انظر : تاريخ الأمم والملوك ١ : ٣٨٧ ، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ١ : ٣٤٧ ، الكامل في التأريخ ١ : ١٦٩ . وقصص الأنبياء أو عرائس المجالس : ١٦٦ ، قصص الأنبياء عليه السلام ٢ : ٣ ، النور المبين : ٢١٥ وكتب التفسير وهي كثيرة .

(٢) نفى الشيخ المصنّف رحمه الله ناظر إلى من استفاد ذلك من الآية المباركة مثل الطبري في جامعه ١ : ٢١٤ ، وانظر : تفسير الجامع لأحكام القرآن ١ : ٣٨٥ مسألة

قوله تعالى :

﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَ أَنْتُمْ
تَنْظُرُونَ﴾ آية (٥٠).

موضع ﴿إِذْ﴾ نصب - كما تقدّم - وهو عطف على ما مضى ، فكأنّه
قال : واذكروا إذ فرقنا بكم البحر ، وذلك من جملة نعم الله تعالى التي
عدّدها عليهم ممّا فعله مع أسلافهم .

ومعنى ﴿فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ﴾ أي : فرّقنا بين الماءين حتّى مررتم فيه
وكنتم فِرَقاً بينهما .

والفَرْقُ والفَصْلُ والقَطْعُ نَظَائِرُ .

والفَرْقُ يَقْتَضِي الجمع ، يُقال : فَرَقَ فَرَقاً ، وَأَفَرَقَ المريضُ إِفْراقاً ،
وافتَرَقَ الشيءُ افْتِرَاقاً ، واستَفَرَقَ استِفْراقاً ، وفَرَّقَهُ تَفْريقاً ، وتَفَارَقوا تَفَارَاقاً ،
وتَفَرَّقَ تَفَرُّقاً ، وفارَقَهُ مُفَارَقَةً ، وانْفَرَقَ انْفِرَاقاً .

والفَرْقُ : مَوْضِعُ المَفْرِقِ من الرأس .

والفَرْقُ : تَفْرِيقٌ ما بينَ الشَّيْئَيْنِ .

والفَرْقُ : فَرْجُكَ بينَ شَيْئَيْنِ تَفَرَّقُ بينهما فَرَقاً حتّى يَتَفَرَّقَا وَيَفْتَرِقَا ،
وتقول : تَفَارَقَ هَؤُلَاءِ الصُّحْبَةُ ، أي : فارق بعضهم بعضاً وافترقوا .

وتقول : مشطت الماشِطَةَ كذا وكذا فَرَقاً ، أي : كذا وكذا ضَرَباً .

والفِرْقُ : طائفةٌ من النَّاسِ ، قال أعرابي لصبيان رآهم : هَؤُلَاءِ فِرْقُ
سوءٍ ، والفِرْقُ : الطائفة من كُلِّ شيءٍ ، ومن الماء إذا انْفَرَقَ بعضُه عن بعضٍ ،
وَكُلُّ طائفةٍ من ذلك فِرْقٌ ، وقوله : ﴿فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾^(١)

يعني : الْفَرْقَ من الماء .

وَالْفَرْيَقُ : الطائِفَةُ من النَّاسِ ، وَالْفَرْقَةُ : مصدر الافتراقِ ، وهو أحد ما خَالَفَ فيه مَصَادِرُ (افتعل) ^(١) .

وَالْفُرْقَانُ : اسم للقرآن ، وكلُّ كتابٍ أنزلَ اللهُ وَفَرَّقَ بِهِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ فهو : فُرْقَانٌ ، وَسَمَّى اللهُ تَعَالَى التَّوْرَةَ فُرْقَانًا ، وَقوله : ﴿يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ أَتَقَى الْجَمْعَانِ﴾ ^(٢) كان يوم بدر ويوم أحد فَرَّقَ اللهُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ . وَالْفَرْقُ : هو الْفَلَقُ .

وَالْفَرْقُ : هو مِكْيَالٌ لَأَهْلِ الْعِرَاقِ .

وَالْفَرْقُ : الْخَوْفُ ، تقول : رَجُلٌ فَرْوَقَةٌ وامرأةٌ فَرْوَقَةٌ ، وَالْفِعْلُ : فَرِقَ يَفْرِقُ من كذا فَرَقًا .

وقوله : ﴿وَقَرَأْنَا فَرَقْنَاهُ﴾ ^(٣) - مُحَقَّفٌ - معناه : أَحْكَمْنَاهُ ، كقوله : ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ ^(٤) وَتَقُولُ : مُفَرِّقٌ ما بَيْنَ الطَّرَفَيْنِ .

وَأَفَرَقَ فُلَانٌ من مَرَضِهِ إِفْرَاقًا ، إِذَا بَرَأَ ، وَلَا يَكُونُ الْإِفْرَاقُ إِلَّا من مَرَضٍ لَا يَصِيبُ الْإِنْسَانَ إِلَّا دَفْعَةً وَاحِدَةً ، نحو : الْجُدَرِيُّ وَالْحَصْبَةُ .

وَدِيكَ أَفَرَقْتُ : إِذَا انْفَرَقَ عُرْفُهُ . وَتَبَسَّ أَفَرَقَ : إِذَا تَبَاعَدَ طَرَفَا قَرْنَيْهِ .

وَرَجُلٌ فَرْوَقَةٌ وَكَذَلِكَ الْمَرْأَةُ مَثَلُ : نَسَابَةٌ وَعَلَامَةٌ ، وَجاءَ مصدر فَرَقْتَهُ تَفْرِقَةً .

(١) هذا هو الصحيح ، وما في الأصول والحروفيات كونه «أفعل» لا يمكن المساعدة عليه ؛ إذ هو إشارة إلى أَنَّ «افترق» مصدره «افتراق» زنة «افتعال» ، وكون المصدر «فُرْقَةً» زنة «فُعْلَةً» ؛ هذا خلاف قياس المصدر المفروض . انظر العين ٥ : ١٤٧ .

(٢) سورة الأنفال ٨ : ٤١ .

(٣) سورة الإسراء ١٧ : ١٠٦ .

(٤) سورة الدخان ٤٤ : ٤ .

وَالْفَرْقُ - الذي جاء في الحديث : (ما أسكرَ الفَرْقُ فالجُرعة منه حَرَامٌ) ^(١) - : مِكْيَالٌ يُعْرَفُ بِالْمَدِينَةِ ^(٢) .

وفَرْقَةٌ من النَّاسِ ، وجمعه فِرْقٌ .

وأصلُ الفَرْقِ : الفَضْلُ بينَ الشيئين .

وَالْفَرْيَقَةُ : حُلْبَةٌ تُطْبَخُ بِتَمَرٍ لِلنَّفْسَاءِ وغيرها ^(٣) .

وَالْبَحْرُ يُسَمَّى بَحْرًا ، وهو : انبساطه وسَعَتُهُ ، ويقال : اسْتَبَحَرَ فُلَانٌ في

العِلْمِ ، وَتَبَحَّرَ : إذا اتَّسَعَ فِيهِ وَتَمَكَّنَ مِنْهُ ، وَيُقَالُ : تَبَحَّرَ الرَّاعِي : وقع في رَغْيٍ كثير ، قَالَ أُمَيَّةُ الصَّغِيرُ ^(٤) :

أَنَعِقْ بِضَائِكَ فِي نَفْلِ تَبَحَّرَهُ من ذي الأباطِحِ واحسبها بجلذَانِ ^(٥) [٢٣٨]

(١) روي عن النبي الأكرم في سنن أبي داود ٣ : ٣٢٩ ت ٣٦٨٧ ، السنن الكبرى للبيهقي ٨ : ٢٩٦ وانظر : مسند أحمد بن حنبل ٦ : ٧١ و ٧٢ و ١٣١ باختلاف في ذيله ، وحكي قولاً لابن عمر وغيره في المصنف لعبد الرزاق ٩ : ٢٢١ ت ١٧٠٠٣ - ١٠٠٦ .

(٢) انظر : تخريج الدلالات السمعية للخزاعي : ٦٢٢ . ففيه زيادة اطلاع .

(٣) مادة «فَرْقَ» مع بعض الاختلاف تجدها في : العين ٥ : ١٤٧ ، جمهرة اللُّغة ٢ :

٧٨٤ ، تهذيب اللُّغة ٩ : ١٠٣ ، المحيط في اللُّغة ٥ : ٣٩٥ ، المحكم والمحيط

الأعظم ٦ : ٣٨٣ ، الصحاح ٤ : ١٥٤٠ ، لسان العرب ١٠ : ٢٢٩ ، تاج العروس ١٣ :

٣٩١ ؛ وانظر : الغريبين للهروري ٥ : ١٤٤٠ ، النهاية في غريب الحديث والأثر ٣ :

٤٣٧ ، إصلاح المنطق (انظر الفهرس) .

(٤) أُمَيَّةُ بن حُرْثَان بن الأَسْكَرَ اللَّيْثِي الكِنَانِي ، شاعر فارس مخضرم ، من سادات قومه

وفرسانهم انتقل إلى المدينة المنورة من الطائف ، عدَّ في الطبقة العاشرة من

الجاهليين ، عمَّرَ طويلاً حتَّى خَرَفَ ، مات أيامَ عمر بن الخطاب .

له ترجمة في : طبقات فحول الشعراء ١ : ١٨٩ ، الأغاني ٢١ : ٩ ، خزانة الأدب

للبيгдаدي ٦ : ١٤ ش ٤٢٥ .

(٥) اُخْتَلَفَ في روايته حتَّى خرج عن الاستشهاد ، بل كأنه آخر . ولعلَّ المثبت أقرب

إلى الصواب .

و: تَبَحَّرَ فَلَانٌ فِي الْمَالِ .

ومن ذلك بُحَيْرَةُ طَبْرِيةَ : وهي عَشْرَةُ أُمِيالٍ فِي سِتَّةِ أُمِيالٍ ^(١) .

وقيل : هي عَلَامَةُ خُرُوجِ الدَّجَالِ إِذَا بَيَسَتْ فَلَا يَبْقَى مِنْهَا قَطْرَةٌ مَاءٍ ^(٢) .

وَبَخَرْتُ أُذُنَ النَّاقَةِ بَخْرًا إِذَا شَقَّقْتُهَا ، وهي : الْبَحِيرَةُ ، وَكَانَتِ الْعَرَبُ

تَفْعَلُ ذَلِكَ إِذَا أَنْجَحَتْ عَشْرَةَ أَبْطُنٍ فَلَا تُرَكَّبُ وَلَا يُتَنَفَّعُ بِظَهْرِهَا ، فَهِيَ اللَّهُ

عَنْ ذَلِكَ .

وَالسَّائِبَةُ : الَّتِي تُسَيَّبُ فَلَا يُتَنَفَّعُ مِنْهَا بِظَهْرِ وَلَا لَبَنٍ .

وَالْوَصِيلَةُ فِي الْغَنَمِ ، كَانَتْ إِذَا وَضَعَتْ أَنْثَى تُرِكَتْ ، وَإِنْ وَضَعَتْ ذَكَرًا

أَكَلَهُ الرَّجَالُ دُونَ النِّسَاءِ ، وَإِنْ مَاتَتِ الْأُنْثَى الْمَوْضُوعَةُ اشْتَرَكُوا فِي أَكْلِهَا ،

وَإِنْ وُلِدَ مَعَ الْمَيْتَةِ ذَكَرٌ حَيٌّ انْصَلَّتْ بِهِ كَانَتْ لِلرِّجَالِ دُونَ النِّسَاءِ ، وَيُسَمُّونَهَا

جاء المعنى : أَنْعَى : النَّعْثُ الصَّبِيحَ بِالْغَنَمِ وَالضَّأْنِ . ذِي الْأَبَاطِحِ - جَمْعُ أَبْطَحَ - : وَهُوَ

مَسِيلٌ فِيهِ تَرَابٌ وَدَقَاقُ الْحَصَى مِمَّا جَرَفَتْهُ السِّيُولُ . جِلْدَانٍ - بِكسر الجيم وسكون

اللام ، وَالدَّالِ اخْتَلَفَ فِيهِ ، فَرَوِي بِهِ وَالدَّالِ ، وَعَلَى أَيِّ فَهُوَ - : مَوْضِعُ قَرَبِ

الطَّائِفِ .

الشاهد : تَبَحَّرَهُ ، أَرَادَ مِنْهُ التَّوَسُّعَ وَالتَّمَكُّنَ مِنَ الرِّعْيِ فِي الْمَكَانِ .

انظر : الْأَمَالِي (الذيل) ٣ : ١٨٠ ، الْعَيْنُ ٣ : ٢١٩ ، مَعْجَمُ مَقَائِيسِ اللُّغَةِ ١ :

٢٠١ ، مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ ٢ : ١٧٤ ت ٣١٧٩ وَمَصَادِرُ التَّرْجَمَةِ ، فِي الْهَامِشِ السَّابِقِ .

(١) أَقْدَمَ مِنْ وَجَدْنَا التَّحْدِيدَ عِنْدَهُ هُوَ الْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ فِي الْعَيْنِ ٣ : ٢١٩ وَبَعْدَهُ عِنْدَ

الْأَزْهَرِيِّ فِي تَهْذِيبِ اللُّغَةِ ٥ : ٣٧ عَنِ اللَّيْثِ بْنِ نَصْرِ ، وَعَنْهُمْ أَخَذَتِ الْمَصَادِرُ

الْمَتَأَخِّرَةُ . انظر مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ ١ : ٣٥١ و ٤ : ١٧ ، مَرَاوِدُ الْأَطْلَاعِ ١ : ١٦٨ ، مَعْجَمُ

مَا اسْتَعْجَمَ ١ : ٢٢٩ .

(٢) خُرُوجُ الدَّجَالِ ، وَيَبُوسُ الْبَحِيرَةِ ، مِنَ الْعَلَامَاتِ الَّتِي أُشِيرَ إِلَيْهَا فِي جُمْلَةٍ مِنَ

الْمَصَادِرِ مِنْهَا : سَنَنِ التَّرْمِذِيِّ ٤ : ٥١٠ ت ٢٢٤٠ ، صَحِيحُ مُسْلِمٍ ٤ : ٢٢٥٤ ت

١١٠ ، مُسْنَدُ الشَّامِيِّينَ ٣ : ٣٨٧ - ٢٥٢٥ ، الْفَتْنُ لِلْمُرُوزِيِّ : ٣٩٨ ت ١٣٤٠ ، تَارِيخُ

دِمَشْقَ ٢ : ٢٢٠ ، سَنَنِ ابْنِ مَاجَةَ ٢ : ١٣٥٦ ت ٤٠٧٥ .

وَصِيلَةٌ .

وقد قيل غير ذلك ، سنذكره في موضعه إن شاء الله تعالى ^(١) .

(١) على الاختصار : لعرب الجاهلية معتقدات تُسمَّى أوابد ، قيل : لقدمها سميت بذلك ، وقيل : غير ذلك وقد شجبه الإسلام ونهى عنها وحرّمها . منها : البَجيرة ، السائبة ، الوصيلة ؛ وهكذا : نكاح المَقْت ، رمي البَعرة ، الأُلام ، المصفتح ، الحبس ، خروج الهامة ، وأد البنات ، دائرة المهقوع ، وغيرها كثير ، وما يهمنا منها الثلاثة الأولى .

١ - البَجيرة - فعيلة بمعنى مفعولة - وهي الناقة التي :

أ - تنتج خمسة أبطن .

ب - تنتج خمسة أبطن خامسها ذكر .

ج - تنتج خمسة أبطن خامسها إن كان ذكراً أكلوه وإن كان أنثى شقوا أذنّها وتركوها .

د - تكون أنثى ومن خامسة بطن .

هـ - هي التي مُنعت من الحلب لأجل الطواغيت .

و - هي بنت السائبة يشقُّ أذنّها وترك مع أمّها .

ز - التي تنتج خمسة أبطن إناث .

ح - التي تنتج خمسة أو سبعة أبطن .

ط - التي تنتج عشرة أبطن .

ي - هو السقب إذا وُلد نحروا أذنّه وقالوا : اللهم إن عاش فقنّي ، وإن مات فذكّي .

وقيل غير ذلك .

فيشقُّ أذنّها ، وترك فلا يجزّ لها وبر ، ولا يُحمل عليها شيء ، وتكون ألبانها للرجال دون النساء ، و... .

٢ - وأمّا السَّائبة : فاسم فاعل من ساب يسبب فهو سائب ، وهي سائبة ، أو فاعل بمعنى المفعول وإن قل .

وهي كسابقتها قد اختلف فيها على أنحاء ، منها :

أ - إذا قَدِمَ الرجل من سفر سالماً - أو لشكر نعمة - سَيَّبَ بعيراً ، وفعل فيه ما ذكر في البجيرة من شقِّ الأذن .

جاء ب - إذا أنتجت الناقة عشرة إناث فلا تُركب ولا يُشرب لبنها إلا ضيف أو وليدها .

ج - هي المتروكة لألتهم .

د - الناقة التي تُعدّ وتترك ليُحيى عليها .

هـ - وقيل : العبد يعتق على عدم ولاء ولا عقْل ولا ميراث .

٣ - الوَصِيْلَة : فَعِيْلَة بمعنى فاعلة ، واختلف في المراد منها ، وفي جنسها كثيراً ،

ف قيل :

١ - هي من جنس الغنم .

٢ - هي من جنس الإبل .

وأما المراد منها فقيل :

أ - الشاة التي تلد سبعة أبطن عناقين - توأمين توأمين - من الإناث والسابع أنثى وجدياً ، قيل : وصلت أخاها فيفعل فيها ما يفعل بالسَّائِبَة .

ب - الشاة إن ولدت ذكراً فلاكتهم ، وإن ولدت أنثى كان لهم .

ج - الشاة التي تنتج سبعة أبطن ، فإن كان السابع أنثى حرّمت على النساء إلا أن تموت فهي لهم جميعاً ، وإن كان أنثى وذكر قيل : وصلت أخاها فيتركان ولا ينتفع منهما إلا الرجال ، فإن ماتت اشتركوا بها جميعاً .

د - الشاة التي تنتج عشرة إناث في خمسة أبطن متواليات ، وبعد ذلك ما ولدت فهو للذكور دون الإناث .

وأما على كونها - الوصيْلَة - من جنس الإبل فقيل :

هي الناقة التي بكرها أنثى ثم تشي بأنثى ليس بينهما ذكر فتترك لألتهم ؛ إذ قد وصلت أنثى بأنثى .

وقيل غير ذلك ، وقد تعرّض لها جمع منهم : الآبِي في نثر الدر ٦ ق ٢ : ٣٥٥

ب ٧ ، والقلقشندي في صبح الأعشى ١ : ٣٩٨ نوع ١٤ ، والنويري في نهاية الأرب

٣ : ١١٦ ، والدميري في حياة الحيوان ٢ : ٣٦٧ «النَّعَم» . وانظر : تفسير جامع البيان

٧ : ٥٦ ، معاني القرآن للقرّاء ١ : ٣٢٢ ، معاني القرآن للزّجاج ٢ : ٢١٣ ، مجاز القرآن

١ : ١٧٨ ، تفسير المحرّر الوجيز ٥ : ٢١٠ ، تفسير الجامع لأحكام القرآن ٦ : ٣٣٥ ،

اللُّبَاب في علوم الكتاب ٧ : ٥٥٢ ، تفسير روح المعاني ٧ : ٤٢ ، وفي كتب اللُّغة

متفرقة كلّ في ماذته منها : تاج العروس ٦ : ٥٢ «يَحْرَ» و ٢ : ٨٨ «سَيَب» و ١٥ : ٧٧٦

وَالْبَاحِرُ: الْأَحْمَقُ الَّذِي إِذَا كُلَّمْ بَحْرٌ وَبَقِيَ كَالْمَبْهُوتِ .

وَبَحْرَانِي: مَنْسُوبٌ إِلَى الْبَحْرَيْنِ .

وَدَمُ بَحْرَانِي وَبَاحِرِي: إِذَا كَانَ خَالِصَ الْحُمَرَةِ مِنْ دَمِ الْجَوْفِ .

وَالْعَرَبُ تُسَمَّى الْمَالِحَ وَالْعَذْبَ بَحْرًا إِذَا كَثُرَ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ: ﴿مَرَجَ

أَلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾^(١) يَعْنِي: الْمَالِحُ وَالْعَذْبُ^(٢) .

وَأَصْلُ الْبَابِ: الْإِتْسَاعُ .

وَالْبَحْرُ: هُوَ الْمَجْرَى الْوَاسِعُ الْكَثِيرُ الْمَاءِ .

وَأَمَّا اللَّحْجُ: فَهُوَ الَّذِي لَا يُرَى حَافَتَيْهِ مِنْ فِي وَسْطِهِ؛ لِعَظَمِهِ وَكَثْرَةِ

مَائِهِ . فِدْجَلُهُ بَحْرٌ بِالإِضَافَةِ إِلَى السَّاقِيَةِ، وَلَيْسَتْ بَحْرًا بِالإِضَافَةِ إِلَى جَدَّةِ

وَمَا جَرَى مَجْرَاهَا^(٣) .

وَمَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ﴾ :

أَي: جَعَلْنَاكُمْ بَيْنَ فَرْقِيهِ تَمَرُونَ فِي طَرِيقِ يَبَسَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى:

﴿فَاضْرِبْ لَهُم مَّطَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا﴾^(٤)، وَقَالَ: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى

﴿وَصَلَّ﴾ وَهَكَذَا غَيْرُهَا مِنَ الْمَوَارِدِ وَالْكَتَبِ .

وَعِنْدَ تَفْسِيرِ الْآيَةِ: ١٠٣ مِنْ سُورَةِ الْمَائِدَةِ مِنَ التَّبْيَانِ وَغَيْرِهِ .

(١) سُورَةُ الرَّحْمَنِ ٥٥ : ١٩ .

(٢) مَادَّةُ «بَحْرٌ» فِي مَوَارِدِ اللَّغَةِ تَجْدُهَا فِي: الْعَيْنِ ٣ : ٢١٩ ، جُمُورَةُ اللَّغَةِ ١ : ٢٧٣ ،

تَهْذِيبُ اللَّغَةِ ٥ : ٣٧ ، الْمَحِيطُ فِي اللَّغَةِ ٣ : ٩١ ، الْمَحْكَمُ وَالْمَحِيطُ الْأَعْظَمُ ٣ :

٣١٩ ، مَعْجَمُ مَقَايِيسِ اللَّغَةِ ١ : ٢٠١ ، الصَّحَاحُ ٢ : ٥٨٥ ، لِسَانُ الْعَرَبِ ٤ : ٤١ ، تَاجُ

الْعُرُوسِ ٦ : ٥٠ .

(٣) الْمُرَادُ مِنْهُ الْبَحْرُ الْأَحْمَرُ وَغَيْرُهُ مِنَ الْبَحَارِ .

(٤) سُورَةُ طه ٢٠ : ٧٧ .

أَنْ أَضْرِبَ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ^(١) .

وقال بعضهم في معنى ﴿فَرَقْنَا﴾ : يعني بين الماء وبينكم ، أي : فصلنا بينكم وبينه ، وحجزناه حيث مررتم فيه^(٢) .

وهذا خلاف الظاهر ، وخلاف ما بيّنه في الآيات الأخر التي وردت مفسّرة لذلك ومُبيّنة لما ليس فيه اختلاف .

وقوله : ﴿وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ﴾ :

قال صاحبُ العين : العَرَقُ : الرُّسُوبُ في الماء ، ويُشَبَّهُ به الدُّنُوبُ والبُلُوى .

والتَّغْرِيقُ والتَّغْوِصُ والتَّغْيِيبُ نَظَائِرُ .

والتَّجَاةُ : ضِدُّ العَرَقِ ، كما أنّها ضِدُّ الهَلَاكِ ، يُقال : عَرِقَ عَرَقًا وأَغْرَقَ في الأمرِ إغراقًا ، وَعَرَقَهُ تَغْرِيقًا ، وَتَغَرَّقَ تَغْرِيقًا ، وَرَجُلٌ عَرِيقٌ وَغَرِيقٌ ، وَغَرَّقْتُ النَّبْلَ وَأَغْرَقْتَهُ : إذا بَلَغْتَ به غَايَةَ المَدِّ في القوس . والفَرَسُ إذا خَالَطَ الْحَيْلَ ثُمَّ سَبَقَهَا يُقال : اغْتَرَقَهَا .

وَالْعَرَقَةُ مِنَ اللَّبَنِ : القليل .

قال ابنُ دُرَيْدٍ : عَرِقَ يَغْرِقُ عَرَقًا في الماء ، وَعَرِقَ في الطَّيْبِ والمالِ ، وأصلُهُ في الماءِ ، وَكَثُرَ فاستُعْمِلَ في غيره . وكذلك عَرِقَ في الذنوب .

وَأَغْرَقَ في الأمرِ يُغْرِقُ إغراقًا : إذا جَاوَزَ الحَدَّ فيه .

وأصلُهُ : من التَّنْزِعِ في السَّهْمِ حَتَّى يَخْرُجَهُ عَنِ كَيْدِ القوس .

(١) سورة الشعراء ٢٦ : ٦٣ .

(٢) نسبهُ أبو جعفر الطبري في جامعه ١ : ٢١٧ إلى بعض نحويي البصرة ، ومراده عادة أبو عبيدة التيمي صاحب مجاز القرآن ولم نجده فيه . وانظر : تفسير النكت والعيون ١ : ١١٩ من دون نسبة .

واغرورقت عيناه: شَرِقت بدمعها .

وجَمَعَ غَرِيق: غَرَقْنِي .

وأصل الباب: الغَرَقُ الرُّسُوبُ في الماء^(١) .

وقوله: ﴿وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ :

قال المفسرون: وأنتم ترون ذلك وتعاينونه .

والتَّظَرُّ والبَصَرُ والرُّؤية تَظَايَرُ في اللغة .

يقال: نَظَرَ يَنْظُرُ نَظَرًا، وَأَنْظَرَ يُنْظِرُ إِنْظَارًا، وَانْتَظَرَ انْتِظَارًا، وَاسْتَنْظَرَ

اسْتِنْظَارًا، وَتَنَاطَرَ^(٢) تَنَاطُرًا، وَنَاطَرَهُ مَنَاطَرَةً .

قال صاحب العين: نَظَرَ يَنْظُرُ نَظَرًا - [وَنَظَرًا] - بتخفيف المصدر^(٣)،

وتقول: نَظَرْتُ إلى كذا وكذا من نَظَرِ العين ونظر القلب^(٤)، وَنَظَرْتُ في

الكتاب وَنَظَرْتُ في الأمرِ .

وقول القائل: أَنْظِرْ إلى الله تعالى ثُمَّ إِلَيْكَ، معناه: إِنِّي أَتَوَقَّعُ فَضْلَ اللَّهِ

ثُمَّ فَضْلَكَ . ويقال: نَظَرْتُ بعلمي .

(١) العين ٤: ٣٥٤، جمهرة اللغة ٢: ٧٨٠ وانظر: تهذيب اللغة ١٦: ١٣٣، المحيط في اللغة ٤: ٥٢٨، المحكم والمحيط الأعظم ٥: ٣٨٤، الصحاح ٤: ١٥٣٦، لسان العرب ١٠: ٢٨٣، تاج العروس ١٣: ٣٧١، «غَرَقَ» في الجميع .

(٢) في: «و، س، ل»: تناظروا، بصيغة الجمع، وأما نسخة «خ» فمخروم منها صفحات عدة. (٣) اختلفت المصادر - العين، تهذيب اللغة، لسان العرب - في ضبط هذه الجملة زيادة ونقص، وبإضافة ما بين المعقوفتين لعلَّه وَضَحَ المراد من التخفيف؛ إذ هو إشارة إلى مجيء عين الفعل ساكنًا - والسكون أَخَفَّ الحركات - وإن قَلَّ .

(٤) هذا مطابق للعين، وتهذيب اللغة حكاه عن الليث نصًّا، وكذا حُكِيَ في لسان العرب وتاج العروس . وما في النسخ: «ل، س، و، هـ، حجر»: «نظرت إلى كذا من غير ذكر العين» . فلم نجد له منشأ، وأما نسخة «خ» فمخروم منها صفحات عدة.

ويقال : نَظَرَ الدَّهْرُ إِلَيْهِمْ : أي : أَهْلَكَهُمْ ، قال الشاعر :

..... نَظَرَ الدَّهْرُ إِلَيْهِمْ فابْتَهَلَ^(١) [٢٣٩]

والتَّنَظَّرُ : آلاَسَمَ مِنْ نَظَرٍ . وقوله : ﴿لَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ﴾^(٢) أي :

لَا يَرْحَمُهُمْ .

والمَنْظُورُ مِنَ النَّاسِ : هو المَرْجُو فَضْلُهُ ، يُنْعَتُ بِهِ السَّيِّدُ .

والتَّنَظُّورُ : الذي لَا يَغْفِلُ عَنِ النَّظَرِ إِلَى مَا أَهْمَهُ .

والمُنَاطَرَةُ : أَنْ تُنَاطِرَ أَحَاكَ فِي أَمْرٍ ، تَنْظُرُ أَنْتَ فِي ذَلِكَ وَيَنْظُرُ هُوَ فِيهِ

كَيْفَ تَأْتِيَانِهِ .

والمَنْظَرَةُ : مَوْضِعٌ فِي رَأْسِ جَبَلٍ يَكُونُ فِيهِ رَقِيبٌ يَنْظُرُ فِيهِ إِلَى الْعَدُوِّ

وَيَحْرُسُ أَصْحَابَهُ .

والمَنْظَرَةُ : مَنَظَرُ الرَّجُلِ إِذَا نَظَرَتْ إِلَيْهِ أَعْجَبَكَ أَوْ سَاءَكَ ، تقول : إِنَّهُ

لَذُو مَنَظَرَةٍ بِلَا مَخْبَرَةٍ .

والمَنْظَرُ : مصدر كالتَّنَظَرُ .

والمَنْظَرُ : الشَّيْءُ الَّذِي يُعْجِبُ بِالنَّظَرِ إِلَيْهِ وَيُسِرُّ بِهِ ، تقول : إِنَّ فَلَانًا

(١) وصدده :

فِي قُرُومٍ سَادَةٍ مِنْ قَوْمِهِ

البيت للشاعر لَبِيد بن ربيعة العامري .

الشاهد فيه : استعمال (نظر) بمعنى أَهْلَكَ .

المعنى : الشاعر يمدح قومه وقبيلته ويصفهم بالصفات الحميدة ، ثُمَّ يَقُولُ وَهُمْ

عَلَى هَذَا إِذْ نَظَرَ الدَّهْرُ إِلَيْهِمْ ، أَي : أَهْلَكَهُمْ وَأَزَالَهُمْ ، فابْتَهَلَ مُتَعَجِّبًا وَمَفْتَحِرًا عَلَى

مَا تَمَكَّنَ مِنْهُ .

انظر الديوان ١٤٨ ، وبشرح الطوسي البيت ٨٢ من القصيدة ٢٦ : ١٧٤ .

(٢) سورة آل عمران ٣ : ٧٧ .

لَفِي مَنْظَرٍ وَمَسْمَعٍ ، وَفِي رَيٍّ وَمَشْبَعٍ ؛ أَي : فِيمَا أَحَبَّ النَّظَرَ إِلَيْهِ .

وَنَظَارٍ بِمَعْنَى انْتَهَظَ : فِي الْأَمْرِ ^(١) .

وَنَظَرُ الْعَيْنِ : النِّقْطَةُ السَّوْدَاءُ الْخَالِصَةُ الصَّافِيَةِ الَّتِي فِي جَوْفِ سَوْدَاءِ الْعَيْنِ مِمَّا يَرَى إِنْسَانُ الْعَيْنِ .

وَالنَّظِيرُ : نَظِيرُكَ الَّذِي هُوَ مِثْلُكَ ، وَالْأُنْثَى نَظِيرَةٌ ، وَجَمْعُهُ نَظَائِرُ فِي الْكَلَامِ وَالْأَشْيَاءِ .

وَنَظَرْتُهُ وَانْتَهَظْتُهُ بِمَعْنَى وَاحِدٍ .

وَتَقُولُ : انْظُرْنِي يَا فُلَانُ ، أَي : اسْتَمِعْ إِلَيَّ ؛ لِقَوْلِهِ : ﴿ لَا تَقُولُوا رُعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا ﴾ ^(٢) وَتَقُولُ : بَعَثْتُ فُلَانًا فَأَنْظَرْتُهُ ، أَي : أُنْسَأْتُهُ ، وَالْأَسْمُ النَّظَرَةُ ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ : ﴿ فَنَظَرَةً إِلَى مَيْسَرَةٍ ﴾ ^(٣) أَي : فَانْتَظَارَ ، وَاسْتَنْظَرَ فُلَانٌ - مِنَ النَّظَرَةِ - إِذَا هُوَ سَأَلَ .

التَّنَظُّرُ : تَوَقُّعُ أَمْرٍ تَنْتَظِرُهُ .

وَبِفُلَانٍ نَظَرَةٌ ، أَي : سُوءُ هَيْئَةٍ ، وَقَوْلُهُ : ﴿ أَنْظُرُونَا نَقْتِسِسَ مِنْ نُورِكُمْ ﴾ ^(٤) أَي : انْظُرُونَا ^(٥) .

وَأَصْلُ الْبَابِ كُلُّهُ : الْإِقْبَالُ نَحْوَ الشَّيْءِ بِوَجْهِهِ مِنَ الْوَجْهِ .

(١) فِي الْمَصْدَرِ : اسْمٌ وَضِعَ فِي مَوْضِعِ الْأَمْرِ . وَالْمَثْبُتُ مُطَابِقٌ لِلْأَصُولِ الْخَطِيئَةِ .

(٢) سُورَةُ الْبَقَرَةِ ٢ : ١٠٤ .

(٣) سُورَةُ الْبَقَرَةِ ٢ : ٢٨٠ .

(٤) سُورَةُ الْحَدِيدِ ٥٧ : ١٣ .

(٥) مَادَّةُ «نَظَرَ» ضَبَطَتْ عَلَى الْمَصَادِرِ اللَّغَوِيَةِ الْمَعْتَمَدَةِ لِلْمَصْنُوفِ وَغَيْرِهَا ، عَلَى أَنَّ بَعْضَ الْاِخْتِلَافَاتِ الْبَاقِيَةِ لَعَلَّ لَا ضَرِيرَ فِيهَا ، انْظُرْ : الْعَيْنُ ٨ : ١٥٤ ، جَمْهَرَةُ اللَّغَةِ ٢ : ٧٦٣ ، تَهْذِيبُ اللَّغَةِ ١٤ : ٣٦٨ ، الْمَحِيطُ فِي اللَّغَةِ ١٠ : ٢١ ، الْمَحْكَمُ وَالْمَحِيطُ الْأَعْظَمُ ١٠ : ١٣ ، الصَّحَاحُ ٢ : ٨٣٠ . لِسَانُ الْعَرَبِ ٥ : ٢١٥ ، تَاجُ الْعُرُوسِ ٧ : ٥٣٧ .

وقال قوم: إِنَّ النَّظَرَ إِذَا كَانَ مَعَهُ «إِلَى» لَا يَحْتَمِلُ إِلَّا الرُّؤْيَا، وَحَمَلُوا قَوْلَهُ: ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾^(١) عَلَى ذَلِكَ، وَقَالُوا: لَا يَحْتَمِلُ التَّأَمُّلُ^(٢).

(١) سورة القيامة ٧٥: ٢٣.

(٢) إشارة عابرة من المصنّف ﷺ إلى بحث الرؤية والنظر - رؤية الباري جلّ وعلا والنظر إليه تنزّه عن ذلك - وهو بحث طويل قديم، تعرّض له الفلاسفة والحكماء والمتكلمون من القدماء، المسلمون منهم وغير المسلمين ادلّوا بدلوهم، ومنذ الصدر الأوّل وإلى يومنا هذا كلّ خاضه بالنحو الذي تملّيه عليه معرفته وعقليته، وما ارتبط به من ولائٍ سياسيٍّ أو حكوميٍّ أو مذهبيٍّ. والولاءات رأس البلاء، والحرية الملوثة بكلّ داء ومرض.

وقد أسالت - للبحث هذا - الأقلام والأفكار ما عندها وما لديها من علم ومعرفة في ذلك مفصّحة من خلاله عمّا تأثّرت به متابعتها للحاكم والحكومة وما أملتته الظروف السياسيّة، فأريقت حول هذه الآراء - الرؤية، خلق القرآن، والإمامة، و... - الدماء الزكيّة البريئة النزيهة، وأزهقت النفوس العالمة المؤمنة بربها - ممّا هو مسطور في التاريخ - كلّ ذلك لابتعادها عن مصادر الرأى الإسلاميّ الأصيل والمنايع الزّلال الصافية. نعم، لنأيهم عن أبواب العلم وإعراضهم عن أهل بيت الوحي والطهارة. نراهم يتخيّطون فيها متابعين - من حيث يشعرون أو لا يشعرون - اليهود والنصارى القائلين بالتّجسيم والتّثليث، و... ولا يخفى أنّ مصبّ النزاع إنّما هو إمكان الرؤية البصريّة الحقيقيّة، لا الرؤية القلبيّة البصيرية؛ لعدم قائل بالامتناع في هذه.

وعلى آية حال فقد افرق المسلمون إلى جبهتين:

١ - الأشاعرة، ومن تبعهم ممّن قال بالتجسيم والتشبيه: القائلون بأنّ الباري جلّ وعلا جسم كباقي الأجسام، له طول وعرض، وله هيئة وذو يد ورأس و...، وجهة. وعليه فقد جوّزوا رؤيته تعالى بلا إشكال وفي الشّأتين. ولسخف مقالتهم - بل لسخفهم وجهلهم وحقهم - نعرض عنهم وعن آرائهم.

٢ - أهل التنزيه: وهم الشيعة الإماميّة الإثني عشرية، ومن قال بمقولتهم من أهل السنّة والجماعة كالمعتزلة عموماً، والزيدية، وقسم من الأشاعرة.

وهؤلاء افرقوا في البحث هذا - الرؤية - مع القول بالتنزيه إلى قولين:

١ - الإمكان وعدم الامتناع، وعدم الاستحالة. وهذا هو رأي الأشاعرة وجمهور
لهم

وذلك غلط ؛ لأنهم يقولون : إِنَّمَا أَنْظَرُ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ إِلَيْكَ ، بمعنى : أَتَوَقَّعُ فَضَلَ اللَّهِ ثُمَّ فَضْلَكَ ، وقال الطَّرِيحُ بن إسماعيل ^(١) :

لِأَهْلِ السَّنَةِ وَالْجَمَاعَةِ .

٢ - القول بالامتناع بل الاستحالة - دنياً وآخرة - وهذا اتّجاه الشيعة الإمامية تبعاً لأئمتهم عليهم السلام والذي يوضحه كلام أمير المؤمنين في خطبته في النهج .

وعلى آية حال فإن فروع البحث هذا كثيرة ومسالكه دقيقة وعويصة تحتاج في النظر إليها وفيها إلى الاستضاءة بنور العقل السليم ، واعتماد الفطرة التي فطر البارئ عليها الناس ، والتحرّز والتجرّد من الرواسب ، وما رأوا ووجدوا عليه آبائهم . وعليه فالإحالة على كتب ومصادر الاختصاص أولى وأفضل .

انظر : نهج البلاغة «الخطبة الأولى في مختلف الطبقات أو الشروح» ، التوحيد للصدوق : ٣١ ، ٩٧ و ١٠٧ ، وغيرها ، الكافي : ١ : ٥٧ كتاب التوحيد ، الإلهيات على هدى الكتاب والسنة والعقل ، للشيخ السبحاني ٢ : ١٢٥ ، أمالي المرتضى ٢ : ٢١٥ ، كلمة حول الرؤية «ضمن موسوعة الإمام شرف الدين م ٤ ك ٥» ، تفسير الميزان ٨ : ٢٣٧ - ٢٦٢ و ٧ : ٢٩٢ .

ولاحظ : التفسير الكبير ٣٠ : ٢٢٦ ، تفسير الجامع لأحكام القرآن ١٩ : ١٠٧ ، الباب في علوم الكتاب ١٩ : ٥٦٢ .

و : مقالات الإسلاميين واختلاف المصلّين : ٢١٣ - ٢١٧ ، تمهيد الأوائل للباقلاني : ٣٠١ وبعده ، في التوحيد لأبي رشيد النيسابوري : ٦٠١ ، شرح الأصول الخمسة للقاضي : ٢٣٢ ، تبصرة الأدلة للنسفي ١ : ٣٨٧ ، أصول الدين للبغدادي : ٩٧ ، المغني للقاضي ٤ : ٨٩ وما بعدها ، الهداية إلى سبيل الرّشاد : ٧٤ ، الإبانة عن أصول الديانة : ٣٥ ، أنوار الملكوت : ٨٢ ، إرشاد الطالبين : ٢٤١ ، تلخيص المُحَصَّل : ٣١٦ ، اللوامع الإلهية في المباحث الكلامية : ١٦٣ ، رسائل الشريف المرتضى ٣ : ٢٨١ ، إحقاق الحق ١ : ١٢٨ . نهاية الإقدام في علم الكلام : ٣٥٦ ، هداية الأمة إلى معارف الأئمة : ٢٤٠ ، متشابه القرآن لابن شهر آشوب ١ : ١٠٢ ، وانظر : موسوعة المواضيع في المصادر الإسلامية ١ : ٢٤٥ ، معجم العناوين الكلامية والفلسفية : ٧٢ ، وغيرها كثير ..

(١) ابن عبيد بن أسيد الثقفي ، أبو الصلت ، شاعر مُجيد حسن الشعر ، بديع النظم ، من شعراء الأمويين ، ولخوئلته الوليد بن يزيد الأموي اختص به منذ ولادة عهده

- وَإِذَا نَظَرْتُ إِلَيْكَ مِنْ مَلِكٍ
وقال جميل بن مَعْمَر^(٢) :
- نَظَرَ الْفَقِيرِ إِلَى الْغَنِيِّ الْمُوَسِّرِ^(٣) [٢٤١]
وقال آخر :

وإلى آخر أيامه عاش حتى أدرك أيام الهادي العباسي .
له ترجمة في : الشعر والشعراء ٢ : ٦٧٨ ت ١٤٥ ، الأغاني ٤ : ٣٠٢ ، تاريخ دمشق ٢٤ : ٤٦٨ ، معجم الأدباء ١٢ : ٢٢ ت ١١ .
(١) استشهد به جمع ومن دون نسبة لما استشهد به المصنف من عدم دلالة اقتران النظر بـ (إلى) على الرؤية .
هذا وقد اختلف في رواية الشطر الثاني منه ولا ضير .
انظر : الكشف ٦ : ٢٧٠ ، التفسير الكبير ٣٠ : ٢٢٧ ، تفسير البحر المحيط ١٠ : ٣٥١ ، الدر المصون ٦ : ٤٣١ ت ٤٤٢٣ ، الأربعين في أصول الدين ١ : ٢٩١ ، اللباب في علوم الكتاب ١٩ : ٥٦٣ .
(٢) أبو عمرو ، جميل بن عبدالله بن مَعْمَر الْعُذْرِي ، من عشاق العرب ، إذ شهر ببشينة وهي به ، شاعر فصيح مقدّم في شعر الغزل ، يذوب رقة ، جامع للشعر والرواية . وُصِفَ بإمام المحبين .
له القولة الشهيرة التي تعدّ مصداقاً جلياً للحب العذري : لا نالتني شفاعة محمد ﷺ إن كنت وضعت يدي عليها لريبة .
توفي عام : ٨٢ هـ .
ترجمته في : طبقات فحول الشعراء ٢ : ٦٤٨ ، الموشح : ٢٣٤ ، الشعر والشعراء ٤٣٤ : ٧٧ ، الأغاني ٨ : ٩٠ ، تاريخ دمشق ١١ : ٢٥٥ ت ١٠٧٤ .
(٣) البيت من مقطوعة قالها عندما أخلفت الوعد - بشينة - في رؤيته ، وقد اختلف في رواية البيت بما لا يضرّ محلّ الشاهد .
الشاهد : مع اقتران النظر بإلى فإنّه على خلاف ما قيل من الاختصاص ؛ إذ معناه التوقّع والانتظار ، لا المشاهدة . والرؤية البصريّة .
انظر : الديوان : ٢٥ - ٢٦ ط دار بيروت .

وَجُودَ يَوْمَ بَذَرٍ نَظَرَاتٍ إِلَى الرَّحْمَنِ تَأْتِي بِالْفَلَاحِ^(١) [٢٤٢]
وَأَتُوا بـ «إلى» على معنى نَظَرَ الانتظار.

والصحيح: إِنَّ النظر لا يفيد الرؤية، وإنما حقيقته تحديق الجارحة
الصحيحة نحو المرئي طلباً لرؤيته، ولو أفاد الرؤية لما جعل غايةً لنفسه؛
ألا تراهم يقولون: ما زلتُ أَنْظُرَ إليه، ولا يقولون: ما زلتُ أراه حتى رأيتَه.
ولأنهم يُثَبِّتُونَ النَّظَرَ وينفون الرؤية، يقولون: نظرتُ إليه فلم أره،
ولا يقولون: رأيتَه فلم أره.

فإذا ثَبَتَ هذا، فالأولى أن نقول: إِنَّ تَأْوِيلَ الآية ﴿وَأَغْرَقْنَا آلَ
فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾: وأنتم مقبلون عليهم متوقعون له.

وقال الفراء: قد كانوا في شغلٍ مِنْ أَنْ يَنْظُرُوا، مستورين بما اكتنفَهُمْ
مَنْ البحر أن يَرَوْا فرعونَ وغرقه، ولكنه كقولك: قد ضُرِبَتْ وأهلك
ينظرون فما أَتَوْكَ ولا أغاثوك، ومعناه: وهم قريبٌ بمرأى ومَسْمَعٍ.

ومثله قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾^(٢) وليس هاهنا
رؤية، وإنما هو علم؛ لأنَّ الرؤية تُستعمل في مثل ذلك، يقول القائل:
رأيتُ فرعونَ أَعْتَى الخلق وأخْبِثَه^(٣).

(١) اختلف في روايته بدل بدر: بكر، ومعه فالرحمن هو مسيلمة، وكذا في الشطر الثاني.
واستشهد جمع به على خلاف مذهب الشيخ المصنّف ناسبه إلى حسن
الأنصاري، أو من دون نسبة. علماً أنَّ الديوان خال منه.

انظر: تمهيد الأوائل للباقلاني: ٣١٢، في التوحيد للنيسابوري: ٦٠٤، شرح الأصول
الخمس للقاظمي: ٢٤٥، تبصرة الأدلة للنسفي: ١: ٣٩٧، أصول الدين للبغدادي: ١٠٠.

(٢) سورة الفرقان ٢٥: ٤٥.

(٣) معاني القرآن للفراء ١: ٣٦.

وهذا الذي ذكره الفراء محتملٌ مليح ، غير أنه مخالف لقول المفسرين كلهم ؛ فإنهم لا يختلفون [في] ^(١) أن أصحاب موسى رأوا انفراق البحر والتطام أمواجه بآل فرعون حتى غرقوا ، فلا وجه للعدول عن الظاهر مع احتماله ؛ ولأنهم إذا عاينوا ذلك كان أشدَّ في قيام الحجَّة ، وأعظم في ظهور الآية .

وذكر الزجاج وجهاً آخر ، قال : معناه وأنتم بإزائهم ، كما يقول القائل : دور آل فلان تنظر إلى دور آل فلان ، أي : هي بإزائها ؛ لأنها لا تبصر ^(٢) .

وقصة فرعون مع بني إسرائيل في البحر ، ولا نعلم إلا جملة ممَّا قال ابن عباس : إن الله أوحى إلى موسى : ﴿أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُمْ مُتَّبِعُونَ﴾ ^(٣) ، فسرى موسى ببني إسرائيل ليلاً ، فاتبعه فرعون في ألف ألف حصان سوى الإناث ، وكان موسى في ستمائة ألف ، فلما عاينهم قال : ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ * وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ * وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَادِرُونَ﴾ ^(٤) .

فسرى موسى ببني إسرائيل حتى هجموا على البحر ، فالتفتوا ، فإذا هم برهج دواب فرعون ، فقالوا : يا موسى ، ﴿أَوَذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا﴾ ^(٥) ، هذا البحر أماننا وهذا فرعون قد رهقنا بمن معه : ﴿قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ ^(٦) .

(١) أثبتت لاقتضاء السياق .

(٢) معاني القرآن للزجاج ١ : ١٣٣ .

(٣) سورة الشعراء ٢٦ : ٥٢ ، ٥٤ - ٥٦ .

(٤) سورة الأعراف ٧ : ١٢٩ .

قال : فأوحى الله إلى موسى : ﴿أَنْ أَضْرِبَ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ﴾^(١) ،
وأوحى إلى البحر أن اسمع لموسى وأطع إذا ضربك ، قال : فبات البحر له
أفكل - أي : له رَعْدَة - لا يدري من أيّ جوانبه يضربه .

قال : فقال يوشع لموسى ^{عليه السلام} : بماذا أمرت ؟

قال : أمرتُ أَنْ أَضْرِبَ البحر . قال : فاضربه .

فضرب موسى البحر بعصاه ، فانفلق ، فكان اثنا عشر طريقاً ، كلُّ
طريق كالطُّود العظيم ، فكان لكلِّ سبطٍ منهم طريق يأخذون فيه .

فلَمَّا أخذوا في الطريق ، قال بعضهم لبعض : ما لنا لا نرى أصحابنا ؟
فقالوا لموسى : أصحابنا لا نراهم ! فقال لهم : سيروا فَإِنَّهُمْ على طريق مثل
طريقكم . فقالوا : لا نرضى حتّى نراهم . فيقال : إِنَّ موسى قال : اللَّهُمَّ أعْنِي
على أخلاقهم السيئة . فأوحى الله إليه أَنْ قُلْ بعصاك : هكذا ، وهكذا يميناً
وشمالاً ، فصار فيها كُؤَى^(٢) ينظر بعضهم إلى بعض .

قال ابن عباس : فساروا حتّى خرجوا من البحر .

فلَمَّا جاز آخر قوم موسى هجم فرعون هو وأصحابه ، وكان فرعون
على فرس أدهم ذئوب حصان ، فلَمَّا هجم على البحر هاب الحصان أن
يتقحّم على البحر ، فتمثّل له جبرائيل على فرس أثنى وَدِيق^(٣) فلَمَّا رآها
الحصان تَقَحَّم خلفها .

(١) سورة الشعراء ٢٦ : ٦٣ .

(٢) كوى - جمع كوة - : وهي الفتحة أو الثقب أو الشباك الصغير في الجدار أو

البيت . المحكم والمحيط الأعظم ٧ : ٧٥ ، لسان العرب ١٥ : ٢٣٦ ، «كُؤَى» .

(٣) الوديق : من كلّ ذي حافر التي تحرص على الفحل والمريدة له جدّاً . انظر «وَدَقَّ»

في : العين ٥ : ١٩٨ ، المحيط في اللّغة ٥ : ٤٨٨ ، الصحاح ٤ : ١٥٦٣ .

وقيل لموسى: اترك البحر رهواً، أي: طرقاتاً على حاله. ودخل فرعون وقومه البحر.

فلما دخل آخر قوم آل فرعون وجاز آخر قوم موسى، انطبق البحر على فرعون وقومه فأغرقوا.

ويقال: نادى فرعون حين رأى من سلطان الله وقدرته ما رأى، وعرف ذلّه وخذلة نفسه: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتَ بِهِ بُنُوا إِسْرَءِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾^{(١)(٢)}.

فإن قيل: كيف لم يُسوّ الله بين الخلق في هذه الآيات الباهرات التي أعطاهها بني إسرائيل؛ لتكون الحجّة أظهر، والشبهة أبعد؟

قيل: الآيات يُظهرها الله تعالى على حسب ما يعلم من المصلحة في ذلك، وعلى حدّ لا ينتهي إلى الإلجاء والاضطرار، وخولف بين الآيات لهم على قدر حدة أذهان غيرهم وكلالة أذهانهم.

يدلّ على ذلك أنّ بعد مشاهدة هذه الآيات: ﴿قَالُوا يَمْوَسَىٰ اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾^(٣)، ولما كانت العرب من أحد الناس أذهاناً، وأجودهم أوهاماً جاءت الآيات مشاكلة لطباعهم ومجانسة لدقة أذهانهم، وفي الجميع الحجّة الباهرة والآية القاهرة.

وليس يمكن أن يقال: إنّه لو ظهر لهم مثل تلك الآيات لآمنوا

(١) سورة يونس ١٠ : ٩٠.

(٢) القصّة تجدها فيما اختصّ من المؤلفات بذكر القصص القرآني، مثل: قصص القرآن لابن كثير ٢ : ٧٢، قصص الأنبياء (عرائس المجالس) : ١٩٠، قصص الأنبياء للراوندي : ١٦٧، إضافة لمصنّفات التاريخ والتفسير.

(٣) سورة الأعراف ٧ : ١٣٨.

لا مَحَالَة على وجهٍ لا يكونون مُلَجَّين إليه ؛ لأنَّ ذلك لو كان معلوماً لأظهره الله تعالى ، فلمَّا لم يظهرها الله علمنا أنَّه لم يكن ذلك معلوماً ، وموسى عليه السلام لم يكن مُجْتَلَباً^(١) إلى المعارف لمشاهدته هذه الآيات ؛ لأنَّه كان تقدَّم له الايمان بالله ومعرفته .

وقوله : ﴿وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ﴾ وإن لم يكن في ظاهره أنَّه أغرق فرعون فهو دالٌّ عليه ، وكأنَّه قال : وأغرقنا آل فرعون وفرعون معهم وأنتم تنظرون ، فاختصر للدلالة الكلام عليه ؛ لأنَّ الغرض مبنيٌّ على إهلاك فرعون وقومه . ونظيره قول القائل : دخل جيش الأمير البادية ، فإنَّ الظاهر من ذلك ، أنَّ الأمير معهم .

قوله تعالى :

﴿وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ﴾ آية (٥١) .

قرأ ﴿وَعَدْنَا﴾ : بغير ألف أهل البصرة ، وأبو جعفر هنا وفي الأعراف وطه^(٢) ، وقرأ الباقون : بألف قبل العين^(٣) .

وقرأ ابن كثير وحفص والبرجومي^(٤) ورويس : ﴿اتَّخَذْتُمْ﴾

(١) الاجتلاب : الدفع أو الانجذاب لأمر أو لشيء ما ، تاج العروس ١ : ٣٧٠ «جَلَبَ» .

(٢) إشارة إلى الآية : ١٤٢ من سورة الأعراف ٧ ، والآية ٨٠ من سورة طه ٢٠ .

(٣) مصادر القراءة والتعليل والحجّة تأتي الإشارة إليها لاحقاً .

(٤) عبد الحميد بن صالح بن عجلان ، أبو صالح البرجومي ، التيمي الكوفي ، قرأ على

و﴿أَخَذْتُمْ﴾ وما جاء منه بإظهار الدّال ، ووافقهم الأعشى^(١) فيما كان على وزن افتعلت وافتعلمت ، الباقون بالإدغام^(٢) .

حجّة من قرأ بإثبات الألف : دلالة الله على وعده وقبول موسى ؛ لأنّه إذا حسن في مثل قوله : ﴿أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ﴾^(٣) الإخبار كان هنا في الاختيار واعدنا .

ومن قرأ (بلا ألف)^(٤) ، قال : هو أشدّ مطابقة للمعنى ؛ إذ القبول ليس بوعد في الحقيقة إنّما هو إخبار الموعود بما يُفعل به من خير ، وعلى هذا قوله : ﴿أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ﴾ مجازٌ ، حقيقةً بما أخبروا^(٥) أنّهم فاعلوه . وقال جماعة من أهل العلم : إنّ المواعدة في الحقيقة لا تكون إلّا من البشر ، والله تعالى هو المتفرّد بالوعد والوعيد ، كما قال تعالى : ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ﴾^(٦) ، وقال : ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا

﴿أَبَى بَكْرَ بْنَ عِيَّاشٍ وَأَبَى يُوسُفَ الْأَعَشَى ، وعليه قرأ جعفر بن عبّنة وإسماعيل بن عليّ الخياط وغيرهم ، توفي سنة : ٢٣٠هـ .

له ترجمة في طبقات القراء للذهبي ١ : ٢٣٦ ت ١٢٨ ، غاية النهاية ١ : ٣٦٠ ت ١٥٤٤ ، تهذيب الكمال ١٦ : ٤٤٠ ت ٣٧١٩ .

(١) يعقوب بن محمّد الكوفي ، قرأ على ابن عياش وشعبة ، وعليه جمع ، توفي ٢٠٠هـ . له ترجمة في : طبقات القراء ١ : ١٨٧ ت ٨٠ ، غاية النهاية ٢ : ٣٩٠ ت ٣٨٩٧ ، غاية الاختصار ١ : ٧٦ ت ٨٤ .

(٢) القراءة في : السبعة في القراءات : ١٥٥ ت ٢٠ ، الحجّة للقراء السبعة ٢ : ٦٧ ، الغاية في القراءات العشر : ١٧٦ ، التيسير : ٤٤ ، الموضح ١ : ٢٧٥ ت ٢٠ . (٣) سورة التوبة ٩ : ٧٧ .

(٤) في النسخ والحروفيات : بالألف ، والصحيح المثبت ؛ لتقدم الاثبات قبل أسطر .

(٥) في النسخ والحروفيات : أخبروه . ولا يصحّ لما لا يخفى .

(٦) سورة الأنفال ٨ : ٧ .

الْصَّلِحَتِ ﴿١﴾

والقراءتان جميعاً صحيحتان قويتان (٣).

و: ﴿وَإِذْ﴾:

معطوفة على الآيات المتقدمة، كأنه قال: واذكروا إذ وعدنا. وبيننا وجه الحسن فيه (٣).

فالْوَعْدُ وَالْعِدَّةُ وَالْمَوْعِدُ وَالْمِيعَادُ نَظَائِرُ.

وَالْوَعْدُ فِي الْخَيْرِ، وَالْوَعِيدُ فِي الشَّرِّ، يُقَالُ: وَعَدَهُ وَعْدًا وَأَوْعَدَهُ إِيعَادًا، وَوَاعَدَهُ مَوَاعِدَةً، وَتَوَاعَدُوا تَوَاعُدًا، وَاتَّعَدُوا اتِّعَادًا، وَتَوَعَّدُوا فِي الشَّرِّ خَاصَّةً.

قال صاحب العين: الْوَعْدُ وَالْعِدَّةُ مُصْدَرَانِ، وَيَكُونَانِ اسْمَيْنِ. فَأَمَّا الْعِدَّةُ فَتُجْمَعُ عَلَى الْعِدَاتِ، وَالْوَعْدُ لَا يَجْمَعُ.

وَالْمَوْعِدُ: مَوْضِعُ التَّوَاعُدِ، وَهُوَ الْمِيعَادُ. وَيَكُونُ الْمَوْعِدُ: مَصْدَرٌ وَعَدْتُهُ، وَيَكُونُ الْمَوْعِدُ وَقْتًا لِلْحَيْنِ.

وَالْمَوْعِدَةُ: اسْمُ الْعِدَّةِ.

وَالْمِيعَادُ لَا يَكُونُ إِلَّا وَقْتًا أَوْ مَوْضِعًا.

وَالْوَعِيدُ: مِنَ التَّهْدِيدِ، أَوْعَدْتُهُ الْمَكَارَهَ، وَيُقَالُ أَيْضًا: وَعَدْتُهُ: مِنَ الشَّرِّ،

(١) سورة المائدة ٥ : ٩.

(٢) للقراءتين - واعد، وعد - يراجع: إعراب القرآن للنحاس ١ : ٢٢٤، معاني القراءات : ٤٩، السبعة في القراءات : ٩٦، حجة القراءات : ٩٦، الحجة للقراء السبعة ٢ : ٥٦ - ٦٧، التذكرة في القراءات ٢ : ٣١٣ ت ١٢، الكشف عن وجوه القراءات السبع ١ : ٢٣٩ ت ٢٥، ٢٦، العنوان في القراءات للأندلسي : ٦٩، الكافي في القراءات السبع : ٧٨ ت ١٤، التلخيص في القراءات الثمان : ٤٩، غاية الاختصار ٢ : ٤٠٨ ت ٥٩٠. وانظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج ١ : ١٣٣.

(٣) في صفحة ٥٩، ضمن تفسير الآية ٣٤.

كقوله: ﴿النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾^(١)، وَوَعِدَ الْفَخْل: إذا همَّ أنْ يَصُولَ.
وأصل الباب: الوَعْدُ الذي هو الخبر بأنه سيفعل بالمُخْبِرِ به خيراً أو شراً^(٢).

وقال أحمد بن يحيى: تقول: أُوْعِدْتُهُ، وَتَسَكَّتْ؛ أو تَجِيءُ بالباء
تقول: أُوْعِدْتُهُ بالشرِّ، ولا تقول: أُوْعِدْتُهُ الشَّرَّ^(٣).

وموسى: اسم مركَّب من اسمين بالقبطية، ف(مو): هو الماء،
(وسى): شجر. وسُمِّيَ به؛ لأنَّ التابوت الذي كان فيه موسى وُجِدَ عند
الماء والشجر^(٤)، وَجَدْتُهُ جوارى آسية امرأة فرعون وقد خرجن ليغتسلن،
فَسُمِّيَ بالمكان الذي وُجِدَ فيه.

وهو: موسى بن عمران بن يَصْهَر بن قاهت بن لاوي بن يعقوب
إسرائيل الله^(٥).

(١) سورة الحج ٢٢: ٧٢.

(٢) «وَعَدَ» تجدها في: العين ٢: ٢٢٢، جمهرة اللغة ٢: ١٠٥٩، تهذيب اللغة ٣:
١٣٣، المحيط في اللغة ٢: ١٢٨، المحكم والمحيط الأعظم ٢: ٣٢٨، الصحاح
٢: ٥٥١، تاج العروس ٥: ٣١٧.

(٣) القول لثعلب في كتابه مجالس العلماء ١: ٢٢٧ بتصرف، وانظر الحجة للقرءاء
السبعة ٢: ٥٧ ومصادر اللغة في الهامش السابق.

(٤) اختلف في تركيبه ومعناه - بعد الاتفاق على أعجميته وعدم صرفه وعدم
اشتقاقه - . والأغلب أنه مركَّب من اسمين هما: مو، أي: الماء. وشا، أي: الشجر
فيكون موسى، وقد خففت العرب إلى موسى، وقيل: إنَّه مشتقٌّ من: ماس
يَمِيسُ، إذا تبختر في مشيه.

انظر: المعرَّب للجواليقي: ٣٠٢، تهذيب اللغة ١٣: ١١٩، المحكم والمحيط
الأعظم ٨: ٦٢٩، تاج العروس ٨: ٤١٨.

(٥) ذُكر هذا النسب في كتب التاريخ والتفسير، مثلاً تاريخ الطبري ١: ٣٨٥ وانظر
قاموس الألفاظ والأعلام القرآنية: ٣٦٦، أعلام القرآن: ٩٣٧ ومصادره.

وقال: ﴿أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ ولم يقل يوماً، على عادة العرب في التأريخ بالليالي؛ لأن الأهلّة تطلّع فيها، واعتمادهم على الأهلّة.

وقال الأخفش: وعدَ بِإتمام أربعين ليلة، أو انقضاء أربعين ليلة، كقولك: اليومَ أَرْبَعُونَ يوماً مُنْذُ خَرَجَ فلانٌ، واليومَ يومان، أي: تمام [الأربعين وتمام] يومين^(١).

وقال غيره: الأربعون كلّها داخلة في الميعاد.
وقال أبو العالية: ﴿وَعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾: يعني ذا القعدة وعشرًا من ذي الحجة.

وقال غيره: ذا الحجة وعشرًا من المحرم؛ وذلك حين خلف موسى أصحابه واستخلف عليهم هارون، فمكث على الطور أربعين ليلة، وأنزلت عليه التوراة في الألواح. وعن الربيع نحوه^(٢).

وقال الطبري: لا يجوز ما قاله الأخفش؛ لأنه خلاف ظاهر التلاوة، وما جاءت به الرواية^(٣).

قال الرماني: هذا غلط (ظاهر؛ إذ)^(٤) الوعد لا يتصل وقوعه في الأربعين كلّها إذا كان الوعد هو الإخبار الموعود بما فيه النفع، فلم يكن

(١) معاني القرآن ١: ٢٦٤، وبين المعقوفتين منه.

(٢) الآراء تجدها في: تفسير جامع البيان ١: ٢٢٢، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازي ١: ١٠٧ ت ٥١١، تفسير كتاب الله العزيز للهُواري ١: ١٠٥، تفسير المحرّر الوجيز ١: ٢١٥، تفسير بحر العلوم للسمرقندي ١: ١١٨، تفسير النكت والعيون ١: ١٢٠ وتفسير زاد المسير ١: ٨٠.

(٣) تفسير جامع البيان ١: ٢٢٢.

(٤) في النسخ: الظاهر أن. والصحيح المثبت، وهو المستظهر في الحجرية.

ذلك الخبر في طول تلك المدة، فلا بدّ على ذلك أن يكون التقدير: على ما قاله الأخفش، أو على: وعدناه إقامة أربعين ليلة للمناجاة، أو: غيبته أربعين ليلة عن قومه للمناجاة، أو ما أشبه ذلك من التقدير.

قال أبو علي: لا يخلو أن تكون ﴿أَرْبَعِينَ﴾ ظرفاً أو مفعولاً ثانياً، ولا يجوز أن تكون ظرفاً؛ لأنّ الوعد ليس فيها كلّها، فيكون جواب كم؛ ولا في بعضها، فيكون جواباً لمتى، فإذا لم تكن ظرفاً كانت منتصبة بوقوعها موقع المفعول الثاني، فيكون تقديره: وعدنا موسى انقضاء أربعين ليلة، أو: تمتّة أربعين ليلة، فحذف المضاف، كما تقول: اليوم خمسة عشر من الشهر، أي: تمامه^(١).

والأربعة: عددٌ يزيد على الثلاثة، وينقص عن الخمسة.

يقال: رُبْعٌ يَرْبُعُ رُبْعاً، وَرَبْعٌ تَرْبِعُ، وَتَرْبِعُ تَرْبِعاً، وَارْتَبَعَ ارْتِبَاعاً، وتقول: رَبَعْتُ الْقَوْمَ فَأَنَا رَابِعُهُمْ.

والرَّبْعُ - من الوَرْدِ -: وهو أن تُحْبَسَ الإِبِلُ عن الماءِ أربعةَ أَيَّامٍ ثمّ تردّ يومَ الخامس.

وَرَبَعْتُ الْحَجَرَ بِيَدَيَّ رُبْعاً: إذا رفعته عن الأرض بيديك، وارتبعت الحجر: كذلك.

وَرَبَعْتُ الْوَتَرَ: إذا جعلته أربع طاقات. وتقول: (أربع على ضلعك، وأربع على نفسك)^(٢)، وأربع عليك، كلّ ذلك واحدٌ بمعنى انتظز. والرَّبْعُ: المنزل والموطن.

(١) الحجة للقراء السبعة ٢: ٦٤.

(٢) المحصور من الأمثال، انظر: المستقصى ١: ١٣٨ ت ٥٣٣، زهر الأكم ٣: ٤٥، فصل

وَالرُّبْعُ : الْفَصِيلُ الَّذِي تُنَجَّ فِي الرَّبِيعِ ، وَمَا يَنْتِجُ بِالصَّيْفِ يُقَالُ لَهُ : هُبَيْعٌ ؛ وَفِي الْمَثَلِ : مَا لَهُ هُبَيْعٌ وَلَا رُبْعٌ^(١) .

وَرَجُلٌ رُبْعَةٌ وَمَرْبُوعٌ : لَيْسَ بِطَوِيلٍ وَلَا قَصِيرٍ .
وَالرُّبْعَةُ : الْجُونَةُ .

وَالْمِرْبَاعُ : كَانَتْ الْعَرَبُ إِذَا غَزَتْ أَخَذَ رَئِيسُ الْقَوْمِ رُبْعَ الْغَنِيمَةِ وَالْبَاقِي بَيْنَهُمْ .

وَأَوَّلُ الْأَسْنَانِ الثَّنَايَا ثُمَّ الرَّبَاعِيَّاتُ : وَهِيَ أَرْبَعٌ : ثَنَتَانِ مِنْ تَحْتِ وَثْنَتَانِ مِنْ فَوْقَ ، وَالْوَّاحِدَةُ : رَبَاعِيَّةٌ . وَأَرْبَعُ الْفَرَسِ : إِذَا أَلْقَى رَبَاعِيَّتَهُ مِنَ السَّنَةِ الْآخَرَى ، وَالْجَمْعُ : الرُّبْعُ .

وَالرَّبِيعَةُ هِيَ : الْبَيْضَةُ مِنَ السَّلَاحِ .

يُقَالُ : رُبِعَتِ الْأَرْضُ فَهِيَ مَرْبُوعَةٌ مِنَ الرَّبِيعِ . وَارْتَبَعَ الْقَوْمُ : إِذَا أَصَابُوا رِبِيعاً .

وَحُمِيَ رِبْعٌ : تَأْتِي فِي الْيَوْمِ الرَّابِعِ .

وَالْمِرْبَعَةُ : خَشَبَةٌ تُشَالُ بِهَا الْأَخْمَالُ وَتَوْضَعُ عَلَى الْإِبِلِ . وَالرَّبِيعُ : النَّهْرُ .

وَرَجُلٌ مَرْبُوعٌ وَمَرْبُوعٌ : إِذَا أَخَذَتْهُ حُمَى الرَّبْعِ .

وَالرَّبِيعُ : حَظٌّ مِنَ الْمَاءِ لِلْأَرْضِ رُبْعُ يَوْمٍ أَوْ رُبْعُ لَيْلَةٍ ، يُقَالُ : لِفُلَانٍ فِي الْمَاءِ رَبِيعٌ .

وَرُبْعُ الْمَالِ : جُزْءٌ مِنْ أَرْبَعَةٍ ، وَيُقَالُ لَهُ : رُبَيْعٌ ، وَلَمْ يَتَجَاوِزِ الْعَرَبُ فِي

(١) ذكره العسكري في جمهرة الأمثال ٢ : ٢٦٧ ضمن رقم ١٦٦٢ ، والجوهري في «رَبْعٌ» من الصحاح ٣ : ١٢١٢ ، والمبرد في الكامل ٢ : ٩٦٦ .

هذا المعنى الثَّمِين .

وقال بعضهم : التَّسْنِيع والعُسَيْر ، والأول أظهر .

وأصل الباب : الأربعة من العدد^(١) .

والأربعة تجري تارة على نفس العدد ، وأخرى على المعدود ، فإذا أجرته على العدد قلت : أربعة أثواب ، وإذا أجرته على المعدود قلت : أثواب أربعة .

ولَيْلَةٌ وَعَشِيَّةٌ وَمَسَاءٌ نَظَائِرُ ، ويقال : يومٌ وَلَيْلَةٌ على طريق التَّقْيِض .

قال صاحب العين : اللَّيْلُ : ضِدُّ النَّهَار ، واللَّيْلُ : ظَلَامُ اللَّيْلِ ، والنَّهَار :

الضِّيَاء ؛ فإذا أفرَدت أحدهما من الآخر قلت : ليلة ، ويوم ، وتصغيرها لَيْلَةٌ ، أخرجوا الباء الأخيرة من مخرجها في الليالي .

يقول بعضهم : إنَّما كان بناؤها ليلة فقُصِرَتْ ، يقولون : هذه لَيْلَةٌ

لَيْلَاءُ ، إذا اشْتَدَّتْ ظُلُمَتُهَا ، قال الكميت :

..... وَلَيْلَهُمُ الْآلِيَةُ^(٢) [٢٤٣]

هذا لضرورة الشعر ، وفي الكلام : ليلاء .

والليلة : الوقت من غروبِ الشَّمْسِ إلى طلوعِ الفجر الثاني ، واليوم :

(١) ضُبِطَتْ مَادَّةُ (رَبَّعَ) عَلَى مَصَادِرِ اللُّغَةِ النَّالِيَةِ : العين ٢ : ١٣٢ ، جُمُهرَةُ اللُّغَةِ ١ :

٣١٦ تَهْذِيبُ اللُّغَةِ ٢ : ٣٦٨ ، المَحِيطُ فِي اللُّغَةِ ٢ : ٣٧ ، المَحْكُمْ والمَحِيطُ الْأَعْظَمُ

٢ : ١٣٥ ، الصَّحاح ٣ : ١٢١٢ ، لِسَانُ الْعَرَبِ ٨ : ٩٩ ، تَاجُ الْعُرُوسِ ١١ : ١٣١ .

(٢) هَكَذَا مَنْسُوبٌ إِلَى الْكَمِيتِ فِي أَغْلَبِ الْمَصَادِرِ اللَّغَوِيَّةِ وَمِنْ دُونِ تَكْمَلَةٍ وَحَتَّى فِي

الدِّيَوَانِ الْمَجْمُوعِ لَهُ ٢ : ٣٤٦ ت ٤٥٥ ، وَانْظُرْ : ٣٥٣ ت ٤٨١ ، وَشَرْحُ هَاشِمِيَّاتِ

الْكَمِيتِ : ١٧٥ ت ٧٣ . وَمَعَ كَثْرَةِ التَّنْقِيبِ لَمْ نَجِدِ التَّكْمَلَةَ .

وَانْظُرْ : الْعَيْنِ ٨ : ٣٦٤ وَتَهْذِيبُ اللُّغَةِ ١٥ : ٤٤٣ ، لِسَانُ الْعَرَبِ ١١ : ٦٠٨ .

من طلوع الفجر الثاني إلى غروب الشمس^(١).

قال أبو زيد: اتَّخَذْنَا مَالاً، فَنَحْنُ نَتَّخِذُهُ اتِّخَاذًا، وَتَخَذْتُ اتَّخَذْتُ
تَخَذًا^(٢).

قال أبو علي: اتَّخَذَ افْتَعَلَ، ومنه تَخَذْتُ، قال الله تعالى: ﴿لَوْ شِئْتَ
لَتَخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾^(٣).

وَتَخَذْتُ: لا يتعدى إلا إلى مفعول واحد، واتَّخَذْتُ: تارة يتعدى إلى
مفعول واحد، وتارة إلى مفعولين. فتعدّيه إلى مفعول واحد مثل قوله:
﴿يَلَيِّتُنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾^(٤)، ومثل قوله: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ
دُونِ اللَّهِ إِلَهَةً﴾^(٥).

وتعدّيه إلى مفعولين مثل قوله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَنَهُمْ جُنَّةً﴾^(٦)،
وقوله: ﴿لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾^(٧)، وقوله: ﴿فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ
سَخِرِيًّا﴾^(٨).

(١) «لَيْلَ لغة ضبطت على المصادر الآتية علماً أنّ بينها من الاختلاف - خصوصاً في
ضبط التصغير - أمر واضح. انظر: العين ٨ : ٣٦٣، جمهرة اللّغة ١ : ٢٤٧، تهذيب
اللّغة ١٥ : ٤٤٣، المحيط في اللّغة ١٠ : ٣٦٩، المحكم والمحيط الأعظم ١٠ :
٣٩٦، الصحاح ٤ : ١٨١٥، مفردات الراغب : ٧٥١، تاج العروس ١٥ : ٦٧٧،
لسان العرب ١١ : ٦٠٧. وانظر: لضبط الابتداء والانتهاء كشّاف اصطلاحات الفنون
٢ : ١٨١٥، أبجد العلوم للتنوحي ٢ : ٥٨٥ باب علم اليوم والليلة.

(٢) عنه أبو عليّ الفارسيّ في الحجة للقرّاء السبعة ٢ : ٦٨.

(٣) سورة الكهف ١٨ : ٧٧. وفي المصحف الشريف: ﴿لَتَتَّخِذْتُ﴾، وتلك قراءة ثانية.

(٤) سورة الفرقان ٢٥ : ٢٧.

(٥) سورة مريم ١٩ : ٨١.

(٦) سورة المجادلة ٥٨ : ١٦.

(٧) سورة الممتحنة ٦٠ : ١.

(٨) سورة المؤمنون ٢٣ : ١١٠.

ومن أدغم؛ فلقرب مخرج الذال من مخرج التاء، ومن لم يدغم؛ فلأن مخرجهما متغاير^(١).

والعجل والثور والبقرة نظائر، إلا أن العجل: هو البقرة الصغيرة. ويقال: عجل وعجول.

واشتقاقه من: عَجَلَ يَعْجِلُ عَجَلَةً، وأَعَجَلَهُ اعْجَالاً، واستَعْجَلَ استِعْجَالاً، وتَعَجَّلَ تَعَجُّلاً، وعَجِلَ تَعْجِلاً، وعَاجَلَتْهُ مُعَاجَلَةً، وتَعَاجَلُوا تَعَاجُلاً، وَرَجُلٌ عَجِلٌ وَعَجِلٌ لُغْتَانِ، وتقول: استَعْجَلْتُ فلاناً، أي: حثته، وأَعَجَلْتُ فلاناً: أَعَجَلَهُ إِعْجَالاً، وتَعَجَّلْتُ خَراجَه، أي: كلفته أن يُعَجِّلَهُ وَرَجُلٌ عَاجِلَانِ، وامرأة عَجَلَى، وقومٌ عِجَالٍ، ونسوةٌ عِجَالِي.

والعَجَالُ: الإبل. والعَجَلُ: عَجَلُ الثَّيْرَانِ، والواحدة عَجَلَةٌ، ويُجْمَعُ على الأعْجَالِ.

والعُجَالَة: ما تَعَجَّلَتْ مِنْ شَيْءٍ.

والعُجَالَة: طَعَامُ الرَّاكِبِ الَّذِي لَا يُخَسِّنُ طَبْنَهُ، ويقال: هو تمرٌ ولبن. والعِجْلَةُ: الإِداوَة الصَّغِيرَة، وهي: المِطْهَرَة، والجمعُ العِجَال.

والعَاجِلَة: نَقِيزُ الآجَلَة، يعني: الدُّنْيَا والآخِرَة، والعَاجِلُ: نَقِيزُ الآجِلِ، عامٌّ في كُلِّ شَيْءٍ، تقول: عَجِلْ وَأَجِلْ.

والعِجْلُ: وَلَدُ البَقَرَة، وجمعه عِجَاجِيلُ، ويقال: عِجْجُول، والأنثى: عِجْجُولَة.

وقوله: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾^(٢) يقال: آدم عليه السلام حين بلغ

(١) الحجة للقراء السبعة ٢: ٦٨ - ٧٦.

(٢) سورة الأنبياء ٢١: ٣٧.

الرُّوحَ مِنْهُ إِلَى الرُّكْبَتَيْنِ هَمَّ بِالنَّهْوضِ قَبْلَ أَنْ تَبْلُغَ الْقَدَمِينَ ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ وَأَوْزَنَّا آدَمَ عَلَى الْعَجَلَةِ .

وَالْعَجَلُ : الطَّيْنُ ، مِنْ غَيْرِ الْخَلِيلِ ^(١) .

وَالْعَجَلُ : خَشَبٌ يُؤْلَفُ شَبَهُ الْمِحْفَةِ تُجْعَلُ عَلَيْهِ الْأَثْقَالُ ، وَجَمْعُهُ الْأَعْجَالُ ، وَصَاحِبُهُ عَجَالٌ .

وَأَصْلُ الْبَابِ : الْعَجَلُ الَّذِي هُوَ الْإِسْرَاعُ ^(٢) .

وَالْعَجَلَةُ وَالسَّرْعَةُ وَالْخِفَّةُ نَظَائِرٌ . وَنَقِيضُ الْعَجَلَةِ : التَّأَنِّي ، وَنَقِيضُ السَّرْعَةِ : الْإِطْأَاءُ .

وَبَعْدُ : نَقِيضُ قَبْلُ ، تَقُولُ : كَانَ هَذَا بَعْدَ هَذَا .

وَتَقُولُ : بَعْدُ بُعْدًا ، وَأَبْعَدُهُ اللَّهُ إِنْْعَادًا ، وَتَبَاعَدَ تَبَاعُدًا ، وَبَاعَدَهُ مُبَاعَدَةً ، وَاسْتَبْعَدَهُ اسْتِئْغَادًا ، وَبَعْدَهُ تَبْعِيدًا ، وَتَبَعَّدَ تَبَعُّدًا .

قَالَ صَاحِبُ الْعَيْنِ : بَعْدُ لِمَا يَكُونُ عَلَى أَثَرِ الشَّيْءِ إِذَا كَانَ قَدْ مَضَى ، فَإِذَا أَفْرَدُوا قَالُوا : هُوَ مِنْ بَعْدُ ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ اللَّهُ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ ﴾ ^(٣) وَتَقُولُ : بُعْدًا لَهُ وَشُحْقًا ، وَيَقْرَأُ : ﴿ بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا ﴾ ^(٤) .

وَبَعْدُ وَبَاعِدُ بِمَعْنَى وَاحِدٍ .

(١) قَالَ الْخَلِيلُ فِي الْعَيْنِ ١ : ٢٢٧ : وَبَعْضُهُمْ يَفْسِرُ قَوْلَ اللَّهِ ﴿ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ أَنَّهُ : الطَّيْنُ ، وَاللَّهُ الْعَالِمُ . وَظَاهِرُ سِيَاقِ الْعِبَارَةِ يَفِيدُ عَدَمَ ذَهَابِهِ إِلَى هَذَا التَّفْسِيرِ .

(٢) مَادَّةُ «عَجَلٌ» تَجِدُهَا : فِي الْعَيْنِ ١ : ٢٢٧ ، جُمُورَةُ اللَّغَةِ ١ : ٤٨٢ ، تَهْذِيبُ اللَّغَةِ ١ : ٣٦٩ ، الْمَحِيطُ فِي اللَّغَةِ ١ : ٢٥٧ ، الْمَحْكَمُ وَالْمَحِيطُ الْأَعْظَمُ ١ : ٣٢٢ ، الصَّحَاحُ ٥ : ١٧٥٩ ، لِسَانُ الْعَرَبِ ١١ : ٤٢٥ ، تَاجُ الْعُرُوسِ ١٥ : ٤٦٥ . وَانْظُرْ : أَمَالِي الْمُرْتَضَى ١ : ٤٦٥ وَغَرِيبُ الْقُرْآنِ لِلزَّيْدِيِّ ٢٥٤ ت ٣٧ ، وَغَرِيبُ الْقُرْآنِ لِابْنِ الْمَلْتَنِ ٢٥٥ ت ٣٨ ، تَفْسِيرُ الْجَامِعِ لِأَحْكَامِ الْقُرْآنِ لِلْقُرْطُبِيِّ ١١ : ٢٨٩ .

(٣) سُورَةُ الرُّومِ ٣٠ : ٤ .

(٤) سُورَةُ سَبَأٍ ٣٤ : ١٩ .

والأَبْعَدُ نقيض: الأَقْرَبُ، ويجمع: أَبَاعِدَ وَأَقَارِبَ.

ويقرأ: ﴿بَعِدْتُ ثُمُودًا﴾، و: ﴿بَعِدْتُ ثُمُودًا﴾^(١) ومعناها واحد، إلا أنهم يقولون: بَعِدَ الرَّجُلُ، وَأَبْعَدَهُ اللهُ.

والبُعْدُ من اللّٰعْن يقول: أَبْعَدَهُ اللهُ، أي: لا يُرثي له ممّا نزل به.

وقال ابن دُرَيْد: البُعْدُ: ضِدُّ الْقُرْبِ، وَبُعْدٌ: ضِدُّ قَبْلٍ، وسمع أبو زيد العرب تقول: فلان غير بعيد وغير بَعْدٍ^(٢).

وأصل الباب: البُعْدُ نقيض القُرْبِ.

ومعنى قوله: ﴿ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ أي: اتَّخَذْتُمُوهُ إلهًا؛ لأنَّ بنفس فعلهم لصورة العجل لا يكونون ظالمين؛ لأنَّ فعل ذلك ليس بمحذور، وإنَّما هو مكروه.

وما روي عن النبي ﷺ: إنَّه لعن المصوِّرين^(٣).

معناه: من شبَّه الله بخلقه أو اعتقد فيه أنَّه صورة، فلذلك قدَّر الحذف في الآية، كأنَّه قال: اتَّخَذْتُمُوهُ إلهًا، وذلك أنَّهم عبدوا العجل بعد موسى لما قال لهم السَّامِرِيُّ: ﴿هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ﴾^(٤) أي: ترك إلهه ومضى ناسيًا.

(١) سورة هود ١١ : ٩٥.

(٢) العين ٢ : ٥٣، جمهرة اللُّغة ١ : ٢٩٨، تهذيب اللُّغة ٢ : ٢٤٢، المحيط في اللُّغة ١ : ٤٣٢، المحكم والمحيط الأعظم ٢ : ٣٠، الصحاح ٢ : ٤٤٨، لسان العرب ٣ : ٨٩، تاج العروس ٤ : ٣٥٧ «بَعْدَ» في الجميع.

(٣) انظر: من لا يحضره الفقيه ٤ : ٢ قطعة من حديث ١، مسند أبي يعلى ٢ : ١٩٠ حديث ٨٩٠ وانظر هامشه، أحكام القرآن للجصاص ٣ : ٣٧٣.

(٤) سورة طه ٢٠ : ٨٨.

وقيل : بل معنى ﴿فَنَسِيَ﴾ أي : فترك ما يجب عليه من عبادة الله ^(١) .

وكان سبب عبادتهم العجل ما ذكره ابن عباس : إن السامري كان رجلاً من أهل (كرمان) ^(٢) ، وكان من قوم يعبدون البقر ، وكان حُبَّ عبادة البقر في نفسه ، وكان قد أظهر الإسلام في بني إسرائيل .

فلما قصد موسى إلى ربّه خلّف هارون في بني إسرائيل ، قال لهم هارون : إنكم تحمّلتم أوزاراً من زينة آل فرعون ، وأمتعةً وحلياً فتطهّروا منها فإنّها نجس . وأوقد لهم ناراً ، وقال لهم : اقذفوا ما كان معكم فيها ، فجعلوا يأتون بما كان معهم من تلك الأمتعة وذلك الحلي فيقذفون به فيها . حتّى إذا انكسر الحلي ورأى السامري أثر فرس جبرئيل ، فأخذ تراباً من أثر حافره ، ثمّ أقبل إلى النار .

(١) انظر : تفسير جامع البيان ١٦ : ١٤٩ ، معاني القرآن للزجاج ٣ : ٣٧٢ ، تفسير النكت والعيون ٣ : ٤١٩ ، تفسير المحرّر الوجيز ١١ : ٩٩ .

(٢) الاضطراب في ضبط الكلمة بين النسخ واضح ، وكذا بين المصادر ، وهي مرّدة بين : باجرّما ، كرماني ، ولعلّ عداهما - وهو باكرم كما في بعض النسخ - غير صحيح ؛ إذ لعلّه تصحيف باجرم .

وباجرّما : قرية من أعمال «البليخ» قرب الرّقة من أرض الجزيرة ، من تخوم الشام .

وكرمان : مدينة معروفة جنوب بلاد فارس .

انظر : تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازي ٧ : ٢٤٢٣ ت ١٣٥٠٥ ، أعلام القرآن : ٤٢٩ ومصادره ، معجم البلدان ١ : ٣١٣ ، تفسير الكشف والبيان ١ : ١٩٤ ، البّده والتاريخ ٣ : ٩١ ، تاريخ الطبري ١ : ٤٢٤ ، المعارف لابن قتيبة : ٤٤ ، الكامل في التاريخ ١ : ١٨٩ ، تفسير السمعاني ٣ : ٣٥٣ ، علل ابن حنبل ٢ : ١٩١ ت ١٩٧٠ ، المحكم والمحيط الأعظم ٨ : ٤٩٣ ، تاج العروس ٦ : ٥٤٤ ، المصباح المنير ١ : ٢٨٨ .

فقال لهارون: يا نبي الله، ألقى ما في يدي؟

قال: نعم، ولم يظن هارون إلا أنه كبعض ما جاء به غيره من الحلي والأمتعة، فقذف فيها وقال: كن عجلاً جسداً له خوار، فكان البلاء والفتنة، وقال: هذا إلهكم وإله موسى، فعكفوا عليه وأحبوه حباً لم يحبوا مثله قط^(١).

وسمى العجل عجلاً مأخوذاً من التَّعْجِيل؛ لأنَّ قُصِرَ المدة كالعجل في الشيء.

وقال أبو العالية: إنما سُمِّيَ العجل عَجْلاً؛ لأنَّهم عَجِلُوا فاتَّخَذُوهُ قَبْلَ أن يَأْتِيَهُمْ موسى^(٢).

وقال الحسن: صار العجل لحماً ودماً.

وقال غيره: لا يجوز ذلك؛ لأنَّ ذلك من معجزات الأنبياء.

ومن وافق الحسن قال: إنَّ القبضة من أثر المَلَك كان الله قد أجرى العادة بأنَّها إذا طُرِحَتْ على أيِّ صورة كانت حَيَّتْ، فليس ذلك بمعجزة، إذ سبيل السَّامريِّ فيه وسبيل غيره سواء.

ومن لم يُحْزِ انْقِلَابَهُ حَيًّا، تأوَّل الخوار على أنَّ السَّامريَّ جعل فيه

(١) ينظر للقصّة: تفسير جامع البيان ١: ٢٢٤، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازي ٧: ٢٤٣٢ ت ١٣٥٠٤ و ١٣٥٠٥، تفسير النكت والعيون ١: ١٢٠ و ٣: ٤٢٢، تفسير بحر العلوم ٢: ٣٥٢، عرائس المجالس ٢٠٨، قصص الأنبياء لابن كثير ٣: قصص الأنبياء للراوندي ١٤٨ ب ٨ ت ١٦٠، قصص الأنبياء والمرسلين للجزائري ٢١٥ وانظر: أعلام القرآن ٤٢٩.

(٢) انظر: تفسير الكشف والبيان ١: ١٩٥، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازي ١: ١٠٨ ت ٥١٢ و ٤: ١١٠٤ ت ٦١٩٥، تفسير النكت والعيون ١: ١٢١.

خروجاً تَدْخُلُهَا الرِّيحُ فَيَخْدُثُ فِيهِ صَوْتُ كَالْخَوَارِ^(١).

وَإِنَّمَا قَالَ : ﴿وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ يعني : ظالمي أنفسهم إذ أدخلوا عليها الضرر بما يستحقّون على عبادته من العقوبة ، والظلم قد يكون للنفس وقد يكون للغير .

وَإِنَّمَا وُصِفُوا بِأَنْتُمْ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ إِلَهًا - وهي صفة ذمّ لهم بما لم يفعلوا - لرضاهم بما كان عليه أسلافهم ، وسلوكهم طرائقهم في المخالفة لأمر الله ، والذمّ على الحقيقة على أفعالهم ، فإن كان اللفظ على أفعال أسلافهم فأخرج اللفظ مخرج مَنْ كَانَتْهُمْ فَعَلُوا ذلك ؛ لسلوكهم تلك الطرق وعدولهم إلى المخالفة ، فالذمّ متعلّق بما كان منهم في الحقيقة .

فإن قيل : هل هذا الميقات هو الميقات في قوله : ﴿وَأَعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ﴾^(٢) ؟

قيل : قال أبو عليّ ، وأبو بكر بن الإخشيد - واسمه : أحمد بن عليّ - : إن هذا ذاك . وفي الناس من قال : هو غيره^(٣) . والأوّل أظهر .

وَإِنَّمَا ذَكَرَ الثَّلَاثِينَ وَأَتَمَّهَا بِعَشْرٍ ، والأربعين قد تكمّل بعشرين وعشرين ؛ لأنّ الثلاثين أراد بها الشهر الذي هو ذا القعدة وذا الحِجَّة ، فذكر هذا العدد لمكان الشهر ، ثمّ ذكر ما يتمّ به العدد أربعين ليلة .

وَإِنَّمَا قَالَ : ﴿أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ ولم يقل : أربعين يوماً ؛ لتضمّن الليالي الأيام على قول المبرّد .

(١) ذكرت هذا مصادر الهامش السابق .

(٢) سورة الأعراف ٧ : ١٤٢ .

(٣) أحكام القرآن للجصاص ٣ : ٣٤ وانظر الحِجَّة للقراء السبعة ٢ : ٦٤ - ٦٥ .

ومعنى ذلك: إنه إذا ذكرت الليالي دخلت فيها الأيام، وليس إذا ذكرت الأيام دخلت الليالي فيها، هكذا هو الاستعمال.

والصحيح أن العرب كانت تراعي في حسابها الشهور والأيام، والأهلة، فأول الشهر الليالي، ولذلك أرخت بالليالي وغلبتها على الأيام؛ ولذلك صارت الأيام تابعة لليالي، واكتفي بذكر الليالي من الأيام، فقليل لعشر خلون، ولم يقولوا: لعشرة؛ لأنه جرى على ما جرى على الليالي^(١).
﴿وَاتَّخَذْ﴾، قال الرماني: وزنه: افعل، وأصله: ايتخذ، فقلبت الياء تاء وأدغمت في التاء التي بعدها.

وقال أبو علي: اتَّخَذْتُ ليس من أخذت؛ لأنَّ الهمزة لا تبدل من التاء ولا تبدل التاء منها، واتَّخَذْتُ لا تكون افتعلت من أخذت ويكون أبدلت الهمزة ياء ثم أدغمت في التاء، كما قالوا: اتَّسَرُوا الْجَزُورَ وهو من اليسر؛ لأنه لا يجوز على قول أصحابنا؛ لاختلاف معنى الحرفين^(٢).

وفائدة الآية التعجب من قولهم، إذ كانوا في مقدار هذه المدة اليسيرة لغيبة موسى عنهم اتَّخَذُوا العجل إلهاً.

وإدغام الذال عند التاء جائز، وتركه أيضاً كذلك جائز^(٣).

(١) انظر لكيفية حساب التاريخ عندهم: الآثار الباقية عن القرون الخالية للبيروني: ٥ وما بعدها، نهاية الأرب للنوري: ١: ١٣٠ وما بعدها ففيهما ما يفيد زيادة الاطلاع والمعرفة.

(٢) الحجة للقراء السبعة ٢: ٧١. وانظر: الخصائص ٢: ٢٨٧، تذكرة النُّحاة: ١٤٦، الأشباه والنظائر ١: ٢٦٠.

(٣) ينظر مثلاً: السبعة في القراءات: ١٥٥ ت ٢١، إدغام القراء: ٣٤، الحجة في القراءات السبع: ٧٧، الحجة للقراء السبعة ٢: ٧٥، الموضح في وجوه القراءات وعللها ١: ٢٧٥ ت ٢٠، وانظر ما تقدّم عند بداية الآية.

قوله تعالى :

﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ آية (٥٢)

آية بلا خلاف.

قليل في معنى ما وقع العفو عنهم بقوله : ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ﴾ قولان : أحدهما : إِنَّا تركنا معاجلتكم بالعقوبة ﴿مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ : أي من بعد اتخاذكم العجل إلهاً .

والآخر : إِنَّا عفونا عنكم بقبول التوبة من عبادة العجل (١) .

والعَفْوُ والصَّفْحُ والمَغْفِرَةُ والتَّجَاوُزُ : نَظَائِرُ . فالمَغْفِرَةُ : تَقِيضُ العقوبة . ويقال : عَفَا عَفْوَاً ، وَأَعْفَاهُ إِعْفَاءً ، وَاسْتَغْفَى اسْتِغْفَاءً ، وَعَفَى تَغْفِيَةً ، وَعَافَاهُ مُعَافَاً ، وَتَعَفَى تَعْفِيّاً ، وَتَعَاْفَى تَعَاْفِيّاً ، وَاعْتَفَاهُ اعْتِفَاءً .
والعَفْوُ : أَحْلَ المالِ وأَطْيَبَهُ .

والعَفْوُ : المَعْرُوفُ . والعَفَاءُ : طُلَّابُ المَعْرُوفِ ، وَهَمُّ المُعْتَفُونَ .
تقول : اعْتَفَيْتُ قُلَاناً : إِذَا طَلَبْتَ مَعْرُوفَهُ وَفَضَّلَهُ .

والعَافِيَةُ مِنَ الطَّيْرِ والدَّوَابِّ : طُلَّابُ الرِّزْقِ ، اسمٌ جامعٌ لهما ، ومنه قوله ﷺ : «مَنْ غَرَسَ شَجَرَةً مُثْمِرَةً فَمَا أَكَلَتِ الْعَافِيَةُ مِنْهَا كُتِبَ لَهُ صَدَقَةٌ» (٢) .

(١) أُشير إليهما في : تفسير جامع البيان ١ : ٢٢٥ ، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازي ٤ : ١١٠٤ ت ٦١٩٧ ، تفسير بحر العلوم ١ : ١١٨ ، تفسير الكشف والبيان ١ : ١٩٥ ، تفسير الوسيط ١ : ١٣٨ وتفسير السمعاني ١ : ٨٠ .

(٢) له لفظان : المذكور ، وقوله : «من أحيا أرضاً» ، فلفظ المتن تجده في : العين ٢ : ٢٥٨ ، والمبسوط للسرخسي ٢٣ : ١٤ و ٣٠ : ٢٥٩ ، وانظر : بحار الأنوار ٦٦ : ٤٢٢ . وأما بلفظه الثاني فمصادره كثيرة منها : مسند أبي يعلى ٣ : ٣٣٩ - ٤٤٠ ت ١١٦

والعافية: دَفَاعُ الله عن العبد، يقول: عافاه الله من مكروهه، وهو يُعَافِيهِ مُعَافَاً.

والاستيعفاء: أَنْ تَطْلُبَ إِلَى مَنْ كَلَّفَكَ أَمْرًا أَنْ يُغْفِيَكَ مِنْهُ .
وعَفَا الشَّيْءُ: إِذَا كَثُرَ، وَأَغْفَيْتُهُ: إِذَا أَكْثَرْتَهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿حَتَّىٰ
عَفَوْنَا﴾^(١)، وَمِنْهُ إِعْفَاءُ اللَّحِيَةِ: إِكْثَارُهَا .

وعَفَا: دَرَسَ، يُقَالُ: أَخَذَ مِنْ فُلَانٍ مَا عَفَا وَصَفَا .
والعَفَاءُ: الثَّرَابُ، تَقُولُ: يَغْفِيهِ الْعَفَا، وَعَلِيهِ الْعَفَاءُ .
والعَفَاءُ: الدُّرُوسُ، قَالَ زُهَيْرُ:

..... عَلَى آثَارٍ مَنِ ذَهَبَ الْعَفَاءُ^(٢) [٢٤٤]

ومنه: عَفَتِ الدِّيَارُ، وَالرَّيْحُ تَعْفُو الدِّيَارَ عَفَاءً وَعُقُوءًا، وَتَعَفَّتِ الدَّارُ،
وَالْأَثَرُ تَعْفِيًا .

وَالْعَفْوُ وَالْعِفْوُ وَالْعَفْوُ، وَالْجَمْعُ: عِفْوَةٌ، وَهِيَ: الْحُمْرُ الْأَفْتَاءُ
وَالْفَتَيَاتُ . وَالْعَفَاءُ: مَا كَثُرَ مِنَ الْوَبَرِ وَالرِّيشِ، وَنَاقَةٌ ذَاتُ عِفَاءٍ: كَثِيرَةُ الْوَبَرِ
طَوِيلَتُهُ . وَالْعِفْوُ: وَلَدُ الْإِثْنَانِ الْوَحْشِيَّةِ .

١٨٠٥ هـ، المصنّف لابن أبي شيبة ٥ : ٢٨٤ ت ٣، مسند أحمد ٣ : ٣١٣ و ٣٢٧ و
٣٥٦ و ٣٨١، سنن الدارمي ٢ : ٢٦٧، سنن البيهقي ٦ : ١٤٨، كنز العمال ٣ : ٨٩١
ت ٩٠٥٢، وانظر - إضافة لمصادر اللغة فيما يأتي - مفردات غريب القرآن : ٥٧٤،
غريب الحديث لابن سلام الهروي ١ : ٩٤، النهاية في غريب الحديث ٣ : ٢٦٦ .
(١) سورة الأعراف ٧ : ٩٥ .

(٢) عجز البيت ٧ ق ١١ : ١٢٤، من ديوان زهير بن أبي سلمى صنعة الأعلم وصدره:
تَحَمَّلْ أَهْلُهَا، مِنْهَا، فَبَانُوا
.....

المعنى : ارتحل آل ليلى عن مواضعهم فلم أحزن ولم آس على شيء ، فعلى
آثارهم الدروس ، وهذا دعاء عليهم .
الشاهد : استعمال العفاء بمعنى الدروس .

وأصل الباب: الترك. ومنه قوله: ﴿فَمَنْ عَفَىٰ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ﴾^(١): أي: مَنْ تَرَكَ لَهُ.
وعَفَوْهُ الشَّيْءُ: صَفَّوْهُ^(٢).

ومعنى ﴿لَعَلَّكُمْ﴾ في الآية: لكي تشكروا.
وقيل: معناه التعريض، كأنه قال: عَرَضْنَاكُمْ للشكر.
وقوله: ﴿مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ - وإن كان إشارة إلى الواحد - فمعناه الجمع. وإنما كان ﴿ذَلِكَ﴾ كذلك؛ لأنَّ «ذا» اسم مُبْهَم فمرة يأتي على الأصل، ومرة على مشاكلة اللَّفْظ إذ كان لفظُ المبهَم على الواحد، وإن كان معناه الجمع، على أنه قد يُخاطَب بلفظ الواحد ويُراد به الجمع، كقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾، ثم قال: ﴿إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾^(٣).
وقوله: ﴿مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ إشارة إلى اتِّخَاذِهِم العجل إلهاً.
وقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾:
فالشُّكْر: هو الاعتراف بالنَّعمة مع ضرب من التعظيم^(٤).
وقال الرماني: الشُّكْر: هو الإظهار للنَّعمة^(٥).

(١) سورة البقرة ٢: ١٧٨.

(٢) لضبط مادة «عَفَا» روجعت المصادر التالية: العين ٢: ٢٥٨، جمهرة اللُّغة ٢: ٩٣٨، تهذيب اللُّغة ٣: ٢٢٢، المحيط في اللُّغة ٢: ١٧٠، المحكم والمحيط الأعظم ٢: ٣٧٢، الصحاح ٦: ٢٤٣١، لسان العرب ١٥: ٧٢، تاج العروس ١٩: ٦٨٦.
(٣) سورة الطلاق ٦٥: ١.

(٤) الفروق اللُّغوية للعسكري: ٣٥ و٣٦، معجم الفروق اللُّغوية: ٣٠١ و٣٠٢ ت ١٢١١ و١٢١٣.

(٥) ما زالت أغلب مؤلفاته مفقودة أو مخطوطة.

والصحيح الأول؛ لأنه قد يُظهر النعمة من لا يكون شاكراً لها.

والفرق بين الشُّكْر والمكافأة: إنّ المكافأة من التكافؤ وهو التساوي، وليس كذلك الشُّكْر، ففي مكافأة النعمة دلالة على أنّه قد استوفى حقّها^(١). وقد يكون الشُّكْر مقصراً عنها وإن كان ليس على المُنْعَم عليه أكثر منه إلا أنّه كلّما ازداد من الشُّكْر حسن له الازدياد وإن لم يكن واجباً؛ لأنّ الواجب لا يكون إلّا متناهياً، وذلك كالشُّكْر لنعمة الله لو استكثرته غاية الاستكثار لم يكن لينتهي إلى حدٍّ لا يجوز له الازدياد؛ لعظم نعم الله عزّ وجلّ وصغر شكر العبد.

ويقال: شَكَرَ شُكْرًا وشُكُورًا، وتَشَكَرَ تَشَكُّرًا.

والشُّكُورُ من الدَّوَابِّ: ما يَكْفِيهِ قَلِيلُ الْعَلْفِ لِسِمْنِهِ.

والشُّكْرَةُ من الحُلُوبَات: التي تُصِيبُ حَظًّا مِنْ بَقْلِ أَوْ مَرْعَى فَيَغْزُرُ لبنها بعد قَلَّةٍ، يقال: أَشَكَرَ الْقَوْمُ إِذَا نَزَلُوا مِنْزَلًا فَأَصَابَتْ نِعْمُهُمْ شَيْئًا مِنْ بَقْلِ فَدَرَّتْ عَلَيْهِ، وإِنَّهُمْ لَيَخْتَلِبُونَ شُكْرَةً - بجزم الكاف - وقد شَكِرَتِ الحُلُوبَةُ شُكْرًا.

والشُّكَيْر: شَعَرٌ ضَعِيفٌ يَنْبِتُ خِلَالَ الشَّيْبِ، وكذلك ما يَنْبِتُ مِنْ

ساق الشَّجَرِ قُضْبَانٌ تَخْرُجُ غَضَّةً بَيْنَ قُضْبَانٍ قَاسِيَةٍ يُقَالُ لَهُ: الشُّكَيْر.

وأشَكَرَ ضَرَعُ النّاقَةِ: إِذَا امْتَلَأَ لَبْنًا.

والشُّكْرُ: بَضْعُ الْمَرْأَةِ^(٢).

(١) انظر الهامش الأسبق.

(٢) ضبط المادّة «شُكْر» وتصحيح النقل من كتب اللّغة النّالية: العين ٥ : ٢٩٢، جمهرة اللّغة ٢ : ٧٣٢، تهذيب اللّغة ١٠ : ١٢، المحيط في اللّغة ٦ : ١٦١، المحكم والمحيط الأعظم ٦ : ٦٨٠، الصحاح ٢ : ٧٠٢، لسان العرب ٤ : ٤٢٣، تاج العروس ٧ : ٤٨.

وأصل الباب : الظهور .

ولا يستحقّ الكافر الشكر كما يستحقّ المؤمن ؛ لأنّ المؤمن يستحقّ الشكر على وجه الإجلال والإنعام ، والكافر لا يستحقّ كذلك ، وإنّما يجب له مكافأة نعمته كما يجب قضاء دينه على وجه الخروج إليه منه من غير تعظيم له ويسمّى ذلك : شكراً .

والشكر لا يُستحقّ إلا على نعمة .

ومعنى قولنا في الله : ﴿إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾^(١) أنّه يجازي العبدَ على طاعاته من غير أن يُنقصه شيئاً من حقّه ، فجعل المجازاة على الطاعة شكراً في مجاز اللغة .

ولا يستحقّ الإنسان الشكر على نفسه ؛ لأنّه لا يكون مُنعماً على نفسه ، كما لا يكون مقرضاً لنفسه ، والنعمة تقتضي مُنعماً غير المُنعم عليه ، كما أنّ القرض يقتضي مُقرضاً غير المقرض . وقد يصحّ أن يُحسن إلى نفسه كما يصحّ أن يُسيء إليها ؛ لأنّ الإحسان من المُحسن ، فإذا فعل بها فعلاً حسناً يتنفع به كان محسناً إليها بذلك الفعل ، وإذا فعل بها فعلاً قبيحاً كان مسيئاً إليها .

والشكر متعلّق في الآية بعفو الله عنهم ونعمه عليهم ، كأنّه قال : لشكروا الله على عفوه عنكم وسائر نعمه عليكم .

قوله تعالى :

﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾

آية (٥٣)

قوله : ﴿وَإِذْ﴾ عطف على ما مضى من التذكير بنعمه ، فكأنه قال : واذكروا إذ آتينا موسى الكتاب ؛ لأن «إذ» اسم للوقت الماضي ، و«إذا» للوقت المستقبل ، وكذلك تستعمل في الجزاء ؛ لأن الجزاء لا يكون إلا بالمستقبل ، كقولهم : إن تأتني آتاك . و«لو» تشبه الجزاء من حيث إنه لا بد لها من الجواب ، كما لا بد لحرف الجزاء من الجواب ^(١) .

وقوله : ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ معناه : أعطيناه ، والكتاب يريد به التوراة .

وأما ﴿الْفُرْقَانَ﴾ : فقال الفراء وقطرب وثعلب : يحتمل أن يكون المراد أتي موسى كتاب التوراة ومحمد الفرقان ، كما قال الشاعر :

مُتَقَلِّدًا سَينًا ورُمَحًا [٨٥]

وضَعَف قوم هذا الوجه ؛ لأن فيه حمل القرآن على المجاز من غير ضرورة مع أنه تعالى أخبر أنه أتي موسى الفرقان في قوله : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَزُونَا الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً﴾ ^(٢) .

وقال الفراء : هو كلام مثنى يراد به التوراة ، وكرر لاختلاف اللفظين ،

(١) انظر صفحة : ٧ ، وللتوسعة ينظر الجنى الداني في حروف المعاني : ١٨٥ و ٣٦٧ ، حروف المعاني للزجاجي : ٦٣ ت ١٢٣ و ١٢٤ ، رصف المباني في شرح حروف المعاني : ١٤٨ - ١٥١ ، الإتيان في علوم القرآن ٢ : ١٧١ و ١٨٠ و ٢٨٠ .

(٢) سورة الأنبياء ٢١ : ٤٨ .

كقولهم : بُغْدًا وَشُحْقًا ، وهما بمعنى واحد^(١) .

قال الرَّمَانِي : هذا المثل لا يشبه الآية ؛ لأنه جمع الصفتين لموصوف واحدٍ على معنيين مُتَّفَقِينَ ، والأولى أن يمثَّل بقولهم : هو العالم الكريم ؛ لتجتمع الصفتان لموصوف واحد على معنيين مختلفين . وقول عدي بن زيد :

فَقَدَّمَتِ الْأَدِيمَ لِإِرَاهِشِيهِ وَأَلْفَى قَوْلَهَا كَذِبًا وَمِينَا

[٤]

وقال قوم : الكتاب : التوراة ، والفرقان : انفراق البحر لبني إسرائيل والفرج الذي أتاهم ، كما قال : ﴿يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾^(٢) أي : مخرجاً .

وقال بعضهم : الفرقان : الحلال والحرام الذي ذكره في التوراة .

وروي عن ابن عباس وأبي العالية ومجاهد : إنّ الفرقان الذي ذكره : هو الكتاب الذي أتاه يفرق فيه بين الحق والباطل .

وقال ابن زيد : الفرقان : النصر الذي فرّق الله به بين موسى وفرعون ، كما فرّق بين محمد ﷺ وبين المشركين ، كما قال : ﴿يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ أَلْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾^(٣) .

وقال أبو مسلم : هو ما أوتي موسى من الآيات والحجج التي فيها التفرقة بين الحق والباطل^(٤) .

(١) معاني القرآن للفرّاء ١ : ٣٧ ، معاني القرآن وإعرابه ١ : ١٣٤ ، إعراب القرآن للنحاس ١ : ٢٢٥ ، تفسير الكشف والبيان ١ : ١٩٧ ، وانظر تفسير الجامع لأحكام القرآن ١ : ٣٩٩ .

(٢) سورة الأنفال ٨ : ٢٩ .

(٣) سورة الأنفال ٨ : ٤١ .

(٤) الآراء والأقوال تجدها منثورة في : معاني القرآن للفرّاء ١ : ٣٧ ، تفسير النكت والعيون ١ : ١٢٢ ، تفسير الوسيط ١ : ١٣٩ ، تفسير الكشاف ١ : ٢٦٩ ، إيجاز البيان ١ : ٩٤ ، تفسير الكشف والبيان ١ : ١٩٧ ، تفسير كتاب الله العزيز للهارثي ١ : ١٠٤ ، تفسير ابن زمين ١ : ١٤٠ ، تفسير السمرقندي ١ : ١١٩ ، تفسير معالم

وقوله : ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ :

أي لكي تهتدوا ، وقد بيناه في ما مضى ^(١) . وفيه دلالة على أنه تعالى أراد أن يهتدوا ؛ لأن هذه اللام لام الغرض ؛ وذلك يفسد قول المجبرة : إنه أراد منهم الكفر .

فإن قيل : كيف يهتدون بما أوتي موسى من البيان ، وما أوتي في التوراة من البرهان مع انقطاع النقل الذي تقوم به الحجة ؟

قيل : الجواب عنه من وجهين :

أحدهما : إن الخطاب لأسلافهم ، كما قال : ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ ^(٢) .

والثاني : إن في إخبار الرسول لهم ما تقوم به الحجة عليهم ، فيمكنهم أن يستدلوا بذلك على ما أنعم الله به على أسلافهم ؛ ولأنهم مقررون بأن موسى عليه السلام أتى التوراة بما فيها من الهدى والبيّنات ، فتقوم الحجة عليهم بإقرارهم .

قوله تعالى :

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَلْقَوْنِي أَنْتُمْ ظَلِمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ آية (٥٤) آية بلا خلاف .
﴿بَارِيكُمْ﴾ :

أُسْكَنَ الهمزة فيها أبو عمرو ، إلا المعدل وسجادة - من طريق

﴿التنزيل ١ : ٨٤ ، تفسير مجاهد : ٢٠٢ ، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازي

: ١٠٩ ت ٥٢١ ، تفسير المحرر الوجيز ١ : ٢١٩ ، تفسير البحر المحيط ١ : ٣٢٦

وغيرها . بعضها منسوب إلى قائله وأغلبها بلا عزو .

(١) ضمن تفسير الآية (٦) من سورة الفاتحة .

(٢) سورة البقرة ٢ : ٥٠ .

الجرمي^(١) - وابن مجاهد، وكلّهم خفّفوا الهمزة فيها، إلّا أبا طاهر^(٢)، عن ابن مجاهد، عن إسماعيل^(٣) فإنّه قلبها ياء^(٤).

(١) مردّد بين: صالح بن إسحاق الجرمي، مولاهم النحوي، روى القراءة عن سيبويه ويونس بن حبيب، عن أبي عمرو، وروى عنه أبو عثمان المازني.
انظر: غاية النهاية ١: ٣٣٢ ت ١٤٤٤، سير أعلام النبلاء ١٠: ٥٦١ ت ١٩٣ وبين: أحمد بن مسعود أبو العباس السراج الموصلي، أخذ القراءة عن الدّوري والموصلي، روى عنه الجارودي والبزوري.
انظر: غاية النهاية ١: ١٣٨ ت ٦٥٥.
ولعل الأوّل أقرب إلى المراد.

(٢) أبو طاهر: عبد الواحد بن عمر بن محمّد البغداديّ، مقرئ نحويّ، ينحو مذهب الكوفيّين في النحو، مع براعة وصدق لهجة واستقامة طريقة، عُذّ من أعرف الناس بحروف القرآن والقراءات، له فيها تصانيف، أخذ عن مجاهد ولازمه، والأشثانيّ، وأبي عثمان بن عبد الرحيم، وأخذ الحروف سماعاً عن ابن خلف، ووكيع، وأحمد ابن فرح، والفتّات، وغيرهم. وعنه أخذ خلق كثير منهم: الفارسيّ، والحماميّ، والجهريّ، وغيرهم. توفي سنة ٣٤٩هـ.

له ترجمة في: تاريخ بغداد ١١: ٧ ت ٦٩٥، البلغة في تراجم أئمّة النحو واللغة ١٩١ ت ٢١٢، إنباء الرواة ٢: ٢١٥ ت ٤١٦، طبقات القراء للذهبيّ ١: ٣٨٩ ت ٣٢٣، بغية الوعاة ٢: ١٢١ ت ١٥٩٤.

(٣) أبو إسحاق، إسماعيل بن إسحاق بن حمّاد بن زيد الأزديّ البصريّ مولى آل جرير ابن حازم، عالم فاضل متقن، فقيه على مذهب مالك، فقد جمع حديثه وشرح مذهبه ولخصه، واحتجّ له، ونشر مذهبه في العراق، صنّف المسند، ولبّي قضاء بغداد، له تصانيف كثيرة في القراءات وأحكام القرآن ومعانيه، روى القراءة عن: قالون، وأحمد بن سهل، ونصر بن عليّ وغيرهم. وروى عنه: ابن مجاهد، وابن الأنباريّ، والإسكافيّ وغيرهم. ولد عام ١٩٩، توفي عام ٢٨٢هـ.

له ترجمة في: تاريخ بغداد ٦: ٢٨٤ ت ٣٣١٨، طبقات القراء ١: ٢٦٨ ت ١٧٢، غاية النهاية ١: ١٦٢ ت ٧٥٤، سير أعلام النبلاء ١٣: ٣٣٩ ت ١٥٧ ومصادره.

(٤) السبعة في القراءات: ١٥٥، الحجّة للقراء السبعة ٢: ٧٧، معاني القراءات للأزهريّ: ٥٠، الكشف عن وجوه القراءات السبع ١: ٢٤٠.

التقدير : واذكروا أيضاً : ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَقُومِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ﴾ ، وظلمهم إياها : كان فعلهم بها ما لم يكن لهم أن يفعلوه بما يُستحقّ به العقاب ، وكذلك كل من فعل فعلاً يستحقّ به العقاب فهو ظالم لنفسه ، وقد بينا معنى التوبة في ما مضى ^(١) .

وأما قوله : ﴿إِلَىٰ بَارِئِكُمْ﴾ :

فالبارئ : هو الخالق الصانع .

يقال : برأ براءةً ، واستبرأ استبراءً ، وتبرأ تبرأً ، وبارأه مبارأةً ، وبرأه براءةً وتبرئةً .

قال صاحب العين : البرء - مهموز - وهو الخلق ، تقول : برأ الله الخلق ، وهو يبرؤُهُمْ برءً ، وهو البارئ . قال أمية :

الخالق البارئ المصور في الد
أزحام ماءً حتى يصير دماً ^(٢) [٢٤٥]
والبرء : السلامة من السقم ، تقول : برأ يبرأ ، ويبرؤ ، برءاً وبرئت وبرأت وبرؤت برءاً . وتبرأ تبرأً لغة في هذا .

والبرءة : من العيب والمكروه لا يقال منه : إلا برئ برءاً ، وفاعله :

(١) تقدّم في تفسير الآية ٣٧ : من سورة البقرة : ٢ .

(٢) من قصيدة تنسب إلى أمية بن أبي الصلت تارة ، وأخرى إلى النابغة الجعدي ،

ولعله الصحيح لما فيها من مفاهيم ثلاث عصره الإسلامي مطلعها :

الحمد لله لا شريك له من لم يقلها فتفسه ظلما

الشاهد : استعمال «برأ» مهموزاً .

لمعرفة النسبة والاطلاع على القصيدة ينظر : ديوان النابغة الجعدي : ١٤٧ ، ت :

٧١ ، ب : ٤ ، طبقات فحول الشعراء ١ : ١٢٧ ت ١٤٨ ، الشعر والشعراء ١ : ٢٩٤

ت ٥٠٦ ، معجم الشعراء : ١٩٥ ، خزائن الأدب للبغداد ٣ : ١٧٢ ، ٩ : ١٣٣ ،

الإصابة ٦ : ٢١٨ ت ٨٦٣٣ ، الأغاني ٥ : ١٠ ، الاستيعاب ٤ : ١٥١٤ ت ٢٦٤٨

وانظر : أمية بن أبي الصلت : ٣٦٥ ت ١٧٥ .

بَرِيءٌ كما ترى ، وفلان بَرِيءٌ وَبَرَاءٌ ، كقوله : إِنِّي بَرَاءٌ ، وامرأة بَرَاءٌ ، ونِسْوَةٌ بَرَاءٌ وَبُرَاءٌ على وزن فُعْلَاء ، ومنه قوله : ﴿ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ ﴾ ^(١) جمع بَرِيءٌ . ومن ترك الهمزة قال : بُرَاءٌ على وزن فُعَال .

وتقول : بَارَأْتُ الرَّجُلَ ، أي : بَرَيْتُ إِيَّاهُ . وَبَرِيءٌ إِلَيَّ : مثل ذلك ، وبارَأْتُ الْمَرْأَةَ ، أي : صالَحْتُهَا على الْمُفَارَقَةِ .

وَأَبْرَأْتُ الرَّجُلَ مِنَ الضَّمَانِ وَالذَّيْنِ ، وَبَرَأْتُهُ تَبَرَّيْتُه ، ويقال : أَبْرَأَ اللَّهُ فُلَانًا مِنَ الْمَرَضِ إِبْرَاءً حَسَنًا .

والاستِبرَاءُ : استِبرَاءُ الْجَارِيَةِ وَالْمَرْأَةِ بَأَن لَا يَطَافُهَا حَتَّى تَحِيضَ .

والاستِبرَاءُ : إِنْقَاءُ الْفَرْجِ مِنَ الْقَدْرِ .

وأصل الباب : تَبَرَّى الشَّيْءُ مِنَ الشَّيْءِ ، وهو انفصاله منه .

وَبَرَأَ اللَّهُ الْخَلْقَ ، أي : فَطَرَهُمْ ؛ فَإِنَّهُمْ انفصلوا مِنَ الْعَدَمِ إِلَى الْوُجُودِ .

وَالْبَرِيَّةُ : الْخَلْقُ ، فَعِيلَةٌ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ لَا يَهْمَزُ ، كما لَا يَهْمَزُ مَلِكٌ وَإِن

كَانَ أَصْلُهُ مِنَ الْأُلُوكَةِ .

وقيل : الْبَرِيَّةُ مُشْتَقَّةٌ مِنَ الْبَرَاءِ ، وَهُوَ التُّرَابُ ، فَلِذَلِكَ لَمْ تَهْمَزُ .

وقيل : إِنَّهُ مَأْخُوذٌ مِنْ بَرِيتِ الْعُودِ ؛ فَلِذَلِكَ لَمْ يَهْمَزُ .

وَالْبِرَاءَةُ مِنَ الشَّيْءِ : الْمُفَارَقَةُ وَالْمُبَاعَدَةُ عَنْهُ ، وَبَرِيءُ اللَّهِ مِنَ الْكَافِرِ :

بَاعَدَهُ عَنْ رَحْمَتِهِ .

وَأَنْوَاعُ الْفِعْلِ كَثِيرَةٌ : مِنْهَا الْخَلْقُ وَالْإِنْشَاءُ وَالْإِرْتِجَاءُ ، وَالْبَرءُ : الْفَطْرُ ؛

فَأَمَّا الْإِحْدَاثُ وَالْإِبْجَادُ وَالتَّكْوِينُ فَكَالْفِعْلِ . وَالْجَعْلُ أَعَمُّ مِنَ الْفِعْلِ ؛ لِأَنَّهُ لِمَا

وُجِدَ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ ، كَقَوْلِكَ : جَعَلْتُ الطِّينَ خَزْفًا ، فَلَمْ يَحْدِثِ الْخَزْفُ فِي

الحقيقة ، وإنما أحدث ما به صار خزفاً^(١) .

وقوله : ﴿ فَاقْتُلُوا ﴾ : فالقَتْلُ والذَّبْحُ والموتُ نظائر .

وبينها فرق : فالقتل : نقض بُنية الحياة . والذَّبْحُ : فَرِي الأوداج .

والموت - عند من أثبتته معنى - : عرضُ يضاد الحياة .

يقال : قَتَلَ يَقْتُلُ قَتْلًا ، وَاقْتَتَلُوا اقْتِتَالًا ، وَتَقَاتَلُوا تَقَاتِلًا ، وَاسْتَقْتَلَّ

استقتلاً ، وَقَتَلَ تَقْتِيلًا ، وَقَاتَلَهُ مُقَاتِلَةً .

وقوله تعالى : ﴿ فَتَلَّهِمُ اللَّهُ ﴾^(٢) معناه : لعنهم الله . وَقَوْمٌ أَقْتَالُ ، أي :

هم أهل الوترِ والترّة ، أي : هم أعداء وتيرات .

وتقول : تَقَتَّلَ الجاريةُ لِلْفَتَى تَصِفُ بِهِ الْعِشْقَ ، قال الشاعر :

تَقَتَّلَتْ لِي ، حَتَّى إِذَا مَا قَتَلْتَنِي تَسْكَبُ ، مَا هَذَا بِفِعْلِ النَّوَاسِكِ^(٣) [٢٤٦]

وَأَقْتَلَ فُلَانٌ فُلَانًا : إِذَا عَرَضَهُ لِلْقَتْلِ .

وَالْمُقْتَلُ مِنَ الدَّوَابِّ : الَّذِي قَدْ ذُلَّ وَمَرَنَ عَلَى الْعَمَلِ .

وَقَلْبٌ مُقْتَلٌ ، أي : قُتِلَ عِشْقًا ، وَمِنْهُ قَوْلُ امْرِئِ الْقَيْسِ :

[٢٤٧] ... فِي أَغْشَارِ قَلْبٍ مُقْتَلٍ^(٤)

(١) مَادَّةُ «بِرَأُ» تَجَدُّهَا فِي هَذِهِ الْمَصَادِرِ وَغَيْرِهَا : الْعَيْنُ ٨ : ٢٨٩ ، جُمُهرَةُ اللُّغَةِ ١ :

٣٣٠ . وَانْظُرِ الْفَهْرَسَ ، تَهْذِيبُ اللُّغَةِ ١٥ : ٢٦٩ ، الْمَحِيطُ فِي اللُّغَةِ ١٠ : ٢٧٤ ،

الْمَحْكَمُ وَالْمَحِيطُ الْأَعْظَمُ ١٠ : ٢٨٦ ، الصَّحَاحُ ١ : ٣٦ ، مَفْرَدَاتُ أَلْفَاظِ الْقُرْآنِ : ١٢١ .

(٢) سُورَةُ التَّوْبَةِ ٩ : ٣٠ ، وَسُورَةُ الْمَنَافِقُونَ ٦٣ : ٤ .

(٣) مِنْ شَوَاهِدِ اللُّغَةِ غَيْرِ الْمَنْسُوبَةِ اعْتَمَدْتَهُ الْمَصَادِرُ فِي مَادَّةِ «قَتَلَ» . انْظُرْ : الْعَيْنُ ٥ :

١٢٧ ، تَهْذِيبُ اللُّغَةِ ٩ : ٥٦ ، مَعْجَمُ مَقَايِيسِ اللُّغَةِ ٥ : ٥٦ ، مَجْمَلُ اللُّغَةِ ٤ : ١٤٣ ،

الْمَخْصَصُ ٢ : ٣٠٥ ، الصَّحَاحُ ٥ : ١٧٩٩ ، لِسَانُ الْعَرَبِ ١١ : ٥٥١ ، أَسَاسُ الْبَلَاغَةِ

٢ : ٢٢٩ ، تَاجُ الْعُرُوسِ ١٥ : ٦٠٨ .

(٤) لِامْرِئِ الْقَيْسِ مِنْ مَعْلَقَتِهِ الشَّهِيرَةِ ، وَتَمَامُهُ :

قال ابن دُرَيْدٍ : قَتَلْتُ الْخَمْرَ بِالماءِ : إِذَا مَزَجْتَهَا ، قال الشاعر :

إِنَّ التِّي نَأَوَّلْتَنِي فَرَدَدْتُهَا قَتَلْتُ ، قَتَلْتُ ، فَهَاتِيهَا لَمْ تَقْتُلِ^(١) [٢٤٨]

وَتَقْتُلُ الرَّجُلَ لِحاجته ، أَي : تَأْتِي لها . وَتَقْتُلُ الرَّجُلَ لِلْمَرْأَةِ : إِذَا خَضَعَ لها فِي كلامه .

وَقَتْلُ الرَّجُلِ : عَدُوّه ، والجمع أَقْتال ، وفلان قَتْلُ فلان ، أَي : نظيره ، وابن عمّه .

وَقَتْلُهُ قِتْلَةً سَوْءٍ ، وَافْتَتَلُوا بِمعنى تَقَاتَلُوا ، ومثله : قَتَلُوا^(٢) ؛ قال أبو النجم :

تَدَافَعُ الشَّيْبُ وَلَمْ يَقْتُلِ^(٣) [٢٤٩]

وناقة ذات قتال وذات كَتال : إِذَا كانت غليظة وثيقة الخَلْقِ .

وفي المثل : قَتَلْتُ أَرْضَ جاهِلِها ، وَقَتَلَ أَرْضاً عالِها^(٤) .

كَلَامًا ذَرَفَتْ عَيْنَاكَ إِلَّا لَتَفْدَجِي بِسَهْمَيْكَ

الشاهد فيه : قوله : «مَقْتَلٍ» أراد به القلب العاشق المتيم حباً .

انظر : الديوان ١٣ بيت ٢٢ ، وشرح الأشعار الستة الجاهلية ١ : ٨١ ب ٢١ .

(١) لحسان بن ثابت الأنصاري مخاطباً الساقى بأن الكأس التي ناولتنيها ممزوجة بالماء - قتل الأولى - ثم يدعو عليه بالقتل ثم يطلب منه كأساً غير ممزوجة .

الشاهد فيه : استعمال «قتلت» الأولى والثالثة بمعنى : المزج ، وأما الثانية فعلى المعنى .

انظر : الديوان ١ : ٧٥ ، شرح الديوان للبرقوقي : ٣٦٣ .

(٢) في الجمهرة : تَقَتَّلُوا ، وفي أحد نسخها قتلوا ، وهكذا في مخطوطتنا «س» ولا ضير فيه ؛ لأنَّ الكل بمعنى واحد : (تَقَتَّلُوا ، وَقَتَّلُوا ، وَقَتَّلُوا) سواء .

(٣) من أرجوزة طويلة في وصف الإيل وغيرها لأبي التَّجَمِّ العجلي ، انظر : الديوان جمع الجُيَلابي : ٢٢٩ ت ٨٩ ، ب : ١٢٣ فيها ، وجمع الآغا : ت ٥٨ ، ب ١٢٣ :

١٩٩ ، خزانة الأدب للبغدادى ٢ : ٣٨٩ ، ش ١٤٨ .

(٤) المثل : في مجمع الأمثال للميداني ٢ : ٥٠٤ ت ٢٩٠٨ و ٢٩٠٩ ، جمهرة الأمثال

٢ : ١٢١ ت ١٣٦٨ ، المستقصى ٢ : ١٨٨ ، وبعض مصادر اللغة الآتية .

وَمَقَاتِلَ الْإِنْسَانِ : هي التي إذا أُصِيبَتْ قَتِلَتْ^(١) .

وأصل الباب القَتْلُ : الذي هو نقض البنية التي تصحَّ معها الحياة .

وقال المُبَرِّدُ : أصله إِمَانَةٌ الحركة^(٢) .

وقوله : ﴿ قَتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾^(٣) أي : قد حلَّوا محلَّ من يُقال

له هذا القول ؛ أي : أنزل الله بهم القتل .

ويقول : قتله علماً ، إذا أيقنه وتحقَّقه .

وقوله : ﴿ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾ :

قيل في معناه قولان :

أحدهما : يقتل بعضكم بعضاً ، ذهب إليه ابن عباس ، وسعيد بن

جبير ، ومجاهد ، والحسن ، وغيرهم من أهل العلم . كما يقول القائل : قتل

آل فلان ، إذا قتل بعضهم بعضاً .

والثاني : ذكره ابن عباس (وإسحاق)^(٤) واختاره أبو علي ، وهو أن

يستسلموا للقتل ، فجعل استسلامهم للقتل قتلاً منهم لأنفسهم على وجه

(١) مادة «قَتَلَ» تعرَّضت لها مصادر اللغة التالية : العين ٥ : ١٢٧ ، جمهرة اللُّغة ١ :

٤٠٧ ، تهذيب اللُّغة ٩ : ٥٤ ، المحيط في اللُّغة ٥ : ٣٦٣ ، المحكم والمحيط الأعظم

٦ : ٣٣٢ ، المخصَّص ٣ : ١٥٥ ، الصحاح ٥ : ١٧٩٧ ، معجم مقاييس اللُّغة ٥ :

٥٦ ، أساس البلاغة ٢ : ٢٢٨ ، لسان العرب ١١ : ٥٤٧ ، تاج العروس ١٥ : ٦٠٧ .

(٢) ذكر ذلك في النكت والعيون ١ : ١٢٢ وبلا عزو ، وفي الفروق اللُّغوية : ٣٨ ب

٥ ، عزاه للبعض بلا تعيين .

(٣) سورة التوبة ٩ : ٣٠ ، وسورة المنافقون ٦٣ : ٤ .

(٤) كذا في النسخ إلّا «خ» ففيها خرم هنا ، ولعل الصحيح : وابن إسحاق ، وهو

صاحب السيرة .

التوسّع^(١).

وقيل: إنّ السبعين الذين اختارهم موسى للميقات أمّروا بالقتل لمن سأل الرؤية من بني إسرائيل.

وقيل: إنهم قتلوا أنفسهم كما أمّروا، عمدوا إلى الخناجر وجعل بعضهم يطعن بعضاً^(٢)، كذا قال ابن عباس وغيره من أهل العلم.

ويقال: غشّتهم ظلمة شديدة فجعل بعضهم يقتل بعضاً، ثمّ انجلت الظلمة، فأجلّوا عن سبعين ألف قتيل^(٣).

والسبب الذي لأجله أمّروا بقتل أنفسهم ذكره ابن جريج: إنّ الله علم أنّ ناساً منهم علموا أنّ العجل باطل فلم يمنعهم أن ينكروا إلّا خوف القتل؛ فلذلك بلاهم الله أن يقتل بعضهم بعضاً^(٤).

قال الرماني: لا بدّ أن يكون في الأمر بالقتل لطف لهم ولغيرهم، كما يكون في استسلام القاتل لطف له ولغيره^(٥).

فإن قيل: كيف يكون في قتلهم نفوسهم لطف لهم، وبعد القتل لا تكليف عليهم، واللطف لا يكون لطفاً فيما مضى ولا فيما يقارنه؟

(١) الآراء ذكرتها التفاسير الآتية: تفسير مجاهد: ٢٠٢، تفسير محمد بن إسحاق: ٢٤، تفسير كتاب الله العزيز للهاوري: ١: ١٠٦، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازي: ١: ١١٠ ت: ٥٢٧ - ٥٣٠، تنزيه القرآن: ٢٤، أمالي المرتضى: ٢: ٣٧١، تفسير النكت والعيون: ١: ١٢٢، تفسير الوسيط: ١: ١٤٠، تأويلات أهل السنة: ١: ٥٢ ت: ٥٤، وضح البرهان: ١: ١٣٧.

(٢) إضافة لما تقدّم من التفاسير في الهامش السابق، انظر: جامع البيان: ١: ٢٢٧.

(٣) انظر مصادر الهامش السابق.

(٤) تفسير جامع البيان: ١: ٢٢٨، تفسير النكت والعيون: ١: ١٢٢.

(٥) انظر: أمالي المرتضى: ٢: ٣٧١ - ٣٧٣.

قلنا: إذا كان القوم كُلُّوا أن يقتل بعضهم بعضاً، فكلُّ واحد منهم يقصد قتل غيره ويجوز أن يبقى بعده، فيكون القتل لطفاً له فيما بعد، ولو كان بمقدار زمان يفعل فيه واجباً واحداً. أو يمتنع من قبيح، وذلك كما نقول في عبادتنا بقتال المشركين؛ وإنَّ الله تعالى تعبَّدنا بأن نقاتل حتَّى نَقْتُل ونُقْتَلَ ومدح على ذلك؛ فكَذَلِكَ روى أهل السير: إنَّ الذين عبدوا العجل تعبَّدوا أن يُقاتلوا من لم يعبد، ويصبروا على ذلك حتَّى يقتل بعضهم بعضاً، فكان القتل شهادةً لمن قُتِل وتوبةً لمن بقي^(١).

وإنَّما كانت تكون شبهة لو أمروا بأن يقتلوا نفوسهم بأيديهم. ولو صحَّ ذلك لكان لا يمتنع بأن يكونوا أمروا بأن يفعلوا بنفوسهم الجراح التي تفضي إلى الموت وإن لم يزل معها العقل فينافي التكليف. وأما على القول الآخر وهو: إنَّهم أمروا بالاستسلام والقتل والصبر عليه؛ فلا مسألة؛ لأنَّهم ما أمروا بقتل نفوسهم. وعلى هذا يكون قتلهم حسناً؛ لأنَّه لو كان قبيحاً لما جاز أن يؤمروا بالاستسلام له.

ولذلك نقول: لا يجوز أن يتعبَّد نبيٍّ أو إمام بأن يستسلم للقتل - مع قدرته على الدفع عن نفسه - فلا يدفعه؛ لأنَّ في ذلك استسلاماً للقبيح مع القدرة على الدفع عن نفسه، وذلك لا يجوز. وإنَّما يقع قتل الأنبياء والأئمَّة على وجه الظلم، وارتفاع التمكن من الدفع مع الحرص على الدفع، غير أنَّه لا يمتنع أن يتعبَّد بالصبر على الدفاع وتحمل المشقَّة في ذلك وإن قتله غيره ظلماً.

(١) لاحظ مصادر الهوامش السابقة صفحة ٢٩١، وتفسير مقاتل ١: ١٠٦، تفسير السمرقندي ١: ١١٩ - ١٢٠.

والقتل وإن كان قبيحاً بحكم العقل ، فهو ممّا يجوز تغييره بأن يصير حسناً ؛ لأنه جارٍ مجرى سائر الآلام ، وليس يجري ذلك مجرى الجهل والكذب الذي لا يصير قطّ حسناً .

ووجه الحُسن في القتل : إنه لطف على ما قلناه ؛ ولأنّه كما يجوز من الله أن يميت الحيّ ، كذلك يجوز أن يأمرنا بإماتته ويعوّضه على ما يدخل عليه من الآلام ويكون فيه لطف على ماقدّمناه .
وقوله : ﴿ ذَلِكُمْ ﴾ :

إشارة إلى التوبة مع القتل لأنفسهم على ما أمرهم الله تعالى به ، بدلالة قوله : ﴿ فَتَوُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾ ، فقوله : ﴿ تَوُوبُوا ﴾ دالّ على التوبة ؛ فكأنّها مذكورة .
وقوله : ﴿ خَيْرٌ ﴾ :

فَالْخَيْرُ وَالنَّفْعُ وَالْفَضْلُ وَالْحِظُّ نِظَائِرُ .
وضدّ الخير : الشرّ ، وضدّ النفع : الضّرر .
تقول : خَارَ اللهُ لَهُ الْخَيْرُ خَيْرَةً ، واختار اختياراً ، واستخار فلان استخارةً ، وتخيّر تخييراً ، وتَخَايَرَ تخاييراً ، وخيّر تخييراً ، وخايره مُخَايَرَةً ، ورجلٌ خَيْرٌ ، وامرأةٌ خَيْرَةٌ ، أي : فاضلةً ، وقومٌ أَخْيَارٌ وَخِيَارٌ .
وامرأةٌ خَيْرَةٌ حقيقة في جمالها وميسمها ، ومنه قوله : ﴿ فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ ﴾ ^(١) .

ونافّةٌ خِيَارٌ ، وَجَمَلٌ خِيَارٌ ، والجميع خِيَارٌ ، وتقول : هَذِهِ وَهَذَا وَهَؤُلَاءِ خَيْرَتِي ، وهو ما تختاره .

وتقول: أَنْتَ بِالْمُخْتَارِ وَأَنْتَ بِالْخِيَارِ سَوَاءٌ .
والرجلُ يَسْتَخِيرُ الصُّبْعَ وَالْيَزْبُوعَ: إذا جَعَلَ خَشَبَةً فِي مَوْضِعِ النَافِقَاءِ ،
فَخَرَجَ مِنَ الْقَاصِيعَاءِ ^(١) .

وَالْخَيْرَةُ: مصدر اخْتَارَ خَيْرَةً ، ساكنة الياء ؛ مثل : ارتابَ رِيبةً .
وأصل الباب الخَيْر نقيضُ الشَّرِّ .
وَالْخَيْرِ: الهَيْئَةُ الْمُخْتَارَةُ ^(٢) .

وحذفت الياء من قوله: ﴿يَلْقَوْمٌ﴾ وأثبتت في قوله: ﴿يَلَيْتَ قَوْمِي﴾ ^(٣)؛ لأنَّ ياء الإضافة تحذف في النداء؛ لأنَّه موضع حذف يحذف فيه التنوين ويحذف الاسم للترخيم، فلما كانت بالإضافة قد تحذف في غير النداء، لزم حذفها في النداء .

وأما قوله: ﴿يَلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾ ، فإنَّها تثبت؛ لأنَّها ياء الإضافة لا يلحقها ما يوجب حذفها كما لحق الياء في النداء ^(٤) .

ويجوز في ﴿يَلْقَوْمٌ﴾ كسر الميم وحذف الياء، وهو إجماع القراء، ويجوز بياء ساكنة، ويجوز بفتح الياء وما قرئ بها .

(١) النافقاء، القاصيعاء: أسماء مواضع - طرق - مرققاً منافذها يهبطها الحيوان - وهو الضبع واليربوع - لجحره يخفيها ويعدها للهرب إذا ما سدَّ عليه طريقٌ نفق من الآخر فهرب . انظر: العين ٥ : ١٧٨ ، وما تقدّم عند الشاهد ١٥٣ .

(٢) مادة «خَيْرَ» تجدها في العين ٤ : ٣٠١ ، جمهرة اللُّغة ١ : ٥٩٤ ، تهذيب اللُّغة ٧ : ٥٤٦ ، المحيط في اللُّغة ٤ : ٤٠٦ ، المحكم والمحيط الأعظم ٥ : ٢٥٤ ، الصحاح ٢ : ٦٥١ ، لسان العرب ٤ : ٢٦٤ ، تاج العروس ٦ : ٣٧٧ .

(٣) سورة يس ٣٦ : ٢٦ .

(٤) انظر ما تقدّم عن ياء الإضافة مفصلاً ضمن تفسير قوله تعالى: ﴿نَعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ﴾ الآية : ٤٠ .

فأما إسكان الهمزة، فالذي رواه سيبويه عن أبي عمرو: اختلاس الحركة^(١). وهو أضبط من غيره، والإسكان في مثل هذا يجوز في ضرورة الشعر، كقول الشاعر:

إذا اغْوَجَجْن قُلْتُ صَاحِبٌ قَوْمٌ^(٢) [٢٥٠]

وكان ينبغي أن يقول: صاحب؛ لأنه منادى.

وقال امرؤ القيس:

فَالْيَوْمَ أَشْرَبَ غَيْرَ مُسْتَحَقِّبٍ إِثْمًا مِنَ اللَّهِ وَلَا وَاغِلٍ^(٣) [٢٥١]

(١) روي ذلك عنه - إضافة للكتاب ٤: ٢٠٣ - في: الحجة للقراء السبعة ٢: ٧٧، حجة القراءات: ٩٧ معاني القراءات: ١٥٠، الكشف عن وجوه القراءات السبع ١: ٢٤٠ ت ٢٨، التذكرة في القراءات ١: ١٨٥ - ١٨٧، الحجة في القراءات السبع: ٧٧. بين مصرّح بالرواية عن سيبويه وبين ناسب إياها إلى أبي عمرو بن العلاء رأساً. (٢) لم ينسبه إلى قائل أغلب من استشهد به لمحلّ الشاهد لدى الشيخ المصنّف رحمه الله. إِلَّا أَنَّ - ابن السيرافي - شارح أبيات سيبويه ٢/ ٣٤١ نسبه لأبي نخيلة. انظر: الكتاب ٤: ٢٠٣، معاني القرآن للقراء ٢: ١٢، معاني القرآن للأخفش ١: ٢٦٧، معاني القرآن للزجاج ١: ١٣٦، الخصائص ١: ٧٥، النكت في تفسير كتاب سيبويه ٢: ١١٧. إضافة لبعض مصادر الهامش السابق. الشاهد فيه: إسكان الباء مع أَنَّ حَقَّهَا الحركة؛ لمحلّ النداء المقدّر، ولكنه اختلس الحركة وأبدلها إلى السكون، وقد اختلف في روايته ممّا يخلّ بمحلّ الشاهد فيه. انظر لذلك: النكت، والخصائص.

(٣) بعد أن حرّم الخمر على نفسه إلى حين الثأر لأبيه من قاتليه - بني أسد - وبعد أن تمّ له ذلك وحلت له الخمر بزعمه، يقول: فالיום. المستحق: الذي يحمل شيئاً في الحقيقة التي هي مؤخّرة الرحل. الواغل: الداخل إلى مجلس الشرب من دون دعوة.

وكما اختلف في رواية الشاهد السابق هكذا هنا - وكما أشار الشيخ المصنّف - إذ روي محلّ الشاهد - أَشْرَبَ - بصورة أخرى هي: فالיום أسقى، أو فالיום فأشْرَبَ، لله

وقد روى بعضهم: صاح قَوْمٌ، وروى: فاليوم فأشرب، وروى بعضهم: فاليوم أنقى.

ولا يقال في الله تعالى: تائب مطلقاً، وإنما يقال: تائب على العبد.
قوله: ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾: الفاء متعلق بمحذوف كأنه قال: ففعلتم - أو قتلتم أنفسكم - فتاب عليكم. وكان فيما بقي دلالة عليه.

قوله عز اسمه:

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يٰمُوسَىٰ لَنْ نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ آية (٥٥) آية بلا خلاف.

وهذه الآية أيضاً عطف على ما تقدم، كأنه قال: واذكروا إذ قلتم: يا موسى، لن نصدق حتى نرى الله جهرة.

فالرؤية والإبصار والنظر نظائر في اللغة؛ يقال: رأى رؤيةً، ورأى - من الرأي - رأياً؛ وأراه الله إراءةً، وترأى القوم ترائياً، وارتأى ارتياءً، وراءة مراءةً.

قال صاحب العين: الرأى: رأى القلب، والجمع الآراء، وتقول: ما أضل آراءهم - على التعجب - ورأاهم أيضاً.

جماعه لا يبقى محل للاستشهاد.

والظاهر صحة رواية المتن.

انظر: الديوان: ١٢٢، إضافة لأغلب مصادر الهامش السابق، وهكذا مصادر اللغة والأدب فهي غنية به وبسابقه لمحل الشاهد.

ورأيتُ بعيني رؤيةً، وتقول: رأيتُهُ رأيَ العينِ، أي: حيثُ يقعُ البَصَرُ عليه.

وتقول من رأي القلب: ارتأيتُ. وتقول: رأيتُ رؤياً حَسَنَةً، ولا تجمع الرُّؤيا، ومن العرب من يُلَيِّنُ الهمزة فيقول: روبا، ومنهم من يقول: رأيتُ رِباً حَسَنَةً، وتقول: هذه رُوى حَسَنَةً، بمعنى رؤيا، والرَّيُّ: ما رأت العين من حال حَسَنَةٍ، تقول: رأيتُ فلاناً ذا مِسْحَةٍ في اللّونِ وزِيٍّ حسنٍ من اللباسِ والمتاع.

والرَّيُّ: جَنِيٌّ يتعرَّضُ [للرَّجل] يُريه كِهانةً أو طِباً.

وفي بعض اللُّغات: رَيْتُ بمعنى رأيتُ، وعلى ذلك قراءة من قرأ: ﴿أَرَيْتَ﴾^(١)، قال الشاعر:

[٢٥٢] قد رَيْتُ منه عجباً من الكبير^(٢)

وتَرَأَى الْقَوْمُ: إذا رَأَى بَعْضُهُمْ بَعْضاً، وتَرَأَى لي فلانٌ: إذا تَصَدَّى لي لأزاه.

والرُّؤاءُ: حُسْنُ الْمَنْظَرِ في الْبَهَاءِ وَالْجَمَالِ، تقول: امرأة لها رُوءاء وبَهَاءٌ وَسَناءٌ، أي: حَسَنَةٌ.

والمِرْآةُ والمِرْأى مثل: المَنْظَرَةِ والمَنْظَرِ.

والمِرْآةُ: التي يُنْظَرُ فيها، وجمعها المَرَائِي. ومن حَوَّلَ الهمزة قال: مَرَايا، تقول: تَرَأَيْتُ الْمِرْآةَ إذا نَظَرْتُ فيها.

(١) سورة العلق ٩٦: ١٠.

(٢) لم نقف على قائله ولا من ذكره قبل الشيخ المصنّف رحمه الله.

وفي الحديث : « لا يَتَمَرَأَى أَحَدُكُمْ فِي الْمَاءِ »^(١) ، أي : لا ينظرُ فيه .
ويحذفون الهمزة في كل كلمة تُشْتَقُّ من «رأيت» إذا كانتِ الرّاء ساكنة ، تقول : رأيت فلاناً فأنا مُرٌّ وهو مُرٌّ ، أي : بحذف الهمزة .
وأثبتوها في موضعين : في قولهم : رأيتَهُ فهو مُرٌّ .
وَأَزَاتِ النَّاقَةُ وَالشَّاةُ : إذا أَرَأَى ضَرْعَهَا أَنَهَا قد أَقْرَبَتْ وَأَنْزَلَتْ ، وهي مُرْأَى ؛ والحذف فيه أيضاً صواب .
وتَقُولُ فِي الظَّنِّ : رُئِيتُ أَنْ فلاناً أَخوك . ومنهم من يحذف الهمزة يقول : رِيتُ أَنَّهُ فلان .
ومن قَلَبَ الهمزة من «رأى» قال : راءَكَ ، مثل ما تقولون : اسْتَرَيْتُ واسترَأَيْتُ بِالْمِرْأَةِ .
والتَّرِيئَةُ - مكسورة الراء مهموزة ممدودة - : ما تَرَى الْمَرْأَةَ من الْمَحِيضِ صُفْرَةً أو بَيَاضاً ، قبلاً أو بعداً .
وأما الْبَصَرُ بِالْعَيْنِ : فهو الرُّؤْيَةُ إِلَّا أن تقول : نَظَرْتُ إِلَيْهِ رَأْيَ الْعَيْنِ وتَذَكَّرَ الْعَيْنَ فيه . وتقول : ما رَأَيْتُهُ إِلَّا رَأْيَةً واحدةً . وتقول للذي يريك الشيء : مُرْزِي ، والمرأة مُرِيَّةٌ خفيفة الباء بلا همزة .
وتقول : رَأَيْتُ فلاناً تَرِيئَةً : إذا رَأَيْتُهُ الْمَرْأَةَ لينظرَ فيها .

(١) أشارت إليه كتب اللُّغة وله لفظ آخر بإبدال «الماء» بـ«الدنيا» أو «المال» ولم نجد في فهارس المصادر الحديثية المتوفرة لدينا ، انظر العين ٨ : ٣٠٨ ، لسان العرب ١ : ١٥٧ و١٤ : ٢٩٦ ، النهاية في غريب الحديث ٤ : ٣١٤ عن الهروي ولم نتحققه لديه . والاختلاف الأول - الدنيا - من كتب اللُّغة والثاني - المال - بين الأصول المخطوطة .

وَالرَّيِّ : مَا أَرَيْتَ الْقَوْمَ مِنْ حُسْنِ الشَّارَةِ وَالْهَيْئَةِ . قَالَ جَرِير :

وَكُلُّ قَوْمٍ لَهُمْ رِيٌّ وَمُخْتَبَرٌ وَلَيْسَ فِي تَغْلِبِ رِيٍّ وَلَا خَبَرٍ^(١) [٢٥٣]

وأصل الباب الرؤية بالعين ، وشبه به الرؤية بالقلب بمعنى العلم .

والمُرَائِي : الَّذِي يُرِي حَال صَلاَحٍ وَيُبْطِئُ خِلَافَهَا . وَالرُّئَةُ - لَأَنَّهَا
بمَنْزِلَةِ الآلَةِ لِلْقَلْبِ - : يَرَى بِهَا .

وَالْجَهْرَةُ وَالْعَلَانِيَةُ وَالْمُعَايَنَةُ نَظَائِرُ .

تَقُول : جَهَرَ جَهْرًا ، وَجَاهَرَ مُجَاهَرَةً وَجِهَارًا ، وَتَجَاهَرُوا تَجَاهَرًا ،
وَرَجَلُ جَهِيرٍ الصَّوْتُ .

قَالَ صَاحِبُ الْعَيْنِ : جَهَرَ فَلَانُ بِكَلَامِهِ ، وَهُوَ يَجْهَرُ بِقِرَاءَتِهِ جِهَارًا .
وَأَجْهَرَ بِقِرَاءَتِهِ إِجْهَارًا .

وَجَاهَرْتُمْ بِالْأَمْرِ جِهَارًا ، أَي : عَالَنْتُمْ بِهِ إِعْلَانًا .

وَاجْتَهَرَ الْقَوْمُ فَلَانًا جِهَارًا : إِذَا نَظَرُوا إِلَيْهِ .

وَكُلُّ شَيْءٍ يَبْدُو فَقَدْ جَهَرَ .

وَرَجَلُ جَهِيرٍ : إِذَا كَانَ فِي الْمَنْظَرِ وَالْجِسْمِ فِي النَّاسِ مُجْتَهَرًا .

وَكَلَامُ جَهِيرٍ ، وَصَوْتُ جَهِيرٍ ، أَي : عَالٍ ، وَالْفِعْلُ : مِنْهُ جَهَرُ جِهَارَةً .

وَالْجَهْوَرُ : هُوَ الْجَرِيءُ الْمُقْدِمُ الْمَاضِي ، وَالْجَهْوَرُ : هُوَ الصَّوْتُ الْعَالِي .

(١) المتوفر لدينا من مجاميع شعره - ديوانه ، والنقائض بين جرير والفرزدق - خالية منه ، ولعله في النقائض بين جرير والأخطل . وانظر بعض مصادر اللغة الآتية حيث ذكر فيها منسوباً إليه .

(٢) لضبط المادة اللغوية «رأى» رجعت المصادر التالية : العين ٨ : ٣٠٦ ، جمهرة اللغة ١ : ٢٣٤ - ٢٣٦ ، تهذيب اللغة ١٥ : ٣١٦ - ٣٢٦ ، المحيط في اللغة ١٠ : ٢٩٨ ، المحكم والمحيط الأعظم ١٠ : ٣٣٨ ، المخصص ١ : ٢٠٠ ، وانظر الفهرس ، الصحاح ٦ : ٢٣٤٧ ، أساس البلاغة ١ : ٣١١ ، لسان العرب ١٤ : ٢٩١ ، وغيرها .

وَالْجَوْهَرُ: كُلُّ حَجَارَةٍ يُسْتَخْرَجُ مِنْهَا شَيْءٌ يُنْتَفَعُ بِهِ .
 وَجَوْهَرُ كُلِّ شَيْءٍ: مَا خُلِقَتْ عَلَيْهِ جِبِلَّتُهُ .
 وَالشَّاةُ الْجَهْرَاءُ: الَّتِي لَا تُبْصِرُ فِي الشَّمْسِ ، وَالْكَبْشُ أَجْهَرُ .
 وَقَالَ بَعْضُهُمْ: جَهَرْتُ الْبَيْتَ: إِذَا أَخْرَجْتَ مَا فِيهَا مِنَ الْحَمَاءِ وَالْمَاءِ ،
 وَبَيْتٌ مَجْهُورَةٌ .

وَالْجَهْرُ: ضِدُّ السِّرِّ .
 وَجَهَرَنِي الرَّجُلُ: إِذَا رَاعَكَ جَمَالُهُ وَهَيْئَتُهُ .
 وَرَجُلٌ جَهِيرٌ: ذُو زُورٍ (١) .
 وَأَصْلُ الْبَابِ: الظُّهُورُ .
 وَالْجَهْرَةُ تَقْتَضِي ظَاهِرًا بَعْدَ أَنْ كَانَ خَافِيًا؛ لِئَذْرَكَ مَا لَمْ يَكُنْ قَبْلُ
 مُدْرَكًا .

وَيَسْتَدَلُّ بِالْجَهْرِ عَلَى أَنَّهُمْ أَرَادُوا رُؤْيَا الْعَيْنِ دُونَ رُؤْيَا الْقَلْبِ .
 وَحَقِيقَةُ الْجَهْرِ: ظُهُورُ الشَّيْءِ مَعَايِنَةً .
 وَالْفَرْقُ بَيْنَ الْجَهْرَةِ وَالْمَعَايِنَةِ: إِنَّ الْمَعَايِنَةَ تَرْجِعُ إِلَى حَالِ الْمُدْرِكِ ،
 وَالْجَهْرَةَ تَرْجِعُ إِلَى حَالِ الْمُدْرِكِ .

وَمَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: عَلَانِيَةً .

(١) لَضَبَطَ الْمَادَّةَ اللَّغَوِيَّةَ «جَهْر» وَاسْتَقْفَاهَا اعْتَمَدَتِ الْمَصَادِرُ التَّالِيَةَ ، عَلَى أَنَّ فِيهَا مَعَ الْأَصُولِ بَعْضَ الْإِخْتِلَافِ الَّذِي لَا يَضُرُّ ، الْعَيْنُ ٣ : ٣٨٨ ، جُمُورَةُ اللَّغَةِ ١ : ٤٦٨ ، تَهْذِيبُ اللَّغَةِ ٦ : ٤٨ ، الْمَحِيطُ فِي اللَّغَةِ ٣ : ٣٧٤ ، الْمَحْكَمُ وَالْمَحِيطُ الْأَعْظَمُ ٤ : ١٦٠ ، الصَّحاحُ ٢ : ٦١٨ ، لِسَانُ الْعَرَبِ ٤ : ١٤٩ ، تَاجُ الْعُرُوسِ ٦ : ٢٢ ، الْفُرُوقُ اللَّغَوِيَّةُ ٢٣٧ ب ٢٧ وَغَيْرُهَا .

وقال قتادة: عياناً^(١).

وقد تكون الرؤية غير جَهرة، كالرؤية في النوم والرؤية بالقلب. فإذا قال: جَهرة لم يكن إلا رؤية العين على التحقيق دون التخيل. وسؤالهم الرؤية قال قوم: هو كفر؛ لأن إجازة الرؤية كفر. وقال آخرون: ليس بكفر؛ وإنما إجازة الرؤية التي تقتضي التشبيه كفر.

فأما هذا القول منهم فكفر إجماعاً؛ لأنه ردّ على الرسول، وكلّ مَنْ يلقى قول الرسول بالردّ من المكلفين كان كافراً^(٢). وأما الصاعقة فإنّها تكون على ثلاثة أوجه:

أولها: الموت، كقوله: ﴿فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾^(٣)، وقوله: ﴿فَأَخَذَتْكُمُ الصَّعِقَةُ﴾^(٤).

الثاني: العذاب، كقوله: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾^(٥).

والثالث: نار تسقط من السماء، كقوله: ﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ﴾^(٦).

(١) انظر: تفسير ابن عباس: ٩، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازي ١: ١١١ ت ٥٣٤ و ٥٣٥، تفسير النكت والعيون ١: ١٢٣، تفسير الوسيط ١: ١٤٠، منسوبة وغير منسوبة.

(٢) انظر ما تقدّم في تفسير: ﴿وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ من الآية ٥٠ في صفحة ٢٥٤، وما بعدها.

(٣) سورة الزمر ٣٩: ٦٨.

(٤) سورة البقرة ٢: ٥٥.

(٥) سورة فصلت ٤١: ١٣.

(٦) سورة الرعد ١٣: ١٣.

وأكثر المُفسّرين على أنّ موسى لم يمّت بالصاعقة كما مات من سأل
الرؤية .

وقال شاذّ منهم : إنّهُ مات بالصاعقة ^(١) .

وقوله : ﴿ وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا ﴾ ^(٢) ، أي : مغشياً عليه . عند أكثر
المفسّرين ^(٣) . بدلالة قوله : ﴿ فَلَمَّا أَفَاقَ ﴾ والإفاقة لا تكون إلّا من الغشّة
دون الموت ، ولو كان من الموت لقال : فلما حيي .

وقوله : ﴿ جَهْرَةً ﴾ مشتقّ من : جَهَزْتُ الرَكِيَّةَ أَجْهَرُهَا جَهْرًا وَجَهْرَةً : إذا
كان ماؤها قد غطاه الطين ، فَتَقَيَّتْ حَتَّى ظَهَرَ الْمَاءُ .

وقيل : أخذ من قولهم : فلان مُجَاهِرٌ بِالْمَعَاصِي إذا كان لا يسترها ^(٤) .
وإنّما قُرِعُوا بِسُؤَالِ أَسْلَافِهِمُ الرُّؤْيَا مِنْ حَيْثُ أَنَّهُمْ سَلَكُوا طَرِيقَهُمْ فِي
الْمُخَالَفَةِ لِلنَّبِيِّ الَّذِي لَزِمَهُمْ اتِّبَاعُهُ وَالتَّصَدِيقُ بِجَمِيعِ مَا أَتَى بِهِ ، فَجَرَّزُوا عَلَى
عَادَةِ أَسْلَافِهِمْ فِي ذَلِكَ الَّذِينَ كَانُوا يَسْأَلُونَ : تَارَةً أَنْ يَجْعَلَ لَهُمْ إِلَهًا
غَيْرَ اللَّهِ ، وَمَرَّةً يَعْبُدُونَ الْعَجَلَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، وَمَرَّةً يَقُولُونَ : ﴿ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ
حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً ﴾ ، وَمَرَّةً يَقُولُونَ : ﴿ فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتِلَا إِنَّا
هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾ ^(٥) .

(١) ينظر : تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازي ١ : ١١٣ ت ٥٤٥ و ٥ : ١٥٦١
ت ٨٩٥٥ ، ٨٩٥٦ ، معاني القرآن للنحاس ٣ : ٧٥ ، تفسير بحر العلوم ١ : ١٢٠ و ٥٦٨ ،
تفسير النكت والعيون ٢ : ٨٥٨ ، الوجوه والنظائر ٢ : ١٠ ، تفسير الكشّاف ١ : ٢٧١ .

(٢) سورة الاعراف ٧ : ١٤٣ .

(٣) يلاحظ : معاني القرآن للنحاس ٣ : ٧٥ ، تفسير السمرقندي ١ : ٥٦٨ ، تفسير
النكت والعيون ٢ : ٢٥٨ ، إيجاز البيان للنيسابوري ١ : ٣٤٠ .

(٤) انظر : معاني القرآن للزجاج ١ : ١٣٧ ، إعراب القرآن للنحاس ١ : ٢٢٧ ، تفسير زاد
المسير ١ : ٨٣ نقله « عن الزجاج » .

(٥) سورة المائدة ٥ : ٢٤ .

وقال الزجّاج: في هذه الآية دلالة على مشركي العرب الذين كانوا ينكرون البعث؛ لأنّ أهل الكتاب مع مخالفتهم للرسول يقرّون بأنّ الله أمات قوماً في الدنيا ثم أحياهم^(١).

وعندنا إنّ نقل أهل الكتاب لمثل هذا ليس بحجّة، وإنّما الحجّة في إخبار الله على لسان نبيه وحده؛ إذ كان كلّما يخبر به فهو حقّ وصدق.

واستدل البلخيّ بهذه الآية على أنّ الرؤية لا تجوز على الله تعالى، قال: لأنّها إنكار تضمن أمرين: ردّهم على نبيهم. وتجويزهم الرؤية على ربّهم؛ يبيّن ذلك قوله تعالى: ﴿فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرَنَا اللَّهَ جَهْرَةً﴾^(٢) فدلّ ذلك على أنّ المراد إنكار الأمرين^(٣).

وهذه الآية تدلّ على أنّ قوله: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾^(٤) كان سؤالاً لقومه؛ لأنّه لا خلاف بين أهل التوراة أنّ موسى ما سأل الرؤية إلّا دفعة واحدة، وهي التي سأله لقومه.

وقوله: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ﴾ تعلّق بما يخبرهم به من صفات الله عزّ وجلّ؛ لأنّهم قالوا: لن نؤمن لك بما تخبرنا به من صفاته وما يجوز عليه حتّى نراه.

وقيل: إنّّه لما جاءهم بالألواح وفيها التوراة قالوا: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ﴾

(١) معاني القرآن وإعرابه ١: ١٣٨ و ٣٢٣.

(٢) سورة النساء ٤: ١٥٣.

(٣) انظر ما تقدّم حول النظر والرؤية في تفسير الآية ٥٠: ﴿وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾، لعلّ فيه الكفاية.

(٤) سورة الأعراف ٧: ١٤٣.

بأن هذا من عند الله حتى نراه جهره^(١).

ونرى على وزن نَفْعَل ، وأصله نَرَأَى ، قال الشاعر :

أَرِنِي عَيْنِي مَا لَمْ تَرَأِيَاهُ كِلَانَا عَالِمٌ بِالتَّرَاهَاتِ^(٢)
فجاء به على الأصل .

وقال آخر :

أَلَمْ تَرَهُ مَا لَا قِيَتْ وَالْدَّهْرُ أَغْصُرُ وَمَنْ يَتَمَلَّ الْعَيْشَ يَزْءَ وَيَسْمَعُ^(٣)

(١) أُشير إلى ذلك في تفسير جامع البيان ١ : ٢٣٢ ، تفسير بحر العلوم للسمرقندي ١ : ١٢٠ .

(٢) للشاعر سُراقَةُ البارقِي في جملة أبيات قالها عندما أسره جُند المختار ، فكانت سبب خلاصه .

المعنى : عندما مثَّل لدى المختار زَعَم له مُقسماً أنه رأى الملائكة تُحارب في جبهته على خيل بلق. وعندما أطلقه هرب إلى البصرة وأنشد الأبيات مكذباً يمينه فيها وما زَعَمه أولاً .

الشاهد : استعمال «رأى» بتحقيق الهمزة «ترأياه» .

هذا ، والبحث طويل ، وفيه معركة آراء ، تجدها في مصادر اللُّغة والأدب بعنوان : ما حُذِف على خلاف القياس ولا دليل عليه إلا السماع .

وقد رويت للبيت رواية أخرى لا شاهد فيها وهي : «تبصره» بدل «ترأياه» ، وأدَّعي أنها رُويت من قبل البعض تخلفاً من مشاكل البحث في ذلك .
انظر : الديوان : ٧٨ ، وأنظر مصادر الهامش الآتي .

(٣) البيت للأعلم بن جرادة السعدي ، وقد اختلف في رواية شطره الأول ، وهو كسابقه في الاختلاف حول همزة «رأى» إثباتاً وحذفاً ، وفي المصادر توسعة للبحث .

المعنى : تَمَلَّى : استمتع بالشيء حيناً ، والملاوة - مثلثة الميم - : المدة الطويلة .
يريد أن مَنْ يعيش طويلاً تستجد له أشياء لم يكن عرفها من قبل .

الشاهد : استعمال الفعل «رأى» في الشطر الثاني على التحقيق .

للتوسعة في الموضوع ، أنظر : نودار اللُّغة : ٤٩٦ - ٤٩٧ ، المحتسب ١ : ١٢٩ ،
دقائق التصريف : ٤٢٣ ، أمالي الزجاجي : ٨٧ - ٨٨ ، سرّ صناعة الإعراب ١ : ٧٧ ،

وإنما دعاهم الى أن قالوا: ﴿جَهْرَةً﴾ من صفة السؤال على التقديم والتأخير، كأنه قال: وإذا قلتم جهرة لن نؤمن لك حتى نرى الله^(١). وقال الأكثر: إنها من صفة الرؤية. وهو الأقوى؛ لأن ما قالوه ترك الظاهر.

وتقدير التقديم والتأخير ليس هنا الى ذلك حاجة. وقوله: ﴿وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾. يعني: ما نزل بكم من الصاعقة والموت.

قوله تعالى:
﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ آية (٥٦) آية
بلا خلاف.

معنى قوله: ﴿بَعَثْنَاكُمْ﴾: أحييناكم، عند أكثر المفسرين كالحسن وقتادة وغيرهما.

وقال السُّدِّي: بعثناكم أنبياء^(٢).

١- شرح شواهد الشافعية «ضمن شرح الشافعية» ٤: ٣٢٩ ش ١٦٠، المحكم والمحيط الأعظم ١٠: ٣٤٠، لسان العرب ١٤: ٢٩٣ «رأى» فيهما.

(١) ذكر البحث هذا في التفاسير في موضعين: الأول هنا، والثاني في سورة النساء آية ١٥٣، وبعضهم أجمل في الأول وفصل في الثاني، وآخرون عكسوا. انظر للمثال: أمالي السيد المرتضى ٢: ٢١٥ - ٢٢٢، وانظر ما تقدم عند تفسير الآية ٥٠ قوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾، جامع البيان ١: ٢٢٩، تفسير كتاب الله العزيز للّهواري ١٠٧: ١.

(٢) ذكر ذلك أغلب المفسرين، انظر للمثال: تفسير جامع البيان ١: ٢٣٠، تفسير الصنعاني ١: ٢٧٠، تفسير بحر العلوم للسمرقندي ١: ١٢٠، تفسير الكشف والبيان ١: ٢٠، تفسير النكت والعيون ١: ١٢٣، تفسير الوسيط ١: ١٤٠، تفسير المحرر الوجيز ١: ٢٢٦، وغيرها كثير.

والأَوَّلُ أَصَحُّ؛ لَأَنَّهُ ظَاهِرُ الْكَلَامِ، فَلَا يَجُوزُ الْعُدُولُ عَنْهُ.
وَأَصْلُ الْبَعْثُ: إِثَارَةُ الشَّيْءِ مِنْ مَحَلِّهِ، وَمِنْهُ قِيلَ: بَعَثَ فُلَانٌ رَاحِلَتَهُ،
إِذَا أَنْارَهَا مِنْ مَبْرَكِهَا لِلسَّيْرِ.
وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: بَعِثْتُ فُلَانًا لِحَاجَتِي: إِذَا أَقَمْتَهُ مِنْ مَكَانِهِ الَّذِي هُوَ فِيهِ
لِلتَّوَجُّهِ فِيهَا.
وَمِنْ ذَلِكَ قِيلَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ: يَوْمُ الْبَعْثِ؛ لَأَنَّهُ يَوْمٌ يَثَارُ النَّاسُ فِيهِ مِنْ
قُبُورِهِمْ لِمَوْقِفِ الْحِسَابِ.

وَالْبَعْثُ وَالْإِزْسَالُ وَالْإِطْلَاقُ نِظَائِرٌ، يُقَالُ: بَعَثَ بَعْثًا، وَانْبَعَثَ انْبِعَاثًا،
وَتَبَعَثْتُ تَبْعِيَّةً، وَبَعَثْتُهُ مِنْ تَوَمِهِ فَانْبَعَثَ، أَيْ: تَبَهَّتَهُ فَانْتَبَهَ.
وَتَقُولُ: ضَرَبَ الْبَعْثُ عَلَى الْجُنْدِ: إِذَا بُعِثُوا إِلَى الْعَدُوِّ. وَكُلُّ قَوْمٍ
يُبْعَثُونَ إِلَى وَجْهِ أَوْ فِي أَمْرٍ فَهُمْ بَعْثٌ.
وَأَصْلُ الْبَابِ: الْبَعْثُ، وَهُوَ الْإِزْسَالُ^(١).
وَكُلُّ بَاعِثٍ فَاعِلٌ، فَأَمَّا الْمَبْعُوثُ فَقَدْ يَكُونُ فَاعِلًا وَقَدْ لَا يَكُونُ،
يُقَالُ: بَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ رِيحًا فَاقْتَلَعَتْهُمْ، فَالْريِّحُ مَبْعُوثَةٌ. وَيُقَالُ: الشَّهْوَةُ
لِلشَّيْءِ تَبْعَثُ عَلَى الطَّلَبِ لَهُ.
فَإِنْ قِيلَ: هَلْ يَجُوزُ أَنْ يَرُدَّ اللَّهُ أَحَدًا إِلَى التَّكْلِيفِ بَعْدَ أَنْ مَاتَ وَعَايَنَ
مَا يَضْطَرُّهُ إِلَى مَعْرِفَتِهِ بِاللَّهِ؟

(١) «بعث» تجدها في مصادر اللغة: العين ٢: ١١٢، جمهرة اللغة ١: ٢٥٩، تهذيب
اللغة ٢: ٤، المحيط في اللغة ٢: ١٣، المحكم والمحيط الأعظم ٢: ٩٦،
الصحاح ١: ٢٧٣، مفردات ألفاظ القرآن الكريم: ١٣٢، لسان العرب ٢: ١١٦،
تاج العروس ٣: ١٧١.

قيل : في ذلك خلاف .

قال أبو علي : لا يجوز ذلك إلا على من لم يضطره الله الى معرفته ^(١) .

وقال بعضهم : يجوز التكليف في الحكمة ، وإن اضطر الى المعرفة ^(٢) .

وقول أبي علي أقوى .

واعلّ الرّماني لأبي علي ، بأن قال : لما كانت المعرفة أجلّ الطاعات التي كُلفها العبدُ كانت هي الغرض الذي يتبعه سائر الطاعات ، فلو ارتفع الغرض ارتفع التابع له ، كما أنّ الغرض في الشرائع الاستصلاح في الأصول التي تجب بالعقل ، فلو ارتفع ذلك الغرض ارتفع وجوب العمل بالشرع ، وكما أنه لا يجوز تكليف الطاعة مع رفع التمكن من المعرفة من غير ضرورة إليها .

قال : ووجه القول الثاني أنّه لما كان الشُّكر على النُّعمة يجب في المشاهد مع الضرورة الى معرفة المنعم ، كان الشُّكر للنُّعمة التي هي أجلّ من نعمة كلّ منعم في الشّاهد أولى أن يجب مع الاضطرار الى المعرفة .

ولأبي علي أن يقول : لا نمنع من الوجوب ؛ لكن لا يجوز التكلّف ؛ لأنّ الغرض المعرفة ، أي : هي أصل ما وقع التّكليف به للعباد .

(١) مؤلّفات أبي علي الجُبائي مفقودة ، وانظر : شرح الأصول الخمسة للقاضي عبدالجبار : ٤٨ - ٦٠ .

(٢) البحث عميق صعب ، لا تفصح عنه مساحة الهامش ، فالإشارة إلى المصادر للتوسعة أفضل ، انظر : مصطلحات علم الكلام الإسلامي للدكتور دغيم : ٢ : ٧٢ ، كشاف اصطلاحات الفنون : ١١١٢ ، معجم العناوين الكلامية والفلسفية : ٨٧ و ١١٨ ، شرح المصطلحات الكلامية : ٩٦ ت ٦٨٢ ، شرح المصطلحات الفلسفية : ١٨٧ ت ٧٩١ ، ومنها إلى غيرها .

والذي أقوله : إنّ الذي يُحْيِي بعد الإمامة ؛ إنّ كان لم تخلق له المعرفة الضرورية لم يضطرّ إليها ، فإنّه يمتنع تكليفه ؛ لأنّ العلم بأنّ الإحياء بعد الإمامة لا يقدر عليه غير الله ، طريقه الدليل وغوامض الاستدلال ، فليس إحياءه بعد الإمامة ما يوجب أن يكون مضطراً الى معرفته ؛ فلذلك يصحّ تكليفه ، وليس الإحياء بعد الإمامة إلّا كالانتباه من النوم والإفاقة بعد الغشية ، فإنّ ذلك لا يوجب علم الاضطرار .

وإن فرضنا أنّه خلق فيه المعارف ضرورة ، فلا يحسن تكليفه ؛ لأنّ حسن التكليف موقوف على إزاحة علّة المكلف من فعل اللطف والإقذار وغير ذلك ، ومن جملة الألطاف تكليفه للمعرفة ، والضرورية لا تقوم مقامها على ما بيّناه في الأصول^(١) . وإذا لا يحسن تكليفه ؛ لأنّه يصير مكلفاً ولم يفعل به ما هو لطف له ، وذلك لا يجوز^(٢) .

وقوله : ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ معناه : لكي تشكروا ، وهذه لام الغرض . وفيه دليل على فساد قول المجبّرة : إنّ الله تعالى ما أراد من الكفّار الشكر ؛ لأنّه لو أراد كفرهم ، لقال : لتكفروا ، وذلك خلاف القرآن .

(١) انظر : تمهيد الأصول : ١٥٧ وما بعدها و ٢٨٨ . وانظر الهامش الآتي .
(٢) البحث هذا راجع إلى البحث المفصل في التكليف وشرائطه والمكلف والمكلف والمكلف به - وكذا البعث والرجعة ، وسيشار إلى مصادرهما قريباً عند تعرّض المصنّف ﷺ لهما - والبحث طويل عريض ، الإشارة إلى مصادر الميسرة للوصول إلى الموضوع أفضل وأيسر لمن أراد التفصيل .

انظر : موسوعة مصطلحات علم الكلام الإسلامي ١ : ٣٥١ - ٣٧٧ ، معجم العناوين الكلامية والفلسفية : ٤٤ و ٢٧ ، شرح المصطلحات الكلامية : ٨٠ ت ٣١٠ فقائمتها غنية بالمصادر ، ولعلك من خلالها تصل إلى غيرها .

بحث الرجعة :

ومن استدل بها على جوازها [الرجعة] كان صحيحاً؛ لأن من منع منه وأحاله فالقرآن يُكذِّبه، وإن استدل به على وجوب الرجعة وحصولها فلا يصح؛ لأن إحياء قوم في وقت، ليس بدلالة على إحياء آخرين في وقت آخر، بل ذلك يحتاج الى دلالة أخرى.

وقول من قال : لا تجوز الرجعة - لأن ذلك معجزة، ودلالة على نبوة نبي، وذلك لا يجوز إلا في زمن نبي - غير صحيح؛ لأن عندنا يجوز إظهار المعجزات على يد الأئمة والصالحين. وقد بيناه في الأصول^(١).

(١) أي : أصول الدين .

والمعجزة : في اللغة نقيض القدرة مشتقة من العجز .
وفي الاصطلاح الكلامي : ثبوت - أو حصول - ما ليس بمعتاد ، أو نفي المعتاد مع خرق العادة فيهما ، ومطابقة الدعوى على شروط ذكرت في محلها .
وظهور المعجز على يد الأنبياء مورد وفاق ، بل إجماع ولا يُشكَّ فيه .
وأما على يد غيرهم - كالأئمة والصالحين - إثباتاً لهم أو دعماً لمكانتهم فأجازه كثيرون ، وخالف فيه قلة .
فقد أجازه الإمامية والأشاعرة وقسم من المعتزلة ، وخالف فيه القسم الآخر منهم .

ولكل دليل يحتاج إلى تفصيل لا يسعه المورد هذا ، فالإشارة إلى موارده - سهيلاً للمراجع - أفضل ، انظر للمثال : المصنّفات التي تعرّضت لبحث النبوة من الكتب الكلامية فالبحت هذا غالباً مطروح فيها ، فللشيعة مثلاً : أوائل المقالات للشيخ المفيد^(٢) : ٧٨ ؛ الذخيرة للشريف المرتضى ٢ : ٦٣٤ ؛ تلخيص الشافي ١ : ١٣٢ تمهيد الأصول : ٣١٤ ، عدّة الأصول ٢ : ٦٣٤ ، الاقتصاد : ١٥١ وما بعدها وهذه الأربعة للشيخ الطوسي^(٣) ، كشف المراد : ٣٨٧ ، أنوار الملكوت : ١٨٧ وهما للعلامة الحلي ، اللوامع الإلهية في المباحث الكلامية : ٢٨١ وما بعدها .

ومن ادعى قيام الحجة بأن الخلق لا يُردّون الى الدنيا - كما علمنا أن لا نبي بعد نبينا - مقترح مدع لما لا دليل على صحته ، فإننا لا نخالف في ذلك .

وقال البلخي : لا تجوز الرجعة مع الإعلام بها ؛ لأن فيها إغراء بالمعاصي من جهة الاتكال على التوبة في الكرّة الثانية^(١) .

قال الرماني : هذا ليس بصحيح ؛ من قبل أنه لو كان فيها إغراء

للزيادة والتتبع للمذاهب الأخرى وغيرها خير معين : موسوعة مصطلحات علم الكلام الإسلامي ٢ : ١٢٥٠ و ١٣٦٣ وما بعدها مدخلي «معجزة ، ونبوة» ، شرح المصطلحات الكلامية : ٣٣٣ ت ١٢٠٠ ، معجم العناوين الكلامية والفلسفية : ١٢١ ، شرح المصطلحات الفلسفية : ٣٧٣ . وراجع موسوعة المواضيع في المصادر الإسلامية للسيد عاشور ١ : ٣٨٩ ، مفاهيم القرآن للشيخ السبحاني ٤ : ٧٦ ، وغيرها كثير .
(١) الرجعة : من المفردات التي لها تفسيرها الخاص بها لدى الشيعة الاثني عشرية ، والتي أضحت تفسّر حسب أهواء الآخرين بالتناسخ وهو ما لم يخطر على بال أحد من الشيعة ؛ وذلك للتشنيع عليهم ليس إلا ، وهذا التفسير بعيد كل البعد عن روح عقيدة الشيعة ومرادهم من هذه المفردة ؛ إذ هم ينفون وبشدة التناسخ ، ويردّون على من يقول به ، ولدى سبر كتبهم الكلامية تجددهم يعرفون الرجعة : بأنها عود الروح إلى البدن الذي خرجت منه ، وهي لطائفة قليلة معينة - ممن مُخّض الإيمان - وذلك قبل يوم القيامة ، ثم موتهم مرة أخرى وحشرهم للقيامة . ومن سبر زبرهم الكلامية والروائية يرى أنّ الرجعة أمر ، والتناسخ آخر . ولا ينكر ذلك إلا مكابر مريض ؛ لعدم تحقّق أركان التناسخ في الرجعة ، من التعدّد وتراجع النفس عن كمالها وغير ذلك .

وللتفصيل راجع الفهارس الآتية ؛ إذ أنّها خير معين لمزيد التوسعة انظر : معجم العناوين الكلامية والفلسفية : ٣٧ ، شرح المصطلحات الكلامية : ١٥٥ - ٥٥٨ ، موسوعة المواضيع في المصادر الإسلامية ١ : ٢٣٠ . وانظر بحوث في الملل والنحل للشيخ السبحاني ٦ : ٣٦٣ ، الرجعة للشهيد الاسترآبادي ، ومقدمة الإيقاظ من الهجعة بالبرهان على الرجعة تحقيق السيّد عبدالكريم الموسوي فقد ضمّنها ثبّتا بمصادر اختصّت بالبحث .

بالمعصية لكان في إعلام التبقية الى مدة إغراء بالمعصية ، وقد أعلم الله تعالى نبيه وغيره - إبليس - أنه يبقية الى يوم يبعثون ، ولم يكن في ذلك إغراء بالمعصية .

وعندي : إن الذي قاله البلخي ليس بصحيح ؛ لأن من يقول بالرجعة لا يقطع على أن الناس كلهم يرجعون ، فيكن في ذلك اتكال على التوبة في الرجعة فيصير إغراء ، فلا أحد من المكلفين إلا ويجوز أن لا يرجع ، وإن قطع على الرجعة في الجملة . ويجوز أن لا يرجع يكفي في باب الزجر .
وأما قول الرماني : إن الله تعالى أعلم أقواماً مدة مقامهم ؛ فإن ذلك لا يجوز إلا فيمن هو معصوم يؤمن من جهته الخطأ كالأنبياء ومن يجري مجراهم في كونهم معصومين ؛ فأما من ليس بمعصوم ، فلا يجوز ذلك ؛ لأنه يصير مُغراً بالقبيح .

وأما تبقية إبليس - مع إعلامه أنه يبقية الى يوم الدين - ففيه جوابان : أحدهما : إنه إنما وعده قطعاً بالتبقية بشرط ألا يفعل القبيح ، ومتى فعل القبيح حق^(١) احترامه عقبه ؛ فلا يكون مغرئ .

والثاني : إن الله قد علم أنه لا يزيد بهذا الإعلام فعل قبيح ، لولاه لما كان يفعله ؛ وفي ذلك خروجه من باب الإغراء .

وقد قيل : إن إبليس قد زال عنه التكليف فقد خرج عن حد التكليف ، وإنما مكّنه الله من وسوسة الخلق ؛ تغليظاً للتكليف ، وزيادة في مشاقهم ، ويجري ذلك مجرى زيادة الشهوات أنه يحسن فعلها إذا كان في

(١) في «خ» جَوَزَ ، وعموماً الجملة - إلى قوله : مغرئ - في النسخ مضطربة ضبطت تلفيقاً بينها .

خلقها تعريض للثواب الكثير الزائد .

قوله جل وعز :

﴿وَضَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ آية (٥٧) آية بلا خلاف .

قوله : ﴿وَضَلَّلْنَا﴾ عطف على قوله : ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾ وكأن التقدير : ثم بعثناكم من بعد موتكم وظللنا عليكم الغمام .

والظُّلَّةُ^(١) والغمامة والسَّترَةُ نظائر في اللغة، تقول : ظلَّ يظلُّ ظلُّولاً، وأظْلَ إظلالاً، واستظلَّ استظلالاً، وتظَلَّلَ تظُّلاً، وظلَّله تظليلاً .

قال صاحب العين : تقول : ظلَّ فلانُ نهارَه صائماً، ولا تقول العرب ظلَّ إلا لكلِّ عملٍ بالنَّهار، كما لا يقولون : باتَ يبيتُ إلا بالليل، وربما جاء ظلَّ في أشعارهم نادراً .

ومن العرب من يحذف لامَ ظَلَّلْتُ ونحوها .

فأما أهل الحجاز فيكسرون الظاء على كسرة اللام التي ألقيت، فيقولون : ظلنا وظلنتم، وتميم تدع الظاء مفتوحة على حالها، كقوله : ظلنا وظلنتم كما قال تعالى : ﴿فَظَلَّمْتُمْ نَفْسَكُمْ﴾^(٢) . والمصدر الظُّلول، فالأمر فيه : أظلل .

(١) ما جاء في الحروفيات : الظلمة ، غلط يدل عليه ما بعده وقبله الآية الكريمة .

(٢) سورة الواقعة ٥٦ : ٦٥ .

وَالظُّلُّ ضِدُّ: الضُّحَى، ونقيضه: سَوَادُ اللَّيْلِ يُسَمَّى ظِلًّا^(١)، وجمعه ظلال، قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا﴾^(٢) يعني اللَّيْلُ. والظِّلُّ في كلام العرب: هو اللَّيْلُ، وتقول: أَظْلَنْتَنِي هذه الشجرة إِظْلَالًا، والمكان الظِّلِيلُ: الدائم الظِّلُّ، وقد دامت ظلاله. والظِّلَّةُ كهَيْثَةُ الصُّفَّةِ، وقوله: ﴿عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ﴾^(٣) يقال: هو عذاب يوم الصُّفَّةِ.

وَالْمَظْلَّةُ: الْبَرْطُلَّةُ.

وَالْإِظْلَالُ: الدُّنُو، يقول: قد أَظْلَكَ فُلَانٌ، أي: كَانَهُ أَلْقَى عَلَيْكَ ظِلَّهُ مِنْ قُرْبِهِ.

وتقول: لَا يُجَاوِزُ ظِلِّي ظِلَّكَ.

وَمُلَاعِبُ ظِلِّهِ: طَائِرٌ يُسَمَّى بِذَلِكَ.

وَالْأُظْلُ: بَاطِنٌ مَنَسَمِ الْبَعِيرِ، وجمعه أَظْلَالٌ، قال الشاعر:

يَشْكُو الْوَجَى مِنْ أَظْلَلٍ وَأُظْلَلٍ^(٤)

(١) العبارة صَحِّحَتْ تَلْفِيحًا بَيْنَ النسخ وبمساعدة بعض مصادر اللغة التي يشار إليها، وما جاء في الحروفيات - القبح، الصبح - فلا يمكن المساعدة عليه وهكذا باقي العبارة.

(٢) سورة الفرقان ٢٥ : ٤٥.

(٣) سورة الشعراء، ٢٦ : ١٨٩.

(٤) رجز للعجاج بن ربيعة التميمي ب ٨٧ ت ١٢ في الديوان ١ : ٢٣٦. وقبله:

لَا تَخْفُلُ الرَّجَزَ وَلَا قِيلَ حَلٍ

الشاهد فيه: أَظْلَلٍ، وهو ما تحت الْمَنَسَمِ للبعير كالظفر للإنسان، وأصله: «أُظْلَ»، وجاء به على الْفَكِّ للضرورة.

استشهد به جمع في مؤلفاتهم انظر: الخصائص ١ : ١٦١، شرح الشافية ٣ :

يعني من أَظْلَ وأظْلَ ، فأظهر التَّضْعِيف بضرورة الشعر ، قال لبيد :

[٢٥٧] بِنَكِيبٍ مَعِيرٍ دَامِيَ الْأَظْلَ^(١)

أراد بخفّ نكيبٍ ، أي : منكوب نكبته الحجارة ، معيرٍ : ساقط الشعر أملس .

والظِّلُّ : لون النهار تَغْلِبُ عليه الشَّمْسُ .

وقال رؤبة : كُلُّ موضع تكون فيه الشَّمْسُ فَتَزُولُ عنه ، فهو ظِلٌّ وفيءٌ

يقالان جميعاً ، وما سوى ذلك يقال له : ظِلٌّ ، ولا يقال فيه : الفَيءُ .

والظِّلُّ الظِّلِيلُ : الجَنَّةُ ، قال الله تعالى : ﴿ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴾^(٢) .

والظِّلُّ : الحَيَالُ الذي يُرى من الجِنِّ وَغَيْرِهِ .

والمِظْلَةُ - أيضاً - : تُتَّخَذُ من خَشَبٍ أو غيره يُسْتَظَلُّ به .

والظِّلُّ : المَنَعَةُ والعزّ ، كذا ذكر ابن دُرَيْدٍ ، يقال : فلان في ظِلِّ فلان ،

أي : في عزّه^(٣) .

وأصل الباب : التَّظْلِيلُ ، وهو السّتر .

٢٤٤ و«ظَلَّلَ» في معجم مقاييس اللّغة ٣ : ٤٦٢ ، الصحاح ٥ : ١٧٥٦ ، لسان العرب ١١ : ٤٢٠ .

(١) البيت ٧ من القصيدة ٢٦ في الديوان : ١٧٤ ط الكويت وانظر الشاهد المتقدّم ، وصدره .

وتصك المَرْوُ لما هَجَرَتْ

الشاهد فيه : «الأظْلَ» حيث جاء بها على الأصل في الإدغام .

(٢) سورة النساء ٤ : ٥٧ .

(٣) لمراجعة مادة «ظَلَّلَ» في مصادر اللّغة المشار إليها وغيرها انظر : العين ٨ : ١٤٨ -

١٥٠ ، جمهرة اللّغة ١ : ١٥٣ ، تهذيب اللّغة ١٤ : ٣٥٧ ، المحيط في اللّغة ١٠ :

٩ ، معجم مقاييس اللّغة ٣ : ٤٦١ ، الصحاح ٥ : ١٧٥٥ ، المحكم والمحيط الأعظم

١٠ : ٣ ، لسان العرب ١١ : ٤١٥ ، تاج العروس ١٥ : ٤٥ .

والإِظْلَالُ : الدُّنُو ، كدُنُو الساتر .
 وَحَدَّ التَّظْلِيلِ : الستر من عُلُو^(١) .
 وَالْعَمَامُ : السَّحَابُ ، وَالْقِطْعَةُ مِنْهَا عَمَامَةٌ .
 تقول : يَوْمَ غَمٍّ ، وَلَيْلَةَ غَمَّةً ، وَأَمْرٌ غَامٌّ .
 وَرَجُلٌ مَغْمُومٌ ، وَمُعْتَمٌّ : ذُو غَمٍّ .
 وفلانٌ فِي غَمَّةٍ مِنْ أَمْرِهِ إِذَا لَمْ يَهْتَدِ لَهُ . وَالْعَمَاءُ : الشَّيْذَةُ مِنْ شِدَائِدِ
 الدَّهْرِ .

وَرَجُلٌ أَعْمٌ ، وَجَبْهَةٌ غَمَاءُ : كَثِيرَةُ الشَّعْرِ ، تقول منه : غَمٌّ يَغْمُ غَمَمًا .
 وكذلك فِي الْقَفَا ، قال الشاعر :

فَلَا تَنْكِحِي إِنْ فَرَّقَ الدَّهْرُ بَيْنَنَا أَعْمَ الْقَفَا وَالْوَجْهَ لَيْسَ بِأَنْزَعَا^(٢) [٢٥٨]
 وَالْغَمِيمُ : الْغَمِيمِسُ : وَهُوَ لَبَنٌ يُسَخَّنُ حَتَّى يَغْلُظَ .

وَالْغَمُّ : ضِدُّ الْفَرَحِ ، وَالْغَمَّةُ : الْغِطَاءُ عَلَى الْقَلْبِ مِنَ الْغَمِّ .
 وَالْغَمَّةُ : الضَّيْقَةُ ، تقول : اللَّهُمَّ احْسِرْ عَنَّا هَذِهِ الْغَمَّةَ ، أَيِ : الضَّيْقَةَ .

(١) اختلفت النسخ في ضبط هذه الكلمة - عُلُو - بين : «عَلٌّ ، وعلة ، وعلة ، عَلٌّ» ولم نجد في المصادر اللغوية ما يشفي ويعين ، والمثبت هو المظنون ، على أَنَّ الجميع متقاربة المعنى ؛ إذ لعله للمقابلة مع الستر ؛ لَأَنَّهُ التَّغْطِيَةُ عَنْ قَرَبٍ وَهَذَا مِنْ عُلُوٍّ .
 (٢) البيت لَهُذْبَةُ بْنُ الْخَشْرَمِ الْعُدْرِيُّ ، مِنْ قَصِيدَةٍ مَتَفَرِّقَةِ الْأَبْيَاتِ جَمَعَهَا د. الْجُبُورِيُّ فِي الدِّيَوَانِ الَّذِي صَنَعَهُ لَهُ ، مَعَ مَا رَوِيَ مِنْ اخْتِلَافٍ فِي بَيْتِ الشَّاهِدِ ، وَلَعَلَّهُ مِمَّا لَا يَضُرُّ مَحَلَّ الشَّاهِدِ .

المعنى : الغم : انسبال الشعر حتى يضيق به الوجه والقفا . الأنزع : المنحسر
 مقدَّم شعر الرأس عن جانبيَّ الجبهة ، والعرب تتيمن بالأنزع وتشاءم من الأغم ،
 وترى فِي الْغَمِّ اللَّؤْمُ .

انظر : ديوان هذبة بن الخشرم العدري (صنعة الدكتور يحيى الجبوري) : ١١٤ ق

وَعَمَّ الْهَلَالُ: إِذَا غَطَّاهُ الْغَيْمُ، وَكُلُّ شَيْءٍ غَطَّيْتُهُ فَقَدْ غَمَمْتُهُ وَلِذَلِكَ سُمِّيَ الرُّطْبُ: الْمَغْمُومُ؛ وَهُوَ الَّذِي يَوْضَعُ فِي جَرَّةٍ، وَهُوَ بُسْرٌ، ثُمَّ يُغَطَّى حَتَّى يَرْتَبُ.

وَالْغَمَامُ اشْتَقَّ مِنْ هَذَا؛ لِأَنَّهُ يُغَطِّي السَّمَاءَ.
وَرَجُلٌ أَعْمٌ، وَامْرَأَةٌ غَمَاءٌ: إِذَا دَنَا قِصَاصُ الشَّعْرِ مِنْ حَاجِبِيهِ حَتَّى يَغْطِيَ جَبْهَتَهُ؛ وَكَذَلِكَ هُوَ فِي الْقَفَا^(١).
وَأَصْلُ الْبَابِ: الْغِطَاءُ.

وَالْغَمَامُ الَّذِي ظَلَّلَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ: لَمْ يَكُنْ بِالسَّحَابِ، وَلَكِنَّهُ الَّذِي عَنَى فِي قَوْلِهِ: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ﴾^(٢)، وَهُوَ الْغَمَامُ الَّذِي أَتَتْ فِيهِ الْمَلَائِكَةُ يَوْمَ بَدْرٍ، وَلَمْ يَكُنْ لغيرِهِمْ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: وَكَانَ مَعَهُمْ فِي النَّيِّهِ.
وَقِيلَ: هُوَ مَا ابْيَضَّ مِنَ السَّحَابِ^(٣).

(١) مادة «غَمَمَ» لغة تجدها في المصادر التالية: العين ٤: ٣٥٠، تهذيب اللغة ١٦: ١١٥، جهمرة اللغة ١: ١٦٠ و ٢: ٩٦٣، المحيط في اللغة ٤: ٥٢٢، الصحاح ٥: ١٩٩٧، المحكم والمحيط الأعظم ٥: ٣٧٧، لسان العرب ١٢: ٤٤١، تاج العروس ١٧: ٥٢٢.

(٢) سورة البقرة، ٢: ٢١٠.

(٣) الأقوال أشير إليها في: تفسير جامع البيان ١: ٢٣٣، تفسير النكت والعيون ١: ١٢٤، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازي ١: ١١٣ ت ٥٤٧، تفسير ابن أبي رَمَين ١: ١٤١، تفسير بحر العلوم ١: ١٢٠، تفسير معالم التنزيل ١: ٨٦ و ٢٧٠، تفسير المحرر الوجيز ١: ٢٢٧، تفسير ابن عباس: ٩.

وَأَمَّا الْمَنَّ :

قال ابن عباس : هو المَنَّ الذي يعرفه الناس يسقط على الشجر .

وقال قتادة : كان المَنَّ ينزل عليهم مثل الثلج .

وقيل : هو غسل . وقيل : خبز مرقق . وقيل : هو الزنجبيل . وقيل : هو

الترنجبين^(١) .

وقال الزجاج : جملة المَنَّ ما مَنَّ الله به عزَّ وجلَّ على عباده ممَّا

لا تعب فيه ولا نصب . وروي عن النبي ﷺ أَنَّهُ قَالَ : «الْكَمَاءُ مِنَ الْمَنَّ

وماؤها شفاء للعين»^(٢) .

قال بعض أهل العلم : يعني بمائها : الوَسْمِيُّ الذي يكون منه الكماء ؛

وهو أول مطر يجيء في الخريف^(٣) .

وقيل : هو الذي يسقط على الثَّمَامِ والعُشْرِ حَلَوٌ كالغسل . وإيَّاه عنى

(١) تجد الآراء في : تفسير مجاهد : ٢٠٣ ، معاني القرآن للقرطبي : ١ : ٣٧ ، تفسير عبد الرزاق : ١ : ٢٧١ ، معاني القرآن للزجاج : ١ : ١٣٨ ، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازي : ١ : ١١٤ - ١١٥ ت ٥٥٥ - ٥٥٨ ، تفسير الكشف والبيان : ١ : ٢٠٠ ، تفسير النكت والعيون : ١ : ١٢٤ ، تفسير المحرر الوجيز : ١ : ٢٢٧ ، إضافة إلى قصص الأنبياء للثعلبي : ٢٤٤ .

(٢) معاني القرآن للزجاج : ١ : ١٣٨ ، وأما الرواية فكتب التفسير والحديث غنيّة بها ، انظر : صحيح البخاري (كتاب الطب) ٧ : ١٦٤ ، صحيح مسلم ٣ : ١٦١٩ ت ٢٠٤٩ ، مسند أحمد : ١ : ١٨٧ ٢ : ٣٥٦ و ٣٥٧ و ٤٩٠ و ٤٨٣ : ٤٨ ، سنن الترمذي ٤ : ٤٠٠ ب ٢٢ ح ٢٠٦٦ ، سنن ابن ماجه ٢ : ١١٤٢ ك الطب أحاديث ب ٨ وغيرها .

(٣) كذا في النسخ والمطبوعات ، وأما في مصادر اللّغة فبعضها مصرّح بأنّه مطر الربيع الأوّل ، وبعضها عام ، وعموماً هي لا تساعد على ذلك انظر : العين ٧ : ٣٢٢ ، جمهرة اللّغة ٢ : ٨٦٢ ، تهذيب اللّغة ١٣ : ١١٤ ، المحيط في اللّغة ٨ : ٤٠٥ ، الصحاح ٥ : ٢٠٥١ ، المحكم والمحيط الأعظم ٨ : ٦٢٨ ، المخصّص ٤ : ٣٥٤ ، لسان العرب ١٢ : ٦٣٦ .

الأعشى في قوله :

لَوْ أَطْعَمُوا الْمَنَّ وَالسَّلْوَى مَكَانَهُمْ مَا أَبْصَرَ النَّاسُ طُعْمًا فِيهِمْ نَجَعًا^(١) [٢٥٩]

وجعله أُمِيَّة بن أَبِي الصلت في شعره عسلاً ، فقال :

ورأى الله أَنَّهُمْ بِمَضْيَعٍ لَا بِذِي مَزْرِعٍ وَلَا مَعْمُورًا [٢٦٠]

فنساها عليهم غادياتٍ ومرى مُزْنَهُمْ خَلَايا وخورا

عسلاً ناطفاً وماءً فُرَاتاً وحلياً ذا بهجةٍ زمورا^(٢)

الناطف : القاطر ، المزمور : الصافي من اللبن .

والمَنُّ : قَطْعُ الْخَيْرِ ، قال الله تعالى لهم : ﴿ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾^(٣) ، أي :

غَيْرُ مَقْطُوعٍ .

والمَنُّ : هو الإحسان إلى من لَا يَسْتَتِيْبُهُ ، والاسم هو المِنَّة ، والله

(١) البيت ٦٤ من القصيدة ١٣ من الديوان : ١٥٩ ، والتي يمدح فيها هوزة ويعتد مأثره فيها وقومه .

الشاهد فيه : استعماله «المَنُّ» وإرادة الندى - الطَّلُّ - الذي ينزل من السماء ومن ثمَّ ينعقد حلواً عسلاً ، وقيل : كالعسل ، فيأكل .

(٢) من قصيدة يذكر فيها فرعون وما جرى معه .

المعنى : المضيع : دار ضياع وهوان . المعمور : الأهل . فنساها : من نسا الدابة زجرها وساقها . غاديات : السُّحُب والغيوم ، مرى : كلمة تقال للناقة لتدّر الحليب ، وقيل : مع مسح ضرع الناقة لتدّر ، وهنا كناية عن استنزال المطر . المَزْنُ : جمع مُزْنَة وهي السحابة الممطرة . خلايا : النوق التي تخلّى للحلب فقط . ناطفاً : سائلاً ، وهو الذي ينزل من السماء ، أي : يقطر .

الشاهد فيه واضح ظاهر .

انظر : الديوان ٧٧ ق ٦١ ب ٧ - ٩ ، وأُمِيَّة بن أَبِي الصلت حياته وشعره : ٢١٩ . ولاحظ تعليقات محمود شاكر حول بيت الشاهد في جامع البيان ٢ : ٩٤ - ٩٥ .

(٣) سورة التين ، ٩٥ : ٦ .

تعالى المَنَّان علينا والرحيم بنا .

والمُنَّة : قوَّة القلب ، يقال : فلان ضعيف المُنَّة ، ويقال : ليست لقلبه مُنَّة . والمَمْتُون : الموت ، اسم مؤنث . قال ابن دريد : مَنْ يَمُتُ مَمًّا إذا اعتقد مِئَنَةً ، وَمَنْ عليه بيدُ أسداها إليه إذا قرَّعَهُ بها^(١) .

وأصل الباب : الإحسان . فالَمَنْ الذي كان يَسْقُطُ على بني إسرائيل ممَّا مَنَّ الله عليهم ، أي : أحسن به إليهم .

وأما «السُّلُوِي» فقال ابن عباس : السُّماني .

وقيل : طائر كالسُّماني .

وواحد السُّلُوِي ، قال الأخفش : لم أسمع له بواحد ، قال : ويجوز أن يكون واحده سَلُوِي مثل جماعته ، كما قالوا : دَفَلَى للواحد والجماعة^(٢) .

وقال الخليل : واحده سَلُوَاة ، قال الشاعر :

[٢٦١] كما انتفض السلواة بلله القطر^(٣)

(١) ما أُشير إليه من المعاني اللُّغوية تجده في : «مَنْنَ» من العين ٨ : ٣٧٤ ، جمهرة اللُّغة ١ : ١٧٠ ، تهذيب اللُّغة ١٥ : ٤٧٠ ، المحيط في اللُّغة ١٠ : ٣٩٠ ، المحكم والمحيط الأعظم ١٠ : ٤٦٨ ، الصحاح ٦ : ٢٢٠٧ ، لسان العرب ١٣ : ٤١٥ . ولأنها من الأضداد أنظر : الأضداد للأنباري ١٥٥ ت ٩٥ ، الأضداد في كلام العرب ٢ : ٦١٨ ، والأضداد للتوزي (ضمن ثلاثة نصوص في الأضداد) : ٨٠ .

(٢) انظر : صحيفة علي بن أبي طلحة : ٨٣ و٣٤٦ ، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازي ١ : ١١٥ ت ٥٦٠ ، قصص الأنبياء للثعلبي : ٢٤٤ ، تفسير الوسيط ١ : ١٤٢ ، تفسير النكت والعيون ١ : ١٢٤ ، تفسير السمعاني ١ : ٨٢ ، غريب القرآن لابن قتيبة : ٥٠ . وللأخفش معاني القرآن ١ : ٢٦٨ بتصرّف . وانظر معجم حياة الحيوان للملكي ١٣ : ٤٠٨ و٤١٢ ، حياة الحيوان ١ : ٥٦٢ - ٥٦٣ ، المخصص لابن سيده ٤ : ٢١٦ و٢٢٠ .

(٣) وصدرة :

ويقال: سَلَا يَسْلُو فلانٌ عن فلان، إذا تسَلَّى عنه، وفلان في سَلْوَةٍ من العيش: إذا كان في رَغْدٍ يُسَلِّيه الهم.

والسُّلوان: ماءٌ مَنْ شَرِبَهُ ذهبَ غَمُّهُ على ما يقال، ويقال: هذا مثل يضرب لمن سلا عن شيء يقال: سَقِيَ سَلْوَةً وسُلواناً.

وقال ابن دُرَيْد: سَلَا يَسْلُو أَشْلُو سَلَوْاً وسَلَوْاً وسَلْوَةً.

والسُّلوانَةُ: خرزة زعموا أنهم إذا صَبَّوا عليها الماء فسقي منها الرجل سَلَا^(١).

وأصلُ الباب: السُّلُو، وهو زوال الهم.

وكان سبب إنزال المَنَّ والسَّلوى عليهم أنه لما ابتلاههم الله تعالى بالتيه، حين قالوا لموسى: ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتَلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾^(٢) فأمرهم بالمسير إلى بيت المقدس، فلمَّا ساروا تاهوا في قدر

﴿

وإني لتعروني لذكراك هزة

والبيت لأبي صخر الهذلي، ومصادر الأدب واللغة مليئة به على اختلاف في ضبط محلِّ الشاهد بدل السلوة: العصفور ولا يبقى معه محلٌّ للشاهد.

انظر لرواية المتن: العين ٧: ٢٩٧، ويبدو أنه مصدر الاختلاف حيث كلٌّ من اعتمده رواه على منواله، أنظر: تفسير الوسيط ١: ١٤٢، الجامع لأحكام القرآن ١: ٤٠٨، فتح القدير ١: ٨٨، وبعد العين تهذيب اللغة ١٣: ٦٩ ونسب ذلك إلى الليث، وأمَّا باقي مصادر اللغة والأدب فلعلَّه مجمعة على الرواية الثانية، وخير من أشار إلى مواردها معجم الشواهد العربية ٣: ٢٧١.

(١) المادة «سَلُو» انظر: العين ٧: ٢٩٧، جمهرة اللغة ١: ٨٦ و١٠٧٣، تهذيب اللغة ١٣: ٦٨، المحيط في اللغة ٨: ٣٧٨، المحكم والمحيط الأعظم ٨: ٦١٠، الصحاح ٦: ٢٣٨٠، لسان العرب ١٤: ٣٩٤ وفيه «سلا».

(٢) سورة المائدة ٥: ٢٤.

خمس فراسخ أو ستّة، كلّما أصبحوا ساروا غادين فأمسوا، فإذا هم في مكانهم الذي ارتحلوا منه، فلم يزلوا كذلك حتى تمت أربعين سنة، تفضّل عليهم في تلك الحال وأحسن إليهم، وأنزل عليهم المَنّ والسّلوى، فكانت ريح الجنوب تحشره عليهم.

قال ابن جرير: كان الرّجل إذا أخذ من المَنّ والسّلوى زيادة على طعام يوم واحد، فسَدَ، إلّا يوم الجمعة فإنّهم إذا أخذوا طعامَ يومين لم يفسد^(١).

وموضع ﴿كُلُوا﴾: نصبٌ على وقلنا كلوا، كذا قال الرّماني^(٢).

وقيل في معنى «الطّيّبات» قولان:

أحدهما: إنّهُ المشتهى اللّذيذ.

والثاني: إنّهُ المباح الحلال الذي يُستلذّ أكله^(٣).

وقوله: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾:

إنّما يتّصل بما قبله بتقدير محذوف، كأنّه قال: فخالفوا ما أمر الله به، أو كفروا هذه النعمة.

﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾: قال ابن عبّاس: وما نقصونا ولكن كانوا أنفسهم

(١) أشارت إلى ذلك أغلب التفاسير أنظر للمثال: تفسير ابن أبي زمنين ١: ١٤١، تفسير كلام الله العزيز للهوّاري ١: ١٠٨، تفسير النكت والعيون ١: ١٢٤، تفسير المحرّر الوجيز ١: ٢٢٨ وغيرها.

(٢) مؤلّفاته القرآنية لم تر النور بعد، وانظر: تفسير بحر العلوم للسمرقندي ١: ١٢٠، تفسير المحرّر الوجيز ١: ٢٢٩، وتفسير الكشف والبيان ١: ٤٠١ بلا نسبة فيهما. وكذا تفسير الوسيط ١: ١٤٢.

(٣) أشار إلى ذلك الماوردي في تفسير النكت والعيون ١: ١٢٥، والأندلسي في تفسير المحرّر الوجيز ١: ٢٢٩، وانظر: تفسير جامع البيان ٧: ٦ - ٧.

ينقصون .

وقال غيره : معناه وما ضرّونا ولكن كانوا أنفسهم يضرّون^(١) .

قال أبو علي : الظلم : هو الضرر الذي لا يستحقّه المضرور ممّن قصده ، وليس للمضرور فيه نفع .

وقال الرّماني : حقيقة الضرر القبيح .

والصحيح في حقيقة الظلم ما ذكرناه فيما مضى ، هو : الضرر الذي لا نفع فيه يوفى عليه ، ولا دفع ضرر أعظم منه عاجلاً وأجلاً ، ولا يكون واقعاً على وجه المدافعة^(٢) .

فأما ما قاله الرّماني فهو حدّ الشيء نفسه ؛ لأنّ السؤال باقٍ . ولقائل أن يقول : وما الضّررُ إلّا القبيح ؛ لأنّ كونه قبيحاً حكم من أحكامه فلا بدّ من بيان ذلك حينئذٍ .

وما ذكره أبو علي ينتقض بالألم الواقع على وجه المدافعة ، وبالألم الذي فيه وجه ضرر أعظم منه عن الضرورة ، وبالضرر الذي فيه نفع يوازيه^(٣) .

(١) تجد الآراء في : تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازي ١ : ١١٦ ، تفسير الهوّاري ١ : ١٠٩ ، تفسير مقاتل ١ : ١٠٩ و ٣ : ٦٩ ، تفسير بحر العلوم ١ : ١٢١ ، تفسير ابن أبي زمنين ١ : ١٤٢ ، تفسير الوسيط ١ : ١٤٢ ، تفسير السمعاني ١ : ٨٢ ، تفسير المحرّر الوجيز ١ : ٢٢٩ ، وانظر عرائس المجالس : ٢٢٤ ، الوجوه والنظائر : لهارون : ١٠٠ ، وللدماغاني : ٥٣٨ .

(٢) لعلّه إشارة إلى ما أورده في كتابيه تمهيد الأصول : ٢٢٥ ، الاقتصاد الهادي إلى طريق الرشاد : ٨٣ ، وانظر ما تقدم في تفسير الآية ٣٥ صفحة : ٨٣ .

(٣) اختلفت المدارس الكلامية الإسلامية في المراد من الظلم ، فكلّ فسره حسب ما

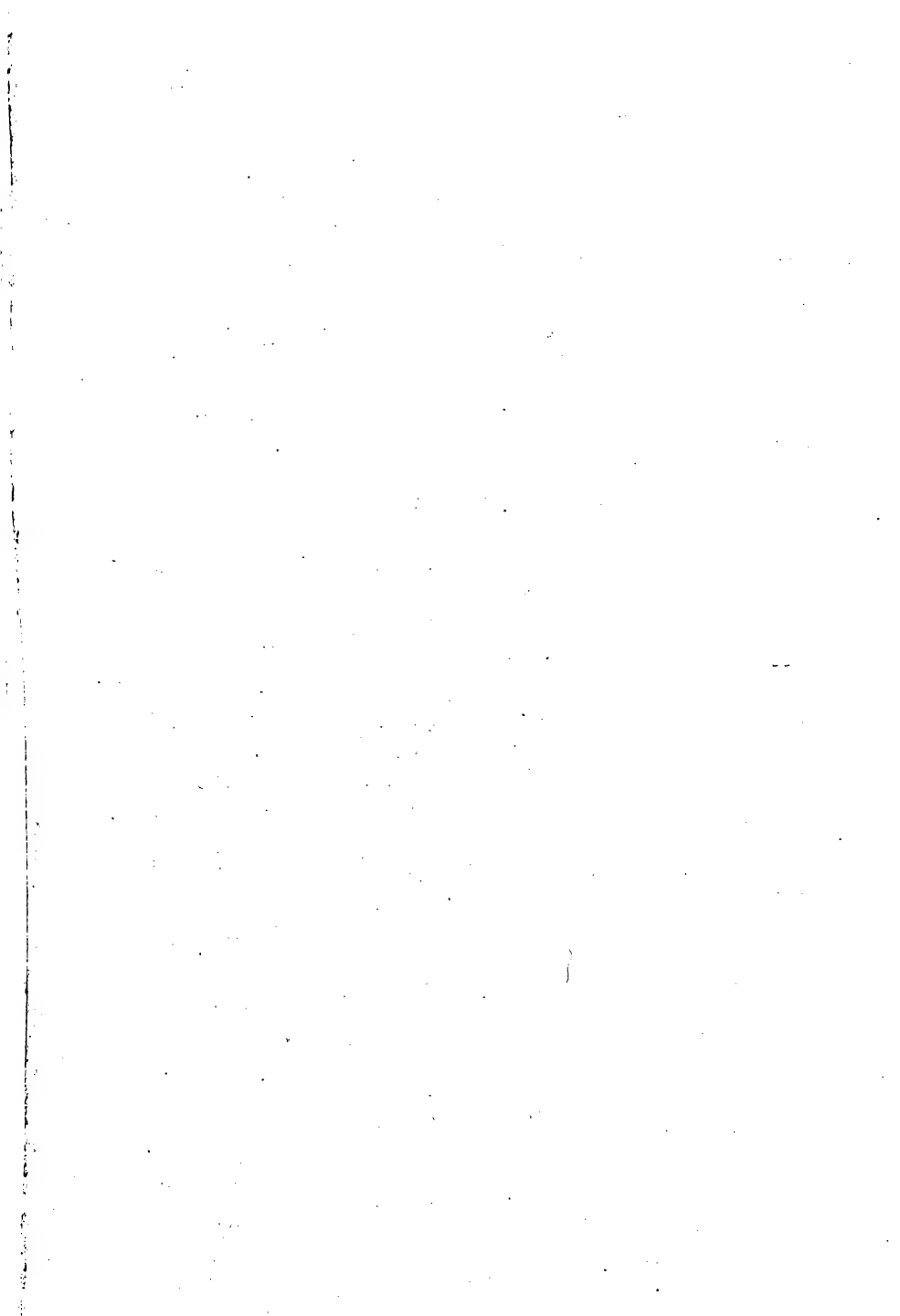
وروي عن الصادق عليه السلام أنه قال: «الْمَنْ كَانَ يَنْزِلُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ طُلُوعِ الْفَجْرِ الثَّانِي إِلَى طُلُوعِ الشَّمْسِ، فَمَنْ نَامَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ لَمْ يَنْزَلْ عَلَيْهِ نَصِيْبُهُ»^(١)؛ فلذلك يكره النوم في هذا الوقت إلى بعد طلوع الشمس.

جاء عليه انتمائه الكلامي، والاستقصاء - والإحاطة بالآراء والأدلة - موجب للإطالة ولعدم العثور على مصنفات المذكورين - الرمانى وأبو علي الجبائى - فلمريد التتبع نذكر بعض المصادر ومن الفريقين، فمن الخاصة انظر: أوائل المقالات: ١٩٥، الحدود والحقائق: ١٦٦، الذخيرة: ٢١٦، الاقتصاد ٨٣، تمهيد الأصول: ٢٢٥، معتقد الإمامية للآملي: ٤٨، غاية المرام: ٢٤٤، قواعد المرام: ١١٩، الألفين: ١٦٢، أنوار الملكوت: ١١٩، اللوامع الإلهية: ٢٧.

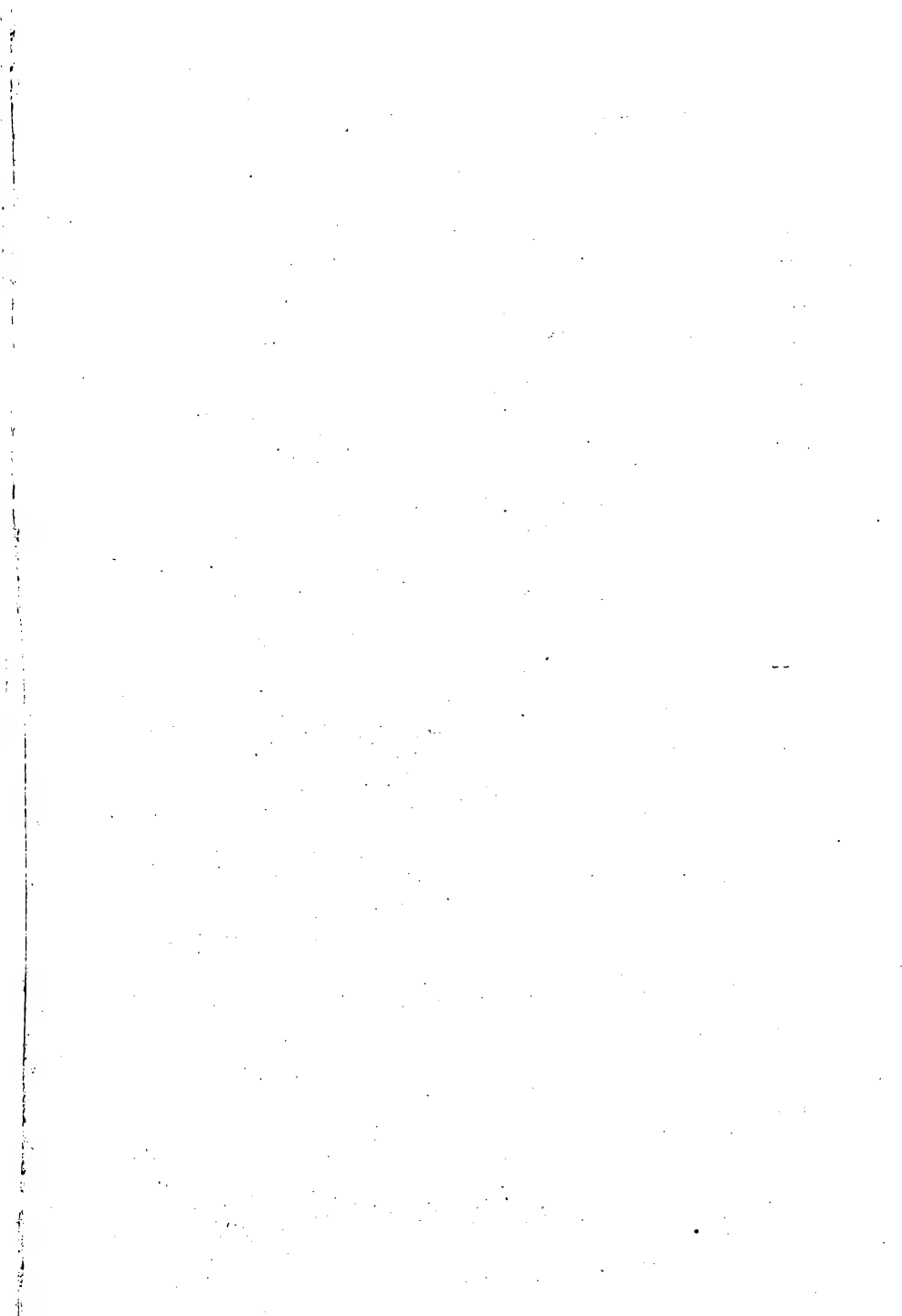
ومن العامة انظر: التوحيد للماتريدي: ٣٤٣، شرح الأصول الخمسة: ٣٤٥ وما بعدها، المغني في أبواب التوحيد والعدل ٨: ٢٣٢ و ١٣: ٢٩٨، أصول الدين للبغدادي: ١٣٢، المعتمد في أصول الدين: ١٠٥ و ٢٨١، قواعد العقائد للغزالي: ٢٠٤، وغيرها كثير.

ولليسر أكثر أنظر الموسوعات والمعاجم التالية ومصادرها: معجم العناوين الكلامية والفلسفية: ٨٩، شرح المصطلحات الكلامية: ٢٠٣ ت ٧٠١، شرح المصطلحات الفلسفية: ١٩٧. كشاف اصطلاحات الفنون ٢: ١١٥٢، موسوعة مصطلحات علم الكلام الإسلامي ١: ٧٤٨.

(١) انظر: من لا يحضره الفقيه ١: ٣١٩ ت ١٤٥٣، تهذيب الأحكام ٢: ١٣٩ ت ٥٤٠ وعنهما وسائل الشيعة ٦: ٤٩٦ ت ٨٥٣٠ و ٨٥٣١.



وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا
وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ
وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا
غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ
السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾ وَإِذْ اسْتَسْقَى مُوسَى
لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ
اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ كُلُوا
وَأَشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعَثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾
وَإِذْ قُلْتُمْ يَمْوِسُ لَنْ نَصِيرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَأَدْعَ لَنَا رَبَّكَ
يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا
وَعَدْسِهَا وَبَصِلَهَا قَالَ أَسْتَبْدِلُوكَ الَّذِي هُوَ أَدْفَىٰ
بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَآسَأَلْتُمْ
وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ
اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ
النَّبِيَّيْنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾



قوله تعالى :

﴿وَإِذْ قُلْنَا أَدْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا
وَأَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ وَسَنَزِيدُ
الْمُحْسِنِينَ﴾ آية (٥٨) آية بلا خلاف .

قرأ نافع وأهل المدينة : ﴿يَغْفِرُ﴾ بضم الياء وفتح الفاء ، وقرأ ابن
عامر : بتاء مضمومة ، وقرأ الباقون : بفتح النون وكسر الفاء ^(١) ، (وَأَذْغَمَ الرَّاءَ
فِي اللَّامِ وَمَا جَاءَ مِنْهُ الْيَزِيدِيُّ إِلَّا سَجَادَةً وَشَجَاعَةً) ^(٢) فِي الْإِدْغَامِ ^(٣) .
والآية معطوفة على ما تقدم ، فكأنه قال : واذكروا إذ قلنا ادخلوا .

وَالدُّخُولُ وَالْوُلُوجُ وَالْاِقْتِحَامُ نَظَائِرُ .

(١) ذكرت ذلك أغلب كتب القراءات منها : حجة القراءات : ٩٧ - ٩٨ ، السبعة في
القراءات : ١٥٧ ، الحجة للقراء السبعة ٢ : ٨٥ ، معاني القراءات للأزهري : ٥٠ ،
التذكرة في القراءات ٢ : ٣١٤ ، التلخيص : ٢١٠ ، غاية الاختصار ٢ : ٤٠٩ - ٤٠١ .
(٢) شجاع بن أبي نصر الخراساني البلخي ، أبو نعيم ، المقرئ روى عن : أبي الأشهب
العطاردی ، وسليمان الأعمش ، وأبي عمرو بن العلاء ، وغيرهم . وروى عنه : الحسن
ابن عرفة ، والدوري المقرئ أبو عمر ، وعمار بن الحسن النسائي ، وأبو عبيد القاسم
ابن سلام . وروى له البخاري في «أفعال العباد» ، توفي ببغداد سنة ١٩٠ هـ .

انظر : طبقات القراء للذهبي ١ : ١٨٣ ت ٨٦ ، تهذيب الكمال ١٢ : ٣٨١ ت

٢٧٠١ ، الثقات لابن حبان ٨ : ٣١٣ ، تهذيب التهذيب ٤ : ٢٧٥ .

(٣) المتن مطابق للنسخة «خ» ، وباقي النسخ مضطربة ، زيادة ونقص .

انظر : السبعة في القراءات : ١٢١ ، الحجة للقراء السبعة ٢ : ٨٥ ، الكشف عن
وجوه القراءات السبع ١ : ٢٤٣ ت ٣٤ - ٣٥ ، الموضح في وجوه القراءات وعللها
١ : ٢٧٧ ت ٢٢ ، البيان ١ : ٨٣ ، التبيان لأبي البقاء ١ : ٦٦ ، الغاية في القراءات
ال عشر : ١٤٤ ، التذكرة ٢ : ٣١٤ ، ف ١٤ . ومن التفاسير الدر المصون ١ : ٣٧٦ ،
اللباب ٢ : ٩٧ ، مجمع البيان ١ : ٢٣١ عند تفسير الآية .

والفرق بين الدُّخُول والافْتِحَام : إِنَّ الْافْتِحَامَ دُخُولٌ عَلَى صَعُوبَةٍ .
- وَتَقْيِضُ الدُّخُولُ : الْخُرُوجُ - تقول : دَخَلَ يَدْخُلُ دُخُولاً ، وَأَدْخَلَهُ إِدْخَالاً ،
وَتَدَاخَلَ تَدَاخُلًا ، وَاسْتَدَخَلَ اسْتَدْخَالًا ، وَدَاخَلَهُ مُدَاخَلَةً .
ويقال : فِي أَمْرِهِ دَخَلٌ ، أَي : فساد . دَخِلَ أَمْرُهُ يَدْخُلُ دَخَالًا ، أَي :
فَسَدَ .

وَدَخَلْتُ الدَّارَ وَغَيْرَهَا دُخُولًا . وَأُورِدْتُ إِبْلِي دِخَالًا : إِذَا أُورِدْتَهَا
فَادْخَلْتَ بَيْنَ كُلِّ بَعِيرَيْنِ بَعِيرًا ضَعِيفًا بَعْدَمَا (تَتَغَمَّرُ ، أَي) ^(١) تَشْرَبُ دُونَ
رِيئِهَا .

وَفُلَانٌ دَخِيلٌ فِي بَنِي فُلَانٍ : إِذَا كَانَ مِنْ غَيْرِهِمْ .
وَأُطْلِعْتُ فُلَانًا عَلَى دِخْلَةِ أَمْرِي : إِذَا بَثَّتَهُ مَكْتُومَكَ .
وَالدُّخُلُ : طَائِرٌ صَغِيرٌ .
وَفُلَانٌ حَسَنُ الْمَدْخَلِ ، أَوْ قَبِيحُ الْمَدْخَلِ ، أَي : الْمَذْهَبُ فِي الْأُمُورِ .
وَكُلُّ لَحْمَةٍ مَجْتَمِعَةٍ عَلَى عَصَبٍ فَهِيَ : دُخْلَةٌ .
قال صاحب العين : فُلَانٌ مَدْخُولٌ : إِذَا كَانَ فِي عَقْلِهِ دُخُلٌ ، أَوْ فِي
حُسْبِهِ ، وَالْمَدْخُولُ : الْمَهْزُولُ الدَّاخِلُ فِي جُوفِهِ الْهَزَالُ .

(١) اختلفت النسخ في ضبطها كثيراً والذي تساعد عليه النسخة «خ» ومصادر اللغة هو
المثبت ؛ لأنَّ الدَّخَالَ فِي الْوُرُودِ هُوَ : أَنْ يَشْرَبَ الْبَعِيرُ دُونَ رِيئِهِ ، ثُمَّ يُرَدُّ مِنَ الْعَطَنِ
إِلَى الْحَوْضِ ، وَيَدْخُلُ بَيْنَ بَعِيرَيْنِ عَطْشَانَيْنِ لِيَشْرَبَ مِنْهُ مَا عَسَاهُ لَمْ يَكُنْ شَرَبَ ، أَي
لِيُكْمَلَ شَرْبُهُ . وَالتَّغَمَّرُ : الشَّرْبُ دُونَ الرِّيِّ .
انظر مصادر اللغة المشار إليها فيما يأتي لمادة «دخل» .

وَأَمَّا «عَمَرَ» فَجَعَلَهَا فِي : الْعَيْنِ ٤ : ٤١٦ ، تَهْذِيبُ اللَّغَةِ ٨ : ١٢٨ - ١٣١ ،
جُمْهُرَةُ اللَّغَةِ ١ : ٥٦ ، الْمَحِيطُ فِي اللَّغَةِ ٥ : ٨٠ ، الْمَحْكَمُ وَالْمَحِيطُ الْأَعْظَمُ ٥ :
٥٢٠ ، لِسَانُ الْعَرَبِ ٥ : ١٣ ، تَاجُ الْعُرُوسِ ٧ : ٣١٨ .

والدُّخْلَةُ : بطائنة الأمر ، يقال : فلانٌ خبيثٌ الدُّخْلَةُ .
 واذخَلَ في غارٍ وتَدَخَّلَ فيه ، يصف شِدَّةَ الدَّخُولِ .
 ودَخِيلَ الرَّجُلُ : الذي يُدَاخِلُهُ في أموره كُلِّها فهو له دَخِيلٌ دِخَالٌ .
 والدُّخَالُ : مُدَاخَلَةُ المفاصِلِ بَعْضُها في بَعْضٍ ، والدُّخُولَةُ معروفة .
 والدُّخْلُ : صِغارُ الطَّيْرِ أمثال العصافير ، مأواها الْغَيْرَانِ وبُطُونِ الْأَوْدِيَةِ
 تحت الشجرِ الْمُلتَفِّ ، وجمعه دَخَاخِيلُ ، والأنثى دُخْلَةٌ ^(١) .
 وأصل الباب : الدُّخُولُ .

قال الرَّمَانِي في حَدِّ الدَّخُولِ : الانتقال إلى محيط ، وقد يقال : دخل
 في الأمر ، كما يقال : دخل في الدَّارِ تشبيهاً ومجازاً
 وقوله : ﴿ هَذِهِ أَلْقَرِيَّةٌ ﴾ : إشارة إلى بيت المقدس ، على قول قتادة
 والربيع بن أنس . وقال السُّدِّي : هي قرية بيت المقدس . وقال ابن زيد :
 إنها أريحا ، قريب من بيت المقدس ^(٢) .

والقرية والبلدة والمدينة نظائر .

(١) ضبط المادة اللَّغَوِيَّة «دَخَلَ» شائك ؛ للاختلاف بين النسخ والمصادر في الضبط
 والعبارة ، انظر : العين ٤ : ٢٣٠ ، جمهرة اللَّغَةِ ١ : ٥٨٠ ، تهذيب اللَّغَةِ ٧ : ٢٧١ ،
 المحيط في اللَّغَةِ ٤ : ٣٠١ ، مفردات ألفاظ القرآن : ٣٠٩ ، المحكم والمحيط الأعظم
 ٥ : ١٣٩ ، الصحاح ٤ : ١٦٩٦ ، لسان العرب ١١ : ٢٣٩ .
 (٢) أُشير إلى الآراء في أغلب التفاسير ، منها : تفسير الصنعاني ١ : ٢٧١ ت ٥٦ ،
 تفسير جامع البيان ١ : ٢٣٧ ، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازي ١ : ١١٦
 ت ٥٦٩ ، تفسير بحر العلوم ١ : ١٢١ ، تفسير ابن أبي زمنين ١ : ١٤٢ ، تفسير
 النكت والعيون ١ : ١٢٥ ، تفسير الوسيط ١ : ١٤٣ . وانظر الوجوه والنظائر
 للدامغاني ٢ : ١٤٢ ، تفسير الكشاف ١ : ١٢١ ، وغيرها .

قال أبو العباس : أصله الجمع ، ومنه المِقْرَأة : الحَوْضُ الَّذِي تُسْقَى فيه الإبل ، سُمِّيَ مِقْرَأة لجمع الماء فيه . والمِقْرَأة : الجِفْنَةُ التي يُعَدُّ فيها الطعام للأضياف ، قال الشاعر :

..... عِظَامُ الْمَقَارِي جَارُهُمْ لَا يُفَرِّغُ^(١) [٢٦٢]

ومنه : قَرَيْتُ الضَّيْفَ ، ومنه : قَرَيْتُ الْمَاءَ فِي الْحَوْضِ ، ومنه : قَرَيْتُ الشَّاةَ تَقْرِي ، وشاةٌ قَارِيَةٌ : إِذَا كَانَتْ تَجْمَعُ الْجِرَّةَ فِي شِدْقِهَا ؛ وَهُوَ عَيْبٌ عِنْدَهُمْ شَدِيدٌ .

وَكُلُّ مَا قَرَيْ فَهُوَ مَقْرِيٌّ ، مَثَلُ : الْمَرْقَدُ كُلُّ مَا رَقَدَتْ فِيهِ .
وَالْقَرِيٌّ : الْمَسِيلُ الَّذِي يَحْمِلُ الْمَاءَ إِلَى الرُّوْضَةِ ، وَجَمْعُهُ : قُرَيَانٌ ، كَقَضِيبٍ وَقَضْبَانٍ ، قَالَ الشَّاعِرُ :

مَاءٌ قَرِيٌّ مَدَّهُ قَرِيٌّ^(٢) [٢٦٣]

قال ابن دُرَيْدٍ : قَرَيْتُ الضَّيْفَ أَقْرِيهِ قَرِيٌّ .
وَقَرَيْتُ الْمَاءَ فِي الْحَوْضِ أَقْرِيهِ قَرِيًّا .
وَقَرَى الْبَعِيرُ جِرَّتَهُ : إِذَا جَمَعَهَا فِي شِدْقِهِ قَرِيًّا .
وَالْقَرِيَّةُ اسْتِثْقَاها مِنْ قَرَى الْبَعِيرِ جِرَّتَهُ ، أَيْ جَمَعَهَا ، وَالْجَمْعُ : الْقَرَى ،

(١) مجهول القائل والصدر ، ولم نجده إلا عند القرطبي في تفسير الجامع لأحكام القرآن ١ : ٤٠٩ ، والسمين الحلبي في تفسير الدر المنثور ١ : ٢٣٢ ت ٤٨٦ ، وابن عادل الدمشقي في تفسير اللباب في علوم الكتاب ٢ : ٩٢ ت ٥١١ . وفي الجميع لنحو ما استشهد به الشيخ المصنف . وفيها بدل جارهم : «ضَيْفُهُمْ» ، ولعله الأنسب وتساعد عليه اللغة .

(٢) من رجز للعجاج وتاممه .

غَيْبٌ سَمَاءٍ فَهُوَ رَقْرَاقِيٌّ

.....

انظر : ديوان العجاج ١ : ٤٩٧ ق ٢٥ ب ٦١ .

على غير قياس .

وقال قوم من أهل اليمن : قَرْيَةٌ .

وقال صاحبُ العين : الْقَرْيَةُ وَالْقَرْيَةُ لُغَتَانِ ، تقول : ما زِلْتُ أَسْتَقْرِى هذه الأَرْضَ قَرْيَةً قَرْيَةً ، والكسرُ لغةٌ يمانيةٌ .

ومن هناك اجتمعوا على جَمْعِهَا على الْقَرْىِ ، حيث اختلفوا فحملوها على لغة من قال : كُنُوسَةٌ وكُنُسَى . والنسبة إليها قَرْوِيٌّ .
وأُمُّ الْقَرْىِ : مَكَّةُ .

وقوله : ﴿وَتِلْكَ الْقَرْىُ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا﴾^(١) يعني بها : الْكُوزُ والأمصار والمدائن .

وَالْقَرَا : الظهر من كلِّ شيء ، حتى الآكام وغيرها ، والجمع الأقراء .
وَالْقَرْىِ : الإحسانُ إلى الضَّيْفِ ، تقول : أَقْرَى يَقْرِى الضَّيْفَ قِرًى : إذا أَضَافَهُ ضِيافَةً ، وَأَنْزَلَهُ نَزَالَةً .

وَالْقَرْيُ : جَبْنِي الماءِ في الحوض .
وَالْمِدَّةُ تَقْرِى في الْجُرْجِ ، أي : تجتمع^(٢) .

وقوله : ﴿وَادْخُلُوا أَبْابَ﴾ :

أي : الباب الذي أمروا بدخولها .

(١) سورة الكهف ١٨ : ٥٩ .

(٢) تعرّضت المصادر التالية لها : العين ٥ : ٢٠٣ ، جمهرة اللّغة ٢ : ٧٩٧ ، تهذيب النّغة ٩ : ٢٦٧ ، المحيط في اللّغة ٦ : ٧ ، المحكم والمحيط الأعظم ٦ : ٥٤ ، مفردات ألفاظ القرآن : ٦٦٩ ، مجمل اللّغة ٣ : ٧٥٠ ، معجم مقاييس اللّغة ٦ : ٧٨ ، الصحاح ٦ : ٢٤٦٠ ، لسان العرب ١٥ : ١٧٤ ، تاج العروس ٢٠ : ٧٠ - ٧٨ . «قَرَوُ ، قَرَى» .

وقال مجاهد والسُّدِّي: هو باب حطّة من بيت المقدس^(١)، وهو الباب الثامن.

وقيل: باب القبة التي كان يصلي إليها موسى.

وقال قوم: باب القرية التي أُمروا بدخولها^(٢).

قال أبو علي: قول من قال: إنّه باب القبة أقوى من قول من قال: إنّه باب القرية؛ لأنّه لم يدخلوا القرية في حياة موسى؛ لأنّه قال: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾^(٣).

والعطف بالفاء يدلّ على أنّ هذا التبديل منهم كان في إثر الأمر، فدلّ ذلك على أنّه كان في حياة موسى.

ومعنى قوله: ﴿سُجِّدًا﴾ قال ابن عباس: ركعاً: وهو شدة الانحناء. ومنه السُّجْد من النساء: الفاترات الأعين، وقال الأعشى:

وَلَهْوِي إِلَى حُورِ الْمَدَامِيعِ سُجِّدٍ^(٤) [٢٦٤]

(١) وردت تارة مخففة: بيت المقدس، والنسبة إليها مقدسيّ، وأخرى مُثَقَلَة: بيت المقدس والنسبة إليها مقدّسيّ.

انظر: جمهرة اللغة ٢: ٦٤٦، الصحاح ٣: ٩٦٠، لسان العرب ٦: ١٦٨، تاج العروس ٨: ٤٠٧.

(٢) قلماً تجد تفسيراً لم يتعرّض لهذه الآراء، للمثال: تفسير مجاهد: ٢٠٣، تفسير كتاب الله العزيز للهاوي ١: ١٠٩، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازي ١: ١١٧ ت ٥٧٤، تفسير النكت والعيون ١: ١٠٩، تفسير الحسن البصري (جمع: كمال) ٢: ٥١، تفسير الصنعاني ١: ٢٧١، تفسير الكشف والبيان ١: ٢٠١، تفسير مقاتل ١: ١١٠، تفسير النسائي ١: ١٧٠، تفسير القرآن للسلمي ١: ١٢٧، تفسير زيد الشهيد ٨٣، السيرة النبوية ٢: ١٨٣، وهكذا والقائمة غنية.

(٣) سورة البقرة ٢: ٥٩، وأبو علي هو الجبائيّ، وكتبه في القرآن مفقودة، كما تقدّم.

(٤) استشهد به هكذا في العين ٦: ٤٩، وفيه: «وأهوي»، والمخصّص ١: ٢٠٨ وبلا لله

وقال الآخر :

تَرَى الْأُنْكَمَ فِيهِ سُجْدًا لِلْحَوَافِرِ

[١٦٣]

وقال غيره : ادخلوا خاضعين متواضعين ، قال أعشى قيس :

تَرَاوَحُ مِنْ صَلَوَاتِ الْمَلِيحِ لِكِ طَوْرًا سُجُودًا وَطَوْرًا جُؤَارًا ^(١) [٢٦٥]

وقوله : ﴿وَقُولُوا حِطَّةً﴾ . قال الحسن وقتادة وأكثر أهل العلم : معناه حُطَّ عَنْنا خطايانا .

وروي عن ابن عباس أنه قال : أمروا أن يستغفروا .

وروي عنه أيضاً أنه قال : أمروا أن يقولوا : هذا الأمر حق ، كما قيل لكم .

وقال عكرمة : أمروا أن يقولوا : لا إله إلا الله .

وكل هذه الأقوال محط الذنوب ؛ فترجم بحطّة عنها ^(٢) .

وحطّة مصدر مثل : ردّة وجدة من ردذت وجذذت .

قال صاحب العين : الحطّ : وضع الأحمال عن الدوابّ ، تقول :

للنسبة ، ولما استشهد به الشيخ المصنّف ، ولم نعرف قائله ولا تمامه ، ولا يوجد في ديوان الأعشى ، وانظر ما تقدّم عند الشاهد : ١٦١ و ١٦٢ .

(١) القصيدة ٥ ب ٦٣ في الديوان : ١٠٣ يتذكّر فيها أيام شبابه وصباه ورفيقته ليلي .

الجؤار : رفع الصوت ، وهنا الدعاء والتضرع بصوت .

الشاهد فيه هنا : استعمال «السجود» بمعنى الخضوع .

انظر : الديوان : ١٠٣ ق ٥ ب ٦٣ .

(٢) إضافة لما تقدّم في الهامش ١ صفحة ١١١ حول التوبة ، انظر : تفسير ابن عباس :

٩ ، تفسير محمد بن إسحاق : ٢٧ ، تفسير السمرقندي ١ : ١٢١ ، تفسير الوسيط ١ :

١٤٤ ، تفسير المحرّر الوجيز ١ : ٢٣٠ ، تفسير السمعاني ١ : ٨٣ ، تفسير القشيري

١ : ٤٨ ، وغيرها كثير .

هذا إضافة لمصادر اللّغة المشار إليها في الهامش ٣ من صفحة : ٣٣٤ لمادة

«حطط» فقد تعرّضت لذكر ذلك .

حَطَطْتُ عنها أَحَطُّ حَطًّا ، وَاِنْحَطَّ اِنْحِطَاطًا .

وَالْحَطُّ وَالْوَضْعُ وَالْخَفْضُ نِظَائِرٌ .

وَالْحَطُّ : الْحَذَرُ مِنَ الْعُلُوِّ ، كَقَوْلِ امْرِئِ الْقَيْسِ :

..... كَجُلُودِ صَخْرٍ حَطَّةُ السَّيْلِ مِنْ عَلٍ ^(١) [٢٦٦]

وَيَقَالُ لِلنَّجِيبَةِ السَّرِيعَةِ : حَطَّتْ فِي سَبْرِهَا وَاِنْحَطَّتْ ، وَتَقُولُ : حَطَّ اللَّهُ

وَزَرَكَ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ، وَقَالَ الشَّاعِرُ :

[٢٦٧] وَاخْطَطُ إِلَهِي بِفَضْلِ مَنْكَ أَوْزَارِي ^(٢)

وَالْحَطَّاطَةُ : بَثْرَةٌ تَخْرُجُ فِي الْوَجْهِ صَغِيرَةٌ تُقَبِّحُ اللَّوْنَ وَلَا تُفَرِّحُ .

وَجَارِيَةٌ مَخْطُوطَةٌ الْمَتْنَيْنِ : مَمْدُودَةٌ حَسَنَةً .

وَالْحَطُّ : حَطُّ الْأَدِيمِ بِالْمِخْطِ : وَهِيَ خَشَبَةٌ يُصْقَلُ بِهَا الْأَدِيمُ أَوْ

يُنْقَشُ ^(٣) .

وَأَصْلُ الْبَابِ الْحَطُّ : وَهُوَ الْحَذَرُ مِنْ عُلوِّ .

(١) بيت من المعلقة الشهيرة لامرئ القيس يصف فيه فرسه وأنه في حالتي الكرّ والفِرّ

صلب كصخرة سقطت من أعلى الجبل مسرعة إلى الأسفل ، وصدرة :

مِكْرٌ مُقْبِلٌ مُذْبِرٌ مَعًا

الشاهد : استعمال «حَطَّ» بمعنى الانحدار من العلو .

انظر : الديوان ١٩ ب ٥٠ من المعلقة الأولى ، شرح الأشعار الستة الجاهلية ١ :

٩٨ وغيره من الشروح .

(٢) مع كثرة التتبع لم نصل إلى القائل ولا التتمة . وقد استشهد به الخليل في العين ٤ :

١٨ «حَطَّ» ، وابن جني في المحتسب ١ : ٢٦٤ على مورد الشاهد لدى الشيخ

المصنّف .

(٣) لمادة «حَطَطَ» انظر من المصادر : العين ٣ : ١٨ ، جمهرة اللغة ١ : ٩٩ ، تهذيب

اللغة ٣ : ٤١٥ ، المحيط في اللغة ٢ : ٣٠٤ ، المحكم والمحيط الأعظم ٢ : ٥٠١ ،

الصاحح ٣ : ١١١٩ ، لسان العرب ٧ : ٢٧٢ .

وارتفعت «حِطَّة» في الآية - على قول الزجاج - على تقدير: مسألتنا حِطَّةً^(١).

وقال غيره: دخولنا الباب سُجْدًا حِطَّةً لذنوبنا، كقوله: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعَذَرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾^(٢) يعني: موعظتنا معذرة إلى ربكم^(٣).

ويجوز النَّصَب في العربية على معنى حُطَّ عَنَّا ذُنُوبُنَا حِطَّةً، كقولك: سمعاً وطاعة، يعني أسمعُ سمعاً وأطيعُ طاعة، وكقوله: ﴿مَعَاذَ اللَّهِ﴾^(٤) يعني: نعوذ بالله.

وهو حِطَّةً، أقوى؛ لأنه دعاء.

قوله: ﴿نَغْفِرْ لَكُمْ﴾:

فَالْعُفْرَانِ وَالْعَفْوُ وَالصَّفْحُ نِظَائِرُ.

يقال: غَفَرَ الله له غُفْرَانًا، وَاسْتَغْفَرَ اسْتِغْفَارًا، وَاعْتَفَرَ اعْتِفَارًا.

قال أبو العباس: غَفَرَ الله لزيد، بمعنى: ستر الله له على ذنوبه^(٥).

وَالْعَفْرُ: إِنَّمَا هُوَ التَّغْطِيَةُ. يقال للسَّحَابَةِ فَوْقَ السَّحَابِ: الْغِفَارَةُ.

(١) معاني القرآن للزجاج ١: ٢٣٩.

(٢) سورة الأعراف ٧: ١٦٤.

(٣) انظر: تفسير جامع البيان ١: ٢٣٩.

(٤) سورة يوسف ١٢: ٢٣.

(٥) لم يمكن الوصول إلى مصدره ولا تشخيصه. واضطربت النسخ في الضبط والمثبت من «خ، س» والبواقي: ستر وغطى له....

وثوب ذو عَفْر: إذا كان له زَنْبِرٌ^(١) يستر نسيجه .

ويقال: المَغْفَر؛ لتغطية العُنق . ويقال: عَفَرْتُ الشيءَ: إذ واريته .

والمَغْفِرَةُ والغَفِيرَةُ بمعنى .

وَالْعَفْرُ: مَنْزِلٌ مِنْ مَنَازِلِ الْقَمَرِ، سُمِّيَ بِهِ؛ لَخَفَائِهِ .

وقال الزجاج: الْعَفْرُ: التَّغْطِيَةُ، وَكُلُّ مَا تَفَرَّعَ مِنْ هَذَا الْبَابِ فَهَذَا مَعْنَاهُ .

وقولهم: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا، تَأْوِيلُهُ: اللَّهُمَّ غَطِّ عَلَيْنَا ذُنُوبَنَا، وَاللَّهُ الْعَفُورُ

وَالْعَفَّارُ .

وَالْمِغْفَرُ: مَا يُغْطَى بِهِ الرَّأْسُ مِنَ الْحَدِيدِ وَغَيْرِهِ، وَكَذَلِكَ الْغِفَارَةُ وَهِيَ

خِرْقَةٌ تُلْفَ عَلَى سِيَةِ الْقَوْسِ، أَيْ: طَرَفِهَا . وَغِفَارَةٌ: اسْمُ رَأْسِ الْجَبَلِ .

وَالْمُغْفُورُ وَالْمِغْفَارَةُ: صَمغُ الْعُرْفُطِ، وَقَدْ أَغْفَرَ الشَّجَرُ: إِذَا ظَهَرَ ذَلِكَ

فِيهِ . وَفِي الْحَدِيثِ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَى عَائِشَةَ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ،

أَكَلْتُ مَغْفِيرَ^(٢)؟ تَعْنِي هَذَا الصَّمْغَ .

وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: مَغَائِرُ، كَمَا قِيلَ: جَدَثٌ وَجَدَفَ .

وَالْعَفْرُ: شَعْرٌ صِغَارٌ دُونَ الْكِبَارِ، وَرَيْشٌ دُونَ الرِّيشِ الْكِبَارِ؛ لِأَنَّهُ هُوَ

الَّذِي يَغْطِي الْجِلْدَ .

وَالْعَفْرُ: النُّكْسُ مِنَ الْمَرَضِ، يُقَالُ: صَلَحَ فُلَانٌ مِنْ مَرَضِهِ ثُمَّ عَفَرَ،

أَيْ: نُكِسَ، وَمِنْهُ قَوْلُ مَرَّارٍ - وَقِيلَ إِنَّهُ لَجَمِيلٌ^(٣) -:

(١) اختلفت المصادر في الضبط بين فتح الباء وكسرها .

(٢) مسند أحمد ٦: ٢٢١، صحيح مسلم ٢: ١١٠٠ ت ١٤٧٤، سنن أبي داود ٣:

٣٧١٥/٣٣٥، سنن النسائي ١٣/٧، السنن الكبرى للبيهقي ٧: ٣٥٣، وغيرها .

(٣) البيت لمَرَّارِ بن سعيد الفقيسي الأسدي، شاعر إسلامي مكثر هجاء وغالباً للمساور

خَلِيلِيْ إِنْ الدَّارَ غَفَرْتُ لِدِيْ الهَوَى

[٢٦٨] كما يَغْفِرُ الْمَخْمُومُ أَوْ صَاحِبُ الْكَلَمِ ^(١)

ومعناه: إِنْ الْمُحِبُّ إِذَا سَلَ عَنْ حَبِيْبِهِ، ثُمَّ رَأَى دَارَهُ جَدَّدَ عَلَيْهِ حُبَّهُ، فَكَأَنَّهُ مَرِيضٌ تُكِيْسُ. وَإِنَّمَا قِيلَ: لِلنُّكُوسِ: غَفَرَ؛ لِأَنَّهُ يَغْطِي عَلَى الْعَافِيَةِ. وَالْغَفَرُ: شَعَرٌ يَكُونُ فِي اللَّحْيَيْنِ، وَقَدْ غَفَرَ فُلَانٌ، وَقَدْ غَفِرَتِ الْمَرْأَةُ: إِذَا نَبَتَ لَهَا ذَلِكَ الشَّعْرُ.

وَمَتَاعُ الْبَيْتِ يَقَالُ لَهُ: الْغَفَرُ؛ لِأَنَّهُ يُغْطِي عَلَى الْخَلَلِ. وَالْغَفَرُ: الْجَوَالِقُ، وَيَقَالُ: جَاءُوا الْجَمَاءَ الْغَفِيرَ، وَجَاءُوا جَمًّا غَفِيرًا، وَجَاءُوا جَمَاءَ الْغَفِيرِ، أَي: مُجْتَمِعِينَ جَمْعًا يُغْطِي الْأَرْضَ. وَالْغَفَرُ: وَلَدُ الْأَزْوَى، وَهِيَ: أُنْثَى الْوَعْلِ؛ لِأَنَّهُا تَأْوِي الْجِبَالَ، فَتَسْتَرُ

الابن هند، وكان مفرط القصر ضئيلاً، عدّ من مخضرمي الدولتين ومن اللصوص فقد سجن وأخيه بدر، وقيل لم يدرك العباسية.

لترجمة الشاعر انظر: الشعر والشعراء ٢: ٦٩٩ ت ١٥٦، معجم الشعراء

للمرزباني: ٣٣٧، المؤلف والمختلف: ٢٦٨، الأغاني ١٠: ٣١٧، وغيرها.

(١) البيت من قصيدة بسبعة أبيات، قيل مذكورة في الديوان مطلعها:

إِذَا شِئْتُ يَوْمًا أَنْ تَسُودَ عَشِيرَةٌ فَبِالْحِلْمِ سُدُّ لَا بِالتَّسَوُّعِ وَالشَّتْمِ

وقد استشهد به جمع لمحل الشاهد ومن دون نسبة، انظر: أمالي القاضي ١:

٩٧، الأضداد للأنباري: ١٥٥ ضمن ت ٩٤، والأضداد للأصمعي: ٢١، ولابن

السكيت: ١٧٦، والسجستاني: ١٤٧ وهي ضمن «ثلاث كتب في الأضداد»،

مجالس ثعلب: ٨٠، الزاهر في معاني كلمات الناس ١: ١٠٩، سفر السعادة ٢:

٩٥٤.

وأما أسامة بن منقذ في المنازل والديار: ٣٢٨، وابن السكيت في إصلاح

المنطق: ١٢٨، وابن منظور في لسان العرب ١: ٦٥ فقد نسبوه إلى المزار. وانظر

مجلة المورد البغدادية السنة ٢٢ ع ١٧٦، شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٣:

١١١٩ ت ٤٠١، التذكرة الحمدونية ٢: ١٢٢ ت ٢٤٦.

عن النَّاسِ . ويقال لأنَّهى الوعل ، إذا كان معها ولدها : مُعَفِّرٌ . كما يقال لكل ذات طفل : مُطْفِلٌ .

ويقال : عَفَرَتِ الأُمْرَ تَغْفِرُهُ : إذا أَصْلَحَتْه بما ينبغي أن يُصْلَحَ به ، والمعنى : أَصْلَحَتْه بما غَطَّى على جميع فساده .

والغَفْرُ : زُبْرُ الثوب ، وثوبٌ ذو غَفْرِ .

وَعَفَرْتُ المَتَاعَ : إذا جَعَلْتَهُ في وعاء ، وكلُّ شيءٍ غَطَّيْتَهُ فقد سَتَرْتَهُ . ويقال : اضْبَعْ ثوبك فإنه أَغْفَرُ للوَسَخِ ، أي : أَسْتَرُ له ^(١) .

وأصلُ الباب : التَّغْطِيَةُ .

وحُدَّ المَغْفِرَةُ : سَتْرُ الخَطِيئَةِ برفعِ العقوبة .

وَالْخَطِيئَةُ وَالزَّلَّةُ وَالْمَعْصِيَةُ نظائر .

ويقال : خَطَأَ خَطَأً ، وَأَخْطَأَ إِخْطَاءً ، وَاسْتَخْطَأَهُ اسْتِخْطَاءً ، وَخَطَّأَهُ تَخْطِئَةً ، وَتَخَاطَى تَخَاطِيًا .

قال ابن دُرَيْدٍ : الخَطَأُ مقصور مهموز ، يقال : خَطِئَ الشيءُ خَطَأً إذا لم يَرِدْهُ وَأَصَابَهُ ، وَأَخْطَأَ يُخْطِئُ إِخْطَاءً إذا أَرَادَهُ فلم يُصِبْهُ . والأوَّلُ خاطِئٌ والثاني مُخْطِئٌ ، والخطيئة تُهْمَز ولا تُهْمَز ^(٢) .

(١) ضبط المادة «عَفَرُ» تابع للمراد منها ؛ لأنه ذو أثر بين في المراد ، انظر : التقفية : ٣٦٠ ، العين ٤ : ٤٠٦ ، جمهرة اللغة ٢ : ٧٧٨ ، تهذيب اللغة ٨ : ١٠٥ ، المحيط في اللغة ٥ : ٦٨ ، المحكم والمحيط الأعظم ٥ : ٤٩٩ ، الصحاح ٢ : ٧٧٠ ، لسان العرب ٥ : ٢٥ ، تاج العروس ٧ : ٣١٤ ، وأغلب مصادر الشاهد (٢٦٧) تعرّضت لها .

(٢) النصّ المنقول عن ابن دريد مطابق للنسخة «ط» من كتابه الجمهرة ، وقد ذكر نصّها في هامش المطبوع منها ٢ : ١٠٥٤ .

قال صاحب العين: الخَطَأُ: ما لم يُتَعَمَّدْ، ولكن يُخْطَأُ خَطَأً، وَخَطَأَتُهُ تَخْطِئَةً.

وأصل الباب: الخطأ، ومثله الزَّلَل.

والخاطئ: الذي زَلَّ عن الشيء في قصده، وإن اتَّفَق له أن يُصيبه من غير أن يقصده؛ ولذلك لا يكون الخاطئ في الدِّين إلا عاصياً؛ لأنه لم يقصد الحقَّ.

وأما المُخْطِئ فإِنَّمَا زَلَّ عن قصده، ولذلك يكون المخطئ من طريق الاجتهاد مُصِيباً؛ لأنه قصد الحقَّ واجتهد في إصابته.
وحدُّ الخَطِيئَةِ: العدول عن الغرض المحمود.

وخطايا وزنها فَعَائِل، وتقديره: خَطَائِي، فقلبت الهمزة الأخيرة على حركة ما قبلها، فصار خطايي، ثم فَعَلَ به ما فعل بمداري، حين قيل: مداري، فصارت خطأءاً، فاستثقل همزة بين ألفين؛ لأنه بمنزلة ثلاث ألفات، فقلبت الهمزة ياء. وإِنَّمَا أُعِلَّ هذا الإعلال؛ لأنَّ الهمزة التي بعد الألف عرضت في جمع فعل القياس. تقول في جمع مرآة: مرأى، فلا تعلَّ. والخليل يقول: وزنه فعَالِي على قلب الهمزة^(١).

ومن اختار النون من القراء - في ﴿تَغْفِرُ﴾ - قال: لأنه مطابق لما تقدّم من قوله: ﴿وَوَضَّلْنَا﴾ و: ﴿قُلْنَا﴾.

(١) اختلاف الآراء وعدم الإعجام في النسخ سبب الاختلاف في الضبط، انظر: جمهرة اللغة ٢: ١٠٥٤، العين ٤: ٢٩٢، تهذيب اللغة ٧: ٤٩٦، المحكم والمحيط الأعظم ٥: ٤٣٠، الصحاح ١: ٤٧، مفردات الفاظ القرآن الكريم: ٢٨٧، لسان العرب ١: ٦٥، تاج العروس ١: ١٤٥، «خَطَوُ - خَطَأً».

وإنما اتَّفَقَ القراء على ﴿خَطَايَاكُمْ﴾ هاهنا، واختلفوا في الأعراف
وسورة نوح؛ لأنَّ اللَّتَيْنِ في الأعراف ونوح كتبتا في المصحف بالياء بغير
ألف، والتي في البقرة بألف^(١).

وقوله: ﴿وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾:

فالزيادة التي وعدّها الله المحسنين، هي: تَفَضَّلَ يعطيه الله
المحسنين، يستحقُّونها بوعده إيَّاهم، وهي زيادة على الثواب الذي
يستحقُّوه بطاعته تعالى^(٢).

والفرق بين أحسنَ إليه وأحسنَ في فعله: إنَّ أحسنَ إليه لا يكون إلَّا
بالنفع له، وأحسنَ في فعله ليس كذلك؛ ألا ترى أنَّه لا يقال: أحسنَ الله
إلى أهل النَّار بتعذيبهم، ويقال: أحسنَ في تعذيبهم بالنَّار، بمعنى أحسنَ
في فعله وفي تدبيره.

والإحسان والإنعام والإفضال نظائر. وضدَّ الإحسان: الإساءة، يقال:
حَسَنَ حُسْنًا، وَأَحْسَنَ إِحْسَانًا، واستَحْسَنَ استِحْسَانًا وتَحَسَّنَ تَحَسُّنًا،
وتَحَاسَنُوا تَحَاسُّنًا، وَحَسَّنَهُ تَحْسِينًا، وحَاسَنَهُ مُحَاسَنَةً، والمُحَسَّن - والجمع
المحاسن - المواضع الحسنة في البدن، ويقال: رجلٌ كثيرُ المحاسن،
وامرأةٌ كثيرةُ المحاسن، وامرأةٌ حسناء، ولا تقول: رجلٌ أَحْسَنُ، وتقول:
رجُلٌ حُسَّانٌ وامرأةٌ حُسَّانة، وهو الحسن جدًّا^(٣).

(١) إشارة إلى ما ورد في سورة الأعراف ٧: ١٦١، وسورة نوح ٧١: ٢٥.

(٢) السبعة في القراءات: ١٥٧، الحجة للقراء السبعة ٢: ٢٥ و ٤: ٩٥ - ٩٧، معاني
القرآن للأزهري: ٥١ و ١٩١، التلخيص لأبي معشر: ٢٦٩ و ٤٤٦، وغيرها.

(٣) لضبط المادة «حَسَنَ» استعين بالمصادر التالية: العين ٣: ١٤٣، جمهرة اللُّغة ١:
للـ

والمحاسن في الأعمال ضدّ المساوئ، تقول: أحسن فإنك مُحسان .
والْحُسْنَى: الجنة؛ لقوله: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾^(١).
والْحُسْنَى ضدّ: السَّوْءِ، وَالْحُسْنُ ضدّ: القبح، وَالْحِسَانُ جمع حسن
ألحقوها بضدّها، فقالوا: قَباحٌ وحِسانٌ، كما قالوا: عِجافٌ وسِمانٌ .
وأصل الباب: الحُسْن، وهو على ضربين: حُسْن في النظر، وحسن
في العقل، وكذلك القبح .

وحَدّ الحُسْن من طريق الحكمة هو: الفعل الذي يدعو إليه العقل .
وحَدّ القَبَح: الفعل الذي يزجر عنه العقل .
وحَدّ الإحسان هو: النفع الحَسَن .
وحَدّ الإساءة هو: الضرر القبيح . هذا لا يصحّ إلّا على قول من يقول:
إنّ الإنسان يكون محسناً إلى نفسه ومسيئاً إليها . ومن لا يقول بذلك يريد
فيه الواصل إلى الغير مع قصده إلى ذلك .
والأقوى في حدّ الحُسْن أن نقول: هو الفعل الذي إذا فعله العالم به
على وجه لم يستحقّ الذمّ؛ فإنّه لا ينتقض بشيء^(٢) .

٥٣٥، تهذيب اللغة ٤: ٣١٤، المحيط في اللغة ٢: ٤٨٧، الصحاح ٥: ٢٠٩٩،
المحكم والمحيط الأعظم ٣: ١٩٧، لسان العرب ١٣: ١١٤، تاج العروس ١٨:
١٤٠، مفردات ألفاظ القرآن: ٢٣٥ .

(١) سورة يونس ١٠: ٢٦ .

(٢) مساحة الهامش لا تساعد على استيعاب آراء المذاهب الكلامية للفرق الإسلامية
حول الحسن والقبح، والتقسيم العقلي والشرعي لها فالإحالة على المصادر أولى،
أنظر: تمهيد الأصول: ٩٨، الاقتصاد: ١٦٣، نهاية الإقدام في علم الكلام: ٣٧٠،
تلخيص المحصل: ٤٥٢، قواعد العقائد: ٢٥، اللوامع الإلهية: ١٣٢ وغيرها كثير
للـ

وقوله: ﴿فَكُلُوا مِنْهَا﴾ يعني من هذه القرية ﴿حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا﴾ أي: واسعاً بغير حساب.

قد بينا معناه في ما مضى واختلاف الناس فيه^(١).

قوله تعالى:

﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ آية (٥٩) آية بلا خلاف.

معنى قوله: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: غَيَّرُوا.

وقوله: ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ معناه: الذين فعلوا ما لم يكن لهم فعله.

وقوله: ﴿غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ يعني: بدلوا قولاً غير الذي أُمروا به أن يقولوه، فقالوا بخلافه. فذلك هو التبديل والتغيير.

فكان تبديلهم بالقول: إِنَّهُمْ أَمَرُوا أَنْ يَقُولُوا: حِطَّةٌ، وأن يدخلوا الباب سُجَّداً، وطُوطئ لهم الباب ليدخلوه كذلك، فدخلوه يزحفون على أستاههم وقالوا: حِطَّةٌ في شعيرة، مستهزئين^(٢).

وقوله: ﴿فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ يعني: الذين فعلوا ما لم يكن لهم فعله، من تبديلهم بالفعل والقول.

﴿لَمَّا كَتَبَ الْكَلَامَ وَالْفُرْقَيْنِ﴾، يمكن الوصول لبعض منها بواسطة: شرح المصطلحات الكلامية: ١٢٥ و ٢٥٩ مدخل «حسن، قبح».

(١) تقدّم ضمن تفسير الآية: ٣٥.

(٢) تقدّم ذكر جملة من مصادره عند تفسير الآية (٥٨) عند قوله تعالى: ﴿وَأَدْخُلُوا النَّابَ﴾.

﴿رَجَزًا﴾ والرجز في لغة أهل الحجاز: العذاب، (وهو غير^(١))

الرجس؛ لأنَّ الرجس الشر. ومنه قوله ﷺ في الطاعون: (إنَّه رجس عذب به بعض الأمم) وهو قول ابن عباس، وقتادة^(٢).

وقال أبو عبيدة: الرجز والرجس لغتان^(٣). مثل الرَّدْع والسَّدْع والبَزَاق والبَسَاق.

وقال أبو العالية: هو الغضب.

وقال ابن زيد: هو الطاعون؛ فقليل: إنَّه مات منهم في ساعة واحدة

أربعة وعشرون ألفاً من كبارهم وشيوخهم وبقي الأبناء وانتقل العلم والعبادة إليهم^(٤).

(١) في: «و، هـ، س، الحجريَّة»: وفي لغة غيرهم. والمثبت من: «ج، ل» ويساعد عليه السياق وما في تفسير مجمع البيان ١: ٢٣٥ عند تفسيره الآية هذه، وانظر مصدر الهامش «٣» اللاحق.

(٢) قريب منه جداً في صحيح مسلم ٤: ١٧٣٧ ت ٢٢١٨، المعجم الكبير ٤: ٩٠ ت ٣٧٤٦ و ٣٧٤٥، شرح معاني الآثار ٤: ٣٠٦، مسند أحمد بن حنبل ٤: ١٩٥. وانظر من التفاسير: تفسير الهواري ١: ١٠٩، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازي ١: ١٢٠ ت ٥٩١ و ٥٩٢، تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين ١: ١٤٣، تفسير النكت والعيون ١: ١٢٧ وغيرها.

(٣) مجاز القرآن ١: ٢٠٦، عند الآية ١٢٥ من سورة الأنعام.

(٤) تباينت الآراء اللغوية والتفسيرية - حتى من الشيخ المصنّف رحمه الله - في معنى الرِّجْز، فمنهم من جعله مرادفاً لمعنى الرِّجْس، ومنهم من قال إنَّه: العذاب، أو الشَّرُّ، أو: التَّنَن، أو: الوثن، أو: المعصية، أو: التَّجَسُّس، أو: الكفر، أو: السَّخَط، وهكذا، بل هناك من ذهب إلى جعل مكسورة الراء بمعنى: العذاب أو التَّجَاسَة والمعصية، ومفتوحاتها ومضمومتها: الصَّنم والوثن. هذا، ولا مرجح في البين إلا القرينة، كما هو ظاهر موردنا.

انظر: من مصادر اللِّغة مادتي «رَجَزَ، رَجَسَ» على التوالي: العين ٦: ٦٤ و ٥٢،

وقوله: ﴿مِنَ السَّمَاءِ﴾ قال قوم: يعني ما قضاه الله عليهم من السماء. وقال آخرون: أراد بذلك المبالغة في علوه بالقهر.

وقوله: ﴿يَفْسُقُونَ﴾ مضمومة السين عليه جميع القراء، وهو أشهر اللغات. وقد حُكي في بعض اللغات بكسر السين^(١).

قوله تعالى:

﴿وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ آية (٦٠) آية واحدة بلا خلاف.

قوله: ﴿وَإِذِ﴾ متعلق بكلام محذوف، ويجوز أن يكون ذلك ما تقدم ذكره في الآيات المتقدمة من ضروب نعم الله على بني إسرائيل، فكأنه

١- المجهرة اللّغة ١: ٤٥٥ و ٤٥٧، تهذيب اللّغة ١٠: ٦١٠ و ٥٨٠، المحيط في اللّغة ٧: ٢٢ و ١٠، الصحاح ٣: ٩٣٣، المحكم والمحيط الأعظم ٧: ٢٨٩ و ٢٦٨، مفردات الراغب الاصفهاني: ٣٤١ - ٣٤٢، لسان العرب ٥: ٣٤٩ و ٦: ٩٤، تاج العروس ٨: ٦٧ و ٣٠٢، بصائر ذوي التمييز ٣: ٣٦ ت ٥، عمدة الحفاظ ٢: ٧١ - ٧٢، الغريبين للهروي ٣: ٧١٧، الوجوه والنظائر ١: ٣٩١، وجوه القرآن: ٢٦٥، غريب القرآن للسجستاني: ٢٠٩، وغريب القرآن لزيد الشهيد: انظر فهرس اللّغة لموارده، الأفعال لابن القوطية: ٢٥٦، المثلث للبطليموسي ٢: ٤٣ ت ١٠، وهكذا والقائمة غنية جداً، وأما كتب التفسير فيلزم مراجعة مواردها حسب السور والآيات.

(١) مختصر في شواذ القرآن لابن خالويه: ١٣، شواذ القراءات للكرمانلي: ٦٣، إعراب القرآن للنحاس ١: ٢٢٩، إعراب القراءات الشواذ ١: ١٦٣ - ١٦٤، معاني القرآن للزجاج ١: ١٤٠، مصطلح الإشارات: ١٤٢ ت ٥٩، وانظر تفسير الجوامع لأحكام القرآن ١: ٤١٧ فقد نسب الكسر فيهما إلى الأعمش وابن وثّاب والنخعي، والضم إلى باقي القراء.

قال: واذكروا إذ استسقى موسى لقومه، أي: سألنا إن نسقي قومه ماءً. تقول: سَقَيْتُهُ وَأَسْقَيْتُهُ لغتان بمعنى واحد، وقيل: سَقَيْتُهُ مِنْ سَقَى السَّقَةِ^(١)، وَأَسْقَيْتُهُ: دَلَلْتُهُ عَلَى الْمَاءِ^(٢)، فَتَرَكَ ذَكَرَ الْمَسْئُولَ ذَلِكَ. والمعنى الذي سأل موسى إذ كان فيما ذكر من الكلام الظاهر دلالةً على معنى ما ترك.

وكذلك قوله: ﴿فَقُلْنَا أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ أُنْتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ من ماء فاستغنى بدلالة الظاهر على المتروك منه؛ لأن معنى الكلام: فقلنا اضرب بعصاك الحجر، فضربه، فانفجرت. فترك ذكر الخبر عن ضرب موسى الحجر إذ كان فيما ذكره دلالة على المراد منه.

وكذلك قوله: ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ﴾ معناه: قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مِنْهُمْ مَشْرَبَهُمْ، فترك ذكر «منهم» لدلالة الكلام عليه. والانفجار: الانشقاق، والانجاس أضيّق منه، فيكون أولاً انجاساً ثم يصير انفجاراً.

والعين من الأسماء المشتركة، العين من الماء مشبّهة بالعين من الحيوان؛ لخروج الماء منها، كخروج الدمع من عين الحيوان. وقد بينّا: إنّ أناساً لا واحد له من لفظه فيما مضى^(٣). وإنّ الإنسان لو جمع على لفظه لقليل: أناسين وأناسيه.

(١) في بعض مصادر اللغة «السّفة»، وفي النسخ المثبت.

(٢) الخلاف بين اللّغويين في أنّ «فَعَلَّ» و«أَفْعَلَ» هما بمعنى، أم هناك فرق، انظر جمهرة اللّغة ٢: ٨٥٣، تهذيب اللّغة ٩: ٢٢٨ مفردات ألفاظ القرآن: ٤١٥، المحكم والمحيط الأعظم ٦: ٤٨٧، لسان العرب ١٤: ٣٩٠، تاج العروس ١٩: ٥٣٠، العين ٥: ١٩٠، محيط اللّغة ٥: ٤٧١، الصحاح ٦: ٢٣٧٩، «سَقَى» فيها. على أنّ بعض المصادر صرحت بالسّفة، ولعلّه أوضح في الفرق.

(٣) عند تفسير الآية «٨» من سورة البقرة.

وقوم موسى : هم بنو إسرائيل الذين قصَّ الله عزَّ وجلَّ قصَّصَهُم في هذه الآيات .

وإنَّما استسقى لهم ربُّه الماءَ في الحال التي تاهوا فيها في التَّيه فشكوا إليه الظمأ ، فأَمروا بحجر طوريٍّ - أي : من الطور - فضربه موسى بعصاه ، فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا ، لكل سِبْط عينٌ معلومة ماؤها لهم .

وروي عن ابن عباس أنَّه قال : ظلَّلَ عليهم الغمامَ في التَّيه وأنزل عليهم المنَّ والسلوى ، وجعل لهم ثياباً لا تبلى ولا تتسخ ، وجعل بين ظهرانيهم حَجَر مَرَبَّع^(١) .

وروي : إنَّه كان مثل شكل الرأس^(٢) .

وأَمَرَ موسى فضرب بعصاه الحجر ، فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا في كلِّ ناحية منه ثلاث عيون لكلِّ سبط عين ، ولا يرتحلون مَتَقَلَّةً إِلَّا وجدوا ذلك الحجر منهم بالمكان الذي كان به منهم في المنزل الأوَّل .

وقيل : إنَّهم كانوا ينقلونه معهم في الجوالق ، فإذا احتاجوا إلى الماء ضربه موسى بالعصا فيه فينفجر منه الماء .

وقال قوم : إنَّه أمر بأنَّ يضرب أيُّ حجر شاء لا حجراً بعينه^(٣) .

(١) انظر : تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازي ١ : ١٢١ ت ٥٩٨ و ٥٩٩ ، تفسير الكشف والبيان ١ : ٢٠٣ ، تفسير جامع البيان للطبري ١ : ٢٤٣ ، تفسير بحر العلوم ١ : ١٢٢ ، تفسير الوسيط ١ : ١٤٥ ، السنن الكبرى للنسائي ٦ : ٤٠٥ ت ١١٣٢٤ ، مسند أبي يعلى ٥ : ٢٨ ت ٢٦١٨ ، تاريخ مدينة دمشق ٦١ : ٩٢ ، وغيرها .

(٢) أشارت إليها من المصادر التفسيرية : تفسير البحر المحيط ١ : ٣٨٩ ، تفسير زاد المسير ١ : ٧٤ . وبعض ما تقدَّم في الهامش السابق .

(٣) تعرَّضت لذكر ذلك أغلب التفاسير للمثال انظر : تفسير النكت والعيون ١ : ١٢٨ ،

والأول أظهر ؛ لأن فيه لام التعريف .

والشين ساكنة في : ﴿أَنْتَنَا عَشْرَةَ﴾ عند جميع القراء ، وكان يجوز كسرها في اللّغة ولم يقرأ به أحد . والكسر لغة ربيعة وتميم ، والإسكان لغة أهل الحجاز وأسد^(١) .

فإذا صَغُرَتْ اثني عشر قلت : ثُنْيَ عشر ، وإذا صَغُرَتْ اثنتي عشرة قلت : ثُنَيْتِي عشرة .

وَرُوي : فتحها عن الأعمش^(٢) . وهو غلط ، إلا إذا قيل : عشرة مفرداً فإنه بفتح الشين . فأما ما زاد على ذلك فالشين ساكنة ، أو مكسورة إلا قولهم : أحد عشر إذا بنيا معاً^(٣) .

تفسير المحرّر الوجيز ١ : ٢٣٤ ، تفسير الكشف والبيان ١ : ٢٠٣ ، تفسير السمعاني ١ : ٨٥ ، تفسير معالم التنزيل ١ : ٩٠ ، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازي ١ : ١٢١ ت ٥٩٧ - ٦٠٣١ ، تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين ١ : ١٤٤ ، تفسير بحر العلوم للسمرقندي ١ : ١٢٣ ، تفسير الوسيط ١ : ١٤٥ ، تفسير كتاب الله العزيز للهواري ١ : ١١١ .

(١) انظر : المحتسب ١ : ٨٥ ، إعراب القرآن للنحاس ١ : ٢٣٠ ، معاني القرآن للزجاج ١ : ١٤١ ، إعراب القراءات الشواذ ١ : ١٦٤ ، وغيرها كثير . ومن كتب اللّغة : تهذيب اللّغة ١ : ٤٠٧ ، تاج العروس ٧ : ٢٢١ ، لسان العرب ٤ : ٥٦٨ وغيرها .

(٢) هكذا في النسخ : «خ ، و ، هـ» ، وجاء في غيرها : «محمّد عن الأعمش» . والظاهر أنّه : محمّد بن أبي ليلى ، أبو عبدالرحمن الأنصاري الكوفي ، مقرئ ولي القضاء والإفتاء في الكوفة لبني أمية وبني العباس ، أخذ القراءة عنه عرضاً حمزة والكسائي وغيرهما ، توفي سنة ١٤٨هـ .

انظر : طبقات خليفة : ٢٨٣ ت ١٢٦١ ، الطبقات الكبرى ٦ : ٣٥٨ ، طبقات القراء للذهبي ١ : ١١١ ت ٤٨ ، سير أعلام النبلاء ٦ : ٣١٠ ت ١٣٣ .

(٣) إضافة لمصادر الهامش الأسبق انظر : معاني القراءات للأزهري : ٥١ ، شواذ القراءات للكرماني : ٦٣ ، مختصر في الشواذ : ١٣ ، وغيرها .

ونصب ﴿عَيْنًا﴾ على التمييز ، وعند الكوفيين على التفسير .
ولا ينبغي الوقف على أحد الاسمين المجعولين اسماً واحداً دون الآخر ، كقولك : أحد عشر واثنا عشر وما أشبه ذلك ، وكذلك يُكره الوقف على العدد الأخير قبل أن يميّزه ويفسّره .

وكذلك قوله : ﴿خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا﴾^(١) ، و : ﴿مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا﴾^(٢) ، و : ﴿عَدُلُ ذَلِكَ صِيَامًا﴾^(٣) ، و : ﴿خَيْرٌ حَفِظًا﴾^(٤) و : ﴿خَيْرٌ ثَوَابًا﴾^(٥) وأشباه ذلك .

ومن آيات الله العجيبة : انفجار العيون من الحجر الصُّلد بعدد قبائل بني إسرائيل ، وهم كانوا اثني عشر سبطاً على وجهٍ تعرف كلُّ فرقة منهم مشرب نفسه ، فلا ينازعه فيه غيره ، وذلك من الأمور الظاهرة على أن فاعل ذلك هو الله تعالى ، وأن ذلك لا يتم فيه حيلة محتال ولا كيد كائد . ومن استبعد ذلك من الملحدين فالوجه أن يُتشاغل معه في الكلام في إثبات الصانع ، وحدوث الصُّنعة ، وإثبات صفاته وما يجوز عليه وما لا يجوز ، فإذا ثبت ذلك سهل الكلام في ذلك .

ومتى شكَّ في ذلك أو في شيء منه ، كان الكلام معه في هذا الفرع

(١) سورة مريم ٩ : ٧٦ .

(٢) سورة آل عمران ٣ : ٩١ .

(٣) سورة المائدة ٥ : ٩٥ .

(٤) سورة يوسف ١٢ : ٦٤ .

(٥) سورة الكهف ١٨ : ٤٤ .

ضرباً من العناء لا وجه للتشاغل به .

وقوله هاهنا: ﴿فَانفَجَرَتْ﴾ لا ينافي قوله في الأعراف: ﴿فَانْبَجَسَتْ﴾^(١)، لأن الانفجاس هو الانفجار إلا أنه قليل ، وقيل : إنه لا يمتنع أن يكون أول ما تنبجس كان قليلاً ثم صار كثيراً ، حتى صار انفجاراً^(٢) .

وقوله: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ﴾ يعني من : النعم التي عددها عليهم من المن والسلوى وغير ذلك .

وقوله: ﴿وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ أي : لا تطغوا ولا تسعوا في الأرض فساداً . وأصل العثا : شدة الفساد ، يقال منه : عثي فلان في الأرض : إذا تجاوز في الأرض إلى عاتية ، يعثي عثاءً ، والجماعة يعثون .

وفيه لغتان أخريان : إحداهما : عثاً يعثو عثوً . ومن قرأ بهذه اللغة ينبغي أن يضمّ الثاء ، ولم يقرأ به أحد .
واللغة الأولى : لغة أهل الحجاز .

وقال^(٣) بنو تميم وغيرهم : عاثَ يعِث عِثاً ، وعُثوثاً وعِثاناً : بمعنى واحد^(٤) ، قال رؤبة بن العجاج :

(١) سورة الأعراف ٧ : ١٦٠ .

(٢) للتوسعة في لغة «بجس» يراجع : العين ٦ : ٥٨ ، جمهرة اللغة ١ : ٢٦٧ ، تهذيب اللغة ١٠ : ٥٩٩ ، المحيط في اللغة ٧ : ١٧ ، المحكم والمحيط الأعظم ٧ : ٢٨٠ ، الصحاح ٢ : ٩٠٧ ، لسان العرب ٦ : ٢٤ ، تاج العروس ٨ : ١٩٨ .

(٣) هذه هي اللغة الثانية .

(٤) المادة «عِثَ وعُثَ» تجدها في المصادر التالية : العين ٢ : ٢٣١ ، جمهرة اللغة ١٢٧ : ٤ و ١٢٥٥ ، تهذيب اللغة ٣ : ١٥٠ و ١٥٢ ، المحيط في اللغة ٢ : ١٣٨ و ١٣٧ ، المحكم والمحيط الأعظم ٢ : ٣٣٧ و ٢٣٠ ، الصحاح ١ : ٢٨٧ ، مجمل اللغة : ٦١١ و ٦٣٨ ، معجم مقاييس اللغة ٤ : ٢٣٠ ، مفردات ألفاظ القرآن : ٥٤٦ ،
لله

وَعَاثَ فِينَا مُسْتَحِلٌّ عَاثٌ

مُصَدِّقٌ أَوْ فَاكِزٌ مَقَاعِثُ^(١)

[٢٦٩]

يعني بقوله : عاثَ فينا : أفسد فينا .

وقيل : يَغْثُو أصله من الْعَيْثُ ، فَقَدَمُوا بعض الحروف ، وأخروا بعضها ، يقال : عَثَا يَغْثُو وَعَاثَ يَعْثِي ، وهو : الفساد^(٢) ، قال ابن أذينة الثقفي^(٣) :

نُقِيمَ وَلَا نَغْثُوا بَوَجْ وإِنَّا

على النَّاسِ شَخَابُونَ شَوْسَ الْحَوَاجِبِ^(٤)

[٢٧٠]

لعمدة الحفاظ ٣ : ٢٩ ، بصائر ذوي التمييز ٤ : ٢٠ ت ٦ ، لسان العرب ٢ : ١٧٠ ، تاج العروس ١٩ : ٦٥٦ .

على أَنَّ الشيخ المصنّف رحمه الله قد تعرّض لها مرة أخرى في : سورة الأعراف ٧ : ٧٤ ، سورة هود ١١ : ٨٥ ، سورة الشعراء ٢٦ : ١٨٣ ، سورة العنكبوت ٢٩ : ٣٦ .
(١) الرجز من قصيدة يمدح فيها الحارث بن سليم الهجيمي .

المعنى : عاثَ : أفسد . مستحلٌ : العامل الذي يستحل أموال الناس ويستبيحها . المصدّق : عامل الزكاة الذي قد يجور إذا لم يكن من أهل الدين والورع كما هو الغالب . مقاعِثُ : المستأصل للشيء ومواده هنا المال أو ما تتعلق به الزكاة . كأنَّ المصدّق المبعوث - وكما هو ديدنهم - قد عاثَ في أموالنا وأفسدها كأنَّه قد استحل ذلك ، مثل التاجر الذي يحاول الحصول على أموال الناس في بيعه تجارته عالياً .
انظر : الديوان ٢٩ ق ١٢ ب ٣٥ .

(٢) أي : عَثُو وعوث ، وصُرِّحَ بذلك في أغلب المصادر اللغوية المشار إليها في الهامش الأسبق .

(٣) عروة بن يحيى - أذينة - بن مالك ، أبو عامر ، محدّث عالم وصف بالنسك والعبادة ، غلب عليه قول الشعر حتى عدَّ من مقدّمي شعراء أهل المدينة المنورة الحذّاق بالغزل منه . توفي عام ١٣٠ هـ .

انظر : تاريخ الإسلام سنوات ١٢١ - ١٤٠ : ١٧٧ ، الشعر والشعراء ٢ : ٥٧٩ ت ١٠٤ ، الموشح : ٥٨٤ ، المؤتلف والمختلف : ٦٩ وغيرها كثير .

(٤) في ضبط بعض ألفاظه بين الأصول والمصادر اختلاف .

وَأَمَّا قَالَ: ﴿وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ وإن كان العيث لا يكون إلا فساداً؛ لأنه يجوز أن يكون فعلاً ظاهره الفساد وباطنه المصلحة، كخرق صاحب موسى السفينة، فبين ذلك العيث الذي هو فساد ظاهراً وباطناً.

قوله عز اسمه :

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِئُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصِلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَهْبَطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ آية (٦١) آية بلا خلاف .

قرأ أهل المدينة: ﴿النَّبِيِّينَ﴾ بالهمز، الباقون بغير همز^(١).

وترك الهمز هو الاختيار.

واختلفوا في اشتقاقه، فقال بعضهم: من أنبائك بالأمر، كأنه أنبا عن

المعنى: وِج، بفتح وتشديد، قيل: وادي في الطائف، فيه كانت غزوة للنبي ﷺ، وقيل: اسم آخر لمدينة الطائف، وقيل غير ذلك.

معجم البلدان ٥: ٤٦١ و ٤: ٩، مراصد الاطلاع ٣: ١٤٢٦ و ٨٨٦.

والعجب أن الديوان وبتحقيق د. الجبوري خال منه. ولم نجد في المصادر المتوفرة ما يفيد شيئاً حوله.

(١) انظر: السبعة في القراءات: ١٥٧ - ١٥٨، الحجة للقراء السبعة ٢: ٨٧، معاني القراءات للأزهري: ٥١ - ٥٢، التذكرة في القراءات ٢: ٣١٥، حجة القراءات: ٩٨ - ١٠٠ وغيرها.

الله وأخبر عنه فترك همز ذلك ؛ لكثرة ما يجري^(١) . وقال الكسائي : النَّبِيُّ : الطريق ، يُراد به أنه علم وطريق إلى الحق^(٢) .

وأصله : من النبوة . والنَّجوة ، أي : المكان المرتفع .

ومن قال : هو مشتق من الإنباء الذي هو الإخبار ، قال : جاء فعيل بمعنى مفعول ، كما قالوا : سمع بمعنى مسمع . كذلك قالوا : نبى بمعنى منبى ، وبصير بمعنى مبصر ، وأبدل مكان الهمزة من النبى الياء ، فقالوا : نبى يا هذا .

ويجمع النَّبِيُّ : أنبياء ، وإنما جمعه كذلك ؛ لإلحاقهم النَّبِيِّ - بإبدال الهمزة منه ياء - بالنعوت التي تأتي على تقدير فعيل من ذوات الياء والواو وذلك كقولهم : وليّ وأولياء ، ووصي وأوصياء ، ودعيّ وأدعياء . ولو جمعه على أصله - والواحد نبى - لقليل : النَّبَاء ؛ لأنّ فعلاً يجمع : فعلاء ، كقولهم : سفیه وسفهاء ، وفقيه وفقهاء ، وشريك وشركاء .

وقد سُمع من العرب «النَّبَاء» وذلك في لغة من همَز النَّبى ، ومن ذلك قول العباس بن مرداس السُّلمي^(٣) في وصف النَّبى ﷺ ومدحه :

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ١ : ١٤٥ ، إصلاح المنطق : ١٥٨ ، وانظر : صفحة ٣٥٦ هامش : ٢ .

(٢) معاني القرآن للكسائي : ٧٢ - ٧٣ ، تفسير الكشف والبيان ١ : ٢٠٧ ، البحر المحيط ١ : ٢٢٠ وغيرهما .

(٣) أبو العباس بن مرداس بن أبي عامر السلمي ، أمّه الخنساء الشاعرة ، فارس ، شاعر شديد العارضة والبيان ، سيداً في قومه ، مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام ، أسلم قبيل فتح مكة ، عاداه في المؤلفة قلوبهم ، شهد حنين وفتح مكة ، مات عام ١٨هـ . لترجمته انظر : الطبقات الكبرى ٧ : ٣٣ ، الشعر والشعراء ٢ : ٧٤٦ ت ١٧٧ ، الأغاني ١٤ : ٣٠٢ ، الإصابة ٢ : ٢٧٢ ت ٤٥١١ ، مقدمة الديوان .

يا خاتم النبأ إناكَ مُرْسَلٌ بِالْحَقِّ خَيْرٌ هُدَى إِلَهُ هَذَا كَا^(١) [٢٧١]

فجمع على أَنْ واحدهم نبئ مهموز.

وقد قال بعضهم: النَّبِيُّ والنَّبوة غير مهموزين؛ لأنَّهما مأخوذان من النَّبوة، وهي مثل النَّجوة، وهما مأخوذان من المكان المرتفع. وكلُّ يقول: إنَّ أصل النَّبِيِّ الطريق، قال القطامي^(٢):

لَمَّا وَرَدْنَا نَبِيًّا وَاسْتَبَّ بِنَا مُسَخَّنْفَرٌ كَخُطُوطِ السَّيْحِ مُنْسَجِلٌ^(٣) [٢٧٢]

(١) البيت الأول من القصيدة ٥٨: في الديوان: ١٢٢ في مدح النبي الأكرم ﷺ المعنى: واضح.

الشاهد فيه: قوله: «النَّبَاء»، جمع: نبئ مهموز. وقد نُقلت لشطره الثاني عدّة روايات لاتهما.

(٢) أبو سعيد، عُمَيْرُ بْنُ شَيْمٍ - مصغرين - بن تغلب القطامي أول من لُقِّبَ صريع الغواني، شاعرٌ نصرانيٌّ أسلم، معاصرٌ للأخطل، وكان فحلاً مقلّلاً، مُجيداً، كثيرُ الأمثال في شعره، رقيق التشبيب حسنه، مات عام ١٣٠هـ. له أبيات حكيمية جميلة منها:

وَالنَّاسُ مَنْ يَلْقَى خَيْرًا قَاتِلُونَ لَهُ مَا يَشْتَهِي، وَلَأَمُّ الْمُحْطَى الْهَيْلُ
قَدْ يَدْرُكُ الْمُتَأَنِّي بَعْضَ حَاجَتِهِ وَقَدْ يَكُونُ مَعَ الْمُسْتَعْجِلِ الزَّلُّ

لترجمته انظر: الشعر والشعراء ٢: ٧٢٣ ت ١٦٧، طبقات الشعراء للجُمحي: ١٢١، المؤلف والمختلف: ٢٥١، معجم الشعراء للمرزباني: ٧٣، الأغاني ٢٤: ١٧، تاريخ دمشق ٤٦: ٩٦ ت ٥٣٥٤.

(٣) البيت من قصيدة يمدح بها الشاعر عبدالواحد بن الحارث بن أبي العاص الأموي. المعنى: نبياً: اسم مكان، ولعله كتيب رمل في ديار بني تغلب. استتبَّ: استقام وبان وامتدَّ، المُسَخَّنْفَرُ: البين المعالم؛ لكثرة السير والسائرين. السَّيْحُ: الكساء المخطَّط، وروي: السَّحْلُ: وهو الثوب الأبيض. الشاهد فيه: «نبياً» استعمله من دون همز وهو من النَّبوة.

انظر: الديوان: ٤ ق ١ ب ٢٠ واستشهد به جمع منهم الطبري في جامعه ١: ٢٥١، ابن الأنباري في الزاهر ٢: ١١٩، ابن سيده في المحكم والمحيط الأعظم ١٠: ٥١٩، الزبيدي في تاج العروس ٢٠: ٢١٢ وغيرهم.

قالوا: وسمي الطريق نبيّاً؛ لأنه ظاهر مستبين من النبوة.

قال أبو عليّ الفارسي: قال أبو زيد: نَبَأْتُ مِنْ أَرْضٍ إِلَى أُخْرَى، فَأَنَّا
أُنْبَأُ نَبَأً وَتُبُوءاً: إِذَا خَرَجْتَ مِنْهَا إِلَى أُخْرَى^(١)، وليس اشتقاق النُّبَى من هذا
وإن كان من لفظه ولكِنَّه من النَّبَأ الذي هو الخبر، كَأَنَّهُ المخبر عن الله.

فإن قلت: لِمَ لا يكون من النَّبَاوة، ومِمَّا أَنشده أبو عثمان^(٢) قال:
أُنشدني كيسان^(٣):

مَخْضَ الضَّرِيْبَةِ فِي الْبَيْتِ الَّذِي وُضِعَتْ

فِيهِ النَّبَاوَةُ حُلُوًا غَيْرَ مَمْدُوقٍ^(٤) [٢٧٣]

أو يجوز فيه الأمرين؟ فتقول: إِنَّه يجوز أن يكون من النَّبَاوة، ومن
النَّبَأ، كما أُجيزت في عِصَّةٍ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْوَاو، لقوله:

.....

(١) الهمز للأنصاري: ٤٦.

(٢) هو المازني المتقدّم.

(٣) كيسان بن المعرّف النحوي، أبو سليمان الهَجَمِيّ، مولا هم الخراساني راوية
يغلب عليه المزاح، فيه غفلة شديدة؛ إذ كان يكتب غير ما يسمع، ويحدّث غير ما
حفظ. قال الأصمعي: كيسان ثقة ليس بمتزَيّد، أخذ عن الخليل، معاصر لأبي
عبدة.

له ترجمة في: طبقات النحويين واللّغويين: ١٧٨ ت ٩٤، معجم الأدباء ١٧:
٣١، ت ١٣، إنباه الرواة للقفطي ٣: ٣٨ ت ٥٦٣، بغية الوعاة ٢: ٢٦٧ ت ١٩٥٣.
(٤) البيت لعبدالله بن هَمَام السلولي، الذي حرّض يزيد بن معاوية على أخذ البيعة
لابنه معاوية بن يزيد.

الضريبة: لبن عدّة لقاح يحلب بعضه فوق بعض. النَّبَاوة: المحل المرتفع.
الممدوق. المذق: المزج والخلط بالماء، أي: اللّبن الغير ممزوج بالماء.

[٢٧٤]

وَعِصَوَاتٌ تَقْطَعُ اللَّهَازِمَا^(١)

ومن الهاء لقوله :

... لها بعضاه الأرض تهزير^(٢) [٢٧٥]

قال : وليس ذلك كالعضة ؛ لأن سيويوه زعم أنهم يقولون في تحقير
النبوة : كان مُسَيَّلَمَةً نُبُوَّتُهُ نُبِيَّةٌ سَوِيٌّ^(٣) . وكلُّهم يقولون : تَنَبَّأَ مُسَيَّلَمَةً . فلو
كان يحتمل الأمرين جميعاً لما أجمعوا على تَنَبَّأَ ولا على النُبِيَّةِ .
فإن قيل : فلم لا يُستدلّ بقولهم : أنبياء (على جواز الأمرين في اللام

(١) من رجز لأبي مهدية الأعرابي ، وتماهه :
هذا طَرِيقٌ يَأْزِمُ المَازِمَا

الأزم : العَصَ : اللّهازم : أسفل الرجل ، وقيل : مضغتان في أصل الحنك ،
والأوّل المراد .

يصف صعوبة طريق ، وشدّته على سالكيه .
استشهد به على أنّ «عَصَةً» لامها واو محذوفة ؛ بدليل الجمع هذا .
انظر : الكتاب ٣ : ٣٦٠ ، النكت للأعلم ٢ : ٨٩٥ ، الكامل للمبرّد ٣ : ٦٧ ،
الخصائص ١ : ١٧٢ ، المسائل العسكرية ٨٩ ، البغداديات : ١٥٨ ت ١٤ ، شرح
المفصل ٥ : ٣٨ .

(٢) قطعة من عجز بيت للمتنخل الهذلي ، وتماهه .
قد حال دون دَرِيسِهِ مَوْزِبَةٌ نَشَع ،
الدريس : الثوب البالي . المَوْزِبَةُ : رياح تهب مع الدليل . النَّسَع : من أسماء
ريح الشمال وكذا مشع . العضة : نبت ذو شوك شديد الألم لمن أصابه .
الشاهد : «بعضاه» لام فعلها هاء بدليل التّصغير ؛ لقولهم : «عُصِيْهَةٌ» . وقيل : بل
واو ، بدليل النسبة ؛ لقولك : «عُصَوِيٌّ» .
انظر : ديوان الهذليّين ٢ : ١٦ ، الكتاب ٣ : ٤٦٠ ، الحجة لأبي علي ٢ : ٨٩ .
(٣) الكتاب ٣ : ٤٦٠ .

من النبي^(١)؛ لأنهم قالوا: أنبياءٌ ونُبَّاءٌ؟ قال الشاعر:

[٢٧٨] يا خاتم النبأ
.....

قيل: ما ذكرته لا يدلّ على تجويز الأمرين فيه؛ لأنّ أنبياء إنّما جاز لأنّ البدل لما لزم في نبيّ صار في لزوم البدل له، كقولهم: عيد وأعياد، فكما أنّ أعياداً لا يدلّ على أنّ عيداً من الباء؛ لكونه من عود الشيء، كذلك لا يدلّ أنبياء على أنّه من النبوة. لكنّه لما لزم البدل جعل بمنزلة: تقي وأتقياء، وصفيّ وأصفياء، فلما لزم صار كالبرية والخاية، ونحو ذلك ممّا لزم الهمزة فيه حرف اللين بدلاً من الهمزة، فما دلّ على أنّه من الهمزة، فإنّه لا يعترض عليه شيءٌ فصار قول من حقّق الهمزة في النبيّ كردّ الشيء إلى الأصل المرفوض استعماله، نحو: ودّر وودّع، فمن ثمّ كان التخفيف فيه الأكثر.

فأمّا ما روي في الحديث: من أنّ بعضهم قال: يا نبيّ الله، فقال: (لست نبيّ الله ولكنّي نبيّ الله) قال أبو علي: أظنّ أن من أهل الثقل من ضعف أسناده، وممّا يقوّي تضعيفه أنّ من مدح النبيّ ﷺ فقال:

[٢٧٩] يا خاتم النبأ
.....

لم يؤثّر فيه إنكارٌ عليه؛ ولو كان في واحده نكير لكان في الجمع مثله^(٢).

(١) الجملة المحصورة ساقطة من النسخ، أثبت من النسخة «خ»، مؤيداً بالمصدر الآتي.

(٢) الحجة لأبي عليّ الفارسيّ ٢: ٨٨-٩٤. وقد ضبط النصّ ملفّقاً بينه والمخطوط «خ». هذا، وتقدّم للشيخ المصنّف كلام حول هذا عند تفسير الآية ٣١ من سورة

ثُمَّ إِنَّا قَدْ ^(١) بَيَّنَّا فِيمَا مَضَى أَنَّ الصَّبْرَ: كَفَّ النَّفْسَ وَحَبَسَهَا عَنِ الشَّيْءِ ^(٢).

فإذا ثبت ذلك ، فكأنَّه قال : واذكروا إذ قلتم يا معشر بني إسرائيل : لن نطيق حبس أنفسنا على طعام واحد - وذلك الطعام هو ما أخبر الله عزَّ وجلَّ أنَّه أطعمهم في تيههم وهو السلوى في قول أهل التفسير ، وفي قول وهب ابن مُثَنَّب ^(٣) : الخبز النقيَّ مع اللَّحْم ^(٤) - فسل ربَّكَ يخرج لنا ممَّا تنبت الأرض من البقل والقثاء ، وما سمَّاه الله مع ذلك . وذكر أنَّه سأله موسى . وكان سبب مسألتهم ذلك ما رواه قتادة قال : كان القوم في البرِّيَّة قد ظَلَّلَ عليهم الغمام ، وأنزل عليهم المنَّ والسلوى ، فملَّوا ذلك ، وذكروا عيشاً

﴿البقرة عند قوله تعالى : «أَتَيْتُونِي» منها ، فإضافة لما ذكر من مصادر هناك انظر : شرح النهج الحديدي ١٩ : ٣٧١ ، سلسلة الأحاديث الضعيفة ١٢ : ١ : ٥٧٤ ت ٥٧٥٩ ، وذكره الشيخ الصدوق في معاني الأخبار : ١١٤ ذيل حديث ١ وعقبه قائلاً : النبوة لفظ مأخوذ من الثبوة ، وهو ما ارتفع من الأرض ، فمعنى النبوة الرِّفعة ، ومعنى النبي : الرفيع ؛ سمعت ذلك من أبي بَشْر اللُّغَوِيِّ بمدينة السلام . تفسير السمعاني ١ : ٨٧ ، تفسير بحر العلوم ١ : ١٢٤ ، الزاهر في معاني كلمات الناس ٢ : ١٢٠ ، وهكذا أغلب التفاسير عند الآية هذه أو المتقدمة ٣١ .

- (١) الجملةُ جمعٌ بين الأصول ، ومعها العبارة أوضح .
- (٢) عند تفسير الآية ٤٥ من سورة البقرة .
- (٣) أبو عبدالله الأبنائوي ، وهب بن مُثَنَّب اليماني الصنعاني ، الأخباري ، القصصي . روايته للمُسنِّد من الحديث لعلها معدومة ، وغزارة علمه في الإسرائيليات مشهورة مشهورة ، ومع هذا وثَّقه جمع . توفي عام ١٣هـ .
- انظر : سير أعلام النبلاء ٤ : ٥٤٤ - ٢١٩ ، تهذيب الكمال ٣١ : ١٤٠ ت ٦٧٦٧ ، تاريخ الإسلام حوادث ١٠١ - ١٢٠ : ٤٩٧ ت ٥٩٩ ، ومصادره .
- (٤) تجد الأقوال في : تفسير الهواري ١ : ١١١ ، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازي ١ : ١٢٢ ت ٦٠٩ ، تفسير الكشف والبيان ١ : ٢٠٤ ، تفسير جامع البيان ١ : ٢٤٥ ، تفسير الوسيط ١ : ١٤٦ .

كان لهم بمصر ، فسأله موسى ، فقال الله تعالى : ﴿ أَهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ ﴾^(١) .

وإنما قال : ﴿ مِمَّا تُنَبِّئُ الْأَرْضُ ﴾ ؛ لأن « مِنْ » تدخل للتبعيض ، ولو لم تدخل هاهنا لكانت المسألة تصح على جميع ما تنبته الأرض ، (وليس المراد ذلك ، وإنما أرادوا البعض ، فكأنهم قالوا : تخرج لنا بعض ما تنبته الأرض)^(٢) فأتوا بـ « مِنْ » التي نابت مناب البعض حيث قامت مقامه .
وفي الناس من قال : إن « مِنْ » هاهنا زائدة وأنها تجري مجرى قولهم : ما جاءني من أحد .

والصحيح الأول ؛ لأن « مِنْ » لا تزداد في الإيجاب وإنما تزداد في النفي ؛ ولأن من المعلوم أنهم ما أرادوا جميع ما تنبته الأرض وجرى ذلك مجرى قول القائل : أصبت اليوم من الطعام عند فلان ؛ يريد أصبت شيئاً منه^(٣) .
وقوله : ﴿ يُخْرِجُ ﴾ جزم ؛ لأنه جواب الأمر .

(١) انظر : تفسير الصنعاني ١ : ٢٧٢ ت ٦٠ ، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازي ١ : ١٢٢ ت ٦٠٩ ، تفسير الكشف والبيان ١ : ٢٠٤ ، تفسير جامع البيان ١ : ٢٤٥ ، تفسير الوسيط ١ : ١٤٦ .

(٢) الجملة المحصورة أضيفت من «خ» تخلص منها باقي النسخ ، وانظر تفسير مجمع البيان عند تفسير الآية .

(٣) خلاف بين المفسرين وكذا النحاة في زيادة «من» ، فبعض ذهب إلى الإمكان والصحة مطلقاً ، وآخرون مفضلين بين الإثبات والنفي ، ولهم أدلتهم ، لمعرفة زيادة الإطلاع انظر : معاني القرآن للأخفش ١ : ٢٧٢ ، إعراب القرآن للنحاس ١ : ٢٣١ ، تفسير الكشف والبيان ٢ : ٣٧ ، تفسير الكشاف ١ : ٣٥٥ ، البيان في غريب إعراب القرآن ١ : ٨٦ ، تفسير جامع البيان ١ : ٢٤٦ ، كتاب الأزهية للهروي : ٦٦ ، تفسير المحرر الوجيز ١ : ٢٣٦ ، الإنصاف لابن الأنباري ١ : ٣٧٦ ت ٥٤ ، شرح الرضي على الكافية ٤ : ٢٦٨ ، مغني اللبيب ١ : ٤١٨ ، شرح ابن عقيل ٢ : ١٥ وغيرها كثير عند التعرض لهذه الآية .

والبَقْلُ ، والقَيْثَاءُ : معروفان ، وفي القَيْثَاءِ لغتان : ضَمَّ القاف ، وكسرها ، والكسر أجود وهي لغة القرآن . وإِنَّمَا ذكر الله تعالى هذه الألفاظ - وإن لم تكن لانتقة بفصاحة القرآن - على وجه الحكاية عنهم .

وَأَمَّا الْقَوْمُ : فقال ابن عباس ، وأبو جعفر الباقر عليهما السلام وقتادة ، والسُّدِّي : إِنَّهُ الحنطة ^(١) . وأنشد ابن عباس قول أحيحة بن الجلاح ^(٢) :

قَدْ كُنْتُ أَغْنَى النَّاسِ شَخْصاً وَإِذَا رَزَدَ الْمَدِينَةَ عَنْ زِرَاعَةِ قَوْمٍ ^(٣) [٢٧٦]

وقال الفرءاء والجَبَانِي والأزهري ^(٤) : هو الحنطة والخبز ، تقول العرب :

(١) صحيفة علي بن أبي طلحة : ٨٣ ت ٢١ ، تفسير غريب القرآن لابن عباس : ٥٤ ت ٢٦ ، تفسير القمي ١ : ٤٨ ، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازي ١ : ١٢٣ ت ٦١٣ ، السيرة النبوية لابن هشام ٢ : ١٨٣ ، تفسير مقاتل بن سليمان ١ : ١١١ ، التفسير الكبير للطبراني ١ : ١٧٧ ، تفسير الكشف والبيان ١ : ٢٠٥ .

(٢) أحيحة بن الجلاح الأوسي ، سيدها في يثرب ، عد من دهاة العرب ، والشعراء الشجعان ، ضاع أكثر شعره على قلته ، ولكنة إصابته الواقع في إخباره عن الأمور يعتقد البعض أن معه تابع من الجن يُعلمه الأخبار ، كان غنياً ذو مالٍ وقلاع ، اتهم بالرِّبا ، تزوج سلمى بنت عمرو التجارية ، ثم طلقها فخلف عليها هشام بن عبدالمنفذ جد النبي الأكرم ﷺ ، توفي حدود : ١٢٠ قبل الهجرة .

له ترجمة في عدة من المصادر ، انظر : الأغاني ١٥ : ٣٧ ، جمهرة أشعار العرب ٢ : ٦٥٧ ت ٢٦ ، معجم الشعراء الجاهليين : ١٠ ومصادره .

(٣) اختلفت المصادر في ضبطه ونسبته بين أحيحة وأبي محجن الثقفي ، انظر : غريب القرآن في شعر العرب : ٥٤ ت ٢٦ ، تفسير جامع البيان للطبري ١ : ٢٤٧ ، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ١ : ١٢٣ ت ٦١٤ ، تفسير الكشف والبيان للثعلبي ١ : ٢٠٥ ، تفسير النكت والعيون ١ : ١٢٨ ، تفسير المحرر الوجيز ١ : ٢٣٧ ، المحتسب ١ : ٨٨ ، الصحاح ٥ : ٢٠٠٥ «قَوْمٌ» ، رسالة الملائكة للمعري ١٦ ، الأشباه والنظائر ٨ : ٧٨ ت ٧٩٢ وغيرها كثيرة .

(٤) بلقبه - الأزهري - أشهر من اسمه : محمد بن أحمد بن طلحة بن نوح بن الأزهر - وإليه النسبة - الهروي ولادة ووفاة ، والشافعي مذهباً .

فَوُؤُوا لَنَا - بالتشديد - أَي: اخبزوا لنا^(١).

وقال قوم: في الحبوب التي تخبز، وهو مأثور^(٢).

وقال مجاهد وعطاء وابن زيد: إنه الخبز^(٣).

وفي قراءة ابن مسعود، وهو قول الربيع بن أنس والكسائي: إنه الثوم، وأبدل من الثاء فاء كما قالوا: جدث وجدف وأثافي وأثائي^(٤).

﴿سمع بهرة وغيرها من جمع كثير، منهم: الحسين بن إدريس، والسامي، ونفطويه، وابن السراج، والبغوي. وعنه أخذ جمع منهم الأزدي الهروي، أبو عبيد الهروي، أحمد بن محمد، خمرويه وكثيرون أسر عند عودته من الحج في فتنة القرمطي عام ٣٧٠ هـ، وأفاد من أسريه كثيراً، له مؤلفات أشهرها وأعرفها تهذيب اللغة وبه خلد وغيرها، توفي بهرة عام ٣٧٠ هـ. انظر: مقدمة تهذيب اللغة ولعل فيها الكفاية، ومصادرها.

(١) معاني القرآن للفراء ١: ٤١، تهذيب اللغة للأزهري ٥: ٥٧٣ «فَوُؤَ»، وأما الجبائي فمؤلفاته مفقودة.

(٢) رُوي ذلك عن جمع من القدماء، انظر: جامع البيان ١: ٢٤٦، تفسير الهواري ١: ١١١، معاني القرآن للزجاج ١: ١٤٣، تفسير ابن زمنين ١: ١٤٥، تفسير الثعلبي ١: ٢٠٥، تفسير بحر العلوم ١: ١٢٣، غريب القرآن لليزيدي: ٧٠ وغيرها.

(٣) القول هذا منسوب في المصادر التالية وغيرها إلى مجاهد بن جبر وصحبه انظر: تفسير مجاهد: ٢٠٤، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازي ١: ١٤٣ ت ٦١٤، تفسير جامع البيان ١: ٢٤٧، معاني القرآن للزجاج ١: ١٤٣، تفسير النكت والعيون ١: ١٢٨، مجاز القرآن لأبي عبيدة ١: ٤١.

وأما ما في بعض النسخ وحروفيات الكتاب من كونه ابن مجاهد فلعله أحمد بن موسى، وتقدم في ١: ١٢٣، أو محمد بن أحمد بن مجاهد فعده في المتكلمين.

انظر سير أعلام النبلاء ١٦: ٣٠٥ ت ٢١٤ ومصادره.

(٤) غريب القرآن في شعر العرب: ٥٥ م ٢٦، معاني القرآن للكسائي: ٧٢، وللغزالي ١: ٤١، وللزجاج ١: ١٤٣، تفسير النكت والعيون ١: ١٢٩، غريب القرآن لليزيدي: ٧٠، تفسير القرآن للسمعاني ١: ٨٦، غريب القرآن العظيم لمكي بن أبي طالب: ١٨، تفسير المحرر الوجيز ١: ٢٣٧.

قال : الفراء : وهذا أشبه بما بعده من ذكر البصل ^(١) .

قال أمية بن أبي الصلت :

فَوْقَ شِيزَى مِثْلَ الْجَوَابِي عَلَيْهَا قِطْعَ كَالْوَذِيلِ فِي نَفِي قُومٍ ^(٢) [٢٧٧]
وقال أيضاً :

كَانَتْ مَنَازِلُهُمْ إِذْ ذَاكَ ظَاهِرَةً فِيهَا الْفَرَادِيسُ وَالْقُومَانُ وَالْبَصْلُ ^(٣) [٢٧٨]
قال الزّجاج : وهذا بعيد ؛ لأنه لا يعرف الثوم بمعنى القوم ؛ لأن القوم لا يجوز أن يطلبوا الثوم ولا يطلبون الخبز الذي هو الأصل . وأيضاً فلا خلاف أنّ القوم : هو الطعام ، وإن كان كلّ حبّ يخبز منه يقال له : قوم ^(٤) .

هذا ، وقد تعرّضت كتب اللغة للمعنى والإبدال ، انظر «قَوْمٌ» في : الغريبين للهرودي ٥ : ١٤٨٢ ، معجم مقاييس اللغة ٤ : ٤٦٢ ، مفردات ألفاظ القرآن : ٦٥٠ ، المحكم والمحيط الأعظم ١٠ : ٥٤٦ ، لسان العرب ١٢ : ٤٦٠ ، وغيرها .
(١) معاني القرآن له ١ : ٤١ .

(٢) ذكر البيت هذا تارة مفرداً كما في : أمية بن أبي الصلت حياته وشعره : ٢٩٤ ت ١٢٣ ، والديوان جمع الجبيلي : ١٣٣ ت ١٤٨ ، سيرة ابن هشام ٢ : ١٨٣ .
وأخرى مع سابقني له كما في الديوان بشرح الكاتب : ٧٨ .
والشيزى : أواني كبيرة تصنع من خشب أسود ، تُسمّى الشيز ولعلّه شجر الجوز ، وقد يطلق عليها الجفان . الجوابي : مفردة الجابية ، حياض تعدّ لجمع المياه .
الوذيل : سبيكة الفضة .

(٣) بيت شعر مفرد ، استشهد به ابن عباس في غريب القرآن في شعر العرب : ٥٥ ت ٢٦ ، وانظر أمية بن أبي الصلت حياته وشعره : ٢٤٩ ت ٨٠ ، الديوان جمع الجبيلي : ٩٨ ت ١٠١ ، وجمع الكاتب : ٦١ باختلاف لا يضّر .
الفرايس - مفردة فردوس - : البساتين والكروم المفروشة .

الشاهد : استعمال «القومان» وإرادة «الثومان» على قاعدة الإبدال للثاء فاءً .

(٤) معاني القرآن للزجاج ١ : ١٤٣ .

وقوله: «أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ» :

قل فيه قولان :

أحدهما: الذي هو (أردى)^(١) الطعامين بدلاً من أجودهما .

والثاني: الذي تبدلون في زراعته وصناعته بما أعطاكم الله عفواً من المن والسلوى^(٢) .

وقرأ بعضهم: «أَذْنًا» مهموزاً^(٣) .

وقال بعض المفسرين: لولا الرواية لكان هو الوجه؛ لأنه من قولك:

رجل دنئ من الدناءة، وما كنت دنيئاً، ولكنك دنيئٌ، أي: خسست .

وإذا قرئ بلا همز فمعناه: القرب^(٤)، وليس هذا موضعه، ولكنه

موضع الخساسة، ولو كان ما سألوه أقرب إليهم لما سألوه ولا التمسوه .

ويجوز أن يجعل أدنى وأقرب بمعنى: أدون، كما تقول: هذا شيء

مقارب، أي: دون .

وحكى الأزهري عن أبي زيد: الداني - بلا همز - : الخسيس .

(١) من «خ» وفي البواقي: أدنى .

(٢) أشير إليهما في: تفسير بحر العلوم ١: ١٢٣، تفسير كتاب الله العزيز للهواري ١:

١١١، تفسير الوسيط ١: ١٤٦، تفسير القرآن للسمعاني ١: ٨٦، الكشف والبيان

١: ٢٠٥، تفسير المحرر الوجيز ١: ٢٣٨، وغيرها .

(٣) مختصر شواذ ابن خالويه: ١٤، المحتسب ١: ٨٨، شواذ القراءات الكرمانية:

٦٤، معاني القرآن للقراء ١: ٤٢، تفسير الكشف والبيان ١: ٢٠٥ .

هذا، وقد نسبت إلى زهير الفرقبي الكسائي، عد من القراء النحويين، كان

معاصراً لعاصم، له في القراءة اختيار يروى عنه .

انظر: طبقات القراء للجزري ١: ٢٩٥ ت ١٣٠١ .

(٤) أشير إلى القراءة في بعض مصادر الهامش السابق، ويضاف: معاني القرآن للزجاج

١: ١٤٣، تفسير الوسيط ١: ١٤٦، العين ٨: ٧٥، تهذيب اللغة ١٤: ١٨٧،

لسان العرب ١٤: ٢٧١ بتفصيل قد يغني عن غيره .

والدنيئ - بالهمز - : الماجن^(١) .

وقوله : ﴿أَهْبِطُوا مِصْرًا﴾ تقديره : فدعى موسى فاستجبنا له ، فقلنا لهم : اهبطوا مصرًا . وقد تمّ الكلام ؛ لأن الله أجابهم بقوله : ﴿فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ﴾ . ثم استأنف حكم الذين اعتدوا في السبت ومن قتل الأنبياء فقال : ﴿وَضَرَبْتَ عَلَيْهِمُ الدَّلَّةَ وَالْمَسْكَنَةَ﴾ .

ونون جميع القراء : ﴿مِصْرًا﴾ ، وقرأ بعضهم بغير تنوين ، وفي قراءة ابن مسعود بغير ألف^(٢) .

وقال قتادة والسدي ومجاهد وابن زيد : إنه أراد مصرًا من غير تعيين ؛ لأن ما سألوه من البقل والقثاء لا يكون إلا في الأمصار .

وقال الحسن وأبو العالية والربيع : إنه أراد مصر فرعون الذي خرجوا منه^(٣) .

وقال أبو مسلم محمد بن بحر : أراد بيت المقدس ؛ لقوله : ﴿أَدْخُلُوا

(١) يظهر أنّ وضعية الهمزة تابع للمراد من استعمال الكلمة في المكان والزمان أو المنزل ، وتتبعه يطول فالإحالة خير ، انظر «دُتَا» في : العين ٨ : ٧٥ ، تهذيب اللغة ١٤ : ١٨٧ ، المحيط في اللغة ٩ : ٣٦١ ، المحكم والمحيط الأعظم ٩ : ٣٧٨ ، مفردات ألفاظ القرآن : ٣١٨ ، مجمل اللغة ٣٣٦ ، جمهرة اللغة ٢ : ١٠٩٦ ، الهمز : ٥٨ وغيرها كثير .

(٢) أشارت إلى القراءة من الكتب المختصة : مختصر شواذ ابن خالويه : ١٤ ، المصاحف للسجستاني : ٦٨ ، شواذ القراءات للكرمانيّ : ١٤ ، إعراب القراءات الشواذ ١ : ١٦٨ - ١٦٩ ، معاني القرآن : للفراء ١ : ٤٣ ، وللزجاج ١ : ١٤٤ وغيرها .

(٣) من جملة مصادرها : تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازي ١ : ١٢٤ ت ٦١٨ و ٦١٩ ، تفسير النكت والعيون ١ : ١٢٩ ، تفسير القرآن للسمعاني ١ : ٨٦ ، تفسير بحر العلوم ١ : ١٢٣ ، وتفسير جامع البيان ١ : ٢٤٨ .

الْأَرْضَ الْمَقْدَسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ^(١) وَرُوي ذلك عن ابن زيد^(٢).

وأما اشتقاق مصر، فقال بعضهم: هو من القطع؛ لانقطاعه بالعمارة.

ومنهم من قال: هو مشتق من الفضل بينه وبين غيره^(٣). قال عدي

ابن زيد:

[٤٤] وجاعل الشمس مِصراً لا خفاء به بَيْنَ النَّهَارِ وَبَيْنَ اللَّيْلِ قَدْ فَصَّلَا

ومن نَوْنٍ أراد مِصراً من الأمصار غير معيّن. ويجوز أيضاً أن يريد

مِصراً بعينه الذي خرجوا منه، وإثما نَوْنٌ اتّباعاً للمصحف؛ لأنّ في

المصحف ألف، كما قرأ «قوارير»: ﴿قَوَارِيرًا﴾^(٤) منوّناً اتّباعاً لخطّ

المصحف.

ومن لم ينوّن أراد مصر بعينها لا غير^(٥).

وكلّ ذلك محتمل.

وقوله: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ﴾ استئناف كلام بما فعل

(١) سورة المائدة ٥ : ٢١.

(٢) عنه الطبري في تفسيره جامع البيان ١ : ٢٤٨. وأما أبو مسلم فكتبه مفقودة.

(٣) «مِصْر» ذكرت في أغلب مصادر اللّغة منها: العين ٧ : ١٢٢، جمهرة اللّغة ٧٤٤،

مفردات ألفاظ القرآن الكريم: ٧٦٩، تهذيب اللّغة ١٢ : ١٨٢، المحيط في اللّغة ٨ :

١٤٢، المحكم والمحيط الأعظم ٨ : ٣٢٣، مجمل اللّغة ٢ : ٨٣٣، معجم مقاييس

اللّغة ٥ : ٣٢٩، المخصّص ٦ : ٢٢٧.

(٤) سورة الإنسان ٧٦ : ١٥.

(٥) إضافة لبعض مصادر الهامش الأسبق، انظر: معاني القرآن للفراء ١ : ٤٣، معاني

القرآن للزجاج ١ : ١٤٤، مشكل إعراب القرآن للقيسي ١ : ٥٠ ت ١٠٩، البيان في

غريب إعراب القرآن ١ : ٨٧، التبيان في إعراب القرآن ١ : ٦٩، وغيرها.

الله بهم ؛ يعني بالذين اعتدوا في السبت وقتلوا الأنبياء .

ومعنى ﴿ضُرِبَتْ﴾ أي : فرضت ووضعت عليهم الدَّلة والزموها ، من قول القائل : ضَرَبَ الإمامَ الجزيةَ على أهلِ الدَّمةِ ، وضرب فلان على عبده الخراج ، وضرب الأمير على الجيش البعث ، يريد بجميع ذلك : ألزم ذلك ، وبه قال الحسن وقتادة .

وقيل : معنى ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمْ﴾ أي : حلَّوا بمنزلة الدَّلِّ والمسكنة ، مأخوذ من ضَرَبَ القباب^(١) ، قال الفرزدق في جرير :

ضَرِبَتْ عَلَيْكَ الْعَنْكَبُوتُ بِنَسْجِهَا وَقَضَى عَلَيْكَ بِهِ الْكِتَابُ الْمُنَزَّلُ^(٢) [٢٧٩]

وأما ﴿أَلَدَّةٌ﴾ : فقال الحسن وقتادة وغيره : إنه الجزية والصَّغار^(٣) .

(١) انظر : تفسير الحسن البصري ١ : ٩٧ ت ١١٣ ، تفسير الصنعاني ١ : ٢٧٣ ت ٦٢ ، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازي ١ : ١٢٥ ، ت ٦٢٣ ، تفسير جامع البيان ١ : ٢٤٩ ، تفسير النكت والعيون ١ : ١٢٩ ، التفسير المنسوب للإمام العسكري ٢٦٣ ، تفسير البحر المحيط ١ : ٢٣٩ ، وانظر : تفسير الكشاف ١ : ٢٨٥ ، تفسير القرطبي ١ : ٤٣٠ .

(٢) من قصيدة للفرزدق يهجو جريراً ، وفي البيت يمثل حاله - في الدَّلة والوهن وأنهما مضروبتان عليه ملازمتان - بيت العنكبوت الموصوف في الذكر الحكيم ، سورة العنكبوت ، ٢٩ : ٤١ .

انظر : ديوان الفرزدق ٢ : ١٥٥ ، ديوان النقائض ١ : ١٦٣ ب ٧ ق ٣٧ .

(٣) نقلت الأقوال في : تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازي ١ : ١٢٥ ت ٦٢٣ ، تفسير النكت والعيون ١ : ١٢٩ ، تفسير المحرر الوجيز ١ : ٢٤٠ ، تفسير الصنعاني ١ : ٢٧٣ ت ٦٢ ، تفسير الحسن البصري ٢ : ٥٤ ، تفسير السمرقندي بحر العلوم ١ : ١٢٥ منسوبة إليهما ؛ وفي تفسير ابن زمين ١ : ١٤٥ ، تفسير مقاتل ١ : ١١١ ، تفسير الوسيط ١ : ١١٠ غير منسوبة ، وانظر : التفسير المنسوب للإمام العسكري : ٣٦٣ ، تفسير جامع البيان ١ : ٢٥٠ .

مشتق من قولهم: ذَلَّ فلان يَذِلُّ ذُلًّا وَذِلَّةً^(١).

وأما ﴿وَالْمَسْكَنَةُ﴾: فهي مصدر المسكين، يقال: ما فيهم أَسْكَنُ مِنْ فلان، وما كان مسكيناً، ولكن تَمَسَكَنَ تَمَسْكُنًا، ومنهم من يقول: تَسَكَّنَ تَسْكَنًا^(٢).

والمَسْكَنَةُ: هاهنا مَسْكَنَةُ الفاقة والحاجة، وهي خُشوعها وذُلُّها، تقول: ما في بني فلان أَسْكَنُ من فلان، أي: أفقر منه، وهو قول أبو العالية والسُّدِّي. وقال ابن زيد: المعنى بذلك يهود بني إسرائيل^(٣).

أبدلهم الله تعالى بالعزَّ ذُلًّا، وبالنَّعمة بُؤْسًا، وبالرضا عنهم غضباً^(٤)؛ جزاءً منه بما كفروا بآياته، وقتلهم أنبياءه ورسله اعتداءً وظلماً.

وقوله: ﴿وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ﴾ أي: انصرفوا ورجعوا، ولا يقال: بَاءُوا إِلَّا موصولاً: إمَّا بخير وإمَّا بشرٍّ، وأكثر ما يستعمل في الشرِّ، كذا قال الكسائي^(٥). ويقال منه: بَاءَ بذَنْبِهِ يَبُوءُ به بَوْءًا، ومنه قوله تعالى: ﴿أُرِيدُ

(١) «ذَلَّل» لغة تجدها في: العين ٨: ١٧٦، جمهرة اللُّغة ١: ١١٨، المحيط في اللُّغة ١٠: ٥٧، المحكم والمحيط الأعظم ١٠: ٤٨.

(٢) «سَكَنَ» لغة تجدها في: العين ٥: ٣١٢، تهذيب اللُّغة ١٠: ٦٤، محيط اللُّغة ٦: ١٨٧، المحكم والمحيط الأعظم ٦: ٧١٨، الصحاح ٥: ١٢٣٦، لسان العرب ١٣: ٢١٠، تاج العروس ١٨: ٢٨٤، مجاز القرآن ١: ٤٢.

(٣) أُشير إلى الأقوال في أغلب التفاسير، منها: تفسير الصنعاني ١: ٢٧٣، ت ٦٢، جامع البيان ١: ٢٥٠، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازي ١: ١٢٥، ت ٦٢٣، تفسير النكت والعيون ١: ١٢٩، تفسير الوسيط ١: ١٤٧، تفسير المحرر الوجيز ١: ٢٤٠، وغيرها.

(٤) في «خ»: سخطاً. ولعلَّ له وجه.

(٥) صرَّح الماوردي في تفسيره النكت والعيون ١: ١٣٠ بنسبة ذلك إلى الكسائي، وكذا الواحدي في تفسيره الوسيط ١: ١٤٧. وأما أغلب التفاسير فقد ذكرت ذلك

أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ^(١) يعني ترجع بهما قد صارا عليك دوني .

فمعنى الكلام : ارجعوا منصرفين متحملين غضب الله ، قد صار عليهم من الله غضب ووجب عليهم منه سخط .

وقال المبرّد : أصل ذلك المنزلة ، أي : نزلوا منزلة غضب الله .

وروي : إن رجلاً جاء برجل إلى النبي ﷺ ، فقال : هذا قاتل أخي ،
(وإنه بواء به)^(٢) ، أي : مقتول به .

ومنه قول ليلي الأخيلية^(٣) :

فَإِنْ تَكُنِ الْقَتْلَى بَوَاءً فَإِنَّكُمْ فَتَى مَا قَتَلْتُمْ آلَ عَوْفِ بْنِ عَامِرٍ^(٤) [٢٨٠]

وقال الزجاج : أصل ذلك التسوية . ومعنى ذلك أنهم تساوا بغضب

عند تفسير الآية بدون نسبة ، وانظر : تفسير الكشف والبيان ١ : ٢٠٦ ، تفسير البحر المحيط ١ : ٢٢٠ .

(١) سورة المائدة ٥ : ٩٥ .

(٢) كذا في النسخ ، فهو من قول الراوي ، وأمّا في المصدر الوحيد التكت والعيون ١ : ١٣٠ : فهو بواء به ، يظهر أنه حكم النبي ﷺ .

(٣) ليلي بنت عبد الله بن الرّحال ، شاعرة إسلامية من المتقدمات لم يتقدمها غير الخنساء شهرت بحبّ توبة بن الحمير إياها حتّى قتل بسببها ، لها مع أمراء وحكام زمانها أخبار مذكورة ، رث عثمان بعد مقتله ، بقيت حتّى عهد الحاكم الأموي عبد الملك بن مروان وماتت في عهده عام ٨٠ هـ .

لترجمتها انظر : الشعر والشعراء ١ : ٤٤٨ ت ٧٩ ، أشعار النساء : ٢٥ ، الأغاني

١١ : ٢٠٤ ، تاريخ الإسلام (حوادث ٦١ - ٨٠) : ٥١٨ ت ٢٤٢ ، مصارع العشاق ١ : ٢٨٣ ، وغيرها كثيرة .

(٤) من قصيدة ترثي بها توبة بن الحمير .

المعنى : لما كان بناء القصاص في الإسلام على نفي المعادلة والتقدير ، واعتبار الكلّ على التساوي في الدماء ، إذن لا قصاص ولا ثأر لقتيلي ؛ لما له من المقام والشرف إذ لا يعادله ولا يساويه أحد .

انظر : الديوان : ٥٠ قصيدة ٢٠ : بيت ١٤ .

من الله ^(١).

ومنه ما روي عن عبادة بن الصامت ^(٢)، قال: جعل الله تعالى الأنفال إلى نبيه، فقسّمها بينهم على بواء ^(٣)، أي: على سواء بينهم في القسم.
ومنه قول الشاعر:

فَيَقْتُلْ جَبْرًا بِأَمْرِئٍ لَمْ يَكُنْ لَهُ بَوَاءٌ، وَلَكِنْ لَا تَكَايِلَ بِالْدِّمِ ^(٤) [٢٨١]

(١) المتوقّر من كتبه (المعاني، فعلت، شرح الأسماء) خالية منه، وقد نسبته إليه الماوردي في النكت والعيون ١: ١٣٠.

(٢) أبو الوليد عبادة بن الصامت بن قيس بن الخزرج الأنصاري، صحابي جليل القدر، أحد النقباء العقيبين البدرين، شهد المشاهد مع النبي الأكرم، سكن بيت المقدس، وكان يعلم القرآن في الشام، لم يتمكّن معاوية من استمالاته؛ لشدّته في ذات الله، شكاه إلى عمر فنهاه عنه. حدّث عن: أبي أمامة الباهلي، أنس بن مالك، أبي مسلم الخولاني وآخرين، عدّ ممّن مضى على منهاج نبيهم ولم يغيّروا في موالاتهم لأهل البيت. توفّي عام ٣٤هـ.

انظر: تنقيح المقال ٢: ١٢٥ ت ٦١٩٢، طبقات ابن سعد ٣: ٥٤٦، أسد الغابة ٣: ٥٦ ت ١٧٨٩، سير أعلام النبلاء ٢: ٥ ت ١ ومصادره.

(٣) روى ذلك عن عبادة: المفسرون عند تفسير سورة الأنفال، منهم للمثال: الطبري في جامعه ٩: ١١٦، الثعلبي في تفسير الكشف والبيان ٤: ٣٢٥، ابن العربي في أحكام القرآن ٢: ٨٣٧. وكذا المحدّثون منهم للمثال: أحمد في مسنده ٥: ٣٢٢، الحاكم في المستدرک ٢: ١٢٦ و ٣٢٦، والبيهقي في السنن الكبرى ٦: ٢٩٢ و ٣١٥، ٩: ٥٧. وكذا المؤرخون عند حوادث معركة بدر منهم للمثال ابن هشام في السيرة ٢: ٢٩٥، ابن عبد البر في الدرر: ٧٢، والذهبي في تاريخ الإسلام (المغازي): ٦٤ وانظر: الاستذكار لابن عبد البر ١٤: ١٥١ ت ١٩٧٩٦ وغيرها.

(٤) بيت من مقطوعة لبنت بهدل بن قرفة الطائي، أحد اللصوص المشهورين أيام حكومة عبد الملك بن مروان، رائية قتلها - أباه - ومحزّنة قومها على الثأر له.
جبر: هو ابن عبيد، السبب في قتل بهدل، فما في بعض النسخ والطبعات عوضه: خير، لا يمكن المساعدة عليه.

والأصل الرجوع ، على ما ذكرناه .

وقال قوم : هو الاعتراف ، ومعناه أنهم اعترفوا بما يوجب عليهم غضب الله ^(١) ، ومنه قول الشاعر :

إِنِّي أَبُوءُ بِعَثْرَتِي وَخَطِيئَتِي رَبِّي وَهَلْ إِلَّا إِلَيْكَ الْمَهْرَبُ ^(٢) [٢٨٢]
وَأَمَّا «الْعَصْبُ» ، فقال قوم : ما حلّ بهم من البلاء والنقمة في دار الدنيا بدلاً من الرِّخاء والنِّعمة .

وقال آخرون : هو ما ينالهم في الآخرة من العقاب على معاصيهم .
وقوله : ﴿ ذَلِكْ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ﴾ إشارة إلى ما تقدّم ذكره من ضَرْب الدَّلَّة والمسكنة ، وإحلال غضبه بهم ؛ لأنه يشتمل على

﴿ بواء : المعادلة في الكفاءة والمنزلة للقصاص ، ومنه : «الجراحات بواء» .

لا تكايل : لا تقدير ولا معادلة في الدّم للقصاص ؛ لمنع الإسلام منه .

المعنى : تتساءل الشاعرة بتهكم واستنكار قائلة : أما يوجد في قيس شجاع يثار من قاتل أبي - جبراً - وإن لم يكن هو كفتاً لأبي ، لو كان هناك تكايل بالدّم ؛ لتحريم الإسلام ذلك . فلا يقتل بدل الواحد إلا واحد شريفاً كان أم وضيعاً .

انظر : الحماسة لأبي تمام : ٦٧ ت ٥٠ ، شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ١ :

٢١٣ ت ٤٩ ، شرح التبريزي للحماسة ١ : ١١٥ ، الأغاني ٢١ : ٢٤٥ .

(١) ما ذكر من معاني لـ : «بؤء» تجده في المصادر : العين ٨ : ٤١١ ، جمهرة اللّغة ١ :

٢٢٩ ، تهذيب اللّغة ١٥ : ٥٩٤ ، محيط اللّغة ١٠ : ٤٤٣ ، الصحاح ١ : ٣٧ ،

المحكم والمحيط الأعظم ١٠ : ٥٦٠ ، المخصص ٧ : ٣٣١ ، مجمل اللّغة ١ :

١٣٨ ، مفردات ألفاظ القرآن : ١٥٨ ، الغريبين للهروي ١ : ٢١٨ ، تاج العروس ١ :

١١٦ مجمع البحرين ١ : ٢٠٠ ، وانظر : الفايق للزمخشري ١ : ١٣٣ ، النهاية في

غريب الحديث ١ : ١٦٠ ، غريب الحديث لابن الجوزي ١ : ٨٩ وغيرها .

(٢) البيت (١٤) من قصيدة حكيمية على شكل وصية للإمام أمير المؤمنين عليه السلام أوصى

بها ولده الإمام الحسن عليه السلام .

انظر : أنوار العقول ١٠٨ ت ٢٨ ، تاريخ دمشق ٤٢ : ٥٢٦ - ٥٢٧ .

جميع ذلك .

ومعنى ﴿يَأْتُهُمْ﴾ أي : لأجل أنهم كانوا يكفرون بآيات الله ، فعلنا بهم ما فعلناه من أنواع العذاب .

وقوله : ﴿يَقْتُلُونَ النَّبِينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ لا يدلّ على أنّه قد يصحّ أن يقتلوهم بحق ؛ لأنّ هذا خرج مخرج الصّفة لقتلهم ، وأنّه لا يكون إلّا ظلماً بغير حقّ ، كما قال : ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ﴾^(١) (ومعناه : إنّ ذلك لا يمكن أن يكون عليه برهان)^(٢) ، وكما قال : ﴿رَبِّ أَحْكُم بِالْحَقِّ﴾^(٣) ، (وإن كان لا يحكم إلّا بالحقّ)^(٤) وكما قال الشاعر :

[١٨٦] على لاجِبٍ لا يُهْتَدَى بِمَنَارِهِ

ومعناه : ليس هناك منارٌ يهتدى به ، ومثله كثير .

وقوله : ﴿ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا﴾ : إشارة إلى ما أنزل الله من الذلّة والمسكنة بما عصوا في قتلهم الأنبياء ، وعذوهم في السبت ، وغير ذلك .
وقيل : معناه بنقض العهد ، وكانوا يعتدون في قتل الأنبياء ؛ أنّه روي :
أنّهم كانوا إذا قتلوا النبيّ في أوّل النهار قامت سوق بقتلهم في آخره^(٥) .

(١) سورة المؤمنون ٢٣ : ١١٧ .

(٢) الجملة المنصّصة زيادة من النسخة «خ» .

(٣) سورة الأنبياء ٢١ : ١١٢ .

(٤) الجملة المنصّصة زيادة من النسخة «خ» .

(٥) المصادر الناقلة والحاكية لهذا الموضوع مختلفة في ضبط كلمتي : «قامت ، بقتلهم» بينهما وبين : «يقيمون ، نقوم . بقتلهم» والجملة دالّة على عدم مبالاتهم لما يصدر منهم ، وعدم سلوكهم طريق الهدى والرشد ، ومخالفتهم للأنبياء والرسول . للإحاطة
لهم

وإنما خلّى الله بين الكافر وقتل الأنبياء؛ لينالوا من رفيع المنازل ما لم ينالوه بغيره، وليس ذلك بخذلان لهم، كما فعل بالمؤمن من أهل طاعته.

وقال الحسن: إن الله تعالى ما أمر نبيّاً بالحرب إلا نصره فلم يُقتل، وإنما خلّى بين الكفار وبين قتل من لم يؤمر بالقتال من الأنبياء^(١).

والذي نقوله: إن النبي إن كان لم يؤدّ الشرع لا يجوز أن يُمكن الله من قتله؛ لأنه لو مكّن فقتل أدى إلى أن تُزاح علل المكلفين فيما لهم من الألطاف والمصالح، فإذا أدّوا الشرع، جاز حينئذٍ أن يُخلّى بينهم وبين من قتلهم، ولا يجب المنع منه^(٢).

وروى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: (اختلفت بنو إسرائيل بعد موسى بخمسمائة سنة، حتى كثر منهم أولاد السبايا، واختلفوا بعد عيسى

أنظر: الكافي ٨: ١١٣ قطعة من الحديث ٩٢ حول آدم عليه السلام مع الشجرة، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازي ١: ١٢٦ ت ٦٣٢، التفسير الكبير للطبراني ١: ١٧٨.

(١) أشير في التفاسير التالية وغيرها إلى هذا، ونسب في البعض لابن عباس، أنظر: تفسير النكت والعيون ١: ١٣٠، تفسير المحرر الوجيز ١: ٢٤٢، تفسير الجامع لأحكام القرآن ١: ٤٣٢، تفسير البحر المحيط ١: ٢٣٧، وغيرها.

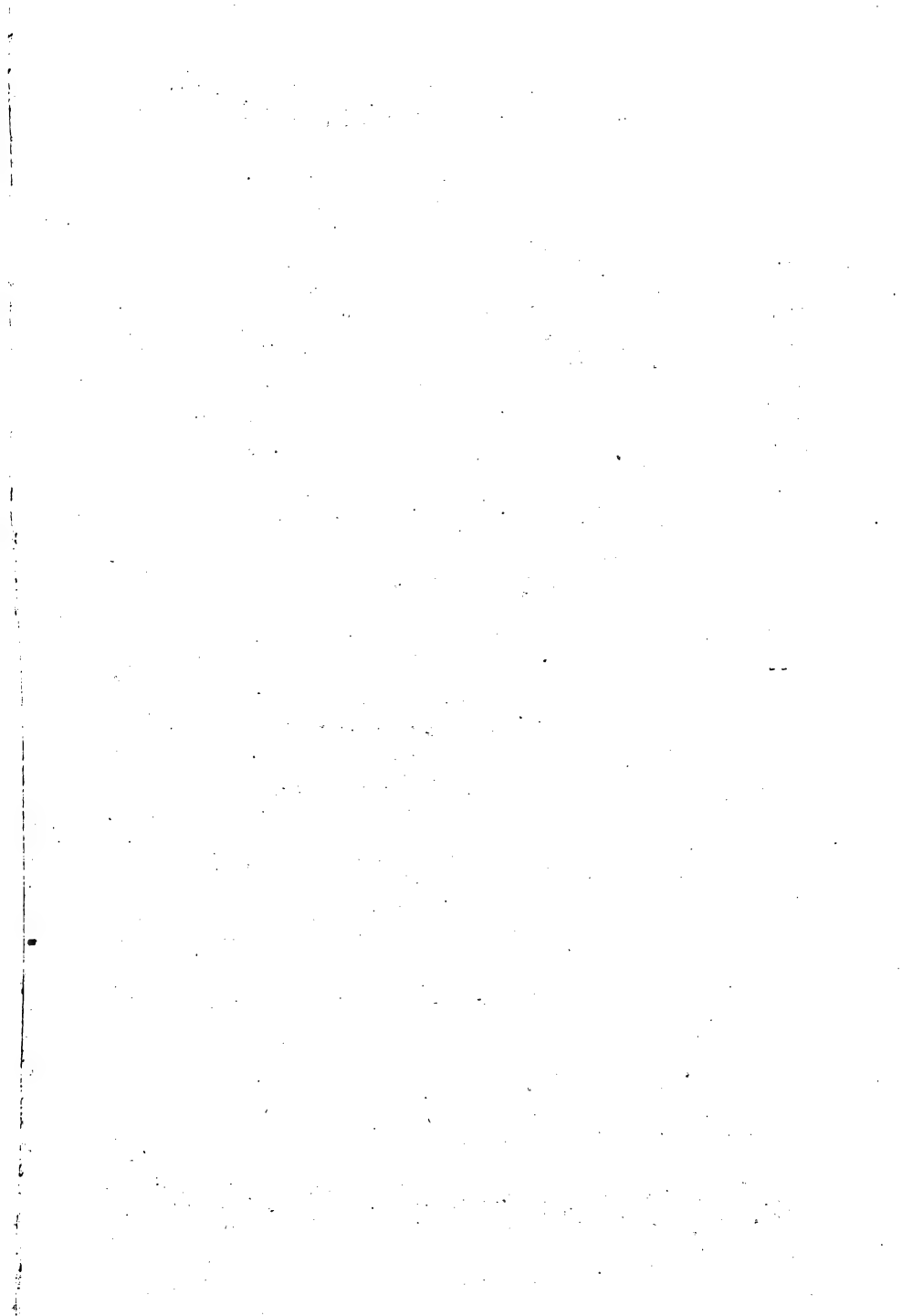
(٢) تعرّض علمائنا لهذه المسألة غالباً عند بحث الغيبة وعللها، انظر للمثال: أوائل المقالات (ضمن مصنفات الشيخ المفيد) ٤: ١١٥ - ١١٦ - ١٤٩، الغيبة للشيخ الطوسي: ٨٩ - ٩٠، المقنع في الإمامة: ٦٣، رسائل الشريف المرتضى ١: ٣٢٠ و ٢: ٢٩٥، مسائل المرتضى: ٢٣٧ وغيرها. وانظر من التفاسير عند تفسير الآية ١٤٦ من سورة آل عمران منها: الكشف والبيان ٣: ١٨١، تفسير المحرر الوجيز ٣: ٢٥٤، تفسير النكت والعيون ١: ١٣٠، تفسير الجامع لأحكام القرآن ١: ٤٣٢، مفاتيح الغيب ٩: ٢٦، تفسير معالم التنزيل ١: ٥٦٢، وانظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل ٢: ١٦١، وغيرها كثير.

بمائتي سنة^(١).

والاعتداء : تجاوز الحد الذي حدّه الله لعباده إلى غيره ، وكلُّ متجاوزٍ حدٍّ شيءٍ إلى غيره فقد تعداه إلى ما تجاوز إليه^(٢) .
فمعنى الكلام : فعلت بهم ما فعلت من ذلك بما عصوا أمري ،
وتجاوزوا حدّي إلى ما نهيتهم عنه .

(١) على قلة المصادر الناقلة له فهي مختلفة فيه ، أنظر : الفردوس بمأثور الخطاب ١ : ٤٠٦ ، البحر المحيط ١ : ٢٣٧ ، أصول السرخسي ٢ : ١٠٢ .
(٢) أشارت إلى هذا المعنى جملة من اللغويات ، منها : تهذيب اللغة ٣ : ١٠٨ ، مفردات ألفاظ القرآن : ٥٥٣ ، الصحاح ٦ : ٢٤٢٠ ، لسان العرب ١٥ : ٣١ ، تاج العروس ١٩ : ٦٥٨ ، «عدا» فيها وفي غيرها .

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِغِينَ
 مَنِ ءَامَنَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ
 عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذْ
 أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا ءَاتَيْنَاكُمْ
 بِقُوَّةٍ وَآذِكُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِمَّنْ
 بَعْدَ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ
 الْخَاسِرِينَ ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ
 فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿١٥﴾ فَعَلَّانَهَا نَكَالًا لِّمَا
 بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذْ قَالَ
 مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَنُخِذْنَا
 هٰذَا قَالَ أَعُوذُ بِاللّٰهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿١٧﴾ قَالُوا
 ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ
 وَلَا يَكْرُ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمُرُونَ ﴿١٨﴾
 قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْثُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ
 إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ﴿١٩﴾



قوله تعالى :

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ
بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ
عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ آية (٦٢) آية واحدة .

قرأ نافع بترك الهمز من الصابئين (في جميع القرآن)^(١)، وجميع
القراء الباقون يهزمون^(٢) .

أما ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فهم المصدِّقون برسول الله ﷺ فيما آتاهم به من
الحق من عند الله .

وأما ﴿وَالَّذِينَ هَادُوا﴾ فهم اليهود .

ومعنى ﴿هَادُوا﴾ : تابوا ، يقال : هادَ القومُ يهودون هُوداً ، وهيادةٌ .

وقال ابن جريج : إنما سُميت اليهودُ يهوداً ؛ لقولهم : ﴿إِنَّا هُدْنَا

إِلَيْكَ﴾^(٣) . قال أعرابيٌّ يؤخذ بقوله على ما قال أبو عبيدة :

(١) زيادة من النسخة «خ» ، تساعد عليها مصادر القراءة الآتية وبعض المصادر
الأخرى ، ومنها : مجمع البيان عند الآية . على أنَّ الكلمة - الصابئين - وردت في
القرآن المجيد ثلاث مرات ، هي : هنا ، وفي سورة المائدة : ٦٩ ، وسورة الحج :
١٧ فقط .

(٢) القراءة ذكرت في : السبعة في القراءات : ١٥٨ ، حجة القراءات : ١٠٠ ، معاني
القراءات للأزهري : ٥٢ ، الحجة للقراء السبعة : ٩٤ ، غاية الاختصار ٢ : ٤١٠ ،
الموضح ١ : ٢٨٠ ت ٢٤ ، جامع البيان للداني ٢ : ٤٥ ، وغيرها .

(٣) سورة الأعراف ٧ : ١٥٦ .

[٢٨٣] فَإِنِّي مِنْ مَدْحِهِ هَائِدٌ^(١)

أي: تائب.

وقيل: إِنَّمَا سُمِّوا يَهُوداً؛ لأنَّهم تُسَبَّحُوا إلى يَهُودَا أَكْبَر ولد يعقوب،
فَعَرَّبَتِ الذَّال دالاً.

وقال زهير في معنى الرجوع:

سِوَى رُجْعٍ لَمْ يَأْتِ فِيهِ مَخَافَةٌ وَلَا رَهَقاً مِنْ عَائِدٍ مُتَهَوِّدٍ^(٢) [٢٨٤]

أي: تائب، فسميت اليهود يهوداً؛ لتوبتهم من عبادة العجل.

وأصل الهُود: الطُّمأنينة، ويُخبر به عن لين السَّير، ومنه الهَوادة: وهي
السكون، قال الحسين بن علي المغربي: أنشدني أبو رعاية السَّلَمي^(٣)،
وهو من أفصح بدوي أطاف بنا، وأغزرهم رواية:

صَبَاغَتْهَا مِنْ مِهْمَةٍ الْحَيِّ بِالضُّحَى جِيَادُ الْمَدَارِي حَالِكُ اللَّوْنِ أَسْوَدَا [٢٨٥]

(١) من الأعرابيات المجهولة القائل والتكملة، وقد اختلف في كلمة «مدحه» بينها
و«مدحتي» و«حُبّه» ولا ضير فيه.

الشاهد فيه: كُلُّ من ذكره تمسك به على أَنَّ «هائد» بمعنى: تائب.

انظر: ديوان الأدب ٣: ٣٩٢، الصحاح ٢: ٥٥٧، لسان العرب ٣: ٤٣٩، تاج
العروس ٢: ٥٤٨، الحور العين: ٣١٣، ومن كتب التفسير: تفسير الكشف والبيان
١: ٢٠٨، تفسير المحرر الوجيز ١: ٢٤٤، تفسير الجامع لأحكام القرآن ١: ٤٣٣،
تفسير الدر المصون ١: ٢٤٧ ت ٥١٦، وغيرها.

(٢) البيت للشاعر زهير بن أبي سلمى - وتقدم - من قصيدة ذكرت في الديوان: ١٩٠،
ب ٤٠، ق ١٩، صنعة الأعلم، يمدح فيها هرم بن حارثة المُرِّي.

المعنى: الرهق: الظلم والغصب، العائد: من يعود به ويثق به الملتجئ.
المتهود: المظمتن، الساكن، الواثق بالشيء.

يصف هرم بأنه لم يُكثِر ماله من ظلم غيره، أو من خيانة، أو غدر أو بخل،
وإنما كان قنع من الغنيمة بالربع لا غير.

(٣) أبو رعاية السلمي: لم تسعفنا المصادر بشيء عنه.

إِذَا نَفَضْتُهُ مَالَ طَوْرًا بِجِدِّهَا وَتَمْنَالُهُ طَوْرًا بِأَغْيَدِ أَفْودَا
 كَمَا مَالَ قِنُوا مُطْعِمٍ هَجَرِيَّةٍ إِذَا حَرَكْتَ رِيحَ ذُرَى النَّخْلِ هَوْدَا^(١)
 الْمُطْعِمُ: النَّخْلَةُ، شَبَّهَ شَعْرَهَا بِأَقْنَاءِ الْبُسْرِ. هَوْدٌ: تَحْرُكُ حَرَكَةً لَيِّنَةً.
 قَالَ زَهِيرٌ:

ولارهقا من عايد متهود

[٢٨٤]

وليس اسم يهود مشتقاً من هذا^(٢).

وَالنَّصَارَى: جَمْعُ نَصْرَانٍ، كَقَوْلِهِمْ: سَكْرَانٌ وَسَكَارَى، وَنَشْوَانٌ
 وَنَشَاوَى، هَذَا قَوْلُ سَيَبَوِيهِ^(٣). قَالَ الشَّاعِرُ:

تَرَاهُ إِذَا كَانَ الْعَشِيُّ مُحَنِّفًا يُضْحِي لَدَيْهِ وَهُوَ نَصْرَانٌ شَامِسٌ^(٤) [٢٨٦]

(١) عَلَى كَثْرَةِ مَا تَوَقَّرَ لَدَيْنَا مِنْ مَصَادِرِ الْأَدَبِ وَالْأَدْبَاءِ لَمْ تَتِمَّكَّنْ مِنَ الْحَصُولِ عَلَى مَا
 يَغْنِي عَنِ الشَّاعِرِ وَشَعْرِهِ شَيْئاً.

وَيَبْدُو أَنَّ الشَّاعِرَ يَشَبِّهُ قَامَةً امْرَأَةً بِالنَّخْلَةِ، وَشَعْرَ رَأْسِهَا الْأَصْفَرَ بِأَقْنَاءِ - الشَّمْرَاخِ -
 الْبُسْرِ لَصْفَرْتِهِ أَيْضاً، وَأَنَّهُ كَمَا إِذَا حَرَكْتَ الرِّيحَ النَّخْلَةَ يَمِيلُ الْقِنْتُ مَعَهَا يَمْنَةً
 وَيَسْرَةً، كَذَا شَعْرُ هَذِهِ الْأَصْفَرِ اللَّوْنِ كَأَنَّهُ شَمْرَاخُ الْبُسْرِ يَمِيلُ حَوْلَ جِيدِهَا حَيْثُمَا مَالَ
 رَأْسُهَا.

الْمُطْعِمُ: النَّخْلَةُ. هَوْدٌ: تَحْرُكُ حَرَكَةً لَيِّنَةً يَسِيرَةً. الْفَوْدُ: شَعْرُ الرَّأْسِ مِنَ الْجَانِبَيْنِ
 وَقِيلَ: مَعْظَمُهُ. الْقِنْتُ: الشَّمْرَاخُ الْحَامِلُ لِثَمَرِ النَّخْلَةِ، أَيْ الْبُسْرِ.

(٢) التَّسْمِيَةُ وَاللُّغَةُ أَشَارَتْ إِلَيْهَا الْمَصَادِرُ التَّالِيَةُ: الْعَيْنُ ٤: ٧٦، جَمْهَرَةُ اللَّغَةِ ٢:
 ٦٨٩، تَهْذِيبُ اللَّغَةِ ٦: ٣٨٧، الْمَحِيطُ فِي اللَّغَةِ ٤: ٤٧، الْمَحْكَمُ وَالْمَحِيطُ الْأَعْظَمُ
 ٤: ٤١١، الْغَرِيبِينَ لِلْمُهْرَوِيِّ ٦: ١٩٤٧، الْمَعْرَبُ: ٣٥٧، الزَّاهِرُ فِي مَعَانِي كَلِمَاتِ
 النَّاسِ ٢: ٢٢٥، الْأَشْتِقَاقُ: ٥٤٩.

(٣) الْكِتَابُ ٣: ٢٥٥ وَ ٤١١، وَانْظُرْ: النَّكْتُ فِي شَرْحِ كِتَابِ سَيَبَوِيهِ ٢: ٨٤٣.

(٤) اسْتَشْهَدَ بِهِ جَمْعٌ لِلْمُورِدِ، وَلَمْ يَنْسَبْ لَدَى أَحَدٍ مِنْهُمْ، وَكَذَا نَحْنُ لَمْ نَصِلْ إِلَى
 قَائِلِهِ مَعَ كَثْرَةِ التَّنَبُّعِ، وَمَمَّنْ اسْتَشْهَدَ بِهِ - عَلَى اخْتِلَافٍ فِي رَوَايَتِهِ بَيْنَهُمْ -، مِنْ
 لِلَّهِ

وقد سُمع في الأثنى نصرانة، قال الشاعر:

[١٦١] فكلتاها خَرَّتْ وَأَسْجَدَ رَأْسُهَا كَمَا سَجَدَتْ نَصْرَانَةٌ لَمْ تُحْنَفِ

وقد سُمع في جمعهم^(١). أنصار بمعنى النَّصَارَى^(٢)، قال الشاعر:

[٢٨٧]

لَمَّا رَأَيْتُ نَبَطًا أَنْصَارًا

شَمَّرْتُ عَنْ رُكْبَتَيِ الْإِزَارَا

كُنْتُ لَهُمْ مِنَ النَّصَارَى جَارًا^(٣)

والمشهور أنَّ واحد النَّصَارَى نَصْرِي، مثل: بغير مَهْرِيٍّ وَمَهَارِيٍّ.

وإنَّما سَمَّوْا نَصَارَى؛ لنصرة بعضهم بعضاً، دليله الأبيات^(٤) التي

ذكرناها.

التفاسير: تفسير الكشف والبيان ١: ٢٠٨، تفسير جامع البيان ١: ٢٥٢، تفسير المحرر الوجيز ١: ٢٤٥ ت ٢٨٢، تفسير الجامع لأحكام القرآن ١: ٤٣٣، تفسير البحر المحيط ١: ٢٣٨، تفسير الدر المصون ١: ٢٤٧ ت ٥١٩، تفسير اللباب ٢: ١٣٤ ت ٥٥٢، فتح القدير ١: ٩٤. وانظر: الزاهر في معاني كلمات الناس ٢: ٢٢٥، الأضداد للأنباري: ١٨١ وفيه باختلاف يخلُّ بالشاهد.

(١) في نسخة «خ» جميعهم.

(٢) يظهر من بعض أهل اللغة عداها - أنصار - من الأضداد؛ لإرادة النصرة تارة، والذين أخرى. انظر: الأضداد للأنباري: ٣٤١ ت ٢٢٧، الأضداد لابن السكيت (ضمن ثلاث كتب في الأضداد): ٢٤٦ ت ٦٧٦. إضافة لبعض مصادر الشعر الآتية.

(٣) رجز لم يعرف قائله بأكثر من أنه أعرابي. وقد استشهد به جمع لمورد الشاهد وغيره، منهم: الفراء في معاني القرآن ١: ٤٤، الطبري في جامعه ١: ٢٥٢، ابن الشجري في أماليه ١: ١١٨ م ١٢ و ١٤٥ م ٤٤، القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ١: ٤٣٤، المرتضى في أماليه ٢: ٥، وانظر: لسان العرب ٥: ٢١٢ تاج العروس ٧: ٥٢٨ وغيرها.

(٤) هذا هو الصحيح من نسخة «خ»، وما ورد في بعض النسخ والطبعات: «الآيات»، عوض الأبيات، لا يمكن المساعدة عليه.

وقيل: إنما سُموا بذلك؛ لأنهم نزلوا أرضاً يُقال لها: ناصرة، وكان ينزلها عيسى فنسب إليها، فقيل: عيسى النَّاصِرِيّ، ثمَّ نُسب أصحابه إليه، فقيل: نصاري، وهذا قول ابن عباس وقتادة وابن جريج^(١).

وقيل: إنهم سُموا بذلك؛ لقوله: ﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾^(٢).

والصابئون - جمع صابئ^(٤)، وهو -: من انتقل من دينه إلى دين آخر، كالمرتد من أهل الإسلام. وكلّ خارج من دين كان عليه إلى آخر غيره يُسمى في اللغة: صابئاً.

قال أبو زيد: صَبَأَ فلان في دينه يَصْبَأُ صَبْؤاً إذا كان صابئاً، وَصَبَأَ نَابُ الصَّبِيّ يَصْبَأُ صَبْؤاً: إذا طلع^(٥).

(١) ذكرت ذلك عدّة من التفاسير، منها: تفسير كتاب الله العزيز للهوريّ ١: ١١٢، تفسير بحر العلوم ١: ١٢٥، تفسير الكشف والبيان ١: ٢٠٨، تفسير الوسيط ١: ١٤٩، تفسير السمعاني ١: ٨٨، تفسير النكت والعيون ١: ١٣٢، تفسير ابن زمنين ١: ١٤٦، وغيرها كثير.

(٢) سورة الصف ٦١: ١٤.

(٣) أشارت إلى ذلك عدة من المصادر اللغوية عند «نَصَرَ»، منها: العين ٧: ١٠٨، جمهرة اللغة ٢: ٧٤٤، تهذيب اللغة ١٢: ١٥٩، مفردات ألفاظ القرآن الكريم: ٨٠٨، الصحاح ٢: ٨٢٩، المحكم والمحيط الأعظم ٨: ٢٩٩، الزاهر في معاني كلمات الناس ٢: ٢٢٥، معجم الأصمعيّ: ٣٩٣، لسان العرب ٥: ٢١٠، تاج العروس ٧: ٥٢٨، وانظر تفسير الجامع لأحكام القرآن ١: ٤٣٣.

(٤) رغم اختلاف اللغويين في اشتقاق الكلمة - صَبَأ - هل هي مهموزة أم لا؟ لكنهم اتفقوا على تقارب، بل وحدة المعنى في كلّ الحالات. وقد سرى ذلك بين القراء أيضاً. انظر المصادر في الهامش ٢ صفحة ٣٨١.

وهناك رأي يشير إلى أنّ الأصل العبري لهذه الكلمة هو «صَبَعَ» أي غطس، انظر: دائرة المعارف الإسلامية ١٤: ٨٩.

(٥) كتاب الهمز: ٦٥.

وقال الزجاج : صَبَأَتْ النُّجُومُ : إِذَا ظَهَرَتْ ^(١) .

وقال أبو زيد : صَبَأَتْ عَلَيْهِمْ تَصْبِئاً صَبِئاً أَوْ صُبُوءاً : إِذَا طَلَعَتْ عَلَيْهِمْ ^(٢) .

فَكَأَنَّ مَعْنَى الصَّابِئِ : التَّارِكُ دِينَهُ الَّذِي شَرَعَ لَهُ إِلَى دِينٍ غَيْرِهِ ، كَمَا أَنَّ الصَّابِئَ عَلَى الْقَوْمِ : تَارِكٌ لِأَرْضِهِ وَمُنْتَقِلٌ إِلَى سَوَاهَا ، فَالَّذِينَ الَّذِينَ فَارَقُوهُ هُوَ تَرَكَهُمُ التَّوْحِيدَ إِلَى عِبَادَةِ النُّجُومِ أَوْ تَعْظِيمِهَا ^(٣) .

وقال نافع : هُوَ مَأْخُوذٌ مِنْ قَوْلِهِمْ : صَبَا يَصْبُو : إِذَا مَالَ إِلَى الشَّيْءِ وَأَحْبَبَهُ ، وَلِذَلِكَ لَمْ يَهْمَزْ ، قَالَ الشَّاعِرُ :

..... صَبَوْتُ أَبَا ذِئْبٍ وَأَنْتَ كَبِيرٌ ^(٤) [٢٨٨]

قال أبو علي الفارسي : هَذَا لَيْسَ بِجَيِّدٍ ؛ لِأَنَّهُ قَدْ يَصْبُو الْإِنْسَانُ إِلَى دِينٍ فَلَا يَكُونُ مِنْهُ تَدْيِينٌ بِهِ مَعَ صُبُوءِهِ إِلَيْهِ ، (فَإِذَا بَعُدَ هَذَا) ^(٥) - وَكَانَ الصَّابِئُونَ مُتَقَلِّبِينَ مِنْ دِينِهِمُ الَّذِي أَخَذَ عَلَيْهِمْ إِلَى سِوَاهُ - وَجِبَ أَنْ يَكُونَ

(١) معاني القرآن للزجاج ١ : ١٤٧ .

(٢) كتاب الهمز : ٤٥ .

(٣) نقل الرأي هذا تارة منسوباً وأخرى غير منسوب في : تفسير التكت والعيون ١ : ١٣٣ ، تفسير بحر العلوم ١ : ١٢٥ ، الحجة للقراء السبعة ٢ : ٩٤ - ٩٥ ، غريب القرآن لليزدي : ٧٢ ت ٦٢ ، غريب القرآن لابن قتيبة : ٥١ ت ٦٢ ، تفسير المشكل من غريب القرآن : ٦٢ ت ٩٤ ، البيان في غريب إعراب القرآن ١ : ٨٨ ، التبيان في إعراب القرآن ١ : ٧٠ وغيرها كثير .

(٤) لأبي ذؤيب الهذلي . وصدده .

وَيَسَارَ التِّي قَالَتْ غَدَاةً لَقِيَتْهَا

المعنى : صَبَوْتُ : تَصَابَيْتُ بِأَنْ تَأْتِيَ بِأَفْعَالِ الشَّبَانِ . أَبَا ذِئْبٍ : كُنْيَةُ الشَّاعِرِ خُوَيْلِدِ بْنِ خَالِدٍ . وَأَنْتَ كَبِيرٌ : أَيِ فِي السِّنِّ .

(٥) اختلفت النسخ والمصدر في ضبط العبارة المحصورة والجميع بمؤدى واحد ، ففي «هـ» : فَإِذَا كَانَ هَكَذَا . وَفِي «خ» : فَإِذَا كَانَ هَذَا كَهَذَا ، وَفِي الْمَصْدَرِ - الْحُجَّةُ - الْمَثْبُوتُ ، وَلَعَلَّهُ أَظْهَرَ دَلَالَةً عَلَى الْمُرَادِ .

مأخوذاً من صَبَأْتُ الذي هو الانتقال . ويكون الصَّابُونَ على قلب الهمزة ، وقلب الهمزة على هذا الحد لا يجيزه سيبويه إلا في الشعر ، ويجيزه غيره ، فهو على قول من أجاز ذلك ؛ وممن أجاز ذلك أبو زيد . وحكي عنه أنه قال : قلت لسيبويه : سَمِعْتُ : قَرَيْتُ وَأَخْطَيْتُ . قال : فكيف تقول في المضارع ؟ قلت : أَقْرَأُ ، فقال : حَسْبُكَ ، أو نحو هذا .

قال أبو علي : يريد سيبويه أن قَرَيْتُ مع أَقْرَأُ لا ينبغي ؛ لأنَّ أَقْرَأُ على الهمز ، وقَرَيْتُ على القلب ، فلا يجوز أن تُغَيَّرَ بعضُ الأمثلة دون بعض ، فدلَّ على أن القائل لذلك غيرُ فصيح ، وأنه مغلطٌ ^(١) في لغته ^(٢) .

وقال قتادة والبلخي : الصَّابُونَ قوم معروفون لهم مذهب ينفردون به ، من دينهم عبادة النجوم ، وهم يَقْرَوْنَ بالصَّانِع وبالمعاد وبعض الأنبياء .

وقال مجاهد والحسن وابن أبي نجيح ^(٣) : الصَّابُونَ بين اليهود

(١) كذا في المصدر ، وفي النسخ عوض «مغلط» : غلط .

(٢) الحجة للقراء السبعة ٢ : ٩٦ ، وكما تقدّم فإنَّ الخلاف في إثبات الهمزة - الصابئين - وعدمها واسع حتّى بين القراء ، وقد تعرّضت لذلك أغلب كتب اللغة والتفسير عند تفسير الآية والقراءات عندها أيضاً ، منها للمثال : العين ٧ : ١٦٨ ، ١٧١ ، جمهرة اللغة ٢ : ١٠٢٣ ، تهذيب اللغة ١٢ : ٢٥٥ ، المحيط في اللغة ٨ : ٢٠٦ ، المحكم والمحيط الأعظم ٨ : ٣٥٤ ، الصحاح ١ : ٥٩ ، لسان العرب ١ : ١٠٧ ، تاج العروس ١ : ١٩١ «صَبَأٌ ، صَبَوٌ» فيهما . ومن التفسير للمثال : تفسير الجامع لأحكام القرآن ١ : ٤٣٤ ، تفسير الدرّ المنصون ١ : ٢٤٧ ، تفسير الوسيط ١ : ٢٤٩ ، مجاز القرآن ١ : ٤٣ ، معاني القرآن للزجاج ١ : ١٤٧ ، ومن مصادر القراءة للمثال : حجة القراءات : ١٠٠ ، معاني القراءات : ٥٢ ، الحجة في القراءات السبع : ٨١ ، الكشف عن وجوه القراءات السبع ١ : ٢٤٥ ، التذكرة في القراءات ٢ : ٣١٥ ت ١٦١ .

(٣) عبدالله بن جعفر بن أبي نجيح ، أبو يسار المديني ، مولى سعد ، روى عن أبيه

والمجوس لا دين لهم .

وقال السُّديّ : هم طائفة من أهل الكتاب يقرأون الزبور^(١) .

وقال الخليل : هم قوم دينهم شبيه بدين النصارى إلا أن قبلتهم نحو

مَهَبَّ الْجَنُوب حِيالَ مُتَصَفِّ النَّهَار ، وَيَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ عَلَى دِينِ نُوحٍ^(٢) .

وقال ابن زيد : الصابئون هم أهل دين من الأديان ، كانوا بالجزيرة

- جزيرة الموصل - يقولون : لا إله إلا الله ، قال : ولم يؤمنوا برسول الله ﷺ ،

فمن أجل ذلك كان المشركون يقولون للنبي ﷺ ولأصحابه : هؤلاء

الصابئون ، يشبهونهم بهم .

وقال آخرون : هم طائفة من أهل الكتاب^(٣) .

والفقهاء بأجمعهم يُجيزون أخذ الجزية منهم . وعندنا لا يجوز ذلك ؛

وإعطاء ومجاهد وعكرمة وجماعة ، وعنه شعبة والطائفي والسفيانان وورقاء وغيرهم ، وثقه جمع وضعفه آخرون ورموه بالإعتزال والقدر ، له تفسير مبثوث في الكتب . مات سنة ١٣١ هـ .

انظر : الطبقات الكبرى ٥ : ٤٨٣ ، تهذيب التهذيب ٦ : ٤٩ ت ١٠٢ طبقات

المفسرين ١ : ٢٥٨ ت ٢٤٥ ، ميزان الاعتدال ٤ : ٢١٥ ت ٤٦٥٦ .

(١) تجد الآراء المنقولة محكية في المصادر التالية وغيرها : تفسير مجاهد بن جبر :

٢٠٤ ، تفسير الحسن البصري ٢ : ٥٥ ت ٧٥ ، تفسير النكت والعيون ١ : ١٣٣ ،

تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازي ١ : ١٢٧ ت ٦٣٧ - ٦٤٥ ، تفسير كتاب

الله العزيز للهاوي ١ : ١١٢ ، تفسير الكشف والبيان ١ : ٢٠٩ ، تفسير جامع البيان

١ : ٢٥٣ ، تفسير ابن أبي زمنين ١ : ١٤٦ ، تفسير السمعاني ١ : ٨٨ ، تفسير بحر

العلوم ١ : ١٢٥ ، تفسير الوسيط ١ : ١٤٩ ، تفسير إيجاز البيان ١ : ١٠٣ ، التفسير

الكبير للطبراني ١ : ١٧٩ ، وانظر : تفسير الدر المنثور ١ : ٣٩٦ - ٣٩٨ .

(٢) راجع «صَبَأٌ» في العين ٧ : ١٧١ ، وانظر : تهذيب اللغة ١٢ : ٢٥٧ ونسبه إلى الليث .

(٣) إضافة لما في هامش ١ أعلاه و٢ صفحة ٣٨١ ، انظر المحرر الوجيز ١ : ٢٤٥ ،

الناسخ والمنسوخ للمعافري ٢ : ٤٠ .

لأنهم ليسوا أهل كتاب^(١).

(١) من المعروف أنَّ الصَّابئة فرقتان متميزتان تماماً ، هما :

١ - المنديا أو الصبوه ، قيل : هي فرقة يهودية الهوى ، وأظهر طقوسها التعميد - الغطس - في الماء الجاري ، أو الصَّيْع ، ولذا تراهم غالباً يعيشون في الأماكن القريبة من الأنهار ؛ لسهولة ويسر إجراء طقسهم هذا .

٢ - صابئة حرَّان : وهي فرقة وثنية بقيت أمداً في ظلَّ الإسلام دافعة للجزية باقية على دينها . وأساس عبادتها للروحانيات والنجوم ، وقد أولتهم كتب الفرق والمذاهب اهتماماً ؛ لما خرج من بينهم من علماء مشاركون يشار إليهم .

وربما نسب إلى الصابئة عموماً أنبياء ، منهم : يحيى ، إدريس - هرمس - ، شيث النبي - أمازون - .

وقيل : إنَّ لديهم من الكتب المقدسة عندهم ما يلي :

١ - كنزه ربّه ، أو كنزه ربّاه ، كنز الربّ ، وفيه صحف آدم وشيث وإدريس ، وآراء ومعتقدات حول بدء الخليقة .

٢ - دراشه أدبها ، أو أفشاد هي ، أو سدرها هي ، أي : تعاليم يحيى أو دروس يحيى وتعاليمه ، ويعتقدون أنّه موحى إليه توسط جبرائيل ، وأنها شرح لما جاء في صحف آدم وشيث وإدريس .

٣ - القلستا : وفيه تعاليم حول الزواج وشروطه .

٤ - درفش : يحوي بعض المراسم الدينية اليومية .

٥ - كتببيات يقرأونها في أعيادهم ومناسباتهم الخاصة .

وكلّ هذه باللّغة الكلدانية - أي السريانية أو الآرامية - ولم تترجم بعد ، لذا صعب الاطّلاع على محتواها لغيرهم ، ولغير العارف بلغتهم .

للتوسعة في معرفتهم . انظر : الفهرست لابن النديم : ٦٣٣ ، دائرة المعارف الإسلامية ١ : ٨٩ ، دائرة معارف القرن العشرين ٦ : ٤٢٦ ، الملل والنحل للشهرستاني ١ : ٢٣٠ ، الصابئة لغضبان الناشئ ، الأديان والمذاهب بالعراق : ١٩ - ٦٠ ، فصلية المورد العراقية العدد ٢ سنة ٥ : ٦٠ ومصادرهم .

ولمعرفة الأحكام الشرعية الشاملة لهم . ينظر : الخلاف ٥ : ٥٤٢ ، تذكرة الفقهاء ٩ : ٢٨٢ م ١٦٥ م ، ومصادرهم ، مختلف الشيعة ٤ : ٤٤٤ م ٥٨ م ، ومدخل «جزية» من معجم فقه الجواهر ٢ : ١٧٢ ت ٢ ، الموسوعة الفقهية الكويتية ٢٦ : ٢٩٣ ، أحكام أهل الذمة ١ : ٩٢ وما بعدها .

قوله: ﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾:

تقول: من صدّق بالله وأقرّ بالبعث بعد الممات يوم القيامة، وعمل صالحاً وأطاع الله، فلهم أجرهم عند ربّهم؛ يعني: ثواب عملهم الصالح.
فإن قيل: فأين تمام قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ﴾؟

قيل: تمامه جملة قوله تعالى: ﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾؛ لأنّ معناه: من آمن منهم بالله واليوم الآخر، وترك ذكر «منهم»؛ لدلالة الكلام عليه.

ومعنى الكلام ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ﴾: (من يؤمن منهم بالله واليوم الآخر، فلهم أجرهم عند ربّهم ولا خوف عليهم).

وقوله: ﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾.

في الناس من قال: هو خبر عن الذين هادوا والنصارى والصابئين^(١)؛ لأنّ الذين آمنوا كانوا مؤمنين، فلا معنى حينئذٍ أن يقول: ﴿مَنْ آمَنَ﴾ وهو يعينهم.

ومنهم من قال: هو راجع إلى الكلّ ويكون رجوعه إلى الذين آمنوا على وجه الثبات لهم على إيمانهم والاستدامة، وترك التبديل والاستبدال

(١) بين القوسين ساقط من نسخة «ح».

به . وفي الذين هادوا والنصارى والصابئين استئناف إيمان بالنبى ﷺ وما جاء به ^(١) .

وقوله : ﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ﴾ فوحد الفعل ثم قال : ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ فجمع ؛ لأن لفظة «مَنْ» وإن كانت لفظة واحد ، فمعناها يكون للواحد والجمع والأثنى والذكر ، فإن ذهب إلى اللفظ وحد ، وإن ذهب إلى المعنى جمع ، كما قال : ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمَى وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ﴾ ^(٢) فجمع مرة مع الفعل ؛ لمعناه ، ووحد أخرى على اللفظ ، قال الشاعر :

أَلِمَّا بِسَلَمَى عَنْكُمَا إِنْ عَرَضْتُمَا وَقَوْلًا لَهَا عُوجِي عَلَى مَنْ تَخَلَّفُوا ^(٣) [٢٨٩]
فجمع الفعل ؛ لأنه جعل : مَنْ بمنزلة : الذين .
وربما كان لاثنتين وهو (أبعد ما جاء فيه) ^(٤) ، قال الفرزدق :

(١) مَنْ أشار إلى ذلك الزجاج في معاني القرآن ١ : ١٤٦ ، والنحاس في إعراب القرآن ١ : ٢٣٣ فلعله عناهما ، وانظر : مشكل إعراب القرآن ١ : ٥١ ت ١١١ ، البيان لابن الأنباري ١ : ٨٨ ، التبيان في إعراب القرآن ١ : ٧٠ .

(٢) سورة يونس ١٠ : ٤٣ .

(٣) للشاعر امرئ القيس - وقد نسب لغيره - مادحاً نفسه .

المعنى : أَلِمَّا بسلمى : زوروا سلمى . عوجي : اعطفي وقفي . إن عرضتما : إن بلغتما إليها .

الشاهد : على مَنْ تَخَلَّفُوا : حيث استعمل «مَنْ» للجمع ، أي : الذين ، وقد تستعمل للمفرد والجمع ، ويمكن أن تكون معرفة وثارة أخرى نكرة .

انظر : الديوان : ق ٧٨ ب ٤ : ٣٢٣ .

(٤) هكذا في نسخة «خ» ، وفي باقي النسخ : أبعد وما جاء . والمثبت من نسخة «خ» لعله أقوى دلالة على المراد ، ومراده : إن استعمال «مَنْ» للثنائية أبعد من استعمالها في المفرد والجمع .

[٨٧] نَعَشَ فَإِنْ عَاهَدْتَنِي لَا تَخُونَنِي نَكُنْ مِثْلَ مَنْ يَأْذِنُ بِضَطْحِبَانٍ^(١)

وقوله : ﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ :

قال السُّدِّيُّ : إنَّها نزلت في سلمان الفارسي وأصحابه النصاري الذين كان قد تنصَّر على أيديهم قبل مبعث رسول الله ﷺ ، وكانوا قد أخبروه بأنَّه سيُبعث ، وأنَّهم يؤمنون به إن أدركوه^(٢) .

وروي عن ابن عباس : إنَّها منسوخة بقوله تعالى : ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾^{(٣)(٤)} . وهذا بعيد ؛ لأنَّ النسخ لا يجوز أن

(١) بحث استعمال «مَنْ» للمفرد والمثنى والجمع ، ذكرته مصادر اللِّغة والأدب مستشهداً ببيت الفرزدق هذا ، وقد تقدم . فإضافة لما تقدَّم هناك ضمن الرقم ٨٧ من المصادر ، انظر : الكامل في الأدب ١ : ٣٦٨ ، ٣٧٢ ، الصاحبي : ٢٧٤ ، شرح المفصَّل لابن يعيش ٢ : ١٣٢ ، ٤ : ١٣ ، أمالي ابن السَّجري ٢ : ٤١ ، ٣ : ٦٣ مجلس ٧٤ ، وغيرها كثير .

هذا وقد اختلف في ضبط بعض ألفاظه .

(٢) رواية إسلام سلمان المحمدي ذكرها كلٌّ من ترجم له ، وذكرت في مصادر كثيرة ، مختصرة ، ومفصلة منها : مسند أحمد ٥ : ٤٤١ ، المستدرک للحاكم ٣ : ٥٩٩ ، سير أعلام النبلاء ١ : ٥٢٢ ، تاريخ مدينة دمشق ٢١ : ٣٧٣ ت ٢٥٩٩ ، وأشارت إليها أغلب التفاسير عند الآية الكريمة هذه ، منها : تفسير مقاتل بن سليمان ١ : ١١٢ ، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازي ١ : ١٢٧ ت ٦٣٦ ، تفسير النَّكت والعيون ١ : ١٣٣ ، تفسير المحرَّر الوجيز ١ : ٢٤٣ ، تفسير الدر المنثور ١ : ٣٨٩ ، أسباب التَّزول للواحيدي : ٢٨ ، وغيرها ، وانظر : نفس الرَّحمن في فضائل سلمان .

(٣) سورة آل عمران ٣ : ٨٥ .

(٤) صحيفة علي بن أبي طلحة : ٨٣ - ٨٤ ت ٢٢ ، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازي ١ : ١٢٦ ت ٦٣٥ ، تفسير النَّكت والعيون ١ : ١٣٣ ، وانظر تفسير الجامع لأحكام القرآن ١ : ٤٣٦ ، ضمن المسألة ٨ .

يدخل في الخبر الذي يتضمّن الوعد، وإنّما يجوز دخوله فيما طريقه الأحكام الشرعية التي يجوز تغييرها (من حُسن إلى قبح)^{(١)(٢)}.

وقال قوم: إنّ حكمها ثابت، والمراد بها: إنّ الذين آمنوا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم من المنافقين - هم اليهود والنصارى والصابئين - إذا آمنوا بعد النفاق وأسلموا بعد العناد، كان لهم أجرهم عند ربّهم، كمن آمن في أوّل استدعائه إلى الإسلام من غير نفاق ولا عناد؛ لأنّ قوماً من المسلمين قالوا: إنّ من أسلم بعد نفاقه، وعناده كان أجره أقلّ وثوابه أنقص. فأخبر الله بهذه الآية أنّهم سواء في الأجر والثواب.

وأولى الأقاويل ما قد قدّمنا ذكره، وهو المحكي عن مجاهد والسدي: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ من هذه الأمة ﴿وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ ءَامَنَ﴾ من اليهود والنصارى والصابئين بالله واليوم الآخر فلهم أجرهم عند ربّهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون؛ لأن هذا أشبه بعموم اللفظ، والتخصيص ليس عليه دليل.

وقد استدلت المرجئة بهذه الآية على أنّ العمل الصالح ليس من الإيمان؛ لأنّ الله تعالى أخبر عنهم بأنّهم آمنوا ثمّ عطف على كونهم مؤمنين

(١) اختلفت النسخ في إثبات الجملة المحصورة ناقصة أو محذوفتاً كلاً والمثبت من «خ» مدعوماً بما في عدة الأصول للمصنف ٥٠٢: ٢.

(٢) ورود النسخ على الأخبار وتفصيله تعرّض له العلماء مفضلاً في كتبهم، للمثال انظر: العدة في أصول الفقه للشيخ الطوسي ٥٠٢: ٢، الذريعة إلى أصول الشريعة للشريف المرتضى ١: ٤٢٣، المعتمد في أصول الفقه ١: ٤١٩، ميزان الأصول ٢: ٩٩٣ وغيرها كثير.

أنهم إذا عملوا الصالحات ما حكمها^(١)؟

قالوا: ومن حمل ذلك على التأكيد أو الفضل فقد ترك الظاهر.

وكلُّ شيءٍ يذكرونه ممّا ذكر بعد دخوله في الأوّل ممّا ورد به القرآن نحو قوله: ﴿فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾^(٢)، ونحو قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ﴾^(٣)، ونحو قوله: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾^(٤)، وقوله: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾^(٥) قالوا: جميع ذلك مجاز، ولو خُلينا والظاهر لقلنا: إنّه ليس بداخلٍ في الأوّل. فإن قالوا: أليس الإقرار والتصديق من العمل الصّالح؟ فلا بدّ لكم من مثل ما قلناه؟

قلنا: عنه جوابان:

أحدهما: إنّ العمل لا يطلق إلّا على أفعال الجوارح؛ لأنّهم لا يقولون: عملت بقلبي، وإنّما يقولون: عملت بيدي أو برجلي.

(١) تقدّم الكلام حول الإيمان والآراء فيه، وأشار إلى رأي المرجئة عند تفسير الآية ٣ ونضيف هنا: إنّ المرجئة قائلون بعدم ركنية العمل في الإيمان وعدم مدخلية له في المفهوم، واختلفوا في ركنية الإقرار لساناً مع التصديق القلبي وما ذلك إلّا لتصحيح ما يصدر من حكام الجور وولاتهم من ظلم، وللتوسعة انظر ما تقدّم، وخصوصاً: مقالات الإسلاميين: ١٣٢ - ١٥٤، متشابه القرآن: ٩٨، التنبيه والرد للملطي: ٤٣، الأصول والفروع لابن حزم ١: ٨، التبصير في معالم الدين للطبري: ١٨٧، التوحيد للماتريدي وانظر: الفهرس: ٤٠٩، أصول الدين للبغدادي: ٢٤٧، شرح المواقف: ٨: ٣٩٦، وغيرها.

(٢) سورة الرحمن ٥٥: ٦٨.

(٣) سورة الأحزاب ٣٣: ٧.

(٤) سورة المائدة ٥: ٨٦.

(٥) سورة محمد ﷺ: ٤٧: ١.

والثاني : إن ذلك مجاز ويحمل عليه للضرورة ، وكلامنا مع الإطلاق .
وقوله : ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ .

يعني : لا خوف عليهم فيما قدموا عليه من أهوال القيامة ، ولا هم يحزنون على ما خلفوا وراءهم من الدنيا عند معايتهم ما أعد الله لهم من الثواب ، والتعيم المقيم عنده .

وقيل : إنهم لا يحزنون من الموت^(١) .

قوله تعالى :

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ آية (٦٣) آية بلا خلاف .

والميثاق : المفعال ، من الوثيقة إما بيمين وإما بعهد ، أو غير ذلك من الوثائق .

والميثاق الذي أخذه الله : هو الذي ذكره في قوله : ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾^(٢) الآيات التي ذكر بعدها .

ويحتمل أن يكون أراد الميثاق الذي أخذه الله على الرسل في قوله :
﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ﴾^(٣) وقوله : ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ

(١) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازي ١ : ٩٣ ت ٤٢٦ ، وانظر : تفسير جامع البيان ١ : ٢٥٤ ، تفسير زاد المسير ١ : ٧١ ، تفسير البحر المحيط ١ : ١٧٠ .

(٢) سورة البقرة ٢ : ٨٣ .

(٣) سورة الأحزاب ٣٣ : ٧ .

لَتُؤْمِنَنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي ﴿١﴾ .

وقد بينّا إنّ أخذ العهد هو ما نصب لهم من الحجج الواضحة والبراهين الصحيحة، الدالة على توحيدهِ وعدله، وصدق أنبيائه ورسله، وأفسدنا ما يقوله أهل الحشو؛ من استخراج الذرية من ظهر آدم وأخذ العهد عليهم بما لا يحتاج إلى إعادته (٢) .

وقوله : ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ﴾ :

قال مجاهد : الطور هو الجبل (٣) . وكذلك هو في اللغة (٤) قال العجاج :

دَأْنَىٰ جَنَاحَيْهِ مِنَ الطُّورِ فَمَزَّ

تَقْضَىٰ الْبَازِي إِذَا الْبَازِي كَسَرَ (٥)

[٢٩٠]

(١) سورة آل عمران ٣ : ٨١ ، وانظر : معاني القرآن للزجاج ١ : ١٤٧ .

(٢) تقدّم عند تفسير الآية ٢٧ من هذه السورة .

(٣) تفسير مجاهد : ٢٠٤ ، وانظر : تفسير جامع البيان للطبري ١ : ٢٥٨ .

(٤) الظاهر إجماع المصادر اللغوية على ذلك ، انظر : العين ٧ : ٤٤٦ ، جمهرة اللغة

١ : ٧٦١ ، تهذيب اللغة ١٤ : ١٠ ، المحيط في اللغة ٩ : ٢٠٦ ، المحكم والمحيط

الأعظم ٩ : ٢٣٢ ، الصحاح ٢ : ٧٢٧ ، الغريبين للهرودي ٤ : ١١٨٤ ، لسان العرب

٤ : ٥٠٧ ، وغيرها . وكذا البلدانيات مثل : معجم البلدان ٤ : ٤٨ ، مراصد الاطلاع

٢ : ٨٩٦ ، معجم ما استعجم ٣ : ٨٩٧ ، الروض المعطار : ٣٩٧ ، ومصادرهـم .

(٥) ب ٧٤ من القصيدة ١ في ديوان أراجيزه ١ : ٤٢ مادحاً عمر بن عبيدالله بن

معمر ؛ لقتله أبو فديك الحروري أحد أمراء الخوارج .

المعنى : من الطور : أي من جهة الطور كناية عن أنّ مجيئه من جهة الشام ؛

لكون - جبل - الطور فيه . إذا البازي كسر : إذا ضَمَّ جناحيه مستعداً للانقضاض على

الفريسة .

الشاعر يشبّه مجيء حملة بن معمر من جهة الشام بانقضاض البازي على

فريسته .

وقيل : إنّه اسم جبل بعينه ناجى الله عليه موسى عليه السلام ، ذهب إليه ابن عباس وابن جُرَيْج .

وقيل : إنّه من الجبال التي تُنبت دون ما لا تنبت ، رواه الضحّاك عن ابن عباس .

وقال قتادة : ﴿ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمْ الطُّورَ ﴾ قال : الطُّورُ الجبل اقتلعه الله فرفعه فوقهم ، فقال : ﴿ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ ﴾ ^(١) .

وقال مجاهد : الطُّور : اسم جبل بالسريانية ^(٢) . وقال قتادة : هو بالعربية ^(٣) .

وقال قوم من النحويين : معنى ﴿ خُذُوا ﴾ تقديره : ورفعنا فوقكم الطُّور وقلنا لكم خذوا ما آتيناكم - يعني : التوراة - بقوة أي : بجِدٍّ وبقين لا شك فيه ، وإلا قذفناه عليكم ، كما تقول : أوحيت إليه : قم ، أي : أوحيت إليه فقلت : قم ^(٤) .

الشاهد : استعمال الطُّور وإرادة الجبل ، أو خصوص طور سينا أو جبل سينا منه ؛ لوقوعه في الشام .

ولتحديد الطُّور انظر : مصادر الهامش السابق .

(١) الآراء تجدها منسوبة وغير منسوبة في : تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازي ١ : ١٢٩ ت ٦٥١ - ٦٥٣ ، تفسير عبدالرزاق الصنعاني ١ : ٢٧٣ ت ٦٣ ، تفسير النكت والعيون ١ : ١٣٤ ، تفسير الوسيط ١ : ١٥١ ، تفسير السمرقندي ١ : ١٢٦ ، تفسير القرآن للسمعاني ١ : ٨٩ ، تفسير المحرّر الوجيز ١ : ٢٤٧ ، تفسير غريب القرآن لليزيدي ٧٢ ت ٦٣ ، تفسير غريب القرآن لابن الملقّن ٥٦ ت ٦٤ ، وغيرها كثير .

(٢) تفسير مجاهد : ٢٠٤ .

(٣) انظر : تفسير النكت والعيون ١ : ١٣٤ ، تفسير المحرّر الوجيز ١ : ٢٤٧ ، والحظ مصادر الهامشين المتقدمين .

(٤) ذهب لهذا الرأي الأخفش في معانيه ١ : ٢٧٧ ، والزّجاج في معانيه ١ : ١٤٧ - ١٤٨ ، ونسبه الطبريّ في جامعه ١ : ٢٥٨ لبعض نحويّ البصرة .

وقال الفراء: أخذ الميثاق قول، فلا حاجة بالكلام إلى إضمار قول فيه، فيكون من كلامين، غير أنه ينبغي لكل ما خالف القول من الكلام - الذي هو بمعنى القول - أن تكون معه «أن» كما قال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ﴾^(١) قال: ويجوز حذف «أن»^(٢).

ومعنى ﴿مَاءِ اتَيْنَاكُمْ﴾: أي أعطيناكم؛ لأن الإيتاء هو الإعطاء، يعني ما أمرناكم به في التوراة.

﴿بِقُوَّةٍ﴾ أي: بجهدٍ ويقين على ما بيّناه، وهو قول ابن عباس وقتادة والسدي.

وقال أبو العالية والربيع بن أنس: بطاعة الله.

وقال مجاهد: إنه العمل بما فيه^(٣).

وحكي (عن ابن بحر)^(٤) أن معناه: القبول.

وقال أبو علي: ﴿بِقُوَّةٍ﴾ معناه: بالقدرة التي خلقنا فيكم^(٥)، وذلك

(١) سورة نوح ٧١: ١.

(٢) يستفاد رأي الفراء هذا من حاصل قوله في معانيه ١: ٥٣ و ٣: ١٨٧، وحكاه الطبري في جامعه ١: ٢٥٨.

(٣) الآراء تجدها منسوبة وغير منسوبة في: تفسير مجاهد: ٢٠٥ تفسير عبدالرزاق الصنعاني ١: ٢٧٣ ت ٦٣، تفسير كتاب الله العزيز ليهود ١: ١١٢، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازي ١: ١٣٠ ت ٦٥٦ و ٦٥٧ و ٦٥٨، تفسير جامع البيان ١: ٢٥٨، التفسير الكبير للطبراني ١: ١٨١، ١: ٢١٢، تفسير النكت والعيون ١: ١٣٤، تفسير القرآن للسمعاني ١: ٨٩، تفسير المحرر الوجيز ١: ٢٤٨، وغيرها.

(٤) هذا هو الصحيح المطابق للنسخ: «خ، و، هـ». وما جاء في الحروفيات: عن ابن نجران، أو: ابن الجران، فهو كما ترى. وانظر: تفسير البحر المحيط ١: ٢٤٣.

(٥) أبو علي، الظاهر كونه الجبائي ومصنفاته لا زالت - وكما يقال - أثراً بعد عين.

دلالة على أنَّ القدرة قبل الفعل^(١).

ومعنى ﴿وَأَذْكُرُوا مَا فِيهِ﴾ قال قوم: احفظوه ولا تنسوه. وقال آخرون: اعملوا بما فيه ولا تتركوه^(٢).

والمعنى في ذلك: إنَّ ما آتيناكم فيه من وعدٍ ووعيدٍ وترغيبٍ وترهيبٍ اعتبروا به واقبلوه وتدبروه، كي إذا فعلتم ذلك تتقوني وتخافوا عذابي بالإصرار على ضلالكم فتنتهوا إلى طاعتي، فتزعوا عما أنتم عليه من

(١) كون القدرة - الاستطاعة - مع الفعل أو قبله بحث كلامي اختلفت الآراء فيه بين علماء المذاهب حسب المباني الفكرية لهم، فمن ذاهب إلى أنَّهما - القدرة، الاستطاعة - مقارنة للفعل؛ حذراً من تخلف المعلول عن العلة، وبعض ذهب إلى التقدّم حذراً من قبح تكليف الكافر، أو استغناء الفعل عن القدرة، أو لزوم حدوث قدرة الباري تعالى، أو قِدَم الفعل وغيرها. وهكذا ترى البحث طويل مورد أخذ وردّ ونقاش وسجال بين الفحول ولا يمكن اختصاره؛ ليسعه الهامش المحدود، فالإحالة لمريد التوسعة ومعرفة آراء المذاهب خير، انظر من الخاصة للمثال: تصحيح الاعتقاد: ٦٣، شرح جمل العلم والعمل: ٩٧، جوابات المسائل الطبرية ضمن رسائل الشريف المرتضى ١: ١٤٦م ٣، الاقتصاد الهادي إلى طريق الرشاد: ٥٩، تجريد الاعتقاد: ١٩١، وشرحه كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد فصل ٢ م ١: ٢٨١، إرشاد الطالبين: ٩٤، اللوامع الإلهية للفاضل المقداد: ١٧١ مرصد ٢ ف ١، وغيرها كثير.

ومن العامة للمثال: مقالات الإسلاميين: ٢٣٠، شرح الأصول الخمسة: ٣٩٠، متشابه القرآن للقاضي عبد الجبار: ٩٤ ت ٣٨، مجرد مقالات الشيخ أبي الحسن الأشعري: ١٠٧ ت ٢٠، التوحيد للماتريدي: ٢٥٦، المغني في أبواب التوحيد والعدل: ١١: ٣٦٧، المختصر في أصول الدين ضمن رسائل العدل والتوحيد: ٣٥٧، الانتصار للخياط: ٧٩، الفصل في الملل والأهواء والنحل ٢: ٣٥، تأويلات أهل السنة ١: ٥٩، شرح المواقف ٨: ٢٠٠، شرح العقائد النسفية: ١٤٨، وغيرها كثير تظهر من ثانيا البحث والاحالات.

(٢) الأقوال ذكرت في: تفسير كتاب الله العزيز للهواري ١: ١١٣، تفسير ابن أبي زمنين: ١٤٧: ١، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازي ١: ١٣٠ ت ٦٥٩، وغيرها.

قوله تعالى :

﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ
لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ آية (٦٤).

قوله : ﴿تَوَلَّيْتُمْ﴾ : أعرضتم ، ووزنه تَفَعَّلْتُمْ ، من قولهم : ولأني فلان
دُبْرُهُ ، إذا استدْبَرَ عَنْهُ وجعله خلف ظهره . ثم يستعمل ذلك في كل تارك
طاعة أمرٍ ، ومعرضٍ بوجهه ، فيقال : فلان تَوَلَّى عن طاعة فلانٍ ، وتَوَلَّى
عن مواصلته وصداقته . ومنه قوله : ﴿فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ
وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ ^(١) يعني : خالفوا ما وعد الله من قوله : ﴿لَئِنْ آتَانَا
مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ^(٢) ونبذوا ذلك وراء
ظهورهم ؛ فصار معنى الآية أنكم نبذتم العهد الذي أخذناه عليكم بعد
إعطائكم الموائيق .

وكنى بذلك عن جميع ما تقدّم ذكره في الآية .

ثم قال : ﴿فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ يعني : فلولا أن الله تفضل
عليكم بالتوبة بعد نكثكم الميثاق الذي واثقتموه ؛ إذ رفع فوقكم الطّور
فاجتهدتم في طاعته ، وأداء فرائضه ، وأنعم عليكم بالإسلام ، ورحمته التي
رحمكم بها ، فتجاوز عنكم خطيئكم ؛ لمراجعتكم طاعة ربكم ﴿لَكُنْتُمْ مِنْ

(١) سورة التوبة ٩ : ٧٦ .

(٢) سورة التوبة ٩ : ٧٥ .

الْخَاسِرِينَ ﴿٦٤﴾

وهذا وإن كان خطاباً لمن كان بين ظهراني مهاجر رسول الله ﷺ (من أهل الكتاب أيام رسول الله ﷺ) ^(١) فإنما هو خبرٌ عن أسلافهم ، فأخرج الخبر مخرج «الخبر» ^(٢) عنهم ، على نحو ما مضى ذكره ^(٣) .

وقال قوم : الخطاب في هذه الآية إنما أخرج بإضافة الفعل إلى المخاطبين والفعل لغيرهم ؛ لأنَّ المخاطبين إنما كانوا يتولَّون من كان فعل ذلك من أوائل بني إسرائيل ، فصيرهم الله منهم ، من أجل ولايتهم لهم .

وقال بعضهم : إنما قال لهم ذلك ؛ لأنَّ سامعيه كانوا عالمين ، وأنَّ الخطاب خرج خطاباً للأحياء من بني إسرائيل وأهل الكتاب ؛ وأنَّ المعنى إنما هو خبر عما مضى من أسلافهم ، ومثل ذلك قول الشاعر :

إِذَا مَا أَنْتَسَبْنَا لَمْ تَلِدْنِي لَيْمَةً وَلَمْ تَجِدِي مِنْ أَنْ تُقَرِّي بِهِ بُدَاً ^(٤) [٢٩١]

(١) زيادة من النسخة «خ» تخلو منها باقي النسخ .

(٢) كذا في النسخ ، ولعلها : المخبر .

(٣) مضى عند تفسير الآية الشريفة ٤٩ .

(٤) للشاعر زائدة ، أو زائد بن صعصعة الفقعسي ، معروضاً بزوجه عُبيدة - كون أمها سرية - ومفتخراً عليها وقبله :

رَمَتْنِي عَنْ قَوَيْسِ الْعَدُوِّ وَبَاعَدَتْ
عُبَيْدَةُ زَادَ اللَّهُ مَا بَيْنَنَا بُعْدَا
انتسبنا : رفعنا نسبنا . لثيمة ، اللؤم : دناءة الأصل والنسب . البد : الفراق والخلاص .

الشاهد فيه : ما أشار إليه الشيخ المصنّف رحمه الله : من كون الجزاء ماضياً - لم تلدني - ولا بدّ فيه الاستقبال ، وجاز لمعروفة وشهرت الموضوع .

ويبدو أنه من أبيات الاستشهاد ؛ إذ ذكره جمع لمورد الشاهد لدى الشيخ

فقال: إذا ما انتسبنا، و(إذا) تقتضي من الفعل مستقبلًا، ثم قال: لم تلدني فأخبر عن ماضٍ - لأن الولادة قد مضت - لأن السامع فهم معناه، والأول أقوى.

وقال أبو العالية: فضل الله «الإسلام»، ورحمته^(١) القرآن^(٢).

وقوله: ﴿فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ لا يدل على أن الذين خسروا لم يكن عليهم فضل الله؛ لأن فضل الله شامل لجميع الخلق؛ لأن ذلك دليل خطاب، وذلك ليس بصحيح عند الأكثر^(٣).

المصنف، وقد كثره ضمن تفسير الآيات: ٩١ و ٢٦٥ من هذه السورة و ٢ من سورة المائدة، وانظر: تفسير جامع البيان ١: ٤٦٧ و ٥١٦ و ٣: ١٠٢، معاني القرآن للقرطبي ١: ٦١ و ١٨٧، الحجة للقرطبي السبعة ٣: ٢١٣، تفسير البحر المحيط ٢: ٣١٢ و ٨: ١٧، تفسير الكشاف ٤: ٥٢ وغيرها. ومن كتب الأدب: مغني اللبيب ١: ٤٠ ت ٢٩، شرح شواهد المغني ١: ٨٩ ت ٢٧، شرح أبيات مغني اللبيب ١: ١٢٤ ت ٣٠، شذور الذهب: ٣٣٩ ت ١٧٢، وغيرها.

(١) الجملة المحصورة ساقطة من «خ» مثبتة في الباقي، تساعد عليها المصادر.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازي ١: ١٣١ ت ٦٦٤ و ٣: ١٠١٦ ت ٥٦٩٨ و ٥٦٩٩، تفسير جامع البيان ١: ٢٦٠، وفي تفسير المحرر الوجيز ١: ٢٤٩ نسيه لقتادة.

(٣) دليل الخطاب، أو مفهوم المخالفة، بحث طويل شائك، شمول جوانبه في محدودة الهامش مشكل، خلاصته - بحدود الهامشية - : إن بعض الأحكام ترد من الشارع الأقدس معلقة على صفة، أو زمان، أو عدد، أو ... يُستشف منها أن الحكم فيما عداها بخلاف الحكم المنصوص، وخير أمثلته آية النبا: ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ [الحجرات ٤٩: ٦]، أو قول النبي الأكرم ﷺ: (في سائمة الغنم زكاة). وعلى كل يبدو أنه محط اختلاف بين العلماء، فبعض ذهب إلى الجواز والصحة وانتفاء الحكم عما ليس له تلك الصفة، وبعض إلى عدم انتفاء الحكم عن المجرد من الصفة أو القيد، غاية الأمر إثبات الحكم فيما وجدت فيه لا غير، وأما المجرد فمस्कوت عنه لا يحكم عليه بشيء إلا بدليل آخر.

والذي يكشف عن ذلك : إِنَّ الواحد مَّا قد يعطي أولاده أو عبيده أموالاً ويتفَضَّل على جميعهم ، ثم يبذِّره بعضهم ويبقى فقيراً ، ويحفظه آخر فيصير غنياً ، ويَحَسُن أن يقول للغنيِّ منهم : لولا فضلي عليك لكنت فقيراً ، ولا يدلّ ذلك على أنّه لم يتفَضَّل على الذي هو فقير .

وإذا كان كذلك كان تأويل الآية : إِنَّه لولا إقداري لكم على الإيمان وإزاحة علّتكم فيه حتّى فعلتم إيمانكم ، لكنتم من الخاسرين .

وإنّما جعل الإيمان فضلاً فيؤتيه الذي به ينجو ولم يكونوا به خاسرين من حيث كان هو الدّاعي إليه والمُقدر عليه والمُرغَّب فيه .
ويحتمل أن يكون المعنى : ولولا فضل الله عليكم بإمهاله إيتاكم بعد توليكم عن طاعته ، حتّى تاب عليكم برجوع بعضكم عن ذلك وتوبته لكنتم من الخاسرين .

ويحتمل أن يكون أراد بهذا : الفضل في وقت رفع الجبل فوقهم باللطف والتوفيق الذي تابوا عنده حتّى زال عنهم العذاب وسقوط الجبل ، ولولا فضل الله لسقط الجبل .

✎ للتفصيل راجع المصادر الشيعة التالية :

التذكرة (ضمن مصنفات الشيخ المفيد) : ٣٩ ، الذريعة إلى أصول الشيعة ١ : ٣٩٢ ،
عدة الأصول ٢ : ٤٦٧ - ٤٨١ ، غنية النزوع ١ : ٣٣٦ - ٣٤١ ، معارج الأصول : ٥٨ ،
ذكرى الشيعة ١ : ٥٣ - ٥٤ ، زبدة الأصول : ١٥٠ ، الوافية : ٢٢٩ - ٢٣١ ، الفوائد
الحائريّة : ١٨٣ - ١٨٧ / الفائدة ١٧ ، الرسائل الأصوليّة للوحيد البهبهاني : ٣٣٨ .
والسنّة :

الفصول في الأصول للجصاص ١ : ٢٨٩ - ٣٢٣ ، الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم ٧ : ٣٢٣ - ٣٦٦ ، العدة في أصول الفقه للقاضي ٢ : ٤٦٨ - ٤٨٢ ، اللمع : ١٠٥ ، شرح اللمع ١ : ٤٢٨ ، المعونة في الجدل : ١٣٨ - ١٤٠ ، البرهان للجويني ١ : ٢٩٨ ، التلخيص ٢ : ١٨٣ ، المتحول : ٢٠٨ ، المحصول ٢ : ٣١٣ ، روضة الناظر وجنة المناظر ٢ : ٧٧٥ ، الاحكام في أصول الاحكام للآمدي ١ : ٦٣ - ٩٤ .

قوله تعالى :

﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ آية (٦٥).

﴿عَلِمْتُمْ﴾ أي : عرفتم ها هنا ، فقوله : عَلِمْتُ أَخَاكَ ولم أكن أعلمه ، أي : عَرَفْتُهُ ولم أكن أعْرِفُهُ ، كقوله تعالى : ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾^(١) يعني : لا تعرفونهم الله يعرفهم .
و﴿الَّذِينَ﴾ نصب ؛ لأنه مفعول به .

﴿اعْتَدَوْا﴾ أي : ظلموا وجاوزوا ما حُدَّ لهم ، وكانوا أمروا ألا يعدّوا في السَّبْتِ ، وكانت الحيتان تجتمع ؛ لأنها في السَّبْتِ ، فحبسوها في السَّبْتِ وأخذوها في الأحد .

و﴿اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ﴾ ؛ لأنَّ صيدها هو حبسها ، وقال قوم : بل اعتدوا فصادوا يوم السَّبْتِ^(٢) .

وسمى السَّبْتِ سبتاً ؛ لأنَّ السَّبْتِ هو القطعة من الدهر فسمى بذلك اليوم ، هذا قول الزَّجَّاج^(٣) .

(١) سورة الأنفال ٨ : ٦٠ .

(٢) أُشير إلى ذلك ضمن الروايات الدَّائِرَةُ للمسوخ وعلة المسخ ، منها ما جاء في : مسائل علي بن جعفر : ٣٣٦ ت ٨٢٨ ، الخصال : ٤٩٣ ت ١ وغيرهما كثير .

(٣) ما توفّر لدينا من مؤلفاته خالٍ منه ، وفي مختلف مضانّ الورد ، وقد نسبته إليه بعض ، منهم الماوردي في النكت والعيون ١ : ١٣٥ . وأمّا مصادر اللّغة فقد وردت فيها بنحوين : السَّبْتِ : برهة من الدهر ، وأخرى : السَّبْتِ : الدهر . ولم أجد فيها من النسبة إلى الزَّجَّاج أثر ، انظر : العين ٧ : ٢٣٨ ، جمهرة اللّغة ١ : ٣٤١ ، تهذيب اللّغة ١٢ : ٣٨٥ ، المحيط في اللّغة ٨ : ٢٩٩ ، المحكم والمحيط الأعظم ٨ : ٤٦٩ ، الصحاح ١ : ٢٥٠ ، لسان العرب ٢ : ٣٦ ، تاج العروس ٣ : ٥٧ .

وقال أبو عبيدة: سَمِيَ بذلك؛ لأنه يوم سبت فيه خلق كل شيء، أي: قطع وفرغ^(١).

وقال قوم: سَمِيَ بذلك؛ لأن اليهود يسبتون فيه، أي: يقطعون الأعمال^(٢).

وقال آخرون: سَمِيَ بذلك لما لهم فيه من الراحة؛ لأن أصل السَّبْت هو السَّكون والراحة، ومن ذلك قوله: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾^(٣)، وقيل للنائم: مسبوت؛ لاستراحته وسكون جسده، فسمي به اليوم لاستراحة اليهود فيه^(٤).

وقوله: ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ إخبار عن سرعة فعله ومسخه إيَّاهم، لا أن هناك أمراً كما قال للسَّموات والأرض: ﴿آتَيْنَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾^(٥) ولم يكن هناك قول، وإنما أخبر عن تسهّل الفعل عليه وتكوينه له بلا مشقّة، بلفظ الأمر.

ومعنى الآية - على ما قاله أكثر المفسرين -: إنه مَسَحَهُمْ قِرْدَةً فِي

(١) لم نجده منسوباً إليه إلا في تفسير النكت والعيون ١ : ١٣٥، وانظر: تفسير الوسيط ١ : ١٥٢، تفسير الدر المنثور ١٣ : ٩١ عن كتاب العظمة: ٢٩١ ت ٨٧٩.

(٢) تجد ذلك في: تفسير النكت والعيون ١ : ١٣٥، تفسير السمعاني ١ : ٨٩، تفسير الوسيط ١ : ١٥٢، الغريبين للهروي ٣ : ٨٥٢.

(٣) سورة النبأ ٧٨ : ٩.

(٤) أشير إلى هذا الموضوع في المصادر التفسيرية التالية: تفسير مقاتل بن سليمان ٤ : ٥٥٨، تفسير الكشف والبيان ١٠ : ١١٤، تفسير الطبراني ٦ : ٤٢٢، تفسير النكت والعيون ١ : ١٣٥، تفسير بحر العلوم ١ : ١٢٦، تأويلات أهل السنة ٥ : ٣٦٦، ومن كتب اللغة - إضافة لما تقدّم في هامش «٢» في الصفحة المتقدمة - أنظر «سَبَتَ» في: مفردات ألفاظ القرآن: ٣٩٢، الغريبين للهروي ٣ : ٨٥٢، جمهرة اللغة ١ : ٢٥٣، النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٢ : ٣٣٠.

(٥) سورة فصلت ٤١ : ١١.

صورة القردة سواء .

وحكي عن ابن عباس أنه قال : لم يعيش مِنْخُ قَطَّ فوق ثلاثة أيام ، ولم يأكل ولم يشرب^(١) .

وقال مجاهد : إِنَّ ذَلِكَ مَثَلٌ ضربه الله ، كما قال : ﴿ كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ﴾^(٢) ولم يمسخهم قردة . وحكي عنه أيضاً أنه قال : مُسخت قلوبهم فجعلت قلوب القردة لا تقبل وعظاً ولا تتقي زجراً^(٣) .

وهذان القولان منافيان لظاهر التأويل ؛ لما عليه أكثر المفسرين من غير ضرورة داعية إليه^(٤) .

وقوله : ﴿ خَاسِئِينَ ﴾ أي مبغدين ؛ لأنَّ الخاسئ هو المُبعد المطرود كما يُخسأ الكلب ، تقول منه : خَسَأْتُهُ أَخْسُوهُ [أَخْسَأَهُ] خَسَأً وَخُسُوْءاً وهو : [يَخْسَأُ] يَخْسُوْهُ خُسُوْءاً ويقال : خَسَأْتُهُ فَخَسَأَ وَخَسِيَّ وَأَنْخَسَأَ^(٥) ، قال الراجز :

(١) المحكي عن ابن عباس ورد في المصادر التالية مجملاً تارة ، ومفصلاً أخرى ضمن حديث طويل ، ومنسوباً مرّةً وغير منسوب أخرى ، انظر : تفسير النكت والعيون ١ : ١٣٥ ، تفسير المحرّور الوجيز ١ : ٢٥٢ ، تفسير الكشف والبيان ١ : ٢١٤ ، تفسير الطبراني ١ : ١٨٢ . وانظر المستدرک على الصحيحين ٢ : ٣٢٢ ، ويؤيده ما ورد عن الإمام الرضا عليه السلام في عيون الأخبار ١ : ٢٧١ ت ٢ ب ٢٧ و ٢ : ٢٠١ ب ٤٦ ت ١ ، وما جاء في من لا يحضره الفقيه ٣ : ٢١٣ ت ٩٨٩ .

(٢) سورة الجمعة ٦٢ : ٥ .

(٣) تفسير مجاهد : ٢٠٥ ، وانظر : تفسير جامع البيان ١ : ٢٦٣ ، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازي ١ : ١٣٣ ت ٦٧٢ ، تفسير المحرّور الوجيز ١ : ٢٥٣ ، تفسير الكشف والبيان ١ : ٢١٢ .

(٤) لقول أكثر المفسرين - وهو رأي ابن عباس وغيره - انظر الهامش «٤» المتقدم .

(٥) لضبط المادة اللغوية «خَسَأَ» انظر : الهمز : ٧٠ ، العين ٤ : ٢٨٨ ، جمهرة اللغة ٢ : ١٠٥٤ و ١٠٩٦ ، تهذيب اللغة ٧ : ٤٨٣٧ ، مفردات ألفاظ القرآن : ٢٨٢ ، المحيط في اللغة

كَالْكَلْبِ إِنْ قُلْتَ لَهُ أَخْسَأْ انْخَسَأْ^(١)

أي: إِنْ طَرَدْتَهُ أَنْطَرَدَ.

وقال مجاهد: معناه أذلاء صاغرين^(٢). والمعنى قريب.

وفي هذه الآيات احتجاج من الله تعالى بنعمه المترادفة، وإخبار للرَّسول عن عناد أسلافهم، وكفرهم مرّة بعد أخرى مع ظهور الآيات والعلامات؛ تعزية له ﷺ وتسليّة له عندما رأى من جحودهم وكفرهم، وليكون وقوفه على ما وقف عليه من أخبارهم، حجة عليهم وتنبهاً لهم وتحذيراً أَنْ يَحِلَّ بِهِمْ مَا حَلَّ بِمَنْ تَقَدَّمَهُمْ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَسْلَافِهِمْ.

قوله تعالى:

﴿فَجَعَلْنَاهَا نَكَالاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾

آية (٦٦) آية بلا خلاف.

الضمير في قوله: ﴿فَجَعَلْنَاهَا﴾ يحتمل أَنْ يكون راجعاً إلى العقوبة أو القردة، فكأنّه قال: جُعِلَ القردة - أي ما حلَّ بها من التشويه وتغيير الخلقة - دلالة على أَنَّ من تقدّمهم أو تأخّر عنهم ممّن فعل مثل فعلهم

٤٣٤: ٣٨٤، المحكم والمحيط الأعظم ٥: ٢٢٩، الصحاح ١: ٤٧، لسان العرب ١:

٦٥، تاج العروس ١: ١٤٥. وما بين المعقوفين من بعض المصادر المشار إليها.

(١) رجز لم يعرف قائله، استشهد به لمورد الشاهد في: ديوان الأدب ٤: ٢٣٧،

الصحاح ١: ٤٧، المحكم والمحيط الأعظم ٥: ٢٢٩ «خَسَأَ» فيها، وهكذا أغلب

مصادر الهامش السابق وغيرها وفي الجميع بدون نسبة إلى قائل معيّن.

(٢) نُقِلَ عن مجاهد في: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازي ١: ١٣٣

ت ٦٧٤، تفسير الكشف والبيان ١: ٢١٢، تفسير جامع البيان ١: ٢٦٣، تفسير

النكت والعيون ١: ١٣٦ وغيرها.

يَسْتَحِقُّ مِنَ الْعِقَابِ مِثْلَ مَا نَزَلَ بِهِمْ فَكَانَ نِكَالًا لَهُمْ جَمِيعًا، ﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ أَي: تَحْذِيرًا وَتَنْبِيهًا؛ لِكَيْلَا يَوَاقِعُوا مِنَ الْمَعَاصِي مَا وَاقَعَ أَوْلَئِكَ، فَيَسْتَحِقُّوا مَا اسْتَحَقُّوا، نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ سَخَطِهِ .

وَيَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ الْهَاءُ رَاجِعَةً إِلَى الْحِيتَانِ .

وَيَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ رَاجِعَةً إِلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي اعْتَدَى فِيهَا أَهْلُهَا .

وَيَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ رَاجِعَةً إِلَى الْأُمَّةِ الَّتِي اعْتَدَوْا، وَهُمْ أَهْلُ أُيُتْلَى^(١) :

قَرْيَةٍ عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ^(٢)، رَوَى ذَلِكَ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ^(٣) .

وَقَوْلُهُ: ﴿نِكَالًا﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: عَقُوبَةٌ . وَقَالَ غَيْرُهُ: يَنْكُلُ بِهَا مِنْ

يِرَاهَا^(٤) .

(١) أُيُتْلَى: وَزَانُ فَعْلَةٍ بَفَتْحِ أَوَّلِهِ وَسُكُونِ ثَانِيهِ، مَدِينَةٌ عَلَى شَاطِئِ بَحْرِ الْقُلُزْمِ - الْأَحْمَرِ - مِمَّا يَلِي الشَّامَ، فِي مَتَنَصِفِ طَرِيقِ مِصْرَ إِلَى مَكَّةَ، وَهِيَ الْقَرْيَةُ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ، وَاعْتَدَى أَهْلُهَا يَوْمَ السَّبْتِ، قِيلَ: سَمَّيْتَ عَلَى اسْمِ أُيُتْلَى بِنْتُ مَذْيَنَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ . وَهَنَّاكَ مَوَاضِعَ أُخْرَى غَيْرَ مُرَادَةٍ قِطْعًا .

لِلْمَزِيدِ انْظُرْ: مَعْجَمٌ مَا اسْتَعْجَمَ ١: ٢١٦، مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ ١: ٢٩٢، مَرَاصِدُ الْإِطْلَاعِ ١: ١٣٨ .

(٢) صَرَّحَتْ بِذَلِكَ أَيْضًا جُمْلَةٌ مِنَ الْمَصَادِرِ، مِنْهَا: مَعَانِي الْقُرْآنِ لِلرَّجَّاجِ ١: ١٤٩، صَحِيفَةُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ: ٢٣٨، تَفْسِيرُ الْكَشْفِ وَالْبَيَانِ ١: ٢١٣، تَفْسِيرُ النَّكَتِ وَالْعِيُونِ ١: ١٣٦، تَفْسِيرُ الْوَسِيطِ ١: ١٥٣، تَفْسِيرُ السَّمْعَانِيِّ ١: ٩٠ .

(٣) رَوَاهَا فِي تَفْسِيرِهِ كُلٌّ مِنْ: عَلِيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ ١: ٢٤٤، وَعَنهُ الْبَحْرَانِيُّ فِي تَفْسِيرِ الْبَرْهَانِ ٢: ٥١٨ ت ٤٠٢٤ وَانْظُرْ مَا قَبْلُهَا وَبَعْدَهَا؛ وَالْعِيَاشِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ ٢: ١٦٦ ت ١٦٣٦، وَهِيَ عَنِ الْإِمَامِ الْبَاقِرِ عَنْ جَدِّهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ^(٤) .

(٤) الْأَقْوَالُ تَجَدُّهَا فِي التَّفَاسِيرِ: تَفْسِيرُ الْكَشْفِ وَالْبَيَانِ ١: ٢١٣، تَفْسِيرُ النَّكَتِ وَالْعِيُونِ ١: ١٣٦، تَفْسِيرُ بَحْرِ الْعُلُومِ ١: ١٢٧، تَفْسِيرُ الْوَسِيطِ ١: ١٥٣، تَفْسِيرُ السَّمْعَانِيِّ ١: ٩٠، مَعَانِي الْقُرْآنِ لِلرَّجَّاجِ ١: ١٤٩، تَفْسِيرُ الْمَحْزَرِّ الْوَجِيزِ ١: ٢٥٣، وَانْظُرْ: تَفْسِيرُ مَعَالِمِ التَّنْزِيلِ ١: ٩٨، تَنْوِيرُ الْمِقْبَاسِ ١: ١١ .

وقيل : إنه شهرة ؛ لأنَّ النُّكَّال : الاشتهار بالفضيحة ، ذكر ذلك الجُبَّائِي^(١) . وليس بمعروف .

وَالنُّكَّالُ : الإِرْهَابُ لِلْغَيْرِ ، وَأَصْلُهُ : الْمَنْعُ ؛ لِأَنَّهُ مَأْخُوذٌ مِنَ النُّكْلِ ، وَهُوَ : الْقَيْدُ ، وَهُوَ أَيْضاً : اللَّجَامُ وَكِلَاهُمَا مَانِعٌ^(٢) .

وقوله : ﴿لَمَّا بَيَّنَّ يَدَيَهَا وَمَا خَلَفَهَا﴾ روى عِكْرِمَةُ عن ابن عباس : إنه أراد ﴿لَمَّا بَيَّنَّ يَدَيَهَا وَمَا خَلَفَهَا﴾ من القرى .

وروى الضَّحَّاك عن ابن عباس : إنه أراد ﴿لَمَّا بَيَّنَّ يَدَيَهَا﴾ يعني من بعدهم من الأمم ، ﴿وَمَا خَلَفَهَا﴾ الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُمْ بَاقِينَ^(٣) .

وقال السُّدِّيُّ : ﴿لَمَّا بَيَّنَّ يَدَيَهَا﴾ من ذُنُوبِهَا ، ﴿وَمَا خَلَفَهَا﴾ يعني عبرة لمن يأتي بعدهم من الأمم^(٤) .

(١) ذكره - ومن دون نسبة - : التَّعْلِيْقِي فِي تَفْسِيرِ الْكُشْفِ وَالْبَيَانِ ١ : ٢١٣ ، وَالْمَأْوَرِدِي فِي تَفْسِيرِ النَّكَتِ وَالْعَيُونِ ١ : ١٣٦ .

هذا ، عَلَى أَنَّ مُؤَلَّفَاتِ الْجُبَّائِي مَفْقُودَةٌ ، وَلَمْ نَجِدِ الْإِشَارَةَ إِلَيْهِ فِي شَيْءٍ مِنَ الْمَصَادِرِ لَدَيْنَا ، وَلِلْإِطْلَاعِ عَلَى مَا هِيَ تَفْسِيرُهُ عَمُومًا أَنْظُرْ : سَعْدُ السَّعُودِ ٢٨٨ : فَصْلُ ٦٦ .

(٢) مَادَّةُ «نَكَلَ» تَجِدُهَا فِي الْمَصَادِرِ اللَّغَوِيَّةِ التَّالِيَةِ : الْعَيْنُ ٥ : ٣٧١ ، جُمُهِرَةُ اللَّغَةِ ٢ : ٩٨٢ ، تَهْذِيبُ اللَّغَةِ ١٠ : ٢٤٥ ، الْمَحِيطُ فِي اللَّغَةِ ٦ : ٢٦٥ ، الْمَحْكَمُ وَالْمَحِيطُ الْأَعْظَمُ ٧ : ٣٤ ، مُفْرَدَاتُ أَلْفَاظِ الْقُرْآنِ ٨٢٤ : الصَّحَاحُ ٥ : ١٨٣٥ ، تَاجُ الْعُرُوسِ ٥ : ٧٥٤ ، لِسَانُ الْعَرَبِ ١١ : ٦٧٧ .

هذا ، وَيُظْهِرُ أَنَّ الْاِخْتِلَافَ فِي الضَّبْطِ نَاتِجٌ عَنِ الْاِخْتِلَافِ بَيْنَ تَمِيمٍ وَالْحِجَازِ .
(٣) لَمَّا رَوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنْظُرْ : تَفْسِيرِ النَّكَتِ وَالْعَيُونِ ١ : ١٣٦ ، تَفْسِيرِ الْوَسِيطِ ١ : ١٥٣ ، مَعَانِي الْقُرْآنِ لِلزَّجَّاجِ ١ : ١٤٩ ، تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ لِابْنِ أَبِي حَاتِمٍ الرَّازِي ١ : ١٣٣ وَ ٦٧٦ وَ ١٣٤ ت ٦٨٠ ، تَفْسِيرِ الْكُشْفِ وَالْبَيَانِ ١ : ٢١٣ ، تَفْسِيرِ السَّمْعَانِي ١ : ٩٠ .

(٤) تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ لِابْنِ أَبِي حَاتِمٍ الرَّازِي ١ : ١٣٤ ت ٦٧٧ ، تَفْسِيرِ الْكُشْفِ

وقال قتادة: ﴿لَمَّا بَيَّنَّ يَدَيَّهَا﴾ ذنوب القوم، ﴿وَمَا خَلَفَهَا﴾ الحيتان التي أصابوها^(١).

وقال مجاهد: ﴿مَا بَيَّنَّ يَدَيَّهَا﴾ ما مضى من خطاياهم، ﴿وَمَا خَلَفَهَا﴾ من خطاياهم التي أهلكوا بها^(٢).

﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ خصَّ المتقين بها - وإن كانت موعظة لغيرهم - لا نفع المتقين بها دون الكافرين، كما قلناه في قوله: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾^(٣). وأصل النكال: العقوبة، تقول: نكَل فلانٌ بفلانٍ يُنكِلُ تَنكِيلًا وَنَكَالًا^(٤). قال عدي بن زيد:

لَا يُسَخِّطُ الْمَلِيكَ مَا يَصْنَعُ الْعَبْدُ لَدَّ وَلَا فِي نِكَالِهِ تَنْكِيرُ^(٥) [٢٩٣]

﴿التبيان ١: ٢١٣﴾، تفسير بحر العلوم ١: ١٢٧، تفسير الوسيط ١: ١٥٣، تفسير المحرر الوجيز ١: ٢٥٣.

(١) في بعض النسخ والمطبوعات اضطراب في النقل عن قتادة وزيادة نصها: وقال قتادة: ﴿لَمَّا بَيَّنَّ يَدَيَّهَا﴾ ذنوبها، ﴿وَمَا خَلَفَهَا﴾ عبرة لمن يأتي خلفهم بعدهم من الأمم. حذفناها مطابقة للنسخ المعتمدة. ومما يساعد على الحذف عدم روايتها عنه وبهذه الكيفية المختلفة، أنظر: تفسير النكت والعيون ١: ١٣٦، تفسير الجامع لأحكام القرآن ١: ٤٤٤، تفسير البحر المحيط ١: ٢٤٦.

(٢) تجد القولين منسوبين، وغير منسوبين في المصادر التالية: تفسير مجاهد: ٢٠٥، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازي ١: ١١٣٤ و٦٨٢ و٦٧٧، تفسير الكشف والبيان ١: ٢١٣، التفسير الكبير للطبراني ١: ١٨٣، تفسير عبدالرزاق الصنعاني ١: ٢٧٤ ت ٦٦، تفسير النكت والعيون ١: ١٣٦، تفسير السمعاني ١: ٩٠، تفسير بحر العلوم ١: ١٢٧، تفسير الوسيط ١: ١٥٣، تفسير ابن أبي زمين ١: ١٤٨. (٣) عند تفسير الآية ٢: من سورة البقرة.

(٤) انظر هامش «٢» صفحة (٤٠٣) ففيه الكفاية من مصادر اللغة.

(٥) من قصيدة للشاعر نظمها وهو في سجن النعمان بن المنذر، مُبدياً خضوعه له،

وأقوى التأويلات ما رواه الضَّحَّاك عن ابن عَبَّاس : من أنَّها كناية عن العقوبة والمسحاة التي مسحها القوم ؛ لأنَّ في ذلك إشارة إلى العقوبة التي حلَّت بالقوم ، وإن كان باقي الأقوال أيضاً جائز .
قوله تعالى :

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُؤًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ آية (٦٧) آية
بلا خلاف .

قرأ أبو عمرو ونافع والكِسَائِي (وابن عامر)^(١) : ﴿هُزُؤًا﴾ مثقلاً^(٢) ، وكذلك ﴿كُفُّوْا﴾^(٣) مثقلاً ، وقرأوا : ﴿جَزْءًا﴾^(٤) مخففاً^(٥) ، وعاصم يثقلهن ويخففهن ، وحزمة يخففهن ثلاثهن^(٦) .

قوله : ﴿وَإِذْ﴾ معطوفة على قوله : ﴿أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ

بِطَالِبًا عَظْفَهُ وَرَأْفَتَهُ ، وفي مقطع منها يُذَكِّرُ التَّعْمَان ما جرى على الملوك السابقين .
هذا ، ويظهر أنَّ رواية البيت مضطربة جداً ، حتَّى إنَّ بعضها تُخرجه عن الاستشهاد ، مثل إبدال «نكاله» إلى «عقوبته» .

والرواية المطابقة تجدها في المعاني الكبير ٢ : ١٢٦٢ ، وانظر : ديوان عَدِيَّ بن زيد : ٨٤ ب ٤٤ قصيدة ١٦ ، ديوان المروءة : ١٨٢ ب ٤٤ أيضاً .

(١) ساقط من «خ» مثبت في الباقي ، وتساعد عليه المصادر .

(٢) يعبر عن تحريك الحرف بالثقل ، كما هو في التشديد .

(٣) سورة الإخلاص ١١٢ : ٤ .

(٤) سورة البقرة ٢ : ٢٦٠ ، وسورة الزَّخْرَف ٤٣ : ١٥ .

(٥) يعبر بالتخفيف والتليين عن : السكون ، وترك الشَّدة ، وتحويل الحرف إلى آخر ، مثل : الهمزة إلى الألف أو الواو أو الياء .

(٦) انظر : السبعة في القراءات : ١٥٨ - ١٦٠ ، حجة القراءات : ١٠٠ - ١٠١ ، معاني القراءات للأزهري : ٥٣ ، الحجة للقراء السبعة ٢ : ١٠٠ - ١٠٤ ، غاية الاختصار ٢ :

٤١٠ ت ٥٩٥ ، التذكرة في القراءات ٢ : ٣١٥ ، الموضح ١ : ٢٨١ ت ٢٥ .

عَلَيْكُمْ»^(١) واذكروا ﴿إِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾ .

وأهل الحجاز يثقلون هذه الكلمات ، وبنو أسد وتميم وعامة قيس يخففونها . ومن لا يُحصى ممن يجاورهم يقولون : «عَنْ» مكان «أَنْ» إذا كانت الهمزة مفتوحةً يجعلونها عيناً ، ويقولون : أشهد عنك رسول الله ، وإذا كسروها رجعوا إلى لغة أهل الحجاز إلى الهمزة^(٢) .

وهذه الآية فيها توبيخ للمخاطبين من بني إسرائيل ، في نقض أوائلهم الميثاق الذي أخذه الله عليهم بالطاعة لأنبيائه ، فقال : اذكروا أيضاً من نكثهم

(١) سورة البقرة ٢ : ٤٠ و ٤٧ .

(٢) هذه من الصفات المذمومة في الفصاحة مستهجنة لدى فصحاء العرب ، وتعدادها - الصفات - بطول ، ولكن بنحو الاختصار لا بأس به ، فنقول :

١ - عَنَعَتُهُ تميم ، وهي : إبدال همزتي أَنْ وَأَنَّ بالعين ، فيقولون : عَنَّا عوض أنك ، وهكذا .

٢ - ثَلَّثَتُهُ بَهَاء ، وهي : كسر حرف المضارعة - التاء والياء - من تفعلون ، يَعْلَمُونَ ، تَعْلَمُونَ ، فيقولون : يَفْعَلُونَ ، يَعْلَمُونَ ، تَعْلَمُونَ ، وهكذا .

٣ - كَشَّكَشَتُهُ ربعية ، وهي : إضافة الشين بعد كاف ضمير المؤنث عند الوقف ، يقولون : إِنْكَشَّ عوض إِنْكُنْ .

٤ - كَسَّكَسَتُهُ هوازن ، وهي : إضافة السين بعد كاف ضمير المؤنث عند الوقف ، يقولون : أَعْطَيْتُكَس بدل أعطيتكن .

٥ - الْغُمْمَمَةُ ، وهي : الكلام المبهم الغير البين .

٦ - الْخَلْخَايَةِ ، وهي : العُجْمَةُ فِي النَّطْقِ .

وغيرها من الأمور المذمومة والتي خلصت منها لغة قريش ؛ لذا عدت أفصح العرب .

للتوسعة ، انظر : الكامل في الأدب ٢ : ٢٢٤ ، مجالس ثعلب ١ : ٨٠ ، فقه اللغة ١٠٧ ب ١٥ فصل ٢٩ ، شرح المفصل لابن يعيش ٩ : ٤٨ ، البيان والتبيين ٣ : ٢١٢ ، الصاحبي : ٣٥ باب اللغات المذمومة ، درة الغواص : ٢٤٩ ت ١٩٠ ، خزنة الأدب للبغداد ١١ : ٢٣٦ ، المزهري في علوم اللغة ١ : ٢٠٩ فصل ٢ في معرفة الفصح من العرب وغيرها كثير .

مِثَاقِي ﴿إِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُؤًا﴾ .

والهُزءُ: اللَّعب والسُّخريَّة ، قال الرَّاجز :

قَدْ هَزَيْتَ مِنِّي أُمَّ طَيْسَلَةَ

قالت: أراه مُعْدِمًا لَا شَيْءَ لَهُ ^(١)

أي: سخرت ولعبت . ولا يجوز أن يقع من أنبياء الله عز وجل فيما يؤدونه هزؤ ولا لعب . وظنوا في أمره إيهاهم عن الله بذبح البقرة عند تدارئهم في القتل أنه هازئ لآعب ، ولم يكن لهم ذلك .

وحذفت الفاء من قوله: ﴿قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُؤًا﴾ وهو جواب ؛ لاستغناء ما قبله من الكلام عنه ، وحسن السكوت على قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ فجاز لذلك إسقاط الفاء من قوله: «فقالوا» كما حسن إسقاطها في قوله: ﴿فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ * قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا ^(٢)

(١) رجز كما اختلف في قائله بين صَخْر وصَخْرٍ وَصَخِير بن عمير ، والأصمعي أبو سعيد ، وأعرابي اختلف في ضبطه كذلك .

المعنى : قيل هو حوار بين الراجز وامرأته ، إذ عابت عليه الفقر والشيخوخة و... فأجابها مبيناً حالتها فعلاً وسالف زمانها ، وهاجياً إيها هجواً شديداً . ومبيناً ما كان عليه سالفه وحاليه ، مفتخراً بنفسه عريضاً .

وطَيْسَلَةُ : وزان فَيْعَلَة من الطَّسَل ، وهو يرد على معاني : الماء القليل الجاري على وجه الأرض ، أو ضوء السَّراب ، أو اسم علم .

الشاهد فيه : استعمال الهُزء بمعنى السخرية .

انظر : الأصمعيات : ٢٣٤ ت ٩٠ ، تفسير جامع البيان ١ : ٢٦٧ ، أمالي القالي ٢ :

٢٨٤ ، سمط اللاكي : ٩٣٠ معجم الأدباء ٧ : ٢١٩ ضمن ترجمة ٢٩٦ ، جمهرة اللغة

٢ : ٧٣٨ ، المحكم والمحيط الأعظم ٨ : ٤٣٥ .

(٢) وردت في سورتي الحجر ١٥ : ٥٧ - ٥٨ ، الذاريات ٥١ : ٣١ : ٣٢ .

ولم يقل: فقالوا، ولو قيل: بالفاء لكان حسناً. ولو كان ذلك على كلمة واحدة لم تسقط منه الفاء، ألا ترى أنك إذا قلت: قمتُ ففعلتُ، لم يجز إسقاط الفاء؛ لأنها عطف لا استفهام يُوقف عليه.

فقال موسى حينئذٍ: ﴿أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ يعني السفهاء من الذين يروون على الله الكذب والباطل.

وكان السبب في أمر موسى لقومه بذبح البقرة ما ذكره المفسرون: إن رجلاً من بني إسرائيل كان غنياً ولم يكن له ولد وكان له قريب يرثه - قيل: إنه أخوه، وقيل: إنه ابن أخيه، وقيل: ابن عمه - واستبطأ موته، فقتله سراً وألقاه في موضع بعض الأسباط، وادّعى قتله على أحدهم، فاحتكموا إلى موسى، فسأل من عنده من ذلك علم؟ فقالوا: أنت نبّي الله وأنت أعلم منا، فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ فلما سمعوا ذلك منه - وليس في ظاهره جواب عما سألوا عنه - ﴿قَالُوا أَتَتَّخِذَنَا هُزُوعاً قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾؛ لأن الخروج عن جواب السائل المسترشد إلى الهُزء جهل^(١).

قال بعضهم: وإنما أمروا بذبح البقرة دون غيرها؛ لأنها من جنس ما عبدوه من العجل؛ ليهون عليهم ما كانوا يرونه من تعظيمهم، وليعلم بإجابتهم زوال ما كان في نفوسهم من عبادته.

والبقرة: اسم للأنثى، والثور: للذكر، مثل: ناقةٍ وجمل، وامرأة ورجل، فيكون تأنيثه بغير لفظه.

(١) تفسير النكت والعيون ١٠: ١٣٧، تأويلات أهل السنة ١: ١٦٨، تفسير القرآن للسمرقاني ١: ٩١.

والبقرة^(١) مشتق من الشَّقْ، يقولون: بَقَرَ بَطْنُهُ إِذَا شَقَّهُ؛ لَأَنَّهَا تَشُقُّ
الأَرْضَ فِي الْحَرثِ^(٢).

قوله تعالى:

﴿قَالُوا آذُعْ لَنَا رَبُّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا
فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ﴾ آية (٦٨) آية
واحدة بلا خلاف.

الفَارِضُ: الكبيرة المُسِنَّة، وبه قال الجمهور^(٣)، يقال منه: فَرَضَتْ
البقرة تَفْرِضُ فَرُوضاً، وَفَرَضَتْ تَفْرِضُ فَرَاضَةً، يعني: أَسَنَتْ، قال
الشاعر:

لَعَمْرِي لَقَدْ أَعْطَيْتَ جَارَكَ فَارِضاً تَسَاقُ إِلَيْهِ مَا تَقُومُ عَلَى رِجْلٍ^(٤) [٢٩٥]

(١) كذا في النسخ، ولعله «والبقر» من دون التاء؛ لاتفاق مصادر اللغة على ذلك، أي
البَقَرُ: هو الشَّقْ والفتح. انظر مصادر الهامش الآتي.

(٢) مادة «بَقَرَ» تجدها في: العين ٥ : ١٥٨، جمهرة اللغة ١ : ٣٢٢، تهذيب اللغة ٩ :
١٣٥، مفردات ألفاظ القرآن: ١٣٨، المحيط في اللغة ٥ : ٤١١، المحكم والمحيط
الأعظم ٦ : ٣٩٥، الصحاح ٢ : ٥٩٤، لسان العرب ٤ : ٧٣، تاج العروس ٦ : ٤.

(٣) لعله إشارة إلى ما ذهب إليه جمهور المفسرين أمثال: مجاهد، ابن عباس، أبو
العالية، قتادة، السُّدِّي، ابن زيد على ما حكاه عنهم الطبري في جامعه ١ : ٢٦٧ -
٢٦٨، وابن عطية الأندلسي في تفسير المحرر الوجيز ١ : ٢٥٦، وابن أبي حاتم
الرازي في تفسير القرآن العظيم ١ : ١٣٧ ت ٦٩٤، والشعلبي في تفسير الكشف
والبيان ١ : ٢١٦، والطبراني في التفسير الكبير ١ : ١٨٦، وغيرها.

(٤) اختلفت المصادر في عزوه بين خُفَاف بن نُدْبَة وعلقمة بن عوف. ولكل ذهب
جمع، والأغلب على التردد أو عدم النسبة.

المعنى: الشاعر يصف هدية أحدهم لجاره قائلاً: إِنَّ الحيوان الذي أُعْطِيَتْهُ

وقيل : إِنَّ الْفَارِضَ : التي قد ولدت بطوناً كثيرة فيتسع لذلك جوفها ؛
لأنَّ معنى الفارِض في اللّغة : الواسعُ ، وهو قول بعض المتأخرين^(١) ،
واستشهد بقول الراجز :

[٢٩٦]

يَارُبُّ ذِي ضُغْنٍ عَلَيَّ فَارِضٍ
لَهُ قُرُوءٌ كَقُرُوءِ الْحَائِضِ^(٢)

ومنه قول الآخر :

جاء - أهديته - جارك لكبره وضعفه لا يتمكّن من الوقوف على قدميه ، بل لابدّ من سوقه
أو جرّه أو سحبه إليه .

الشاهد : استعمال فارض وإرادة الكبيرة المسنّة ، وهو شاهد كلّ من ذكر البيت .
انظر : ديوان خُفاف : ١٢٣ وهو بيت مفرد برقم ٣٨ ، وسؤالات نافع إلى عبدالله
ابن عباس (غريب القرآن) : ١٦٢ ت ١٣٢ الأضداد لابن الأنباري : ٣٧٦ ت ٢٨٣
وأضاف إليه آخر ، وهو :

وَلَمْ تُعْطِهِ بِكُراً فَيْرَضَى سَمِينَةً فَكَتِفَ مُجَازِي بِالْعَطِيَّةِ وَالْبَذْلِ
تفسير البحر المحيط ١ : ٢٤٨ ، تفسير الكشف ١ : ٢٨٧ وغيرها .

(١) مع متابعة المصادر لم نعثر على قائل به ، ولا من أشار إلى الاستعمال . نعم ، ذكره
الماوردي في النكت والعيون ١ : ١٣٨ بنحو ما حكاه الشيخ المصنّف . ولعله لقائل
من الذين ذهب مصنّفاتهم فعلاً ذهاب أمس الغابر ؛ نتيجة ما دهم المكتبات من
كوارث ، وما أكثرها .

(٢) هكذا ورد الرجز في النسخ . وأمّا في المصادر فباختلاف - لا أثر على الشاهد فيه -
وزيادة شطر ثالث . ونسب الرجز لدى بعض إلى ثمامة .
المعنى : ربّ شخص له حقد عليّ وضغن كبير ، له أوقات تهيج فيها عداوته
وبغضائه كما يهيج دم الحائض في مواعيدها .
الشاهد : استعمال فارض وإرادة الكبير منه .

انظر : تفسير الكشف والبيان ١ : ٢١٦٠ ، تفسير المحرّر الوجيز ١ : ٢٥٦ ،
مجالس ثعلب ١ : ٣٠١ ، الحيوان للجاحظ ٦ : ٦٦ - ٦٧ ، الغريبين للهروي ٥ :
١٤٣٣ ، أساس البلاغة ٢ : ١٩٦ ، المعاني الكبير للدينوري ٢ : ٨٥٠ القرطبي : ٤٤ ،
تفسير غريب القرآن لابن قتيبة : ٥٢ ت ٦٨ ، ديوان الأدب ١ : ٣٥٣ ، وغيرها .

هَذَلَاءُ كَالْوَطْبِ تَجَاهُ الْمَاخِضِ

[٢٩٧]

لَهُ رِجَاجٌ وَلَهَاةٌ فَارِضٌ^(١)

ويقال: لحية فارضة إذا كانت عظيمة، قال الشاعر:

[٢٩٨]

شَيْبَ أَصْدَاغِي فَرَأْسِي أَيْضُ

مَحَامِلٌ فِيهَا رِجَالٌ قُرُضُ^(٢)

أي: ذو أسنان.

وقال الجُبائي، الفارِضُ: التي لم تلد بطوناً كثيرة، فيتسع لذلك

بطونها.

قال الرّماني: وهذا غلط لا يُعرف^(٣).

(١) الرجز هذا نسب للراجز الإسلامي أبو محمد الفقعسي، عبدالله بن ربيعي الخذلمي. وترتيبه مطابق للنسخ المخطوطة، وفي المصادر بتقديم وتأخير واختلاف في بعض الكلمات له أثر على حركة ومعنى المفردات والمعنى العام.

المعنى: يصف سير امرأة سميّة بأنها حدلاء ممتلئة مثل قربة مملوءة لبناً تُحرّك بقوة لإخراج الزُبدة، وأنّ للهاتها الكبيرة - أي: لرقبتها - ارتجاج وحركة.

الوطب: القربة، السقاء. الماخض: المُحرّك بشدّة. رجاج: الاهتزاز القوي.

انظر: جمهرة اللغة ١: ٥٠٥، الأضداد لابن الأنباري: ٣٧٦ ت ٢٨٣، الأضداد لأبي الطيّب الحلبي: ٥٦٥، تهذيب اللغة ١٠: ٤٥٤، وغيرها.

(٢) نسب الرجز هذا لضبّ العدوي، ولرجل من فقيم، ولم نتحققه، وأضاف بعض محققي المصادر إليه ستة أبيات، انظر الصحاح ٣: ١٠٩٨، المحكم والمحيط الأعظم ٨: ١٨٥، أساس البلاغة ٢: ١٩٥، تاج العروس ١٠: ١٢٠، لسان العرب ٧: ٢٠٤، «قُرُض» في الجميع، وراجع أغلب مصادر الهامش الآتي.

(٣) اختلاف متشعب في تفسير وضبط واشتقاق كلمة «فارض» في المصادر، حتى عدّها بعضهم من الأضداد، تتبعه مشكل، فالإحالة خير، انظر من مصادر التفسير: التفسير الكبير للطبراني ١: ١٨٦، تفسير الكشف والبيان ١: ٢١٦، تفسير القرآن

والبكر: الصغيرة التي لم تحمل . والبكر: من إناث البهائم ، وبني آدم :
 ما لم يفتحله الفحل ، مكسورة الباء . والبكر ، بفتح الباء : الفتى من الإبل ^(١) .
 والعوان: النصف التي قد ولدت بطناً أو بطنين ^(٢) .
 قال الفراء: يقال: من العوان عَوْنَت المرأة تَعْوِيناً ^(٣) ، بالفتح
 والتشديد . وَعَوْنَت: إذا بلغت ثلاثين سنة ^(٤) .

وقال أبو عبيدة: إِنَّمَا قَالَ: ﴿عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ﴾ وَلَمْ يَقُلْ: بينهما؛ لَأَنَّهُ

العظيم لابن أبي حاتم الرازي ١ : ١٣٧ ت ٦٩٤ ، تفسير القرآن للسمعاني ١ : ٩٢ ،
 تفسير غريب القرآن في شعر العرب (سؤالات نافع إلى ابن عباس) : ١٣٢ ، غريب
 القرآن لابن قتيبة : ٥٢ ت ٦٨ ، غريب القرآن للشهيد زيد بن علي : ١٣٠ ت ٦٨ ،
 غريب القرآن لابن الملقن : ٥٦ ت ٦٩ ، غريب القرآن وتفسيره لليزيدي : ٧٢ ت ٦٨ ،
 معاني القرآن وإعراجه للزجاج ١ : ١٥٠ ، مجاز القرآن ١ : ٤٣ .

ومن مصادر اللغة : الأضداد لابن الأثيري : ٣٧٦ ت ٢٨٣ ، الأضداد للحلي : ٥٦٤ ،
 العين ٧ : ٢٨ ، تهذيب اللغة ١٢ : ١٣ ، المحيط في اللغة ٨ : ٧ ، الصحاح ٣ : ١٠٩٧ ،
 المحكم والمحيط الأعظم ٨ : ١٨٤ ، مفردات ألفاظ القرآن : ٦٣٠ ، أساس البلاغة ٢ :
 ١٩٥ ، الغريبين للهروي ٥ : ١٤٣٣ ، لسان العرب ٧ : ٢٠٢ ، تاج العروس ١٠ : ١١٨ .
 (١) مادة «بَكَرَ» ومعانيها تجدها في : العين ٥ : ٣٦٤ ، جمهرة اللغة ١ : ٣٢٥ ، تهذيب
 اللغة ١ : ٢٢٢ ، المحيط في اللغة ٦ : ٢٥٨ ، المحكم والمحيط الأعظم ٧ : ١٧ ،
 الصحاح ٢ : ٥٩٥ ، مفردات ألفاظ القرآن : ١٤٠ ، إصلاح المنطق : ٢٣ ، لسان
 العرب ٤ : ٧٦ ، تاج العروس ٦ : ١٠٨ .

(٢) «عوان» لغةً تجدها في المصادر التالية : العين ٢ : ٢٥٣ ، جمهرة اللغة ٢ : ٩٥٥ ،
 المحيط في اللغة ٢ : ١٥٩ ، المحكم والمحيط الأعظم ٢ : ٣٦٨ ، الصحاح ٦ :
 ٢١٦٨ ، لسان العرب ١٣ : ٢٩٨ ، تاج العروس ١٨ : ٣٩٥ ، وفي الجميع «عَوْن» ،
 إلّا تهذيب اللغة ٣ : ٢٠٢ ففيه «عان» .

(٣) معاني القرآن للفراء ١ : ٤٤ . وانظر : مجمع الأمثال ١ : ٢٩ ت ٤١ ، المذكر
 والمؤنث ١ : ٤٨٥ .

(٤) لم نجد التحديد بها فيما تقدّم من مصادر اللغة ، إلّا أنّ أبي هلال العسكري أشار
 إليه في جمهرة الأمثال ٢ : ٣٨ ت ١١٨١ .

أخرجه على لفظة واحدة على معنى : بين هذا الذي ذكرناه . قال رؤبة في
صفة العير :

[٢٩٩]

فِيهِ خُطُوطٌ مِنْ سَوَادٍ وَبَلَقٌ
كَأَنَّهُ فِي الْجِلْدِ تَوَلِيعُ الْبَهَقِ^(١)

قال أبو عبيدة : فقلت لرؤبة : إن أردت الخطوط فقل : كأنها ، وإن
أردت السواد والبهق فقل : كأنهما ، فقال : كأن ذلك وذاك^(٢) .

قال الفراء : إنما يصح أن يكتفى عن الاثنين بقولهم : «ذاك» في الفعلين
خاصة ، ولا يجوز في الاسمين ؛ ألا ترى أنهم يقولون : إقبالك وإدبارك يشق
عليّ ؛ لأنهما مشتقان من فعل . ولم يقولوا : أخوك وأبوك يزورني حتى
تقول : يزوراني^(٣) .

وقال الزجاج : تقول : ظننت زيدا قائماً ، فيقول القائل : ظننت ذلك ،

(١) الرجز لرؤبة بن الحجاج في ديوانه : ١٠٤ ق ٤٠ ب ٢١ .

المعنى : اختلف في عائد الضمير في أول البيت بين : الحيوان - الجمل ، الحمار -
المفازة ؛ لعنوان القصيدة بها ، وعلى كلٍّ : فالبَلَقُ : سوادٌ وبياض . التوليع : استطالة
البلق . البهق : بياض خلاف لون الجسد .

يقول : إن في موصوفه خطوطاً سوداء غامقة ، وأخرى يخالطها بياض .
الشاهد فيه : استعماله الضمير المفرد وإرادة الاثنين منه على معنى أنهما واحد .
هذا ، وقد اختلف في ضبط الضميرين : الأول بين المثبت و«فيها» ، والثاني - كأنه -
بين المثبت وكأنها ، على أن المثبت فيهما مطابق للنسخ ، وإن خالف الديوان .

انظر : مجاز القرآن ١ : ٤٣ ، مجالس ثعلب ٢ : ٣٧٥ ، ديوان المعاني للعسكري
٢ : ١٣٠ ، خزنة الأدب ١ : ٨٨ ضمن الشاهد «٥» ، التنبيه على أوهام أبي علي :
٢٩ ، شرح أبيات مغني اللبيب للبغداديّ ٤ : ٢٥٣ .

(٢) انظر : مجاز القرآن ١ : ٤٣ ، مجالس ثعلب ٢ : ٣٧٥ ، خزنة الأدب للبغداديّ ١ : ٨٩ .

(٣) ذهب إلى ذلك في كتابه معاني القرآن ١ : ٤٥ .

وذلك^(١).

وقال الشاعر في صفة العوان :

خَرَجْنَ عَلَيْهِ بَيْنَ بَكْرِ غَرِيرَةٍ وَبَيْنَ عَوَانٍ بِالْعَمَامَةِ نَاصِفِ^(٢) [٣٠٠]
﴿بَيْنَ ذَلِكَ﴾ : يعني بين الصَّغِيرَةِ والكَبِيرَةِ ، وهو أقوى ما يكون من
 البقر وأَحْسَنَهُ .

وقال الأخطل :

وما بِمَكَّةَ مِنْ شَمْطٍ مُحَلَّفَةٍ وما بِيَثْرَبَ مِنْ عُونٍ وَأُبْكَارِ^(٣) [٣٠١]
 ويقال : بقرّة عوان ، وبقرّ عُون .
 قال الأخفش : **﴿لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ﴾** ارتفع ولم ينتصب كما ينتصب

(١) معاني القرآن وإعرابه ١ : ١٥٠ .

(٢) البيت : ١٤ قصيدة ٣٦ في الديوان : ١٢٤ . للشاعر الإسلامي هَذَبَةُ بن الحَشْرَمِ
 قالها في السجن بعد قتله لأين عمّه زِيَادَةُ بن زيد ، وذكرها ابن ميمون في منتهى
 الطلب ٨ : ٢١٤ ت ٤٤٠ ب ١٥ . وبين المصادر والمثبت - من الأصول - اختلاف لا يخلُ .
 المعنى : البكر : الجارية التي لم تُفْتَضَّ . الغريرة : من النساء الشَّابَةِ الحديثة
 السِّنِّ التي لم تجزَّب الحياة بعد . العوان : المرأة الثَّيِّب . الغمامة : السَّحَابَةُ .
 النَّاصِف : المرأة التي في منتصف عمرها .

يصف مجموعة من الجوّاري خرجن على جماعتهم .

الشاهد فيه : ما أشار إليه الشيخ رحمته من وصف العوان بالنَّاصِف .

(٣) البيت من قصيدة يمدح بها يزيد بن معاوية عندما منع قطع لسانه ؛ لهجوه الأنصار
 في قصّة مذكورة .

المعنى : الشَّمْط : جمع أشمط وشمطاء ، وهي التي اختلط سواد شعرها
 ببياضه . العون : المرأة في منتصف السِّنِّ كان لها زوج .
 الشاهد : استعمال العون لما تقدّم من معنى .

انظر : الديوان : ١١٩ ، وفيه : وما بزمزم - جمهرة أشعار العرب ٢ : ٩٠٩ ،
 ب ٤٦ من ق ٤٥ ، وقد عدّت من المَلَحَمَات ؛ لبلوغ أبياتها ٥٠ بيتاً .

التَّغْيي ؛ لأنَّ هذه صفة في المعنى للبقرة ، والتَّغْيي المنصوب لا يكون صفةً من صِفَتِهَا ؛ إِنَّمَا هو اسمٌ مبتدأ وخبره مضمَرٌ . وهذا مثل قولك : عبد الله لا قائمٌ ولا قاعدٌ ، أدخلت «لا» للمعنى وتركت الإعراب على حاله ، لو لم يكن فيه «لا»^(١) .

ثمَّ قال : ﴿عَوَانٌ﴾ فرفع على الابتداء ، كأنَّه قال : هي عوانٌ . ويقال أيضاً : عوانة ، وقال الأعشى :

بَكْمَيْتٍ عَرْفَاءَ مُجَمَّرَةٍ أَلْخُ فَ غَزَنُهَا عَوَانَةٌ وَفِتَاقٌ^(٢) [٣٠٢]

قوله عزَّ اسمُه :

﴿قَالُوا اذْعُ لَنَا رَبِّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْثُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءٌ فَاقِعٌ لَوْثُهَا تَسُرُّ النَّظِيرِينَ﴾ آية (٦٩) آية بلا خلاف .

﴿لَوْثُهَا﴾ رفع ؛ لأنَّ «ما» ليست زائدة ، بل هي بمعنى أي ، كأنَّهم قالوا : أيُّ شيءٍ لونها ؟

وقوله : ﴿يُبَيِّنْ﴾ جَزَمْ ؛ لأنَّه جواب للأمر بغير فاء .

(١) معاني القرآن للأخفش ١ : ٢٧٩ .

(٢) من قصيدة قالها الأعشى وهو بنجران ، متشوقاً لقومه ، ومفتخراً بهم .

المعنى : الكُمَيْت : الناقة الحمراء الضاربة للسواد . عَرْفَاءٌ : ذات سَنَامٍ عالٍ كالعُرف فوق ظهرها . الْمُجَمَّرَةُ : الصُّلْبَةُ والقُوَّةُ الخُفُّ . عوانة ، فتاق : من مياه العرب المحاطة بالعشب والخضار .

المعنى : يقول الشاعر : إني ولشدة شوقي لقومي ووطني ، أسير إليهم على ناقة كُمَيْت ، ذات سَنَامٍ عالٍ ، قُوَّةُ الخُفِّ ؛ نظراً لرعيها في منطقة عوانة وفتاق الغنية بالمرعى .

انظر : الديوان : ق ٣٢ ب ٢٣ : ٢٥٩ .

ومعنى الآية: إِنَّ قوم موسى قالوا: يا موسى، أَدع لنا ربَّكَ يَمِينٌ لنا ما لون البقرة التي أَمَرنا بذبحها.

وأما قوله: ﴿صَفْرَاءُ﴾ فقال الحسن: المراد به سوداء شديدة السَّود^(١). كما تقول العرب: ناقة صفراء، أي: سوداء، قال الشاعر:

تِلْكَ خَيْلِي مِنْهُ وَتِلْكَ رِكَابِي هُنَّ صَفْرُ أَوْلَادِهَا كَالزَّيْبِ^(٢) [٣٠٣]

يعني: ركابي هُنَّ سَوْدٌ. غير أنَّ هذا وإن وُصِفَ به الإبل فليس ممَّا

(١) انظر: تفسير الحسن البصري «جمع د. كمال» ١: ١٠١. والخط: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازي ١: ١٣٩ ت ٧٠٩، تفسير بحر العلوم ١: ١٢٨، تأويلات أهل السنة ١: ٦٣.

هذا، ولم ينفرد الحسن به، بل مال إليه جمع بفارق ذكر الشَّدة وعدمها، راجع: تفسير زيد بن علي ١٣٠ ت ٦٩ وهامش ٦ منه، مجاز القرآن ١: ٤٤ و ٢: ٢٨١، غريب القرآن لليزيدي ٧٣ ت ٦٩، غريب القرآن لابن الملقن ٥٧ ت ٧٠، تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة: ٣٢١، غريب القرآن للسجستاني: ١٧٢ و ٢٣٨، معاني القرآن للقرطبي ٣: ٢٢٥، القطع والانتاف للتحاس: ٧٠.

وهكذا جملة من مصادر اللغة، منها: جمهرة اللغة ٢: ٧٤٠، تهذيب اللغة ١٢: ١٦٧ مفردات ألفاظ القرآن: ٤٧٨، المحيط في اللغة ٨: ١٣١، المحكم والمحيط الأعظم ٨: ٣٠٥، لسان العرب ٤: ٤٦٠، تاج العروس ٧: ٩٥ «صَفْر».

وهناك من عدّها - صفراء - من الأضداد انظر: الأضداد للتوزي: ١٠٨، وللمنشي: ١٥٠ وهما ضمن ثلاثة نصوص في الأضداد، الأضداد للأصمعي، ضمن ثلاثة كتب في الأضداد: ١٠٢ ت ١٣٩، وانظر المخصص لابن سيده ١: ٤٥٤ «لون» فيه. (٢) البيت ختام قصيدة للأعشى قالها في مدح قيس بن معديكرب.

المفردات: الرُّكَّاب الإبل. صفر: سود.

المعنى: يعبر الشاعر بهذا عن اعترافه بفضل وإحسان «قيس»، وأنَّ ماله من خيل هو من عميم فضله عليه، وكذا إبله في لونها الأصفر الأذكن وقد تناثر من حولها أولادها بلون كالزَّيْب.

انظر: الديوان ق ٦٨ ب ١٨٣، وأغلب المصادر اللغوية في الهامش «١» ذاكرة له.

توصف به البقر؛ مع أن العرب لا تصف السّواد بالقوق، وإنما تصفه بالشّدة وبالجلوكة ونحوها، تقول: أسودّ حالِكٌ وحائِكٌ وحلُوكٌ وغزيبٌ ودجوجي، ولا تقول: أسود فاقع^(١).

وقال أكثر المفسّرين: إنّها صفراء اللون، من الصّفرة المعروفة، وهذا (لايح)^(٢)؛ لأنّه الظاهر، ولأنّه قال: ﴿فَاقِعٌ لَّوْنُهَا﴾ وهو الصّافي، ولا يوصف السّواد بذلك على ما بيّناه فأما أبيض فيؤكدون بأنّه ناصع، وأخضر ناضر، وأصفر فاقع^(٣).

وقال سعيد بن جبير: المعنى في الآية: بقرة صفراء القرن والظّلْف^(٤). وقال مجاهد: صفراء اللون كلّ^(٥). وهو الظّاهر؛ لأنّه قال: ﴿صَفْرَاءُ

(١) عُرِفَ الفاقع في اللّغة: بأنّه المسّْرَبُ بالبياض أو النّاصع الصّفرة خالصها، أو: لأنّه صفة تأكيد ومبالغة في الحمرة والصفرة والبياض. ولذا ذهب الشيخ المصنّف رحمه الله إلى عدم صحّة تأكيد الأسود بالفاقع.

انظر: القطع والائتلاف: ٧٠، تهذيب اللّغة ١: ٢٦٩، مفردات ألفاظ القرآن: ٦٤٢، الصحاح ٣: ١٢٥٩، المحيط في اللّغة ١: ١٩١، المحكم والمحيط الأعظم ١: ٢٣٦، لسان العرب ٨: ٢٥٥، تاج العروس ١١: ٣٤٨، «فَقَعَ» في الجميع.

(٢) كذا في النسخ المخطوطة «خ، هـ، و»، وفي غيرها والمطبوعات: «الصحيح».

(٣) أشارت إلى ذلك جملة من المصادر، منها: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازي ١: ١٣٩ ت ٧٠٨، تفسير مقاتل ١: ١١٤، تفسير النكت والعيون ١: ١٣٩، تفسير كتاب الله العزيز للهِواري ١: ١١٦، تفسير السمعاني ١: ٩٢، تفسير بحر العلوم ١: ١٢٨. وغيرها كثير، وانظر: ما تقدّم في هامش ١ صفحة ٤١٦، وزاد المسير ١: ٩٧.

(٤) ذكرت هذا أيضاً مجموعة من مصادر الهامش السابق بعضها بنسبته إليه، والآخر بدونها، وانظر: معاني القرآن للقرّاء ١: ٤٨، تفسير الكشف والبيان ١: ٢١٧، تفسير المحرّر الوجيز ١: ٢٥٧، وغيرها.

(٥) وكما تقدّم ذكرته المصادر تارة منسوباً وأخرى بدونها، انظر: تفسير القرآن العظيم

فَاقِعٌ لَّوْنُهَا ﴿ فوصف جميع اللون بذلك .

وقال ابن عباس : أراد بذلك صفراء شديدة الصفرة ^(١) .

وقال غيره : خالص .

وقال أبو العالية وقتادة : الصافي ^(٢) .

وقوله : ﴿ تَسْرُّ النَّظْرَيْنِ ﴾ فالسرور : ما يسر به القلب ، والفرح : ما فرحت به العين .

وقيل معناه : تعجب الناظرين ^(٣) .

ومن القراء من اختار الوقف على قوله : ﴿ صَفْرَاءُ ﴾ .

والصحيح أن الوقف إنما يجوز عند تمام النعت كله ، وقال قوم : التمام عند قوله : ﴿ فَاقِعٌ ﴾ ^(٤) .

ويقال : فقعَ لونها يُفَقِّعُ بالتشديد وضَمَّ الياء ، ويُفَقِّعُ بالتخفيف وفتح الياء فقوعاً إذا خلصت صفرتها .

١- لابن أبي حاتم الرازي ١ : ١٣٩ ت ٧٠٦ ، تفسير المحرر الوجيز ١ : ٢٥٧ ، وبعض من مصادر الهامشين ٣ و ٤ أعلاه .

(١) غريب القرآن لابن عباس : ٢٦٢ ت ٢٢٩ ، وأغلب مصادر الهوامش المتقدمة : ٣ ، ٤ ، ٥ ، ولعله في بعضها دون نسبة .

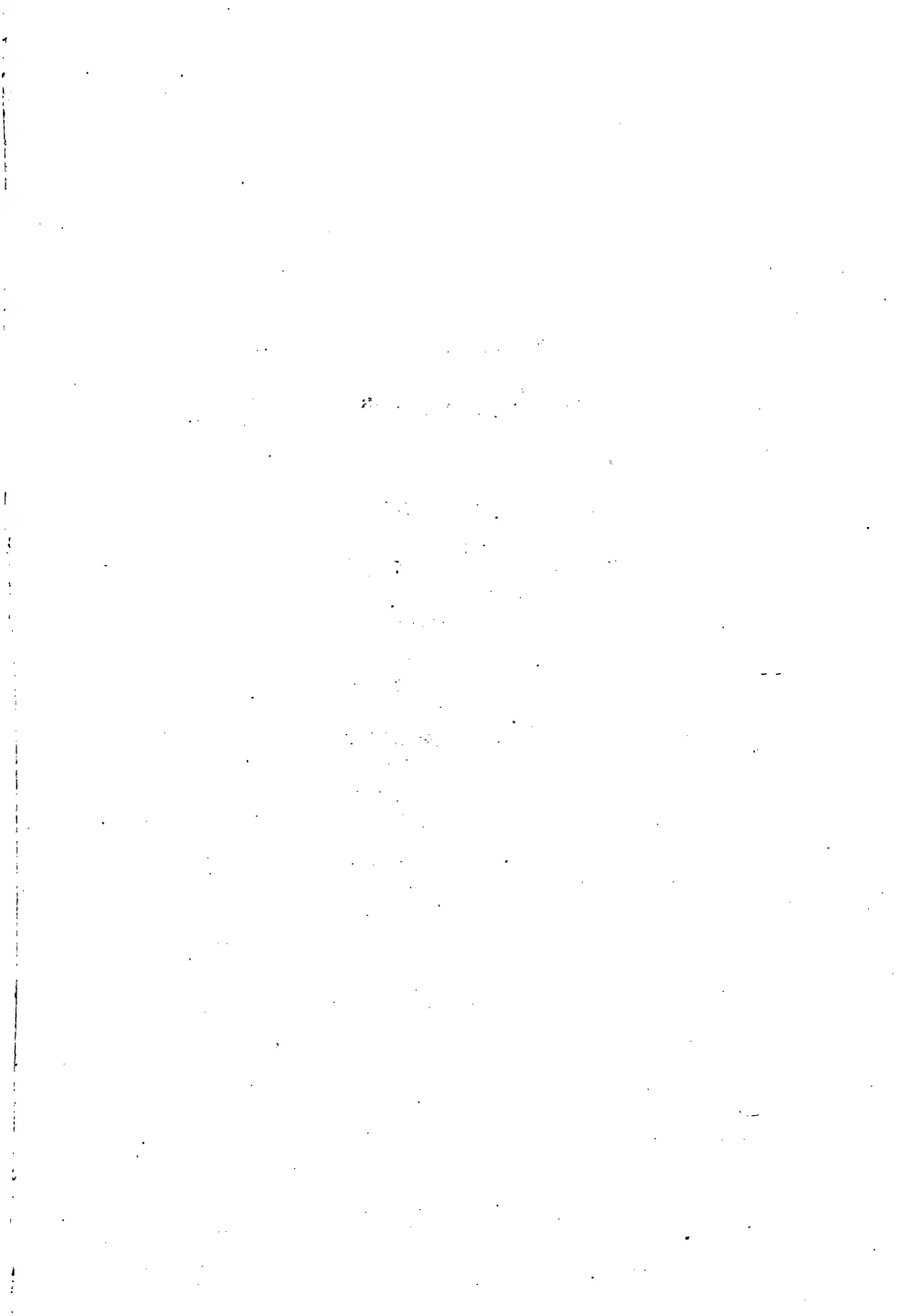
(٢) وكما تقدّم فقد ذكرت هذا أيضاً جملة من المصادر المتقدمة في الهوامش السابقة منسوباً وغير منسوب ، وانظر : تفسير جامع البيان ١ : ٢٧٤ ، معاني القرآن للأخفش ١ : ٢٧٩ ، معاني القرآن للزجاج ١ : ١٥١ ، إيجاز البيان ١ : ١٠٥ ، أمالي المرتضى ٢ : ٤٠ .

(٣) تجد ذلك في المصادر التالية إضافة لقسم مما تقدّم : التفسير الكبير للطبراني ١ : ١٨٧ ، تفسير النكت والعيون ١ : ١٤٠ ، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازي ١ : ١٤٠ ت ٧١٦ ، تأويلات أهل السنة ١ : ٦٣ ، معاني القرآن للزجاج ١ : ١٥٢ .

(٤) انظر : القطع والائتناف للتحاس : ٧٠ ، علل الوقوف للسجواني ١ : ٢٠٨ .

مَسْرَدُ الفهارس الفنيّة

- ١- فهرس الأحاديث
- ٢- فهرس الأنبياء والأئمّة عليهم السلام
- ٣- فهرس الأعلام
- ٤- فهرس الشعر
- ٥- فهرس الفرق والمذاهب والقبائل
- ٦- فهرس الأمثال
- ٧- فهرس الموضوعات



١- الأحاديث

الصفحة	المعصوم	الحديث
٣٧١	النبيّ	اختلفت بنو اسرائيل بعد موسى
٢١٠	النبيّ	ادّخرت شفاعتي لأهل الكبائر
١٨٢	النبيّ	اقتلوا القاتل واصبروا الصابر
١٠٦	—	اللّهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك
٢٧	أبي عبدالله	إنّ الملائكة سألت الله تعالى أن يجعل
٣٤	—	إنّ الناس أمسوا ولغتهم واحدة ثم أصبحوا
١٧٨	—	إنّا لا نتعاقل المضيع
٢١٧	النبيّ	انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً
٣٤٣	النبيّ	إنّه رجس عذبّ به بعض الأمم
١١٦	—	إنّ اليوم الذي قبل الله توبة آدم
١١٣	النبيّ	بادروا بالأعمال ستاً
١٠٦	—	توسّله - آدم - بالنبيّ وبأهل بيته
٢٧	النبيّ	خلق الله آدم من قبضة قبضها
١٧	النبيّ	دحيث الأرض من مكّة
٨١	الإمام عليّ	شجرة الكافور
٢٧	أبي عبدالله	فلماً أجيئوا بما ذكر الله
٣٥٩	الإمام الباقر	الفوم : الحنطة
٤٤	الإمام الصادق	في رأس كل عبد حكمة
١٢٢	النبيّ	القادة والأتباع
١٥٠	أبو جعفر	كان لحبيّ بن أخطب وكعب
٣١٧	النبيّ	الكمة من المنّ وماؤها
٣١	النبيّ	لا تنبر باسمي

الصفحة	المعصوم	الحديث
٢٩٨	—	لا يتمرأى أحدكم في الماء
٣٥٦	النبي	لست بنبيء الله ولكنني نبي الله
١٤٩	=	مثل قلال هجر
٨٩	=	من أزلت إليه نعمة فليشكرها
٢٤٥	=	ما أسكر الفرق فالجرعة منه حرام
١٤٦	=	من سن سنة حسنة
٢٧٧	=	من غرس شجرة مثمرة فما أكلت
٣٢٣	الإمام الصادق	المن كان ينزل على بني إسرائيل
١٥٤	الإمام علي	يا حار، إنه ملبوس عليك
١٦	النبي	ينقل هذا العلم من كل خلف

٢ - الأنبياء والأئمة عليهم السلام

المعصوم	الصفحة
آدم	٢٦، ٢٨، ٢٩، ٣٥، ٣٦، ٣٧، ٤٠، ٤٩، ٥٠، ٥١، ٦٠
إسحاق	٧٩
الأنبياء	٣٧٠، ٣٧١
الباقر = أبو جعفر <small>عليه السلام</small>	١٠٦، ١٤٩، ١٥٠، ٣٥٩، ٤٠٢
ثمود	٢٥٥
جبرائيل	٢٧٣
شعيب	١٧
الصادق = أبو عبدالله <small>عليه السلام</small>	٢٧، ٦٢، ٣٢٣
صالح	١٧
علي = أمير المؤمنين <small>عليه السلام</small>	١٨١، ١٥٤
عيسى = المسيح	٧٢، ١٠٩، ١٤٣، ٣٧١، ٣٧٩
موسى بن عمران	١٢٢، ١٣٦، ١٤٣، ١٥٦، ١٥٩، ٢٤٩، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٦، ٢٩٢، ٢٩٦، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٢٠، ٣٣٢، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٥١، ٣٥٧، ٣٦٣، ٣٧١، ٣٩١، ٤٠٥، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤١٦، ٤١٧، ٤٢٧، ٣١، ٤٥، ٥٣، ١٠٦، ١١٣، ١٤٢، ١٤٥، ١٤٦، ١٥٠، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٩، ١٦٠، ١٦٧، ١٦٩، ١٨٠، ١٨٣، ٢٠١، ٢١١، ٢١٦، ٢١٨، ٢٤٢، ٢٨٣، ٣١٧، ٣٣٦، ٣٥٢، ٣٥٦، ٣٦٧، ٣٧١، ٣٧٥، ٣٨٢، ٣٨٥، ٣٩٥

المعصوم	الصفحة
نوح	١٧، ٣٤، ٣٤٠، ٣٨٢، ٣٨٨
هارون	٢٧٣، ٢٧٤، ٢٨٢
هود	١٧
يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم	٦٠، ١٣٢
يوشع	٢٥٩
يونس	٨٣
يهوذا بن يعقوب	٣٧٦

٣- الأعلام

الاسم	الصفحة
آسية (زوجة فرعون)	٢٦٤
إيليس	٣١١
* ابن أبي إسحاق (عبدالله)	١٢٦
* ابن أبي نجيح (عبدالله)	٣٨١
* ابن أحمر (عمرو الباهلي)	١٨٥
* ابن الإخشيد = أبو بكر بن الإخشيد = أحمد بن علي	٣٣، ٣٥، ٣٦، ٦٠، ٧٦، ١١٠، ١٢٤، ٢٧٥
* ابن أذينة الثقفي (عروة)	٣٥٠
* ابن إسحاق = محمد	٨٤، ٢٣١، ٢٩٠
ابن بحر (محمد)	٣٩٢
* ابن جُدعان (علي بن زيد)	٨٢
ابن جريج (عبد الملك)	٦١، ٨١، ١٤٥، ١٩٢، ٢٩١، ٣٢١، ٣٧٥، ٣٧٩
	٣٩١
* ابن دريد (محمد بن الحسن)	٩٥، ١٢٨، ١٦٤، ١٦٩، ١٧٨، ١٨٨، ٢٣٣
	٢٥٠، ٢٧٢، ٢٨٩، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٣٠، ٣٣٨
ابن زيد (عبد الرحمن)	٣٣، ٦٣، ١٠٦، ١٥٦، ٢٨٣، ٣٢٩، ٣٤٣، ٣٦٠، ٣٦٢
	٣٦٣، ٣٦٦، ٣٨٢
* ابن سابط (عبد الرحمن)	١٧
ابن السَّراج (محمد بن سهل)	٦٩، ٩٩
ابن عامر (عبدالله)	٤١، ٣٢٧، ٤٠٥

* الأعلام المعلّمة مترجمة في هذا الجزء، والأخرى تقدمت .

الاسم	الصفحة
ابن عباس (عبدالله)	١٧، ٢٠، ٢١، ٢٤، ٢٦، ٣٢، ٣٣، ٣٦، ٤٣، ٤٥، ٦١، ٦٧، ٨٤، ١٠٦، ١٣٣، ١٣٧، ١٥٦، ١٦٩، ١٧٥، ٢١٧، ٢٥٥، ٢٥٩، ٢٧٣، ٢٨٣، ٢٩٠، ٢٩١، ٣٠٠، ٣١٦، ٣١٩، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٤٣، ٣٤٦، ٣٥٩، ٣٧٩، ٣٨٦، ٣٩١، ٣٩٢، ٤٠٠، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤١٨
ابن كثير (عبدالله)	٩٩، ١٤١، ٢٠١، ٢٦١
* ابن مجاهد (أحمد بن موسى)	٢٨٦
ابن مجاهد (محمد بن أحمد)	
ابن مجاهد	٣٦٠
ابن مسعود (عبدالله)	١٧، ٢٠، ٢٤، ٢٦، ٣٩، ٦١، ٨١، ٨٤، ١٠٣، ٣٦٠
	٣٦٣
ابن المسيب (سعيد)	٦١
* أنبي (بن كعب)	٣٩
* أبو مهدي (الأعرابي)	١٠١
أبو جعفر (يزيد بن القعقاع)	٤١، ٢٦١
* أبو حاتم (السجستاني)	٧٤
أبو دؤاد (الأيادي)	١٩٠
أبو ذؤيب (الهذلي)	١٢٦
* أبو رعاية السلمى	٣٧٦
أبو زيد الأنصاري	٤٨، ٢٦٩، ٢٧٢، ٣٥٤، ٣٦٢، ٣٧٩، ٣٨٢
* أبو طاهر (عبدالواحد)	٢٨٦
* أبو العالية (رفيع بن مهران)	١٤٦، ١٩٢، ٢٠٠، ٢٠١، ٢١٦، ٢٦٥، ٢٧٤، ٢٨٣
	٣٤٣، ٣٦٣، ٣٩٢، ٣٩٦، ٤١٨
* أبو العباس المبرد	٢٨، ١٨١، ٣٣٠، ٣٣٥
أبو عبيدة (معمر بن المثنى)	٧، ١١، ٢٠، ٥٩، ٧٣، ٧٤، ١٠١، ١٠٢، ١٢٨، ٢٢٠

الاسم	الصفحة
أبو عثمان المازني (بكر بن محمد)	٣٥٤
أبو عليّ الفارسيّ	٤٨، ٦٥، ٢٠٢، ٢٦٦، ٢٦٩، ٢٧٥، ٣٨١، ٣٨٠، ٣٥٦، ٢٧٦
أبو عمرو (بن العلاء)	٤١، ٢٨٤، ٢٩٥، ٤٠٥
أبو القاسم البلخي	٨٧
* أبو مسلم (محمّد بن بحر)	٨٥، ١٧٥، ٢٢٠، ٢٨٣، ٣٦٣
* أبو مهدي	١٠١
* أبو هاشم (عبد السلام البلخي)	٣٩، ١١٠
* أبو هريرة	١٠١، ٣٧١
أبو النجم (العجلي)	٢٨٩
* أحمد بن صالح	٤١
أحمد بن علي (أبو بكر)	
(ابن الإخشيد)	٣٣، ٣٥، ٣٦، ٦٠، ٧٦، ١١٠، ١٢٤، ٢٧٥
أحمد بن يحيى (ثعلب)	٢٦٥، ٢٨٢
* الأحنف بن قيس	٢٣٩
* الأحوص	٢١٤
* أحيحة بن الجلاح	٣٥٩
الأخشاذ	٢٣١
* الأخطل (غياث بن غوث)	١٥٣، ١٩٧، ٢٢٣، ٤١٤
الأخفش (سعيد بن مسعدة)	١٣٢، ١٤٣، ١٥٧، ١٧١، ١٩٦، ٢٠٢، ٢٠٥، ٢٣٩
	٢٦٥، ٢٦٧، ٣١٩، ٤١٤
* الأزهرّي (محمد بن أحمد)	٣٥٩، ٣٦٢
اسحاق	٢٩٠
* إسماعيل (بن إسحاق الأزديّ)	٢٨٥

الاسم	الصفحة
* الأسود بن يعفر	٩، ٧
* الأصمعي (عبد الملك	
ابن قريب)	٢٢٠، ١٦٦، ٧٧
أعرابي	٣٧٥
* الأعرج (عبد الرحمن	
ابن هرمز)	١٢٥
الأعشى (يعقوب بن	
محمد الكوفي)	٢٦٢
* أعشى بني ثعلبة	٢٣، ٦٥، ١٦١، ٢٣٥، ٣١٨، ٣٣٢، ٣٣٣،
(ميمون بن قيس)	٤١٥
الأعمش (سليمان بن مهران)	٤٠، ٣٤٧
* امرؤ القيس بن حجر	٧٩، ١٠٣، ٢٨٨، ٢٩٥، ٣٣٤
أمية بن أبي الصلت	١٢، ٢٨٦، ٣١٨، ٣٦١
* أمية الصغير بن حرثان	٢٤٥
أوس بن حجر	١٩٠
البرجمي (ضابئ بن الحارث)	١٨٤، ٢٦١
البلخي (عبدالله بن أحمد)	٣٢، ٦١، ٦٣، ٧٥، ٣٠٣، ٣١٠، ٣١١، ٣٨١
ثعلب (أحمد بن يحيى)	٢٦٥، ٢٨٢
الجبائي = أبو علي (محمد	٣٢، ٣٤، ٣٦، ٦١، ١١٩، ١٢٤، ١٢٥، ١٣٨، ١٨٠،
ابن عبد الوهاب)	٢٩٠، ٣٠٧، ٣٢٢، ٣٣٢، ٣٥٩، ٤٠٣، ٤١١
الجحدري (عاصم)	١٢٦
* الجرمي (مشترك)	٢٨٥
جرير (بن عطية)	٢٠، ٢٤، ٤٣، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٩٩، ٣٦٥
* جعدة بن هُبيرة	٨١
* جميل بن معمر	٢٥٦، ٣٣٦

الاسم	الصفحة
* الحارث بن حوث	١٥٤
* الحارث بن كلدة	٧٨
الحسن البصري	١٧، ٥٢، ٦٣، ٦٥، ٧٥، ٨٥، ٩٦، ٩٩، ١٠٦، ١١٣، ١١٥، ١٣٨، ١٥٦، ١٨٦، ١٩٢، ٢٠١، ٢٢٠، ٢٧٤، ٢٩٠، ٣٠٥، ٣٣٣، ٣٦٥، ٣٧١، ٣٨١
الحسين بن علي المغربي	١١، ٣٧٦
* الحطيثة	٢١٣
حفص (بن سليمان)	٢٦١
حمزة (بن حبيب)	٨٨، ١٣٢
حواء	٨٤، ٩٢، ٩٦، ١٢٢
* حُبَيْي بن أخطب	١٥٠
خاقان (ملك الترك)	٢٣١
* الخنساء	٢٢٩
* الدّاجوني (محمد بن أحمد)	٤٧
* دُرَيْدُ بن الصَّمّة	١٨٨
رؤبة بن العجاج	٦٩، ٣١٤، ٣٤٩، ٤١٣
* الراعي (عبيد بن الحصين)	١٧٧
الربيع بن أنس	٣٣، ١٨٨، ٢٦٥، ٣٢٩، ٣٦٠، ٣٦٣، ٣٩٢
الرّماني: (علي بن عيسى)	١١، ١٦، ٢٩، ٣٠، ٣٣، ٣٤، ٣٦، ٥٠، ٥١، ٦٠، ٦٣، ٦٤، ٦٨، ٦٩، ٧٦، ٧٧، ٨٤، ١٠٩، ١٤٦، ١٧١، ١٧٥، ١٧٩، ١٨٠، ١٩٥، ٢٠٣، ٢٦٥، ٢٧٦، ٢٧٩، ٢٨٣، ٢٩١، ٣٠٧، ٣١٠، ٣١١، ٣٢٢، ٣٢٩، ٤١١
رويس (محمد بن المتوكل)	٤١، ٢٦١
الرّجّاج (إبراهيم بن السري)	١١، ٢٠، ٣٠، ٦٨، ٩٦، ١٤٦، ١٩٧، ٢٠٢، ٢٣٩، ٢٥٨، ٣٠٣، ٣١٧، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٦١، ٣٦٧، ٣٨٠

الاسم	الصفحة
	٤١٣، ٣٩٨
* الزهري (محمد بن مسلم)	١١
زهير بن أبي سلمى	٣٧٦، ٢٧٨، ٢٣٨، ١٤٧
زهير الفرقي الكسائي	٣٦٢
* الزينبي (محمد بن موسى)	٤٧
السامري	٢٧٤، ٢٧٣، ٢٧٢
سجادة	٣٢٧، ٢٨٥
السدي	٣٦٣، ٣٥٩، ٣٣٢، ٣٢٩، ٣٠٥، ٢٤١، ٢٠٥، ٨١
	٤٠٣، ٣٩٢، ٣٨٧، ٣٨٦، ٣٨٢، ٣٦٦
سعيد بن جبير	٤١٧، ٢٩٠، ٣٢
سعيد بن المسيب	٩٢
سلامة بن جندل	٧٣
سلمان الفارسي (المحمدي)	٣٨٦
سيبويه	٢٠٧، ١٥٧، ١٣٩، ١٠٤، ١٠٣، ٦٣، ٥٠، ٢٣
	٣٨١، ٣٧٧، ٣٥٥، ٢٩٥
شاعر غطفان	٢١٣
* شجاع (الخراساني)	٣٢٧
صاحب العين (الخليل)	٨٩، ٨١، ٨٠، ٧٩، ٥٨، ٥٧، ٥٠، ٤٩، ٣٠، ٢٩
الفراهيدي	٢٠٤، ١٨٧، ١٨١، ١٧٦، ١٦٥، ١٦٢، ١٣٦، ١٣٣
	٢٥١، ٢٥٠، ٢٣٦، ٢٣٥، ٢٣٣، ٢٢٨، ٢٢٤، ٢١٧
	٣١٩، ٣١٢، ٢٩٩، ٢٩٦، ٢٨٦، ٢٧١، ٢٦٨، ٢٦٣
	٣٨٢، ٣٣٩، ٣٣٣، ٣٣١، ٣٢٨
الضحاك (بن مزاحم)	٤٠٥، ٤٠٣، ٣٩١، ١٨٦، ٢١
الطبري (محمد بن جرير)	٢٦٥، ١٨٠، ٦٨، ٦١، ٥١، ٣٣
طرفة (بن العبد)	١٧١

الاسم	الصفحة
* الطَّرِيج بن إسماعيل	٢٥٥
عائشة	٣٣٦
* عبادة بن الصامت	٣٦٨
* العباس بن مرداس السلمي	٣٥٢
عبد بني الحسحاس	١٣
عبد مناف بن ربيع الهذلي	٩، ٨
العجاج (عبدالله)	٣٩٠، ١٥٦، ٦٨
عطاء (بن أبي رباح)	٣٦٠
* العطار (مشترك)	٤٧
عدي بن زيد العبادي	٤٠٤، ٣٦٤، ٢٨٣، ١٣
عكرمة (مولي بن عباس)	٤٠٣، ٣٣٣
* علقمة بن علاثة	٢٣
عمر بن الخطاب	٧٨
* عميرة بن طارق	١٨٩
* عمرو بن عبّيد	٧٥
* عيسى (بن عمر الثقفي)	١٢٦
الفرّاء (يحيى بن زياد)	١٤٣، ١٤٩، ١٨٦، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٨٢
	٣٥٩، ٣٦١، ٣٩٢، ٤٠٩، ٤١٣
الفرزدق	٣٦٥، ٣٨٥
فرعون (آل فرعون)	١٢٢، ٢٢٣، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٤١، ٢٥٠
	٢٥٧، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٧٣، ٢٨٤
* قالون (عيسى بن ميناء)	٤١
قَتَادَة (بن دعامة)	٢٠، ٢١، ٢٤، ٢٦، ٣٢، ٦٠، ٦١، ٦٣، ١٠٦، ١١٦
	١٦٩، ٣٠١، ٣٠٥، ٣١٧، ٣٢٩، ٣٣٣، ٣٤٣
	٣٥٧، ٣٥٩، ٣٦٣، ٣٦٥، ٣٧٩، ٣٨١، ٣٩١، ٣٩٢

الاسم	الصفحة
	٤١٨، ٤٠٤
* قُتُس بن ساعدة	١٠٣
* القُطامي (عمير بن شليم)	٣٥٣
قُطْرُب	٢٨٢، ١٣٢
قُنبل (محمد عبدالرحمن)	٤١
قَيْصر (ملك الروم)	٢٣١
* كُثَيْر (عَزَّة)	٨٩
الكِسائِي (علي بن حمزة)	٤٠٥، ٣٦٦، ٣٦٠، ٣٥٢، ٢٢٧، ٢٠٢، ٧٧، ٣٧
كسرى (ملك الفرس)	٢٣١
* كعب بن أشرف	١٥٠
الكلبي (محمد بن السائب)	٢٢٠، ٨٢
الكميت	٢٦٨
* كيسان بن المعرف	٣٥٤
لَيْد بن ربيعة	٣١٤، ١٦٦، ١١٩، ١٣
* ليلي الأخيلية	٣٦٧
* المالكي (علي بن محمد)	٤٧
* المبرّد (أبو العباس)	٢٨، ٧٧، ١٤٣، ١٧٧، ١٩٠، ٢١٣، ٢٧٥، ٢٩٠
	٣٦٧
مجاهد (بن جبر)	٢٤، ٣٢، ١٠٦، ١٩٢، ٢٠١، ٢٨٣، ٢٩٠، ٣١٦، ٣٣٢
	٣٦٠، ٣٦٣، ٣٨١، ٣٨٥، ٣٨٧، ٣٩٠، ٣٩١
	٣٩٢، ٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٤، ٤١٧
* محمّد بن أبي ليلي	٣٤٧
* مجاهد بن أحمد بن	
مجاهد (ابن مجاهد)	٣٦٠
* محمّد بن إسحاق	٨٤، ٢٣١

الاسم	الصفحة
محمّد بن بحر (أبو مسلم)	٨٥، ١٧٥، ٢٢٠، ٢٨٣، ٣٦٣
* مزار (بن سعيد)	٣٣٦
مصعب بن الزّيان (فرعون)	٢٣١
المفضل بن سلمة	١١، ٢٤، ١٦٦
المعدّل (محمد بن يعقوب)	٢٨٤
النابعة (الذياني)	٦٣، ٢١٤
نافع (بن جبر)	٣٢٧، ٣٧٥، ٣٨٠، ٤٠٥
* الثمر بن تَوَلَّب	١٠
* الهذلي (المتنخل)	١٧٠
* هُذيل (بن هبيرة)	٢٢٣، ٢٢٤
هشام (بن عمّار)	٤٧
* واصل بن عطاء	٧٥
ورش	٤١
الوليد بن مصعب (فرعون)	٢٣١
* وهب بن مُنَبِّه	٣٥٧
اليزيدي (يحيى بن المبارك)	٣٢٧

٤ - الشعر

أ - الأبيات الشعرية

القافية	الشاعر	التسلسل	الصفحة	البحر
«ب»				
صعاب	أمية بن أبي الصلت	١٥٠	١٢	الوافر
المهرث	الإمام علي عليه السلام	٢٨٢	٣٦٩	الكامل
لغريث	البرجمي	٢٠٧	١٨٥	الطويل
مربوب	سلامة بن جندل	١٧١	٧٣	البسيط
يصوب	علقمة الفحل أو غيره	١٤٩	١٢	الطويل

«ب»

أغضبا	جرير	١٦٠	٤٣	الكامل
-------	------	-----	----	--------

«ب»

الظراب	بشر بن أبي حازم الأسدي	١٩٧	١٦٥	الوافر
كالزبيب	الأعشى الكبير	٣٠٣	٤١٦	الخفيف
الحواجب	ابن أذينة الثقفي	٢٧٠	٣٥٠	الطويل

«ت»

أزلت	كثير عزة	١٧٦	٩٠	الطويل
بالترهات	سراقة البارق	٢٥٤	٣٠٤	الوافر

«ج»

للأزواج	—	١٧٣	٧٧	المديد
---------	---	-----	----	--------

القافية	الشاعر	التسلسل	الصفحة	البحر
«ج»				
تَعْتَلِجُ	—	١٩٥	١٦٣	البسيط
«خ»				
الوقاح	سعد بن مالك	١٦٥	٦٣	مجزوء الكامل
والجراح	=	=	=	=
رابع	كثير عزة	١٦٢	٥٦	الطويل
«ح»				
بالفلاح	حسان بن ثابت	٢٤٢	٢٥٧	الوافر
بقرواح	عبيد أو أوس	٢٢٨	٢٢٥	البسيط
«د»				
سبب	الراعي النميري	١٧٢	٧٣	البسيط
يزيد	زهير بن علس	٢١٣	١٩١	الوافر
«د»				
الشردا	عبدمناف الهذلي	١٤٦	٨	البسيط
أنكدا	—	١٤٨	١٠	الكامل
أسودا	أبو رعاية السلمي	٢٨٥	٣٧٦	الطويل
أفودا	=	٢٨٦	٣٧٧	=
هؤدا	=	=	=	=
به بّدا	زائدة بن صعصعة الفقعسي	٢٩٢	٣٩٥	=

القافية	الشاعر	التسلسل	الصفحة	البحر
«د»				
بفساد	الأُسود بن يعفر	١٤٥	٧	الكامل
من العدد	لبيد	١٧٩	١١٩	المديد
المسرّد	دُرَيْدُ بن الصّمة	٢٠٩	١٨٩	الطويل
عَهْد	الحكم الأسديّ	٢٢٧	٢٢٤	الوافر
متهوّد	زهير بن أبي سُلمى	٢٨٤	٣٧٦	الطويل
والفَنَدِ	لبيد	١٧٩	١١٩	=

«ذ»				
رغد	امرؤ القيس	١٧٤	٧٩	الرمل
«ر»				
ولا خبر	جرير	٢٥٣	٢٩٩	الطويل
تنكير	عديّ بن زيد	٢٩٣	٤٠٤	=

«ر»				
وخورا	أُمَيّة بن أبي الصلت	٢٦٠	٣١٨	الخفيف
مزمورا	=	=	=	=
معمورا	=	=	٣١٨	=
جُوَازَا	أعشى قيس	٢٦٥	٣٣٣	المتقارب

«ر»				
وانتظاري	عدي العبادي	١٥١	١٣	الرمل
للتأخير	—	١٩٤	١٦٣	السريع

القافية	الشاعر	التسلسل	الصفحة	البحر
أجر	الأعشى (ميمون بن قيس)	١٦٧	٦٦	الطويل
الفاخر	=	١٥٥	٢٣	السريع
مصر	=	١٦٧	٦٦	الطويل
للحوافر	زيد الخيل	١٦٣	٥٧	=
عامر	الشنفرى	١٥٤	١٩	=
الدَّهْر	الأعشى (ميمون بن قيس)	١٦٧	٦٦	=
بن عامر	ليلى الأخيلية	٢٨٠	٣٦٧	البسيط
وأبكار	الأخطل	٣٠١	٤١٤	=
أرض عامر	الراعى النميري	٢٢٤	٢١٨	الطويل
أبي بكر	الحطيئة أو آخرون	٢٣١	٢٢٩	=
الموسر	جميل بن معمر	٢٤١	٢٥٦	الكامل

«ز»

مكنوز	الهذلي	٢٠٠	١٧٠	البسيط
-------	--------	-----	-----	--------

«س»

شامس	—	٢٨٦	٣٧٧	الطويل
العيث	جران النميري أو العجاج	١٦٦	٦٤	السريع
أنيس	—	=	=	=

«س»

المقدّس	امرؤ القيس	١٥٧	٢٥	الطويل
---------	------------	-----	----	--------

«ع»

مصرع	أبو ذؤيب الهذلي	١٨٠	١٢٦	الكامل
------	-----------------	-----	-----	--------

القافية	الشاعر	التسلسل	الصفحة	البحر
راكعُ	ليبد	١٩٩	١٦٦	الطويل
الخشعُ	جرير	٢٠٨	١٨٧	الكامل
شافعُ	النابغة	٢٢٢	٢١٤	الطويل
ورسمعُ	الأعلم السعدي	٢٥٥	٣٠٤	البسيط
شفعُوا	الأحوص	٢٢٣	٢١٤	المديد

«ع»

مضطجعا	الأعشى	١٩١	١٦١	البسيط
نجعا	=	٢٥٩	٣١٨	الخفيف
بأنزعا	هدبة العذري	٢٥٨	٣١٥	الطويل
سمعا	أوس بن حجر	٢١٢	١٩٠	المنسرح

«ع»

جياع	أعرابي	١٨٣	١٤٤	الكامل
ونشفع	شاعر غطفان	٢٢٠	٢١٣	الطويل
بشفيع	الحطيثة	٢٢١	=	=

«ع»

الجزع	سويد بن أبي كاهل	١٨٤	١٤٧	الرملي
-------	------------------	-----	-----	--------

«ف»

مختلف	ابن الخطيم أو غيره	١٧٨	١١٥	المديد
تخلفوا	امرؤ القيس	٢٨٩	٣٨٥	الطويل

«ف»

تحف	أبو الأخرز الحماني	١٦١	٥٥	الطويل
-----	--------------------	-----	----	--------

القافية	الشاعر	التسلسل	الصفحة	البحر
ناصر	هَذَبَةُ الْعُذْرِيِّ	٣٠٠	٤١٤	الطويل

«قُ»

وفتاقُ	الأعشى	٣٠٢	٤١٥	الخفيف
--------	--------	-----	-----	--------

«قِ»

مَمْدُوقٍ	كيسان الهُجَيْمِي	٢٧٣	٣٥٤	البيسط
مخراق	مختلف فيه	٢١٤	١٩٦	=

«كُ»

محتنكُ	عبدالرحمن بن حسان أو غيره	٢٠٦	١٨٤	البيسط
--------	---------------------------	-----	-----	--------

«كِ»

عليكا	—	١٥٩	٤٠	الوافر
هداكا	العباس بن مرداس	٢٧١	٣٥٣	الكامل

«كِ»

النواسكُ	—	٢٤٦	٢٨٦	البيسط
----------	---	-----	-----	--------

«لُ»

نائلُ	النابعة الذُبَيّاني	١٩٣	١٦٢	الطويل
منسحلُ	أبو سعيد القطامي	٢٧٢	٣٥٣	البيسط
يبلُو	زهير بن أبي سلمى	٢٣٦	٢٣٨	الطويل
والبصلُ	أمية بن أبي الصلت	٢٧٨	٣٦١	البيسط
المنزلُ	الفرزدق	٢٧٩	٣٦٥	الكامل

القافية	الشاعر	التسلسل	الصفحة	البحر
«لَ»				
إهلالا	جرير	١٥٦	٢٤	الكامل
فاشتعلا	الأخطل	١٨٨	١٥٣	البسيط
الأنفالا	=	٢٢٦	٢٢٣	الكامل
الأغلالا	=	٢١٥	١٩٧	=
معقولا	الراعي	٢٠٤	١٧٧	=

«لِ»				
صالٍ	الحارث بن عبّاد	١٩٢	١٦١	المديد
قائلٍ	الراعي النميري	٢٢٥	٢١٨	الطويل
واغلي	امرؤ القيس	٢٥١	٢٩٥	السريع
رجلٍ	خفاف أو علقمة	٢٩٥	٤٠٩	الطويل
لم تقتلٍ	حسان بن ثابت	٢٤٨	٢٨٩	الكامل

«لُ»				
ما سأل	لبيد بن ربيعة	١٥٢	١٣	الرملي

«مُ»				
عظيمٌ	أبو الأسود الدؤلي أو غيره	١٩٠	١٥٧	الكامل

«مَ»				
أينما	النمر بن تَوَلّب	١٤٧	١٠	المتقارب
دما	أمية بن أبي الصلت	٢٤٥	٢٨٦	المديد
نعما	الطريح بن إسماعيل	٢٤٠	٢٥٦	الكامل

القافية	الشاعر	التسلسل	الصفحة	البحر
مرجّما	عميرة بن طارق	٢١٠	١٨٩	الطويل

«م»

البراجم	شيبان بن جابر السلمي	١٧٠	٧٠	الطويل
الكلم	مرّار الفقسى	٢٦٨	٣٣٧	=
بالدم	بنت بهدل بن قرفة الطائي	٢٨١	٣٦٨	=
زراعة فوم	أحيحة بن الجّالّح	٢٧٦	٣٥٩	الكامل
نفي فوم	أمية بن أبي الصلت	٢٧٧	٣٦١	الخفيف

«ن»

رمانى	عمر بن أحمر، أو غيره	١٧٧	١١٤	الطويل
بالحزون	الطرمّاح الطائي	١٩٨	١٦٥	الوافر
يصطحبان	الفرزدق	٢٩١	٣٨٤	الطويل
بظنون	أبو دؤاد	٢١١	١٩٠	الخفيف
اليقين	المثقب العبدى، أو غيره	٢٣٧	٢٤٠	الوافر
بجلذان	أمية الصغير	٢٣٨	٢٤٥	البسيط
عقالين	عمرو بن العداء الكلبي	٢٠٣	١٧٦	=
جمالين	=	=	=	=
تريان	أبو العباس	٢٠٥	١٨١	الطويل

«هـ»

حاديها	الطفيل الغنوي	١٨١	١٣٦	البسيط
وامّا لها	الخنساء	٢٣٠	٢٢٩	المتقارب

«هـ»

رفعه	الأضبط بن قريع السعدي	١٩٦	١٦٤	المنسرح
------	-----------------------	-----	-----	---------

القافية	الشاعر	التسلسل	الصفحة	البحر
وفي	أبو ذؤيب الهذلي	١٥٨	٣١	المتقارب
تهاديا	سحيم عبد بني الحسحاس	١٥٣	١٤	الطويل
كماهيا	—	١٨٢	١٣٩	البيسط

ب - أنصاف الأبيات مرتبة على أوائلها

(أ)

القافية	الشاعر	التسلسل	الصفحة البحر
أَبِي الصَّيِّمِ ، مِنْ قَوْمِ أُبَاةٍ إِذَا اعْوَجَّجَنْ قُلْتُ صَاحِبِ قَوْمٍ إِذَا تُعْرَدُ فِيهِ الْقَيْنَةُ الْفُضْلُ إِنَّمَا قَوْلُكَ صَابٍ وَذُبْحُ	الطَّرِمَّاحُ الطَّائِي — الأعشى ميمون =	١٦٤ ٢٥٠ ٢١٦ ٢٣٣	٥٨ ٢٩٥ ١٩٩ ٢٣٦
			الوافر الرجز البسيط الرملي

«ب»

بَنَكِبٍ مَعِرٍ دَامِيٍّ الْأَطْلَلِ	لَبِيدٌ	٢٥٧	٣١٤	الرملي
--------------------------------------	---------	-----	-----	--------

«ت»

تَدَافُعُ الشَّيْبِ وَلَمْ يَقْتَلِ	أَبُو النِّجْمِ الْعَجْلِي	٢٤٩	٢٨٩	الرجز
-------------------------------------	----------------------------	-----	-----	-------

«ص»

صَبَوْتُ أبا ذَيْبٍ وَأَنْتَ كَبِيرٌ	أَبُو ذَوْيْبِ الْهُذَلِي	٢٨٨	٣٨٠	الكامل
--------------------------------------	---------------------------	-----	-----	--------

«ع»

عَلَى لَا حِبِّ لَا يُهْتَدَى بِمَنَارِهِ عِظَامُ الْمَقَارِي جَارُهُمْ لَا يُفَرِّغُ عَلَى آثَارٍ مَنْ ذَهَبَ الْعَفَاءُ	أَمْرُو الْقَيْسِ — زَهِيرُ بْنُ أَبِي سُلَيْمٍ	١٨٦ ٢٦٢ ٢٤٤	١٥١ ٣٣٠ ٢٧٨	الطويل = الوافر
---	---	-------------------	-------------------	-----------------------

«ف»

فَأَنِّي مِنْ مَدْحِهِ هَانِدٌ	—	٢٨٣	٣٧٦	المتقارب
--------------------------------	---	-----	-----	----------

القافية	الشاعر	التسلسل	الصفحة البحر
في أعشارِ قلبٍ مُقتَلٍ	امروء القيس	٢٤٧	٢٨٨ الطويل

«ق»

قد رُبْتُ منه عجباً من الكبيرِ	—	٢٥٢	٢٩٧ الرجز
--------------------------------	---	-----	-----------

«ك»

كَأَنَّ عَيْنِي فِيهَا الصَّابُ مَذْبُوحٌ	أبو ذؤيب الهذلي	٢٣٤	٢٣٦ البسيط
كَجُلُودِ صَخْرٍ حَطَّه السَّيْلُ مِنْ عَلِيٍّ	امروء القيس	٢٦٦	٣٣٤ الطويل
كَمَا اتَّفَضَ السَّلَوةَ بَلَلَهُ الْقَطَرُ	أبو صخر الهذلي	٢٦١	٣١٩ =

«ل»

لَهَا بَعْضَاهِ الْأَرْضُ تَهْزِيرُ	المتنخل الهذلي	٢٧٥	٣٥٥ البسيط
-------------------------------------	----------------	-----	------------

«ن»

نَظَرَ الدَّهْرُ إِلَيْهِمْ فَابْتَهَلَ	ليبد بن ربيعة	٢٣٩	٢٥٢ الرمل
---	---------------	-----	-----------

«و»

وَاحْطُطْ إِلَهِي بِفَضْلِ مَنْكَ أَوْزَارِي	—	٢٦٧	٣٣٤ البسيط
وَعَزَّتْ أَثْمُنُ الْبَدَنِ	زهير بن أبي سلمى	١٨٥	١٤٧ =
وَلَهْوِي إِلَى حُورِ الْمَدَامِيعِ سَجْدٍ	الأعشى ميمون	٢٦٤	٣٣٢ الكامل
وَلَيْلَهُمُ الْأَلَيْلُ	الكميت	٢٤٣	٢٦٨ المتقارب
وَمَا شَيْءٌ حَمَيْتَ بِمُسْتَبَاحٍ	جرير	٢١٧	٢٠٣ الكامل
وَيَبْرُونَ عَلَى الْأَبْيِ الْمُبِرِّ	طرفة	٢٠٢	١٧١ الرمل

ج - الأرجاز

«أ»

الصفحة	التسلسل	الشاعر	القافية
٤٠١	٢٩٢	—	انخسأ

«ت»

٨٩	١٧٥	البَراض النمريّ	الزَّلَّة
٤٠٢	٢٩٦	أبو سعيد الأصمعيّ	طيسلة

«ث»

٣٥٠	٢٦٩	رؤبة بن العجاج	عائثُ
=	=	=	مقاعثُ

«د»

٢٣١	٢٣٢	عمر بن سالم الخزاعيّ	تربدا
-----	-----	----------------------	-------

«ر»

٣٧٨	٢٨٧	—	أنصارا
=	=	—	الإزارا
=	=	—	جارا

«ز»

٣٩٠	٢٩٠	العجاج	فمز
=	=	=	كسر

القافية	الشاعر	التسلسل	الصفحة
---------	--------	---------	--------

«س»

أبلسا	العجاج	١٦٨	٦٨
مكرسا	=	=	=

«س»

وإبلش	رؤية	١٦٩	٦٩
الأخماس	=	=	=

«ض»

فارض	أبو محمد الفقعسي	٢٩٧	٤١١
الماخض	=	=	=
أبيض	ضبّ العدوي	٢٩٨	٤١١
فرّض	=	=	=

«ض»

فارض	—	٢٩٦	٤١٠
الحاض	—	=	=

«ق»

البهق	رؤية بن العجاج	٢٩٩	٤١٣
بلق	=	=	=

«ك»

ويفجرونكا	—	٢٠١	١٧١
-----------	---	-----	-----

القافية	الشاعر	التسلسل	الصفحة
دونكا	—	٢٠١	١٧١

«لِ»

تقتل	أبو النجم	٢٩٠	٢٤٩
ظليل	أُحِيحة بن الجَلّاح	٢١٨	٢٠٣
تقيلي	=	=	=
وأظلل	العجاج	٢٥٦	٣١٣

«نُ»

السريال	—	٢٣٥	٢٣٧
الإهلال	—	=	=

«مُ»

السلام	—	٢١٩	٢٠٣
الطعام	—	=	=
السنام	—	=	=

«مَ»

اللهازما	أبو مَهْدِيّة الاعرابي	٢٧٤	٣٥٥
----------	------------------------	-----	-----

«ن»

مَيّتي	العجاج	١٨٩	١٥٦
بالتجني	=	=	=

«هَ»

أم طيلسه	أبو سعيد أو الأصمعي	٢٩٤	٤٠٧
----------	---------------------	-----	-----

القافية	الشاعر	التسلسل	الصفحة
لا شيء له	أبو سعيد أو الأصمعي	٢٩٦	٤٠٧

«هـ»

بوسها	بهيّس الفزاري (نعامة)	١٨٧	١٥٢
لبوسها	=	=	=

«هـ»

انجيّة	سحيم اليربوعي	٢٢٩	٢٢٦
الأرشيّه	=	=	=

«ي»

قري	العجاج	٢٦٣	٣٣٠
-----	--------	-----	-----

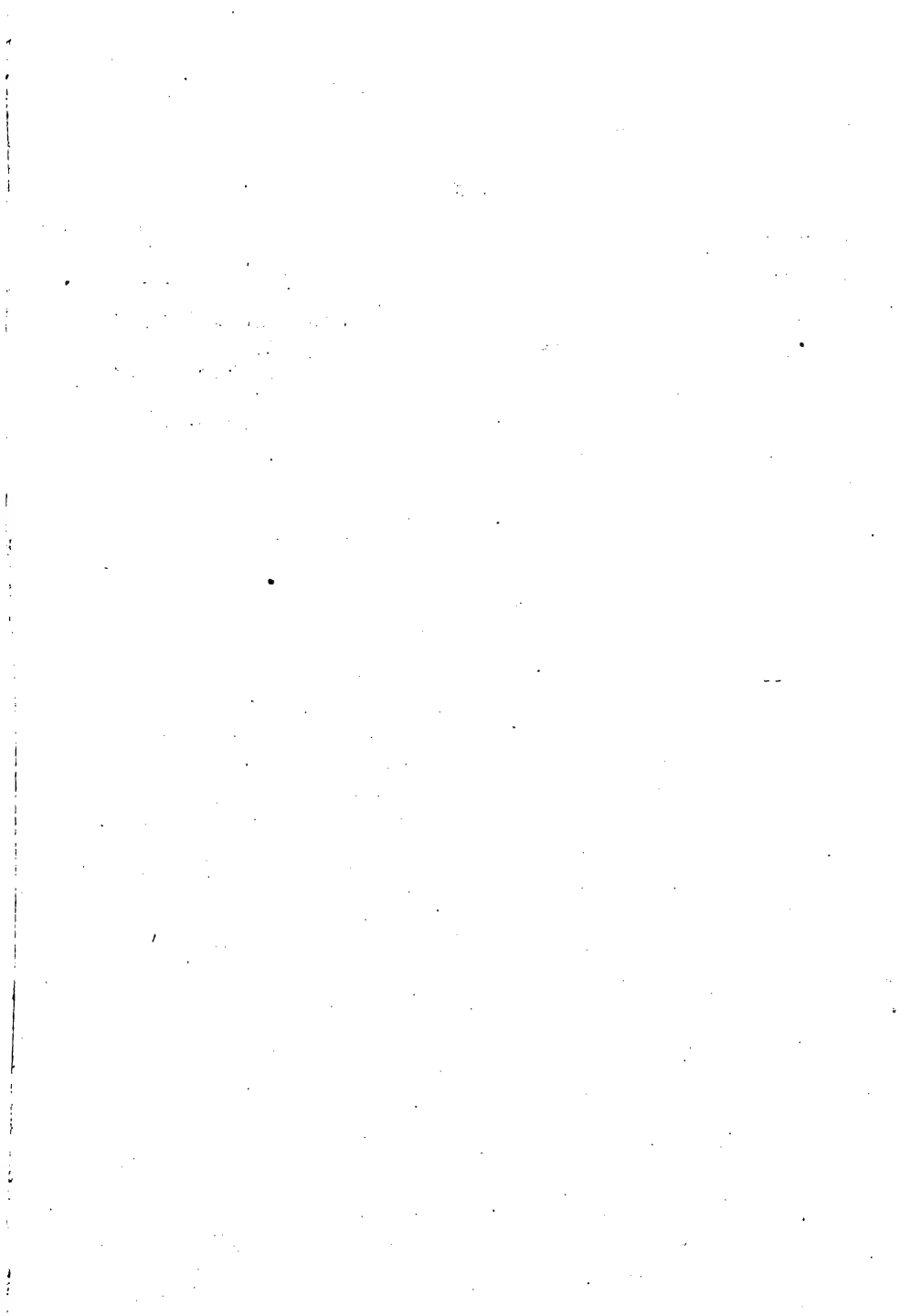
٥ - الفرق والمذاهب والقبائل

الفرقة	الصفحة
أزد شنوءة	٧٧
أسد (بني)	٤٠٦، ٣٤٧
أهل أيله	٤٠٢
أهل البصرة	٢٠١
أهل الحجاز	١٩٩، ٣١٢، ٣٤٣، ٣٤٧، ٣٤٩، ٤٠٦
أهل كرمان	٢٧٣
أهل الكوفة = آل الكوفة	٣٤٨، ٢٢٨
أهل المدينة	٣٥١، ٣٢٧
أنصار النبيّ	٢١٨
أهل اليمن	٣٣١
البكرية	١٠٨
بني إسرائيل	١٤٣، ١٩٨، ٢١٢، ٢٤٢، ٢٥٨، ٢٦٠، ٢٧٣، ٢٨٣
بني سليم	٣١٦، ٣١٩، ٣٤٤، ٣٤٦، ٣٥٧، ٣٦٦، ٣٧١، ٣٩٥
تبع	١٢٦
تميم (بني)	٢٣١
ربيعة (بني)	٤٠٦، ٣٤٩، ٣٤٧
الروم	٣٤٧
الصابئون	٢٣١
العمالقة	٣٧٥، ٣٧٩، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٤، ٣٨٧
الفرس	٢٣١
قيس (بني)	٢٣١، ٤٠٦

الفرقة	الصفحة
المعتزلة	١٠٨، ١١٠، ٢١٢، ٢١٤
المجبّرة	٢٨٤، ٣٠٨
المرجئة	٣٨٧
النصارى	١٣٣، ٣٧٦، ٣٧٨، ٣٨٦، ٣٨٧
اليهود = أحبار اليهود	١٣٣، ١٤٢، ١٥٠، ٢١٢، ٢٤٢، ٣٧٦، ٣٩٩

٦- الأمثال

الصفحة	المثل
١٤٠	رهبوت خير من رحموت
٢٨٩	قَتَلْتُ أَرْضَ جَاهِلِهَا مَا وَقَتَّلَ أَرْضاً عَالِمِهَا
١٧١	لا يعرف الهرّ من البر
٢٦٧	مَالَهُ هِنَعٌ وَلَا رِنَعٌ



٧- فهرس الموضوعات

تكملة تفسير سورة البقرة

- آية (٣٠) ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ...﴾ ٧
- مناقشة المصنّف لأبي عبيدة حول زيادة
- * ﴿إِذْ﴾ ، وردّ مدّعاها .. ٧ ، ٥٤ ، ٥٩ ، ٧٢ ، ٢٤٢ ، ٢٦١ ، ٢٨٢ ، ٢٩٦ ، ٣٢٧ ، ٣٤٤ ، ٤٠٥
- قوله تعالى: ﴿لِلْمَلَكَةِ﴾: وضبطها لغةً واشتقاقاً، وقراءةً ١١
- قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ﴾ ١٥
- حقيقة الجعل ١٥
- الخليفة: معناه وحقيقته ١٦ ، ٢٢
- قوله تعالى: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن...﴾ ١٨
- حقيقة الإستفهام في الآية ١٨
- المراد من السّفك والسّفح ، والفرق بينهما ٢١
- من هم الملائكة في الآية؟ ٢١
- الخليفة والمراد منه ٢٢ ، ١٦
- قوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ...﴾ ٢٣
- التسبيح: والمراد منه، واشتقاقه ٢٣
- التقديس: معناه، ولغته ٢٥
- قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ٢٦
- هل قدرة آدم ﷺ على عدم الأكل نقض لإرادة الباري تعالى أم لا؟ ٢٦

- آية (٣١) ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا...﴾ ٣٢، ٢٧
- كيفية خلق آدم ﷺ ٢٧
- بحث لغوي في اشتقاق آدم ٢٨
- المراد من كلمة ﴿كُلٌّ﴾ في الآية ٢٩
- العرض: والمراد منه في الآية وكيفيته، وحقيقته ٣٩، ٣٨، ٣٠
- الإنباء: ومعناه واشتقاقه ٣٥١، ٣٨، ٣٠
- الخلاف في همزة كلمة نبي ٣٠
- الفرق بين الإخبار والإعلام ٣١
- قوله تعالى: ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى...﴾ ٣٢
- الأسماء التي علمها الباري تعالى لآدم ﷺ، وكيفية التعليم،
وواضع اللغات ٤٩، ٣٨، ٣٥، ٣٢، ٢٧
- قوله تعالى: ﴿أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ...﴾ ٣٥
- الاختلاف في المراد منها ٣٦
- رَدَّ مَنْ يَدْعِي أَنَّ ﴿إِنْ﴾ بِمَعْنَى إِذْ ٣٧
- ﴿هَؤُلَاءِ﴾: إملاء، ولغة ٤٠
- آية (٣٢) ﴿قَالُوا سُبْحَنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا...﴾ ٤٢
- ﴿سُبْحَنَكَ، أَلْعَلِيمُ، أَلْحَكِيمُ﴾: معانيها ولغاتها ٤٢
- كيفية الاستدلال بهذه الآية واللّتين قبلها على صدق النبي ﷺ ٤٥
- آية (٣٣) ﴿قَالَ يٰآدَمُ أَنبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ...﴾ ٤٧
- ﴿أَنبِئْهُمْ﴾: قراءة، ومعنى، واعراباً ٤٧
- الإبداء: لغة ومعنى ٤٩
- الكتمان: معنى ولغة ٥٠
- قوله تعالى: ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ﴾ ٥٠
- معناها، والخلاف في همزة ﴿أَلَمْ﴾ ٥٠

قوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمَ مَا تَبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكَتُمُونَ﴾

- الأراء في المراد منها، والوجه المختار ٥١
- علة إعلام الأسرار للملائكة وهي من الغيب ٥٢
- فائدة تعليم الأسماء لآدم ٥٣
- آية (٣٤) ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ ٥٤
- القراءة، والخلاف في بعض مفرداتها ٥٤
- السجود: اشتقاقه، ومعناه وأقسامه ٣٣٢، ٥٥
- ﴿أبَى﴾ المعنى، واللغة ٥٧
- الاستكبار: لغة ومعنى ٧١، ٥٨
- ﴿إِذْ﴾ إعراباً، والخلاف في زيادتها والوجه المختار ٧، ٥٩
- سبب أمر الملائكة بالسجود لآدم ﷺ ٦٠
- الملائكة أفضل أم الأنبياء؟ والإشارة لبعض المصادر ٦٠
- إبليس والآراء فيه، والإشارة لبعض المصادر ٧١، ٦١
- الاستكبار: حذّه ٧١
- ردّ من يدّعي أنّ أفعال الجوارح من الإيمان ٧١
- ﴿إِذْ﴾ واستعمالها في الماضي أو المستقبل ٧، ٧٢
- آية (٣٥) ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ...﴾ ٧٢
- السَّكُنُ: لغة ومعنى ٧٢
- الجنة التي أَسْكَنَ فيها آدم: واختلاف الآراء فيها ٧٥
- الزوج: والمراد منه ٧٦
- ﴿وَكَلَا﴾: لغة ومعنى ٧٨
- ﴿رَغَدَا﴾: لغة ومعنى ٧٩
- القرب: والمراد منه ٨٠
- ﴿الشَّجَرَةَ﴾: واختلاف الآراء في ماهيتها ٨١

- الظلم: إشتقاقه، ومعناه ٨٢
- حواء: خلقها، وتسميتها ٨٤
- ﴿حيث﴾ جهة اعرابها ٨٥
- قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ ٨٥
- المراد من صيغة النهي فيها ٨٥
- إشارة عابرة إلى العصمة وبعض مصادرها ٨٦
- قوله تعالى: ﴿فَتَكُونَا﴾: معنى ولغة ٨٧
- آية (٣٦) ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا...﴾ ٨٨
- الزَّلة: معناها، ولغتها، وقراءتها ٨٨
- كيف وصل إبليس إلى آدم ﷺ وأغواه؟ ٩١
- توبة آدم ﷺ، والآراء فيها ٩٣، ١٠٧
- قوله تعالى: ﴿مِمَّا كُنَّا فِيهِ﴾ ٩٤
- قوله تعالى: ﴿أَهْطُوا﴾: معناه، واشتقاقه، وسبب تكراره ٩٤، ٩٦، ١١٩، ١٢٥
- العدو: والمراد منه، واشتقاقه ٩٥
- سبب استعمال صيغة الجمع في ﴿أَهْطُوا﴾ ٩٦
- قوله تعالى: ﴿مُسْتَفْرَّ﴾: لغتها، ومعناها، واشتقاقها ٩٧
- قوله تعالى: ﴿وَمَنْعَ إِلَى حِينٍ﴾ ٩٧
- المتاع، الحين: لغة ومعنى ٩٧
- قوله تعالى: ﴿بِفَضِّكُمْ لِيُغْضِ عَدُوٌّ﴾ ٩٩
- آية (٣٧) ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ...﴾ ٩٩
- ﴿فَتَلَقَّى﴾: لغة، ومعنى ١٠٠
- توجيه قراءة ﴿آدَمَ﴾ بالنصب، والرفع في الآية ١٠٢
- ﴿كَلِمَاتٍ﴾: ماهيتها، والآراء فيها ١٠٣
- تعريف الكلام، وأقسامه ١٠٥

- قوله تعالى: ﴿قَتَابَ عَلَيْهِ﴾: معناها، والخلاف فيها ١٠٧، ٩٣
- توضيح حول التوبة والإشارة لبعض المصادر، ووقت قبولها ١١١
- قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ هُوَ التَّوَابُ الرَّحِيمُ﴾ ١١٣
- آية (٣٨) ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعاً...﴾ وتقدم ١١٩، ٩٤
- قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ﴾ ١٢٠
- سبب دخول «ما» في الكلام ١٢٠
- الهدى: والمراد منه، ولغته، وإعرابه ١٢١، ١٢٥
- قوله تعالى: ﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ﴾ ١٢٢
- تبع: لغة واستعمالاً ١٢٢
- قوله تعالى: ﴿فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ﴾ ١٢٣، ١٢٤
- الخوف، الحزن: معناهما واشتقاقهما، واستعمالهما وفرقهما ١٢٣، ١٢٤
- ﴿هُدَايَ﴾ إعراباً ١٢٥، ١٢١
- سبب تكرار ﴿اهْبِطُوا﴾ ١٢٥، ٩٤
- آية (٣٩) ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا...﴾ ١٢٧
- دلالة الآية على خلود الكافر في جهنم ١٢٧
- عدم دلالة الآية على أنَّ عمل الجوارح من الكفر ١٢٧
- قوله تعالى: ﴿أَصْحَابُ﴾: المعنى، والاشتقاق ١٢٧
- آيات الله والمراد منها ١٢٩
- من هم أصحاب النار؟ ١٢٩
- ﴿خَالِدُونَ﴾: معنى، ولغة ١٢٩
- ﴿أُولَئِكَ﴾: أوجه إعرابها ١٣٠
- آية (٤٠) ﴿يُنَبِّئُ إِسْرَءِيلَ أَذْكَرٌ وَآ...﴾ ١٣١، ١٩٨
- ﴿يُنَبِّئُ﴾: اشتقاقاً وإعراباً ١٣١، ٢٠٠
- الفرق بين الإين والخليل ١٣١

- ﴿إِسْرَائِيلَ﴾: إعراباً، واشتقاقاً والمراد منها ١٣٢
- قوله تعالى: ﴿أَذْكُرُوا﴾: اشتقاقاً، ومعنى ١٣٣
- قوله تعالى: ﴿نِعْمَتِي﴾: الخلاف في المراد منها ١٣٥
- قوله تعالى: ﴿أَوْفِ بِعَهْدِكُمْ﴾: إعراباً، ومعنى ١٣٦
- قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي﴾: إعراباً، واستعمالاً ١٣٨
- قوله تعالى: ﴿فَازْهَبُونَ﴾: اشتقاقها، وإعرابها، وسبب سقوط الياء منها ١٣٩
- إشارة في الهامش لأنواع من الياء آت ١٤١
- آية (٤١) ﴿وَأَمِنُوا بِمَا أُنزِلَتْ مُصَدِّقًا...﴾ ١٤٢
- قوله تعالى: ﴿مُصَدِّقًا﴾: المعنى، والإعراب، والاستعمال ١٤٢
- قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾: إعراباً ومراداً ١٤٤
- ﴿بِهِ﴾ وعائد الضمير ١٤٥
- قوله تعالى: ﴿ثُمَّنَا قَلِيلًا﴾: المعنى، والاشتقاق ١٤٧
- آية (٤٢) ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ...﴾ ١٥١
- اللبس: اشتقاقه، ومعناه ١٥١
- الباطل: اشتقاقاً، ولغةً ١٥٤
- قوله تعالى: ﴿وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ﴾: إعراباً، ومراداً ١٥٧
- قوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: المراد وتعيين المخاطب ١٥٨
- آية (٤٣) ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ...﴾ ١٦٠
- الصلاة: اللغة، والمعنى ١٦١
- قوله تعالى: ﴿وَأَتُوا الزَّكَاةَ﴾ ١٦٢
- الزكاة: اللغة، والمعنى ١٦٢
- قوله تعالى: ﴿وَأَزْكُوا﴾: المعنى، والاستعمال ١٦٤
- آية (٤٤) ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ...﴾ ١٦٩
- البر: المعنى، واللغة ١٦٩

٤٥٩	الفهارس الفنية / الموضوعات
١٧٢	قوله تعالى: ﴿وَتَسْنُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾
١٧٢	النسيان: ومعاني اشتقاقاته
١٧٤	قوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ تَثْلَوْنَ أَلْكِتَبَ﴾
١٧٤	التلاوة: اشتقاقها، ومعناها
١٧٥	قوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾
١٧٥	العقل: اشتقاقه، معانيه
١٨٠	آية (٤٥) ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ...﴾
١٨٠	المخاطب في الآية، والخلاف فيه
١٨٠	الصبر: لغته، ومعناه
١٨٦	قوله تعالى: ﴿لَكَبِيرَةٌ﴾: معناها
١٨٦	قوله تعالى: ﴿إِلَّا عَلَى الْخَشِيعِينَ﴾:
١٨٦	الخشوع: اشتقاقاً، ولغةً، واستعمالاً
١٨٨	آية (٤٦) ﴿الَّذِينَ يَطْمَنُونَ أُنْفُسَهُمْ مَلَقُوا...﴾
١٨٨	الظن: والمراد منه عموماً وفي الآية
١٩٤	قوله تعالى: ﴿أَنْتُمْ مَلَقُوا رَبَّهُمْ﴾
١٩٤	اللقاء: والمراد منه في الآية، واللغة
١٩٥	الرجوع والمراد منه
١٣١، ١٩٨	آية (٤٧) ﴿يُنَبِّئُ إِسْرَءِيلَ أَذْكَرُوا...﴾
١٩٨	قوله تعالى: ﴿وَأَنْبِئْ فَضْلَتَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾
١٩٨	التفضيل: المعنى واللغة
٢٠١	سبب تكرار ﴿يُنَبِّئُ إِسْرَءِيلَ﴾
٢٠١	قوله تعالى: ﴿عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ والمراد منه
٢٠١	آية (٤٨) ﴿وَأَتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ...﴾
٢٠٢	قوله تعالى: ﴿لَا تَجْزِي﴾: إعراباً ومعناً

- القبول: ومشتقاته، والمراد منها ٢٠٦
- الشِّفاعة: اشتقاقاً ومراداً ٢٠٩
- قوله تعالى: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ﴾ ٢١٠
- توضيح حول الشِّفاعة، وبعض مصادرها ٢١١
- قوله تعالى: ﴿وَلَا يُوْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ ٢١٥
- العدل، واشتقاقه، والمراد منه ٢١٥
- قوله تعالى: ﴿وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ ٢١٧
- النصر: معناه، واشتقاقه ٢١٧
- الصرف، العدل، الفدية، معناه ٢٢٠
- آية (٤٩) ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكَ مِنَ الْوُجُوهِ...﴾ ٢٢٣
- عطف الآية على ما تقدّم؛ لمحل ﴿وَإِذْ﴾ ٧، ٢٢٣
- الخطاب في الآية للآباء كما هو للآباء ٢٢٣
- النجاة: اشتقاقاً، ومعنى ٢٢٤
- قوله تعالى: ﴿مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ ٢٢٧
- الآل: اشتقاقها، ومعناها، وفرقها مع الأهل ٢٢٧
- فرعون، قيصر، كسرى، خاقان، أخشاذ، تبع، ألقاب ملوك ٢٣١
- قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ سَوَاءَ الْعَذَابِ﴾ ٢٤١، ٢٣١
- السوم: ومشتقاته، ومعانيه ٢٣٢
- السوء: اشتقاقه ومعناه ٢٣٣
- قوله تعالى: ﴿يَذَّيْحُونَ آبْنَاءَ كُمْ﴾ ٢٣٥
- الذبيح: الإشتقاق، والمعنى ٢٣٥
- قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَ كُمْ﴾ ٢٣٦
- النساء: واستعماله في الصغار والكبار ٢٣٦
- قوله تعالى: ﴿وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ...﴾ ٢٣٧

الفهارس الفنية / الموضوعات ٤٦١

البلاء: الاشتقاق، والمعنى ٢٣٧

الفرق بين القتل والموت ٢٤٠

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنْ سُوءِ الْعَذَابِ﴾ ٢٣٧، ٢٤١

كيفية سؤمهم سوء العذاب ٢٤١

آية (٥٠) ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ...﴾ ٢٤٣

﴿واذ﴾: في الآية وعطفها على ما سبق ٧، ٢٤٢

الفرق: الاشتقاق، واللغة، والمعنى ٢٤٣

البحر: استعمالاً، واشتقاقاً ٢٤٥

السائبة، الرصيلة: معناهما، وحكمهما ٢٤٦

إشارة إلى أوابد الجاهلية ٢٤٧

قوله تعالى: ﴿فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ﴾ ٢٤٩

قوله تعالى: ﴿وَاعْرِفْنَا آلَ فِرْعَوْنَ﴾ ٢٥٠

الفرق: لغة، ومعنى ٢٥٠

قوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ ٢٥١

النظر: لغة، ومعنى، واستعمالاً ٢٩٦، ٢٥١

إستحالة رؤية الباري تعالى، وإشارة للآراء ولبعض

مصادر البحث ٢٥٤

قصة فرعون مع بني إسرائيل وغرقه ٢٥٨

ردّ اعتراض عدم التسوية في المعجزة بين الخلق ٢٦٠

آية (٥١) ﴿وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ...﴾ ٢٦١

الاختلاف في قراءة بعض المفردات، وحجّة القراء ٢٦١

قوله تعالى: ﴿واذ﴾: وعطفها على ما تقدّم ٧، ٢٦٣

الوعد: والمراد منه، واشتقاقه ٢٦٣

قوله تعالى: ﴿أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾: والخلاف في المراد منها ٢٦٥

٤٦٢ التبيان في تفسير القرآن/ ج ٢
٢٦٥	ردّ المصنف على الطبري؛ لردّه الأخفش فيما ذهب إليه
٢٦٦	الأربعة: إشتقاقاً، واستعمالاً
٢٧٥، ٢٦٨	الليلة: تحديدها، واستعمالها
٢٧٦، ٢٦٩	إتخذ: معناه، واشتقاقه
٢٧٤، ٢٧٠	العجل: والمراد منه، واشتقاقه
٢٧١	بَعُدَ: لغةً، ومعنى
٢٧٥	قوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾
٢٧٥	سبب ذكره الليالي دون الأيام
٢٧٧	آية (٥٢) ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ...﴾
٢٧٧	العفو: لغةً ومعنى
٢٧٩	قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾
٢٧٩	الشك: معناه، اشتقاقه، وفرقه مع المكافأه
٢٨٢	آية (٥٣) ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ...﴾
٧، ٢٨٢	قوله تعالى: ﴿وَإِذْ﴾ وكونها عطف على ما سبق
٢٨٢	قوله تعالى: ﴿الْفَرَقَانِ﴾ والخلاف في المراد منه
٢٨٤	قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ معناه، وردّ المجبّرة
٢٨٤	آية (٥٤) ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ...﴾
٢٨٤	﴿بَارِكْكُمْ﴾ القراءة، واللغة، والمعنى
٢٨٨	﴿فَأَقْتُلُوا﴾ اللغة، والمعنى، والفرق بينه والموت
	قوله تعالى: ﴿فَأَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ الآراء في المراد منها، والمخاطب، ووجه اللطف
٢٩٠	فيه
٢٩٣	﴿خَيْرٌ﴾ الاشتقاق، والاستعمال
٢٩٤	قوله تعالى: ﴿يَنْقُومُ﴾ إعراباً، ومعنى

٤٦٣	الفهارس الفنية / الموضوعات
٢٩٦	آية (٥٥) ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يٰمُوسَىٰ لَنْ تُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ...﴾
٧، ٢٩٦	﴿إِذْ﴾: وكونها عطف على ما تقدم
٢٥١، ٢٩٦	الرؤية: اشتقاقاً، واستعمالاً
٣٠٢، ٢٩٩	الجهرة: اشتقاقها ومعناها، وفرقها مع الجهر
٣٠٠	قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ نَرَىٰ آلَ اللَّهِ جَهْرَةً﴾
٣٠١	الصاعقة: واختلاف الآراء فيها
٢٩٩، ٣٠٢	﴿جَهْرَةً﴾ اشتقاقها، واستعمالها
٣٠٣	قوله تعالى: ﴿لَنْ تُؤْمِنَ لَكَ﴾: والاختلاف في المراد منها
٣٠٥	آية (٥٦) ﴿ثُمَّ يَغْتَشَّكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ...﴾
٣٠٥	البعث: معناه، لغته
٣٠٦	الإلجاء إلى المعرفة: جوازاً وعدمًا، والخلاف فيه
٣٠٨	قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: والمراد منها
	المعجزة: والمراد منها، وبعض مصادرها، وعلة عدم التسوية
٣٠٩	بين الخلق فيها
	الرجعة: المقصود منها لدى الشيعة، واختلاف الآراء، وردّ
٣٠٩	البلخي فيما ذهب إليه، وبعض مصادرها
٣١٢	آية (٥٧) ﴿وَوَضَّلْنَا عَلَيْكُمْ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا...﴾
٣١٢	ظَلَّلَ: اللغة، والمعنى، ومختلف استعمالاتها
٣١٥	الغمام: ومشتقاته، ومعانيه
٣١٧	المنّ: وتعريفه، وكيفية نزوله
٣١٩	السَّلْوَى: معناها واشتقاقها
٣٢٠	سبب إنزال المنّ والسَّلْوَى
٣٢١	قوله تعالى: ﴿كُلُوا﴾: إعراباً، ومعنى
٣٢١	قوله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾

الخلاف في المراد من الظلم، وردَّ الرّماني والبخلي،

والإشارة لبعض المصادر ٣٢٢

آية (٥٨) ﴿وَإِذْ قُلْنَا آذْخُلُوا...﴾ ٣٢٧

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ﴾ عطف على ما تقدّم ٧، ٣٢٧

قوله تعالى: ﴿نُعْفِرْ﴾: واختلاف القراءة فيها واشتقاقها، ومعانيها ٣٢٩، ٣٢٧

الدخول: واشتقاقه، ومرادفاته، واختلاف المعاني ٣٢٨

قوله تعالى: ﴿هَذِهِ الْقَرْيَةُ﴾ ٣٢٩

القرية: اشتقاقها وتشخيصها ٣٢٩

قوله تعالى: ﴿وَآذْخُلُوا الْبَابَ﴾ ٣٣١

السجود: معنًى واشتقاقاً ٥٥، ٣٣٢

قوله تعالى: ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ ٣٣٣

الخلاف فيما الزموا قوله ٣٣٣

﴿حِطَّةٌ﴾: اشتقاقها، معناها، واعرابها ٣٣٤

قوله تعالى: ﴿نُعْفِرْ لَكُمْ﴾ ٣٣٥

الغفران: اشتقاقاً، ومعنًى ٣٣٥

الخطيئة: لغتها، والفرق بين الخاطئ والمخطئ ٣٣٨

قوله تعالى: ﴿وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ ٣٤٠

الحسن، والقبح، واختلاف الآراء فيهما ٣٤١

آية (٥٩) ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا...﴾ ٣٤٢

قوله تعالى: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ ٣٤٢

قوله تعالى: ﴿غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ ٣٤٢

قوله تعالى: ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ ٣٤٢

الرجز: والخلاف فيه لغةً ومعنى ٣٤٣

قوله تعالى: ﴿مِنْ السَّمَاءِ﴾ ٣٤٤

٤٦٥	الفهارس الفنية / الموضوعات
٣٤٤	قوله تعالى: ﴿يَفْسُقُونَ﴾: قراءة، وضبطاً
٣٤٤	آية (٦٠) ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ...﴾
٧، ٣٤٤	﴿وَاذْ﴾ والخلاف فيها، وعطفها على ما سبق
٣٤٥	الإستغناء بدلالة الظاهر عن المحذف
٣٤٥	الإنفجار، العين، أناس: لغة ومعنى
٣٤٦	الإستسقاء، حجر السقي: كيفيته ومحله
٣٤٧	﴿أَتُنْتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾: إعراباً ولغناً وقراءة
٣٤٨	إنفجار الماء، وأنه من عجائب آيات الباري
٣٤٩	الإختلاف المعنوي بين الانفجار والإنجاس
٣٤٩	قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْتَوُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾
٣٤٩	الميث: واختلاف القبائل في لغته، ومعناه
٣٥١	آية (٦١) ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ...﴾
٣٠، ٣٥١	﴿الْنَّبِيِّينَ﴾: والخلاف في همزة، واشتقاقه، وتقدم
٣٥٨	قوله تعالى: ﴿مِمَّا تَنْتِفِثُ الْأَرْضُ﴾
٣٥٨	هل ﴿من﴾ في الآية للتبويض، أو للزيادة أو زائدة؟
٣٥٨	معنى ﴿يُخْرِجُ﴾، وإعرابها، والخلاف في المخرج
٣٥٩	البقل، الثقاء، القوم: اختلاف الآراء فيها
٣٦٢	قوله تعالى: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ...﴾
٣٦٢	﴿أَدْنَىٰ﴾: والخلاف في المراد منه
٣٦٣	قوله تعالى: ﴿أَهْبِطُوا مِصْرًا﴾
٣٦٣	﴿مِصْرًا﴾ قراءة، واشتقاقاً، ومراداً
٣٦٤	قوله تعالى: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ﴾
٣٦٥	﴿الذِّلَّةُ﴾، وَالْمَسْكَنَةُ المعنى والاشتقاق
٣٦٦	قوله تعالى: ﴿وَبَاءَ وَابْغَضَ﴾

٤٦٦ التبيان في تفسير القرآن/ج ٢
٣٦٧ بَاء: اشتقاقها، ومعناها.
٣٦٩ ماهية الغضب: في الآية
٣٦٩ قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا...﴾
٣٧٠ قوله تعالى: ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾
٣٧٠ قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا﴾
٣٧١ لماذا خلق الله بين الكافر وقتل الانبياء
٣٧٢ الاعتداء: معناه
٣٧٥ آية (٦٢) ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا...﴾
٣٧٥ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا، الَّذِينَ هَادُوا﴾ من هم؟
٣٧٥ هادوا: اشتقاقاً، ومعنى
٣٧٧ النصارى: اشتقاقاً، ومعنى
٣٧٩ الصائبون: اشتقاقاً، ومعنى
٣٨٣ توضيح حول الصائبة وديانتهم، وبعض المصادر حولهم
٣٨٤ قوله تعالى: ﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ...﴾
٣٨٦ سبب النزول، وعدم نسخها
٣٨٧ قول المرجئة: العمل ليس من الايمان، وردّه وبعض المصادر
٣٨٩ آية (٦٣) ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا...﴾
٣٩٢، ٣٨٩ ماهية الميثاق، وكيفية أخذه
٣٩٠ قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمْ الطُّورَ﴾
٣٩١ الطور: والمراد منه
٣٩١ ﴿خُذُوا﴾: كيفية الأخذ، و ماهية المأخوذ
٣٩٢ الخلاف في المراد من القوة؟
٣٩٣ هل القدرة مقارنة للفعل أم قبله؟ والاشارة لبعض المصادر
٣٩٣ قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرُوا مَا فِيهِ﴾

- آية (٦٤) ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ...﴾ ٣٩٤
- ﴿تَوَلَّيْتُمْ﴾: معناها ٣٩٤
- قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ ٣٩٦، ٣٩٤
- آية (٦٥) ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدُوا...﴾ ٣٩٨
- ﴿عَلِمْتُمْ، الَّذِينَ، اعْتَدُوا﴾: معناها ولغتها ٣٩٨
- قوله تعالى: ﴿اعْتَدُوا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ﴾ ٣٩٨
- السبت: اشتقاقه، ومعناه، وسبب التسمية ٣٩٨
- قوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ ٣٩٩
- المسخ: كيفيته، ومدة حياته ٤٠٠
- ﴿خَاسِئِينَ﴾: المعنى، واللغة ٤٠٠
- كيفية الإحتجاج بالآية ٤٠١
- آية (٦٦) ﴿فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ...﴾ ٤٠١
- إحتمالات في عائدية ضمير: ﴿فَجَعَلْنَاهَا﴾ ٤٠١
- قوله تعالى: ﴿نَكَالًا﴾: والخلاف في معناه ٤٠٢
- قوله تعالى: ﴿لَمَّا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا﴾ ٤٠٣
- قوله تعالى: ﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ ٤٠٤
- آية (٦٧) ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ...﴾ ٤٠٥
- القراءة، وعطف الآية على ما سبق ٤٠٥، ٧
- الصفات المذمومة في الفصاحة ٤٠٦
- الهُزء: والمراد منه ٤٠٧
- قوله تعالى: ﴿أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ...﴾ ٤٠٨
- سبب الأمر بذبح البقرة ٤٠٨
- البقرة: اشتقاقاً ومراداً ٤٠٩
- آية (٦٨) ﴿قَالُوا آذِئْ لَنَا رَبِّكَ...﴾ ٤٠٩

٤٦٨ التبيان في تفسير القرآن/ ج ٢
٤٠٩ معنى ﴿فَارِضٌ﴾ والخلاف فيه
٤١٢ معنى ﴿يَكْرُ﴾
٤١٥، ٤١٢ معنى ﴿عَوَانٌ﴾
٤١٤ قوله تعالى: ﴿يَبِينُ ذَلِكَ﴾
٤١٥ آية (٦٩) ﴿قَالُوا آذُعْ لَنَا رَبُّكَ يُبَيِّنُ...﴾
٤١٥ اعراب ﴿لَوْئَهَا، يُبَيِّنُ﴾
٤١٦ المعنى العام للآية.....
٤١٦ الخلاف في المراد من ﴿صَفْرَاءُ﴾
٤١٨ قوله تعالى: ﴿تَسْرُ التَّنْظِيرِينَ﴾
٤٢٠ مسرد الفهارس الفنية
٤٢١ فهرس الأحاديث
٤٢٣ فهرس الأنبياء والأئمة <small>عليهم السلام</small>
٤٢٥ فهرس الأعلام
٤٣٤ فهرس الشعر - الأبيات
٤٤٣ فهرس الشعر - أنصاف الأبيات
٤٤٥ فهرس الشعر - الأرجاز
٤٤٩ فهرس الفرق والمذاهب
٤٥١ فهرس الأمثال
٤٥٣ المسرد العام